

**PDFZilla – Unregistered**

**PDFZilla - Unregistered**

**PDFZilla - Unregistered**



مجلة آداب \_ جامعة ذي قار

العدد ٢٤ القسم الثاني لسنة ٢٠١٧م





**Arts Journal–Univesity of Thi–Qar**


**No.24, Section2 for the year 2017**





مجلة كلية الآداب فصلية علمية محكمة

الترقيم الدولي : ISSN : 155420736584

العدد ٢٤ / القسم الثاني / لسنة ٢٠١٧م

جمهورية العراق - ذي قار - جامعة ذي قار - كلية الآداب

موبايل : ٠٧٨١٦١٨٨٧٩٢

البريد الإلكتروني : [ARTS.Ma@yahoo.com](mailto:ARTS.Ma@yahoo.com)

جميع الحقوق محفوظة : كلية الآداب - جامعة ذي قار







## دعوة

تدعو مجلة آداب - ذي قار العلمية المحكمة

الباحثين

إلى الكتابة في محور النقد الثقافي

الأصول والتداخل والتجلي

وتتكفل المجلة بأجور النشر للباحثين المشاركين وعرض البحوث

على الخبراء واصدارها في كتاب ترسل البحوث على البريد

الإلكتروني:

[ARTS.Ma@yahoo.com](mailto:ARTS.Ma@yahoo.com)

أ.د. عواد كاظم الغزي



## تعليمات النشر

ترحب هيئة تحرير مجلة آداب ذي قار بإسهامات الباحثين داخل البلد وخارجه، وهي تستقبل البحوث العلمية الإنسانية ، ويتم النشر فيها بعد تقويم البحث علمياً من هيئة التحرير وخبراء معتمدين مشهود لهم بالكفاءة العلمية وتعتذر المجلة عن استقبال البحوث التي لا تخضع للضوابط الآتية .:

١. يثبت عنوان البحث في الصفحة الأولى ، وأسم الباحث ومكان عمله .
٢. يطبع البحث على وجه واحد من كل ورقة حجم ( A4 ) ولا تتجاوز الصفحات ( ٢٠ صفحة )
٣. تجمع هوامش البحث في نهايته مثل المصادر والمراجع.
٤. تسلم المجلة ثلاث نسخ ورقية ويكون قياس الصفحة ( ٢٤.٥×١٨ ) مع قرص مرن.
٥. تنقل الجداول والمخططات والرسوم والخرائط والصور إلى نهاية البحث قبل الهوامش وتثبت على شكل ملاحق ويشار إليها في المتن.
٦. ينبغي أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً.
٧. يتم إعلام الباحث بقرار هيئة التحرير بقبول النشر خلال مدة ( ٢٠ يوماً).
٨. البحوث المنشورة لا يجوز إعادة نشرها إلا بموافقة خطية من رئيس التحرير.
٩. البحوث لاتعاد إلى الباحثين سواء نشرت أم لم تنشر.
١٠. يتحمل الباحث المسؤولية القانونية والاعتبارية في حال ظهور نقل أو اقتباس لم يشر إليه.
١١. تنشر البحوث وفقاً لرأي هيئة التحرير.
١٢. تعاد البحوث إلى أصحابها لإجراء التعديلات المقترحة.
١٣. أjour نشر البحث تخضع للضوابط الوزارية وحسب المرتبة العلمية للمدرس المساعد والمدرس (٧٠٠٠٠) ألف دينار عراقي وللأستاذ المساعد (٩٠٠٠٠) دينار عراقي و للأستاذ (١٠٠٠٠٠) دينار عراقي وللباحثين العرب (١٠٠) دولار لكل الدرجات العلمية .



## الهيئة الاستشارية:

١. د. مهندس طالب الحمدي  
أمريكا
٢. د. كاظم جهاد  
فرنسا
٣. د. أسماء غريب  
إيطاليا
٤. د. إحسان الديدك  
فلسطين
٥. د. عمارية حاكم شريف  
الجزائر
٦. د. خالد السعدون  
الإمارات
٧. د. منتهى طه الحراشة  
عمان
٨. د. وجيه فانهوس  
لبنان
٩. د. بشري موسى صالح  
العراق
١٠. د. لؤي حمزة عباس  
العراق
١١. د. حياة خياري  
تونس
١٢. د. محمد أحمد الرقيات  
الأردن
١٣. د. زكية بنت محمد العتيبي  
السعودية
١٤. د. فايز عارف سليمان القرعان  
الأردن
١٥. د. بشري اسماعيل أحمد  
مصر
١٦. د. خيرة مبارك  
تونس
١٧. د. عبد الحليم محمد  
ماليزيا
١٨. د. انيسة أبو القاسم خزعلي  
إيران
١٩. د. عبدالله بريمي  
المغرب
٢٠. د. خديجة حسين سلمان  
العراق



## هيئة التحرير:

رئيس هيئة التحرير

١. أ. د. كاظم عبد نتيش

مدير التحرير

٢. أ. د. عواد كاظم لفتة

عضواً

٣. أ. د. عبد الحسن علي هاهل

عضواً

٤. أ. د. علي حسين نمر

عضواً

٥. أ. د. مجيد مطشر عامر

عضواً

٦. أ. م. د. حسين خضير عباس

عضواً

٧. أ. د. رحيم حميد عبد

عضواً

٨. أ. د. حسين لفتة حافظ

عضواً

٩. أ. د. كاظم فاخر حاجم

أ. م. د. حميد فرج السعداوي

المصحح اللغوي للعربية :

أ. د. خالد شاكر

المصحح اللغوي للإنكليزية :

م. م. شيماء زاحم حسوني

التنضيد والمتابعة :



## كلمة العدد

يشكل عام ٢٠١٧م انعطافة مهمة في مسيرة مجلة آداب \_ ذي قار، إذ تمكنت المجلة من استقطاب باحثين كبار في مجال العلوم الإنسانية تقاسموا الكتابة فيها أو الإشراف على مسيرتها العلمية بوساطة وجودهم في الهيئة الاستشارية ، وإذ إمتد فضاء الهيئة الاستشارية إلى مختلف الجامعات العالمية، ويوازي هذا الإنتشار العلمي جودة في البحوث المنشورة وجمالية في التنضيد والطباعة والإخراج، فضلاً عن سعي هيئة التحرير إلى استصدار كتاب سنوي يتضمن البحوث التي فيها ابتكار و جودة ومواكبة للقضايا الآنية وتحاول هيئة التحرير اجترار محاور تخصصية للكتابة فيها وتشجيع الباحثين على الانخراط في مواكبة الحداثة واستيعاب تطوراتها، ولم يكن هذا لولا دعم عمادة كلية الآداب ممثلة بشخص عميدها الدكتور جابر محسن عليوي ومن الله التوفيق.

**مدير التحرير**

أ.د. عواد كاظم الغزي



## الفهارس

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الجامعة	الدولة	الصفحة
محور اللغة العربية					
١.	إدراك الجمال عند ابن سينا	أ . م . د . د. رثيفة أبوراس	جامعة حلب	سوريا	١
٢.	أهميّة المنهج اللساني في تعليميّة اللّغات	د. فاطمة صغير	المركز الجامعي مغنية	الجزائر	٢٢
٣.	خصائص العربية في ثراء دلالاتها البلاغية وتنوعها	د. وهيبة بن حدو	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان	الجزائر	٣٨
٤.	دراسه حروف المعانى فى خطبه ٢٣٣ من نهج البلاغة	أ.م.د. بلاسم محسني الباحثة، فتحية هلاليان	جامعة فردوسى مشهد	ايران	٦٥
٥.	الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة والفاعلية في العملية التعليمية كتاب "تعلّماتي الأولى" دفتر الأنشطة اللغوية للتربية التحضيرية-أنموذجاً-	د.الشامخة خديجة	جامعة غرداية	الجزائر	٩٠
٦.	عناصر الشعرية ومقوماتها عند شاعر الأقصى يوسف العظم "دراسة في جماليات النص"	١. د. حسين لفته حافظ ١.م.د. عباس عبد الحليم عباس	جامعة الكوفة الجامعة العربية المفتوحة	العراق الاردن	١٢٩

١٧٩	العراق	وزارة التربية - مديرية تربية ذي قار	م. د. محمد مهدي ياسين الخفاجي	المتعاليات النصية لمؤلفات علي شريعتي سيمياء العنوان الرئيس أنموذجا	.٧
١٩٩	الجزائر	جامعة سعيدة	د. عبد السلام مرسللي.	المعطي الأنغولساكسوني في الخطاب السيميائي المغربي - سيميائيات "ش.س.ب.ورس" أنموذجا -	.٨
٢٤١	دولة الإمارات العربية المتحدة	كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي	د. حسين عابد الفريجات	العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي	.٩
٣٢٢	العراق	جامعة ذي قار	أ.م.د. محمد حمود إبراهيم السهر	دور الدراما التلفزيونية في التغير الثقافي للعائلة العراقية	.١٠
٣٦٠	الجزائر	جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة	أ.د. حاكم عمارية	سلطة السيطرة على الشعور الإنساني من خلال سيميائية الصورة الإشهارية من منظور الناقد السيميائي "سعيد بن كراد"	.١١
٣٨٣	المغرب	جامعة ابن طفيل القنيطرة.	الباحث : خالد قدروز	الذاكرة ورهان الكتابة رواية "أخايد الأسوار" أنموذجا"	.١٢
٤١٢	العراق	جامعة البصرة	م.م. ميثاق حسن عبدالواحد	تميطات التداخل بين الليل والنهار في القرآن الكريم	.١٣

# محور اللغة العربية



## إدراك الجمال عند ابن سينا

أ . م . د. ربيعة أبوراس

جامعة حلب – سوريا

المقدمة :

الجمال الحقيقي هو ظهور الكمال في إدراك. وأمّا المجازي، فله مراتب؛ لأنّه يرتبط بمراتب الكون ، والمراتب الوجودية ؛ فكّما كان الوجود أقوى كان الجمال أقوى.

فتدرّج درجات الجمال مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتدرّج المراتب الوجودية بدءاً من عالم العقول والأرواح ، وانتهاءً بعالم الأجسام .

وبناءً على هذا التدرّج الوجودي من عالم المعقولات إلى عالم المحسوسات ، فإنّ مظاهر الجمال تنقسم إلى صنفين :

أ-المظاهر المعنوية للجمال (الجمال الباطن) .

ب-المظاهر الحسيّة للجمال (الجمال الظاهر) .

وغالباً ما تبدو لنا المظاهر الحسيّة للجمال ، وتخفي عنّا المظاهر المعنوية ؛ لدقّتها ولطفها وجوهرها الروحاني .

إنّ الجمال المعنوي هو خلاصة النور القدسي الذي أشرق على العقول الزكيّة بأنواع المعارف الإلهية التي تنتهي بالمرء إلى المحبّة الرفيعة ظاهراً وباطناً ، وترقى به إلى مستوى الكمالات الإنسانيّة.

الوجود لم يعرف الموجد سبحانه وتعالى ؛ وعلى قدر معرفته لهذا الوجود يعرف موجدهً. " (مراتب الوجود : ١٢) . وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين : المجاز قنطرة الحقيقة . يعني أن من عرف هذا الوجود الظاهر وحقق معرفته عرف الله تعالى. (الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب : ٦١)

فعندما تكون المعرفة أقوى ، يكون إدراك الجمال بصورة أقوى . فالحيوانات هي في إدراكها دون رتبة الإدراك الإنساني . وقد يكره الإنسان طعم الأشياء اللذيذة ، وربما يستأذ طعم البشيع منها لمرض الحس ؛ فكذلك النفس إذا كانت مريضةً وضَعْف إدراكها ؛ لذلك تأنس بالذائل وتقنع بها ، ولا تتشوق للفضائل . (مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب: ١١٤)

والإنسان يعرف بقدر إدراكه الجمال . فإن اعتقدنا أن الإدراك في الإنسان

يسعى هذا البحث إلى تأصيل الإدراك الجمالي لدى ابن سينا بوصفه من أعلام الثقافة الإسلامية فلسفة وعرفاناً ، إذ لا بد لنا من ربط الجمال بمظهره الظاهر والباطن بحقيقته الأصلية التي ينقسم بموجبها إلى مطلق ومقيّد ، ثم ينقسم المقيّد بدوره إلى كليّ وجزئيّ ؛ لنصل من تقسيم الجمال الجزئيّ إلى الجمال الظاهر والجمال الباطن . وما فهمنا للجمال بمظهره إلا لإدراك سرّ الجمال الكامن في الجوهر الروحانيّ لما يبدو لنا من مكونات الوجود .

### العلاقة بين الإدراك والجمال :

#### -المعرفة والإدراك :

كلّما ارتقى الإنسان في تكامله الوجوديّ درجةً أعلى ، فإنّه يحصل على معرفة عالية . وهو بهذه المعرفة يدرك الجمال على نحوٍ أتمّ وأكمل . قال الجيلي : "واعلم أنّ معرفة الله تعالى منوطة بمعرفة هذا الوجود ؛ فمن لا يعرف

المتنوعة . وعندما ترقى النفس العارفة درجةً أخرى في الإدراك ، فإنّها تتعرّف جمال النفس الحيوانية ؛ فترى فيها من الكمالات ما لم تراه في النبات . وأمّا الاستدلال بالإنسان العاقل ، كامل الذات ، جميل الصفات ، فذلك أكمل وأفضل دلالةً من جميع ما تقدّم ؛ لاجتماع الكمالات الموجودة في النبات والحيوانات كلّها فيه ، بل فيه من الكمالات ما لا يوجد فيها أبداً . ولولا أنّ الإنسان جامعٌ لما في النبات والحيوان من القوى النباتية والحيوانية ، وله بذلك معها شركة ، لم تُستحسن محاسنه ؛ فإنّ الاستحسان لا يكون إلاً بمناسبةٍ ما .

فالإنسان بكونه يغتذي وينمو ويلد قد شابه النبات ، ويكونه يُحسّ ويتحرّك بالإرادة ويشتهي ويغضب أشبه الحيوان ، ويكونه له نفس ناطقة عالمة برّبها ، منتقشة بالمعارف العقلية والعلوم اللدنية ، حريصة على اكتساب الفضائل ، مُجبة

ينحصر في الإدراك المعتاد للصور ، فمفهوم الجمال عنده ينحصر في الإدراك الحسيّ . ولكن بوجود أطوار الإدراك المعرفية التي ترقى فوق طور الإدراك المعتاد ، فإنّ الإنسان يتكامل إدراكه بحسب درجات هذه الأطوار ؛ وينسبة هذا التكامل ودرجته ، يتكامل حظّه من إدراك الجمال ، أو من تجلّي الجمال له ؛ لأنّ الجمال يتجلّى للإدراك ؛ ومن دون إدراك لا يُفهم شيء .

إنّ الإدراك الجماليّ لدى العارفين يرقى سلّم المعرفة بدءاً من إدراك جمال النفس النباتية ، فالحيوانية ، فالإنسانية . فعندما يدرك العارف جمال النفس النباتية ، يحصل له الابتهاج بمطالعة الرياض والأزهار ؛ وذلك لما انطوت عليه تلك الصُّور من البهاء الإلهيّ الباطن الذي يجلو شجون النفس ؛ إذ تستدلُّ ذاته على جمال المُبدع الذي أبدع تلك الهيئات الحُسنى والصُّور الرائعة

و الترتيب الوجودي لدى ابن سينا هو ترتيب جمالي؛ إذ تتحدّد من خلاله نسبة الجمال في كلّ مرتبة من مراتب الوجود، أو في كلّ موجود من الموجودات، ابتداءً بالجماد وارتقاءً إلى النبات فالحيوان فالإنسان الذي حاز الكمالات كلّها .

كذلك يرتبط إدراك الجمال بتكامل القوى في كلّ موجود؛ فلنبات القوى النباتية، وللحيوان القوى النباتية والحيوانية، وللإنسان القوى النباتية والحيوانية والناطقة. وتكامل القوى يزيد في الفعل، ويجعله أكثر بهاءً؛ لذلك فالإنسان أجمل الموجودات؛ إذ إنّ تكامل قواه يزيد في أفعاله ويجعلها أعلى وأشرف وأجمل .

ولمّا حاز الإنسان سائر الكمالات، وكان أجمل الموجودات، أشرق عليه من نور الجمال القدسيّ أكمل ممّا أشرق على سائر الموجودات؛ إذ كان إشراق

في الكمالات، أشبه الملائكة . فليس في العالم أكمل من الإنسان؛ لأنّه جملة واحدة قد جُمع فيها ما جُمع في العالم الأكبر؛ ولهذا أشرق عليه من النور الإلهيّ أكمل ممّا أشرق على غيره . (مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب: ١١٢)

والنفس الإنسانيّة لدى ابن سينا تشتمل على القوى النباتيّة والحيوانيّة والناطقة، وهي ذات واحدة تتعلّق بالإنسان؛ لأنّه يحوي في ذاتيّته ما دونه ممّا هو في النبات والحيوان، ويزيد عليهما بالقوّة الناطقة .

وتلك القوى هي مبدأ الأفعال في كلّ من النبات والحيوان والإنسان، ولكلّ من هذه الموجودات ما يُناسبه من القوى . وأمّا الإنسان فقد جمع هذه القوى كلّها؛ وهي المعبر عنها في علم النفس بمصطلح (الدوافع) .

الصُّور والأشكال إلى النظر والاستدلال.

وعندما يتجلى جمال الحق للإنسان ،  
ويصرف الصُّور والأجسام ، يقوم عنده  
البرهان الحقيقي ، والدليل القطعي على  
أنها مظلمة لا ترى ذاتها ولا غيرها ،  
وأنه لولا وجود شيء خارج عنها هو  
المسمى نوراً ، ما ظهرت للعيان ، ولا  
تميّزت منها الصُّور والألوان والمقادير  
والأشكال . كما يُدرك أن ذلك النور غير  
حالٍ فيها ولا ناءٍ عنها ، وإنما هو مُشرقٌ  
عليها ، مُظهرٌ لها . (البرهان المؤيد :  
١١٤)

ولكننا إذا أردنا فهم ذلك كله ، لابد لنا  
من معرفة حقيقة الجمال لدى ابن سينا ؛  
فقد ذهب ابن سينا إلى أن الله سبحانه  
هو الجمال المطلق ، والبهاء المحض ،  
وهو مبدأ كلِّ جمال . (ابن سينا،  
النجاة ٢ : ١٠١)

نور هذا الجمال على الموجودات بحسب  
استعدادها وقبولها هذا النور . فبعضها  
قبلت من صفة الوجود والحياة والمعرفة  
والمحببة والجمال ؛ وهي الذوات العارفة  
الكاملة . وبعضها قبلت منه صفة  
الوجود والحياة والجمال ؛ وهي الأجسام  
التي تدبرها الأنفس العارفة . وبعضها  
قبلت منه الوجود والجمال ؛ وهي أجسام  
الحيوان والنبات . وبعضها لم تقبل منه  
إلا صفة الوجود خاصة ؛ وهي أجسام  
الجماد المظلمة في ذاتها ؛ وإنما حصل  
لها من النور الوجودي رشٌ به ظهرت  
من ظلمة العدم ، وبه تناسبت مع  
أجناسها لاشتراكها بالوجود . (مشارق  
أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب :  
٢٥)

هذه هي العلاقة بين الإدراك والجمال  
التي إن تحققت في ذات الإنسان ، تمكّن  
من إدراك سرِّ الجمال المشرق في  
الكائنات ؛ إذ يرتقي من رتبة الوقوف مع

وبعدها مرتبة النفوس السماوية الناطقة ، من نفس الفلك الاعلى إلى نفس الفلك الأدنى .

وبعدها مرتبة الصور ، من صور الفلك الأعلى إلى صور العناصر .

وبعدها مرتبة الهيولات ، من هيولى الفلك الأعلى إلى الهيولى المشتركة العنصرية ؛ وبها تنتهي مراتب البدء .

وتكون بعدها مراتب الصور ، أي التوجه إلى الكمال بعد التوجه منه .

وأولها : مرتبة الأجسام النوعية البسيطة من الفلك الأعلى إلى الأرض .

وبعدها : مرتبة الصور الحادثة بعد التركيب كالصور المعدنية وغيرها على اختلاف مراتبها .

وبعدها : مرتبة النفوس النباتية بأسرها .

- مرتبة الوجود الإنساني وإدراك الجمال:

ذكرنا أنّ هناك ارتباطاً بين إدراك الجمال والمعرفة ؛ فكّما كانت المعرفة أكمل ، يكون إدراك الجمال بصورة أكمل ؛ وذلك وفق مراتب الموجودات . وفي بيان هذه المراتب قال ابن سينا : "ابتدأ الوجود من الأشرف فالأشرف حتّى انتهى إلى الهيولى" (الإشارات والتنبيهات، النمط السابع : ٦٧١)

وفي معرفة هذا القوس الوجودي يظهر مقام الإنسان وتكامله في المعرفة ، وإدراكه للكمال والجمال ، ثمّ كيفية ترقّيه في هذا الإدراك المتحرّر السامي للجمال وفق مدارجه وكمالاته الوجودية .

ومراتب البدء بعد المبدأ الأول هي :

مرتبة العقول ، من العقل الأول إلى الأخير .

اللذات الحسيّة ، وإدراك الجمال يرى غاية السعادة في نيل اللذة المحسوسة .

وأما الجمال الباطن ، فهو ما تفيده الأنوار القدسيّة الإلهيّة إذا أشرقت على العقول الزكيّة من الاتّصاف بأنواع العلوم الدينيّة ، وأسرار المعارف الرّبانيّة المؤدّية إلى المحبّة الحقيقيّة وسائر الكمالات والفضائل . (مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب: ٤٨)

-النفس وإدراك الجمال لدى ابن سينا :

في بيان الإدراك الجماليّ للنفس الإنسانيّة ، ذهب ابن سينا إلى أنّ القوّة النظرية هي قوّة معدّة نحو النظر والعقل الخاص بالنفس ، ووجهها إلى فوق ، وبها يُنال الفيض الإلهيّ . (ابن سينا ، عيون الحكمة : ٤٢) .

والفيض الإلهيّ لدى ابن سينا معناه : الإلهام الرّبانيّ الذي يقع دفعة فيكشف به

وبعدها : مرتبة النفوس الحيوانيّة على اختلافها .

وبعدها : مرتبة النفوس الناطقة المجرّدة الإنسانيّة جميعها .

والمرتبة الأخيرة : هي مرتبة العقل المستفاد المشتمل على صور جميع الموجودات -كما هي- اشتمالاً انفعاليّاً ، كما كانت العقول في المرتبة الأولى مشتملةً عليها اشتمالاً فعليّاً . فبالعقل المستفاد عاد الوجود إلى المبدأ الذي ابتداءً منه ، وارتقى إلى ذروة الكمال بعد أن هبط عنه . (الإشارات والتنبيهات ، النمط السابع ، ٦٧٢)

إنّ تدرّج درجات الجمال متعلّق بتدرّج هذه المنازل الوجوديّة ، بدءاً من عالم العقول والأرواح ، وانتهاءً بعالم الأجسام والمحسوسات ؛ ممّا ترتّب عليه تنوّع الإدراك الجماليّ للموجودات بين إدراك للجمال الباطن ، وللذات المستعلية على

غير واصله . وإذا غابت عن شعورها بذاتها وشعورها بلذاتها ، فذلك الذي سمّوه الفناء . " (مجموعة مصنفات شيخ الإشراق ، قسم الإلهيات ، كتاب التلويحات ، مرصاد عرشي : ١١٤ )

ولابن الخطيب في إدراك الجمال الأعلى الذي يرقى فوق المحسوس قوله : "فالفنيّ جمالٌ في الشيء معقولٌ عن الحقائق ، مجردٌ عن الحواس ؛ ولا يُدرك إلاّ بنور العقل الذي يناسبه . " (روضة التعريف بالحبّ الشريف : ٢٩٠ )

وفي السياق نفسه قال ابن سينا مبيّناً قيمة ارتقاء النفس إلى عالم القدس وتجردّها من عوائق الحسّ المانعة من الإدراك الجماليّ للذّة العليا : "والعارفون المتنزّهون ، إذا وُضِعَ عنهم دَرَنَ مقارنة البدن ، وانفكّوا عن الشواغل ، خلصوا إلى عالم القدس والسعادة ، وانتقشوا بالكمال الأعلى ، وحصلت لهم اللذّة

حقيقة من الحقائق العقليّة . (ابن سينا ، أحوال النفس : ١٩٧ ) .

ورأى الشيخ الرئيس إلى أنّ فعل هذه القوّة ، الإدراك ؛ وهو تصوّر المعاني الكليّة وإدراك المعقولات . (ابن سينا ، عيون الحكمة : ٤٢ ) .

ويفيد العقل الخاصّ بهذه القوّة في أمورٍ كالتذكّر والتضرّع والتعبّد ؛ إذ هي محلّ التفكّر والذكر بها يُدرك الإنسان عظمة الخالق ، مرتقياً نحو الأعلى ، تاركاً شواغل البدن والعالم المحسوس لتحقيق الغاية الجماليّة العليا التي تبدو في رقيّ سلوكه وجمال أفعاله وآثاره ونتاجه الإنسانيّ وآدابه .

ولدى حصول المرء على الحكمة الإلهيّة يشعر بالبهجة والسعادة واللذّة العقليّة المعنويّة التي تسمو إلى الجناب القدسيّ الأعلى ، وترقى به عن عالم اللذات المحسوسة . فالنفس مادامت "مبتهجة باللذات من حيث هي لذات ، فهي بعد

يُعرف سببه ، وأصابها وجدُّ مُبرِّحٍ مع لَذَّةٍ مُفْرِحةٍ ؛ يُفضي ذلك بها إلى حَيْرَةٍ وَدَهْشٍ ، وذلك للمناسبة . فهذه حال لَذَّةِ العارفين . " (الإشارات والتنبيهات ، النمط الثامن : ٧٧٧)

وهذا الاتِّصال المُسعد بالعالم الروحانيّ الذي أُرث لدى العارفين اللَذَّةُ والبهجةُ والسعادةُ ، حرَّره من عوالم جَورِ عقولهم الجزئيَّة ؛ ليدركوا معنى الجمال الباطن الذي هو روح الجمال الظاهر وسرُّه . (مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب : ١١٨) ومن هذا الإدراك يصلون إلى التحقُّق بمعنى الجمال المطلق القدسيّ الذي هو روح الكلِّ ، وسرُّ الكلِّ . تعالى من انفراد به .

ومن ارتقوا إلى هذه الدرجة من الإدراك ، هم الذين بلغ بهم السلوك إلى محبَّة الجمال المجرِّد ، وكملوا بعشقه ذواتهم ؛ فلمَّا كملت توجَّهوا بها لوجه الله تعالى ؛

العلياء . " (الإشارات والتنبيهات ، النمط الثامن : ٧٧٤)

وذهب ابن سينا إلى أنّ إدراك اللَذَّةِ العليا يمكن تحقيقه بوجود البدن ؛ وهذه مرتبة المنغمسين في تأمّل الجبروت ؛ وفي ذلك قال : "وليس هذا الالتذاذ مفقوداً من كلّ وجهٍ ؛ والنفس في البدن ، بل المنغمسون في تأمّل الجبروت ، المعرضون عن الشواغل ، يُصيّبون ؛ وهم في الأبدان من هذه اللَذَّةِ حظّاً وافراً قد يتمكّن منهم فيشغلهم عن كلّ شيءٍ . " (الإشارات والتنبيهات ، النمط الثامن : ٧٧٥)

وتعمّق الشيخ الرئيس في بيان الإدراك الجماليّ للذَّةِ الروحانيَّة لدى العارفين ، وكيفيَّة تذوّقهم لها فقال : "والنفوس السليمة التي هي على الفطرة ، ولم يفظها مباشرة الأمور الأرضيَّة الجاسية ، إذا سمعت ذكراً روحانيّاً يشير إلى أحوال المفارقات ، غشيها غاشٍ شائقٌ لا

الذاتية والموضوعية في آنٍ معاً ، مع أنه قد سبق إلى الأوهام العامية أن الذات القوية المستعلية ، هي الحسية ، وأن ما عداها لذات ضعيفة ، وأنها خيالات غير حقيقية . (الإشارات والتنبيهات ، النمط الثامن : ٧٤٩)

ونبه ابن سينا على هذا المقصد كذلك بالمقايضة "بين حال الملائكة وما فوقها ، وبين حال الأنعام وما يجري مجراها بحسب الكمال والخير الموجود فيهما." (الإشارات والتنبيهات ، النمط الثامن : ٧٥٢)

فإدراك الملائكة للذة بحسب كمالهم ، وإدراك الأنعام للذة بحسب كمالها ؛ و"النسبة بينهما بعيدة جداً ، بل لا نسبة لأحدهما على الآخر ؛ لعدم الاشتراك بين كماليهما في الماهية." (الإشارات والتنبيهات ، النمط الثامن : ٧٥٢) فاللذة هي إدراكٌ ونيلٌ لوصول ما هو عند المدرك كمالٌ وخيرٌ من حيث هو كذلك

وهؤلاء هم الخصوص . (مشارك أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب: ١١٩)

إنّ هذا المستوى من الإدراك الجمالي هو أرقى المستويات على الإطلاق ، وهو التعبير الجوهرى عن مرتبة التجرد والنزاهة التي هي مرتبة الأحرار الواصلين ممن نالوا شرف إدراك الذات المعنوية العليا بعد أن تخلفت عن همهم المقامات والأحوال ، وصاروا في اللامقام المطلق . فكانت نفوسهم باعتبار بشريتها لها وجهٌ إلى الحس ، وباعتبار جوهرها وغلبة أشعة الجلال عليها لها وجهٌ إلى القدس . فكان الأشرف للأشرف ، والأخس للأخس ؛ وذلك وفقاً لاعتبارات السلم الوجودي ودرجاته التكاملية ، ووفقاً لمعراج النفس من حضيض سفلياتها إلى أوج علوياتها.

في هذه التجربة المعراجية المتكاملة إلى الأفق الأقدس ، تبين لهؤلاء العارفين نفاسة الذة المعنوية ، وقيمتها

(. الإشارات والتنبهات ، النمط الثامن :

٧٥٢)

فاللذة الحاصلة عن الإدراك مرتبطة بماهيّة المُدرِك وطبيعته ؛ فإن كان المُدرِك قد غلبت عليه الكثافة ، فإنّه يميل إلى استحسان اللذة المحسوسة ، ويرى فيها الكمال والخير ، وإن كان تكوينه قد غلبت عليه النورانيّة ، فإنّه يميل إلى استحسان اللذة الروحانيّة وفقاً لمقتضى تكوينه . ولما كان الإنسان مرآة الوجود بأكمله بما فيه من الكثافة واللطافة ، فإنّ تنوّع قواه المُدرِكة بين الحسّ والقدس ، أورث لديه إدراكاً متعدّد الوجوه للذاتِ شتى . فأما العوامّ من الناس الذين استرقتهم الموجودات ، فإنّهم سايروا غرائزهم التي اشتركوا فيها مع سائر الحيوان كالأذّة الطعم والشراب والنكاح . وأمّا الخواصّ الأحرار الذين تخلّصوا من رقّ المكوّنات ، فإنّهم وجدوا اللذة العظمى في حضرة القدس ، ولم

تمنعهم بشريّتهم من الوصول والحرّيّة والتمكّن من إدراك الجمال في أعلى مراتبه ؛ ألا وهو جمال الجلال الذي أشرق في النفس والآفاق ؛ فأضاء نوره ظلمة الطبع في النفس ، وظلمات الطبيعة في الآفاق .

وهذا الاتّخاذ المعنويّ بمطالعة جمال الجلال ذو قيمة ذاتيّة وموضوعيّة في آنٍ معاً ؛ لأنّ الخير والكمال فيه ليس بالمعنى الاعتباريّ الجزئيّ ، بل بالمعنى الاعتباريّ الحقيّ الفعليّ . فموضوع الإدراك الجماليّ هنا عظيم في ذاته ؛ ومُدرِك هذا الموضوع الجليل مُحقّق في إجلاله وتعظيمه ، ومنفوّق في إدراك جماله .

فالكلمات إدراكاتها متفاوتة. (الإشارات والتنبهات ، النمط الثامن: ٧٦٣) فمنها ما يتعلّق بالقوّة الشهويّة ؛ وهو كتكّيّف العضو الذائق بكيفيّة الحلاوة ، سواء كانت مأخوذة عن مادّة خارجيّة ، أو لم

قال العارف ابن عجيبة في التعبير عن هذا القرب والوصال لدى الذوات العارفة : "تعيم الأرواح وعذابها ، إنَّما هو بشهود ربِّها واحتجابها ؛ وذلك بعد تخلُّصها من عالم الأشباح ، وترقيتها إلى عالم الأرواح . فيكون حينئذٍ نعيمها رَوْح الوصال ، ورِيحانَ الجمال ، وعذابها احتجابها عن شهود ذلك الجمال ، وبُعدها عن الكبير المتعال . فأهل الجنان أحسَّوا بالرضى والرضوان ؛ فهم عالمون بقرب الحقِّ منهم ورضاه عنهم." (إيقاظ الهمم في شرح الحكم ٢ : ٣١٣)

صيامي هو الإمساك عن رؤية السوى وفطريَّ أنِّي نحو وجهك را جعُ (المعارف الغيبية شرح العينية الحيلية : ٢٤)

والعشق أعلى مظاهر الإرادة الإنسانية ؛ إذ تُفني هذه الإرادة العبدَ المُحبِّ ؛ ليدخل مقام "ولاية العين والذات" التي هي مقام المشاهدة . فإنَّها تستلزم فناء

تكن ، وكذلك في سائر الحواسِّ الظاهرة . ومنها ما يتعلَّق بالقوة الغضبيَّة ؛ وهو كتكَيِّف النفس الحيوانيَّة بكيفيَّة هي تَصَوُّرُ غَلْبَةِ ما ، أو تَصَوُّرُ أَدَى حَلِّ بمغضوبٍ عليه . ومنها ما يتعلَّق بالقوى الباطنيَّة ، كتكَيِّف الوهم بصورة شيءٍ يرجوه ، أو بصورة شيءٍ يتذكَّره فيذكره ، وكذلك في سائرهما . وهذه كلُّها كمالات حيوانيَّة مختلفة ، وإدراكات حيوانيَّة لها متفاوتة تتبعها لذاتٌ بحسبها . (الإشارات والتبهيئات ، النمط الثامن : ٧٦٣)

"وكمال الجوهر العاقل أن تتمثَّل فيه جليَّة الحقِّ الأول قدر ما يمكنه أن ينال منه ببهائمه الذي يخصَّه." (الإشارات والتبهيئات ، النمط الثامن : ٧٦٣)

وعندما تتمكَّن النفس من التحرُّر من العوائق ، فإنَّها تلتذُّ بكمالها ، ويحصل لها قوَّة عروجٍ إلى العالم الأعلى ، كما تحصل لها اللدَّة الكبرى بإدراك الجمال الأقدس .

البدن ؛ ولهذا فإنه لا يرى للنفس وجوداً  
في العالم المحسوس من دون البدن  
. (ابن سينا ، النجاة ٢ : ٤٠ ، ٤١ ،  
٤٢ ) .

رمز ابن سينا إلى النفس بالحمامة ، تلك  
التي هبطت من المحلّ الأرفع ، عالم  
اللطافة الذي هو عالم العقول ، أو عالم  
الفيض على حدّ تعبيره ؛ لتحلّ في  
الحضيض الأوضع الذي هو هيكل  
الطين والصلصال وعالم الكثافة . قال  
الشيخ الرئيس :

هبطت إليك من المحلّ  
الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنّ  
ع (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء  
لابن أبي أصيبعة . ج ٣)

والفعل (هبط) يعني (نزل) ؛ فرحلة  
النفس الإنسانية هي رحلة نزول وانحدار  
.

الصفات ؛ لأنّ بقاء الصفة مع فناء  
الموصوف محال . (شرح منازل  
السائرين للقاشاني : ٥١٦)

وفي هذه الحالة من المحبّة ، تُستهلكُ  
ذات السالك في الحضرة الكلّيّة .  
والاستهلاك أثار المحبّة ؛ فأول المحبّة  
طلب المحبوب للنفس ، ثمّ بذل النفس له  
، ثمّ نسيان الإثنيّة ، ثمّ الفناء في  
الوحدانيّة . (فوائح الجمال وفوائح  
الجلال: ٧)

رمزيّة النفس لدى ابن سينا :

تعدّ حقيقة (النفس) من أهمّ الركائز  
المعرفيّة لفهم حقيقة الجمال لدى ابن  
سينا . ولا بدّ لجلاء ذلك من بيان ما  
ذهب إليه الشيخ الرئيس في موضوع  
النفس ؛ إذ يعدّها ذاتاً واحدةً تجتمع فيها  
قوى كبيرة تتعلّق بكلّ عضوٍ تتولّد فيه  
الحياة ؛ فمن المحال ان يحيا عضوٌ بلا  
تعلّق قوّة نفسانيّة به ؛ وأول ما تتعلّق به

و"الروح القدر" ، و"الروح المنفوخ في الصور المسوأة بعد كمال تسويتها" .  
وسُميت بالورقاء للطف تنزلها من الحق إلى الأشباح المسوأة .

(عبد المنعم الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية : ٢٦٦) .

لقد أنعم الله جلّ جلاله على الإنسان باللطيفة الربانية القدسية التي نسبها إلى ذاته ؛ فقال: "ونفخت فيه من روحي" (الحجر: ٢٩) . ولم ينسب البشر إلى الطين تشريفاً لهذه الروح ، ثم أودع فيها من الجمال الفائق ، والحسن الكامل ، والصنع الشامل ، ما تتسلب له العقول ، وتتجذب حبات القلوب . فأَيّ الاستدلال في هذا الوجود أتمّ من الاستدلال بها ؛ إذ هي نسخة الوجود الكليّ ، وزمرة العالم العلويّ ؟ ومتى يوجد في الدلالة على بارئها مثلها ، وأيّ صنعة أشدّ إتقاناً من صنعتها ، أو جمال أتمّ من جمالها ، أو كمال أكثر إبداعاً من كمالها ؟ وهل

أما الحمامة "الورقاء" فهي رمز "النفس الكليّة" لدى العارفين . وقد تردّد في أشعار ابن عربي كثيراً ذكر الحمامات الورق المشيرة إلى النفس الكليّة .

كما رمز إليها ابن عربي بالقمريّة في قوله :

يفنى إذا ما صدحت قمريّة بذكر من يهواه فيه طرباً

(ابن عربي ، محيي الدين ، ترجمان الأشواق - ط دار صادر : ١١١) .

وقوله : "يفنى إذا ما صدحت قمريّة" ، كنى فيه بالقمريّة عن نفس عارفٍ مثله قد فوهت بأمرٍ علويّ أشاقه إلى ما جاء منه .

(ابن عربي ، محيي الدين ، ترجمان الأشواق - ط دار صادر : ١١١) .

يقول صاحب معجم مصطلحات الصوفية في بيان رمزية "الورقاء" بأنها "النفس الكليّة" ، وهي "اللوح المحفوظ" ،

الإدراك المحسوس ؛ لذلك فظهورها عين  
حجابها .

محبوبةً عن كلِّ مقلّةٍ عارفٍ وهـ  
ي التي سفرت ولم تتبرقع

وللنفس الناطقة عند ابن سينا أسماء  
مختلفة منها : النفس المطمئنة ،  
والنفس القدسيّة ، والروح الروحانيّة ،  
والكلمة الطيّبة ، والسرّ الإلهيّ . (ابن  
سينا ، أحوال النفس ، رسالة في النفس  
وبقائها ومعادها : ١٩٥ ) .

وهذه النفس لم تبتهج في تنزّلها إلى عالم  
الكثافة ، بل بلغت مكرهةً من عالم لطفها  
النوريّ؛ ومع ذلك لمّا طالت صحبتها  
لكثافة البدن ، ألفتها وكرهت مفارقتها .

وصلت على كرهٍ إليك وربّما  
كرهت لقاءك وهي ذاتٌ تفجّع

كأنّ هذه النفس نسيت المودّة والميثاق  
مع عالمها النوريّ الأوّل ، وجماها

تكمل النفوس المشتاقة للكمال بشيءٍ  
سواها إذا أدركت كمالها ، أو تصوّرت  
جمالها ؟. (مشارق : ١١٣)

أمّا ذكر الوراقاء فهو إشارة إلى عالم  
اللطافة الروحيّة من جهة ، وإشارة إلى  
الطبيعة من جهةٍ أخرى . فالوراقاء تعني  
الحمامة التي يضرب لونها إلى الخضرة

وهذا يستدعي رمزاً آخر للنفس الكليّة  
تميزه الخضرة ؛ وهو "الزمرّدة الخضراء"  
التي اكتسبت خضرتها من تمازج نور  
"الدرّة البيضاء" مع الطبيعة . وما ورد  
في معجم مصطلحات الصوفيّة عن أحد  
معاني رمزيّة الوراقاء بأنّها "اللووح  
المحفوظ" يؤيّد ذلك . فالنفس الكليّة عند  
العارفين هي اللوح المحفوظ ، في مقابل  
"القلم" الذي هو "العقل الفعّال" .

ولشدة شفافية هذه النفس الناطقة ، لا  
تُدركها الأبصار ؛ إذ هي فوق طور

ولمّا انكشف الغطاء ، وأبصرت بالبصيرة ما تنزّه  
عن الإدراك المحسوس للباصرة ، صارت تصدح  
مغرّدةً فوق الذرا العاليات ؛ إذ ارتقت بالعلم إلى  
تلك الأعالي .

سَجَعَتْ وَقَدْ كُشِفَ الْغَطَاءُ فَأَبْصَرَتْ  
مَا لَيْسَ يُدْرَكُ بِالْعَيْونِ الْهُجَّعِ  
وَبَدَتْ تُغْرِدُ فَوْقَ ذُرُوعِ  
شَاهِقٍ وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُرْفَعِ  
فَلَأَيِّ شَيْءٍ أَهْبَطَتْ مِنْ شَاهِقٍ  
سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ ؟  
إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا إِلَهُ لِحِكْمَةٍ  
طَوَّبَتْ عَنْ الْفَطْنِ اللَّيْبِ الْأُرُوعِ  
فَهَبُوطُهَا إِنْ كَانَ ضَرْبَةً لِأَزْبِ  
لِتَكُونَ سَامِعَةً بِمَا لَمْ تَسْمَعِ  
وَتَعُودَ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ فِي  
الْعَالَمِينَ فَحَرْقُهَا لَمْ يُرْفَعِ

الأقْدَسِ ، وَمَعَاهِدَهَا الْعُغْلَا .  
فَطَلَّتْ سَاجِعَةً عَلَى بَقَايَا الْأَطْلَالِ  
الِدَارِسَةِ ؛ وَمَا تَلَّكَ الْأَطْلَالُ إِلَّا الْبَدَنِ  
الْبَالِي بِفَعْلٍ مَا تَتَاوَبَ عَلَيْهِ مِنْ عَوَامِلِ  
الزَّمَنِ .

وَتَنْظُلُّ سَاجِعَةً عَلَى الدَّمَنِ  
الَّتِي دَرَسَتْ بِتَكَرُّرِ الرِّيحِ الْأُرْبَعِ  
إِذْ عَاقَهَا الشَّرْكُ الْكَثِيفُ فَصَدَّهَا قَفْصُ  
عَنِ الْأَوْجِ الْفَسِيحِ الْمَرْبِيعِ  
لَقَدْ مَنَعَهَا شَرْكُ الْكثَافَةِ مِنَ الْإِنْطِلَاقِ فِي فُسْحِ  
الْعَوَالِمِ النُّورِيَّةِ الْعُلْيَا ، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَتْ عَوْدَتَهَا إِلَى  
جَمَاهَا الْأَصْلِيِّ ، وَحَانَ الرَّحِيلُ إِلَى ذَاكَ الْفَضَاءِ  
الرَّحِيبِ ، وَفَارَقَتْ التَّرَابَ وَعَلَاقَتَهُ الْكَثِيفَةَ الذَّمِيمَةَ ،  
رَقِدَتْ رَقْدَتَهَا الْأَخْيَرَةَ .  
حَتَّى إِذَا قَرَّبَ الْمَسِيرَ مِنَ الْحَمَى  
وَدَنَا الرَّحِيلَ إِلَى الْفَضَاءِ الْأَوْسَعِ

أشبهه بالبرق أضواء في الحمى على نحوٍ  
خاطفٍ ، ثمَّ انطوى فكأنَّه لم يكن .

ومن المفيد أن نذكر في هذا السياق ما  
شابه ذلك الوعي المعرفي لدى العارف  
بالله أبو العباس المرسي في قضية  
النفس الإنسانيَّة عندما ذكر اتّصال  
النفس بالبدن فقال :

إن كنت سائلنا عن خالص  
المننِ وعن تعلُّق ذات النفس بالبدنِ  
ثمَّ تعرّض إلى ذكر مرتبة العلوم  
المتّصلة بالنفس الإنسانيَّة ، وأنها لا  
تحصل بالكسب النظريّ ، بل بالنور ،  
مبيّناً المعارج الروحيَّة للنفس الإنسانيَّة  
في رحلتها المعرفيَّة التي ترقى فوق قيود  
المعرفة العقليَّة حتّى قال :

فقطرة النفس سرٌّ لا  
يُحيطُ به عقلٌ تقيّد بالأوهام وال

وهي التي قطع الزمانُ طريقها  
حتّى لقد غرّبت بغير المطلاع  
فكأنَّها برقٌ تألّق بالحمى  
ثمَّ انطوى فكأنَّه لم يلمع  
فما هي الحكمة من هذا الإنزال الإلهيِّ للنفس من  
الذروة العُلويَّة ، إلى الحضيض الأسفل ؟

إذا كان هناك من حكمة خفيت على  
اللييب العاقل ، فإنَّ ذلك كان ضرورياً  
للمعرفة ؛ لتسمع ما لم تسمع به .  
والسمع هنا سمع الكيان المعرفيِّ ؛ إذ  
بهذا السمع تعود إلى حماها عالمةً  
بأسرار العالمين ؛ وإن لم تتمكّن من أن  
تُصلح ما أصابها .

فهي التي منعها الزمان من بلوغ مُستقرّها  
، قاطعاً طريقها ، حتّى أفلت وغابت في  
غير مكان طلوعها ؛ فكانت بهبوطها  
وصعودها إلى الملاء الأعلى النوريّ ،

دَرَزِن (العارف بالله أبو العباس المرسي :

(٦٢

**الخاتمة :**

من خلال دراستنا للإدراك الجماليّ لدى ابن سينا ، تبين لنا ارتباط هذا الإدراك بالتكامل المعرفي لمراتب الوجود ؛ وأسمائها المرتبة الإنسانية ؛ لاشتمالها على مزايا سائر القوى النازلة عنها ، وكمالها الوجودي ، وتميزها بالنفس الناطقة المعبرة عن قوى العقل والروح.

ولعلّ هذا التميّز الذي حظي به مقام الإنسان ، شكّل حافزاً لدى هذا العَلم الجليل للتفكّر بشأن النفس الإنسانية ، والبحث في رحلتها المعرفية التي بدأت بالخطّ النزوليّ من العُلُوّ إلى السُّفل ، ثمّ قفلت راجعةً عبر خطّ صعوديٍّ من السُّفل إلى العُلُوّ مستهديةً بحكمة التجرد لإدراك الجمال الأقدس .

المصادر :

-عبد الرحمن بن محمد الأنصاري . مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب .  
بيروت . ١٩٥٩م . دار صادر - دار بيروت . تحقيق هـ . ريتز .

-أحمد الرفاعي . البرهان المؤيد . حلب - مكتبة ربيع . ط ١ / ١٣٨٢هـ -  
١٩٦١م .

-ابن سينا . د.ت . الإشارات والتبیهات (شرح الطوسي) . مصر . دار المعارف  
بمصر .

-ابن سينا . ١٩٥٢ . أحوال النفس : رسالة في النفس وبقائها ومعادها . تحقيق :  
أحمد فؤاد الأهواني ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية .

-ابن سينا . ١٩٨٠ . عيون الحكمة . تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ط ٢ ، وكالة  
المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت .

-ابن سينا . ١٩٩٢ . النجاة . دار الجيل ، بيروت .

-الجيلي ، عبد الكريم . الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل . مصر ،  
مطبعة محمد علي صبيح وأولاده . ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

-الجيلي ، عبد الكريم . الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب . القاهرة ، دار  
الرسالة . د.ت .

-الجيلي ، عبد الكريم . مراتب الوجود . القاهرة ، دار الطباعة المحمديّة . د.ت .

-السهرورديّ . مجموعة مصنفات شيخ الإشراق . تصحيح وتقديم هنري كوريان .  
إيران . د.ت .

-السهرورديّ . ديوان الإمام شهاب الدين السهرورديّ . تحقيق وتقديم أحمد  
مصطفى حسن . دار يعقوب للطباعة والنشر . د.ت .

ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ - ١٢٧٠) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء الجزء  
الثالث ص ١٥ - ١٦، دار الثقافة بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ -  
١٩٨٧ .

-ابن عجيبة ، أحمد بن محمد . إيقاظ الهمم في شرح الحكم . مصر . ط ١ . د.ت .

-ابن الخطيب ، لسان الدين . روضة التعريف بالحبّ الشريف . دار الفكر العربيّ  
د.ت .

-الناقلي ، عبد الغني . المعارف الغيبية شرح العينية الجليلية . مخطوط .

-القاشاني ، عبد الرزاق . شرح منازل السائرين . إيران . مطبعة أمير - قم . ط ١ /

. ١٤١٣ هـ .

-الجيلي ، عبد الكريم . الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل . مصر ز

مطبعة محمد علي صبيح وأولاده . ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

-الكبري ، نجم الدين . فوائح الجمال وفوائح الجلال . ألمانيا . مطبعة فرانترز

شتاينر ويسبادن . ١٩٥٧ م .

الكلاباذي . التعرّف على مذهب أهل التصوّف . دار الإيمان . ط ١ - ١٩٨٦ م .

محمود ، عبد الحليم . العارف بالله أبو العباس المرسي . صيدا ، بيروت : المكتبة

العصريّة للطباعة والنشر . د.ت .

## أهمية المنهج اللساني في تعليم اللغات

د. فاطمة صغير

المركز الجامعي مغنية

الجزائر

شهد القرن التاسع عشر تغييراً جذرياً في أوضاع المجتمع الأوربي، ومثلما مسّ ذلك التغيير الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، مسّ أيضاً الحياة الفكريّة والتقاليد العلميّة التي كانت سائدة من قبل، بفعل سيطرة الكنيسة على العقول، وتدخلها في المسائل العلميّة، فقرّ في الأذهان تغليب الرّوح العلميّة في ميادين البحث والدّراسة، ولم تستثن العلوم الإنسانيّة من هذا الأمر، حيث ظهرت **مناهج** جديدة، تتناول القضايا الفكريّة والمسائل الأدبيّة مثل **تطبيق المنهج المقارن**، كما برزت علوم جديدة، لم تكن موجودة من قبل، في مجال الدّراسات اللّغوية **كعلم اللّغة أو اللّسانيات**.<sup>(1)</sup>

واللّسانيات تعبير يقابل في العربيّة كلمة Linguistique في اللّغة الانجليزيّة، وقد ترجمها بعض الباحثين بكلمات أخرى فقالوا: **علم اللّسان** وأيضاً **علم اللّغة العام**، إضافة إلى **الألسنية واللّسانية واللّغويات**،<sup>(2)</sup> وهي علم حديث العهد يرجع إلى القرن

## أهمية المنهج اللساني في تعليمية اللغات

أنّ اللّغة البشريّة، منطوقة كانت أو مكتوبة، هي الموضوع الأساسي لحقل اللسانيات، ولذلك نجد أهمّ التعاريف بشأن اللّغة، ينطق بها اللسانيون أمثال **فـدريس، وواتسون، وتشومسكي**، محدّدين أثناء ذلك طبيعتها، ووظيفتها معتبرينها وسيلة لنقل الخبرة الإنسانيّة، والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة، وأيضا يجعلونها الطّريق للوصول إلى قلوب النّاس والتأثير فيهم وإقناعهم، غير أنّنا نراهم يركّزون أكثر على دورها في الاتّصال الخارجيّ<sup>(٤)</sup> مثلما يؤكّده "بلوش" و"تراجر" في قولهما "اللّغة نظام من الرّموز الصّوتية الاعتباريّة، يتمّ بواسطتها التّعاون، بين أفراد مجموعة اجتماعيّة معيّنة"<sup>(٥)</sup>

التّاسع عشر إذ ظهرت على يد العالم السّويسري **فردناند دي سويسر**، من خلال مؤلفه الشّهير **محاضرات في اللسانيات العامّة**، ومنذ ذلك الوقت صارت تمثل الدّراسة العلميّة للّغة من حيث هي لغة، دراسة مستقلة عن العلوم الأخرى. ويتّفق جمع الباحثين على أنّها الدّراسة الموضوعيّة للّسان البشريّ، باعتباره ظاهرة عامّة ومشتركة بين بني البشر.<sup>(٣)</sup> كما يعتبرونها الدّراسة الوصفية، والتّزاميّة لكلّ ما هو مكتوب ومنطوق، دون أن تقتصر على رقعة لغويّة محدودة، مستوعبة بذلك جميع اللّغات الإنسانيّة.

ونحن إذا تأمّنا جميع المفاهيم التي تقدّم بها علماء اللسانيات، نلاحظ اتّفاقها على

توصّلوا إليه من آراء، عكس الصّينيين الذين أرجعوها إلى الطّبيعة والاصطلاح، والأكثر من ذلك تحدّثوا عن علاقة الدّال والمدلول، كما تطرّقوا للفونولوجيا أو الصّوتيات الوظيفيّة، إضافة إلى بعض الدّراسات التركيبيّة، وإن لم ترق إلى المستوى الذي وصل إليه الهنود في هذا المجال، حيث اتّسم جهدهم في الدّرس اللّغوي بالدّقة والموضوعية، فتناولوا بشكلٍ خاصّ، أصوات لغتهم بهدف ضمان النّطق والفهم الصّحيحين لكتابهم المقدّس، وفي هذا الشّأن يشير ليونر إلى أهميّة الدّراسة اللّغوية وقيمتها لدى الهنود فيقول: "إنّ التّصنيف الهندي للأصوات الكلاميّة، كان تصنيفاً مفصّلاً ودقيقاً، مبنياً على الملاحظة والتّجربة، ولم يبلغ

ولا يختلف "هال" عنهما في نظرتيه إلى اللّغة؛ إذ يقول: "هي نمط ثقافي منتظم، يمكن النّاس من التّواصل والتّعامل فيما بينهم، بواسطة رموز اعتباطيّة شفويّة سمعيّة متعارف عليها"،<sup>(٦)</sup> بينما نجد تشومسكي لا يعير اهتماماً لوظيفة اللّغة، ويركز بالدّرجة الأولى على خصائصها البنيويّة، حيث يقول: "اللّغة مجموعة من الجمل، كلّ جملة محدودة الطّول، ومتكوّنة من مجموعة محدودة من العناصر".<sup>(٧)</sup>

وللعلم فإنّ الحديث عن اللّغة ليس وليد القرن التّاسع عشر، وإنّما يرجع إلى العصور القديمة، فالسّومريّون والأكاديّون حاولوا معرفة نشأة اللّغة، وإن غلبت الأساطير والخرافات على ما

## أهمية المنهج اللساني في تعليمية اللغات

خلال القرن التاسع عشر، فانطلقت جهود الباحثين في أوربّا لإثراء الدراسات اللغوية، وكان ذلك إيذاناً بميلاد علم جديد هو: اللسانيات التي عادت على الأبحاث اللغوية، بالنفع والخير الكثير.

لقد زادت العناية باللّغة في ظلّ هذا الحقل، حيث سمح هذا المنهج الجديد بتتبّع نشأة اللّغات الإنسانيّة، وساعد على معرفة أسباب تغيّراتها الصّوتية والمعجميّة والنحويّة والدلاليّة، من خلال ما صار يعرف باللسانيات التاريخيّة.

وليس هذا فحسب، وإنّما عمد الألسنيّون كذلك إلى مقارنة اللّغات على المستوى المفرداتي والنحوي والصّوتي، بغية الوصول إلى الأصول المشتركة.<sup>(١٠)</sup>

أحد ما بلغه هؤلاء، سواء في أوربّا أو غيرها، قبل القرن التاسع عشر.<sup>(٨)</sup> والحقيقة أنّ الدّراسة اللّغوية عرفت ظهوراً وانتعاشاً

أيضاً، داخل البيئّة اليونانيّة، فالإونيانيّون تعرّضوا لمسألة نشأة اللّغة وانقسموا بشأن ذلك إلى فريقين هما: الطّبيعيّون والاصطلاحيّون كما بسطوا القول في النّحو والصّرف للّغة الإغريقيّة، والزيادة في هذا النّوع من الدّراسة، ترجع لأفلاطون وأرسطو وممّا لاشكّ فيه أنّ النظريّة اللّغويّة الإغريقيّة، نجدها في العهد الرّوماني والقرون الوسطى بل وفي عصر النهضة.<sup>(٩)</sup>

ويبدو أنّ مسائل اللّغة التي أثارها دارسوا الأمم القديمة، حقّزت الأذهان والعقول

إشكالية إجمالية ودينامية، تتضمن تأملاً وتفكيراً في صيغة المادة الدراسية، وكذا في طبيعة وغايات تدريسها، وإعداد فرضياتها الخصوصية، انطلاقاً من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار، لعلم النص والبيداغوجية وعلم الاجتماع، دراسة نظرية وتطبيقية للتعلم البيداغوجي المتعلق بتدريسها".<sup>(١٢)</sup>

وهذا يعني أنها علم مستقل بذاته ميدانه التعليم من حيث محتوياته ونظرياته وطرائقه وكل ما يتصل بالعملية التعليمية، خاصة العناصر المكونة لنظام التعلم والتعليم، والمتمثلة في:

- معرفة عينة المتعلمين.
- السن.
- المستوى المعرفي.

والظاهر أو دور اللسانيات لا ينحصر فقط في دراسة المبادئ العامة التي تنبئ عليها اللغات، أو وصف ميكانيزماتها المتأصلة، بل تعدى ذلك إلى تقسيم اللغات إلى ثلاثة أقسام تتمثل في: اللغات العازلة واللغات اللاصقة واللغات المتصرفة.<sup>(١١)</sup> وتتضاعف عناية اللسانيات باللغة خلال القرن العشرين، فتغدو كيفية تعلمها وتعليمها، من الانشغالات الهامة، والجادة في حقلها، خاصة بعد ظهور حقل معرفي جديد يتمثل في تعليمية اللغات.

والتعليمية (Didactique) مصطلح يقابله في العربية عدة مصطلحات منها: علم التدريس وعلم التعليم والتدريسية، وقد عرّفها كلود غانيون بقوله: "هي

## أهمية المنهج اللساني في تعليمية اللغات

- الخصوصية النفسية والاجتماعية. إليه أحد الدارسين، حيث يقول: "تعليمية اللغات، وسيلة إجرائية، لتنمية قدرات المتعلم، قصد اكتساب المهارات اللغوية، والفروق الفردية. وهي إلى جانب ذلك لا تغفل الاهتمام بالمعلم، إذ تنظر في هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والمعرفية والاجتماعية، كما تراقب علاقته بالتوجيهات العامة للتعليم وأساليب ممارسته، دون أن تنسى المحتوى، باعتباره جملة المعارف العلمية والفنية، المكونة لمحتوى البرنامج المقرر." (١٣)
- الفروق الفردية. وهي إلى جانب ذلك لا تغفل الاهتمام بالمعلم، إذ تنظر في هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والمعرفية والاجتماعية، كما تراقب علاقته بالتوجيهات العامة للتعليم وأساليب ممارسته، دون أن تنسى المحتوى، باعتباره جملة المعارف العلمية والفنية، المكونة لمحتوى البرنامج المقرر." (١٣)
- الخصوصية النفسية والاجتماعية. إليه أحد الدارسين، حيث يقول: "تعليمية اللغات، وسيلة إجرائية، لتنمية قدرات المتعلم، قصد اكتساب المهارات اللغوية، والفروق الفردية. وهي إلى جانب ذلك لا تغفل الاهتمام بالمعلم، إذ تنظر في هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والمعرفية والاجتماعية، كما تراقب علاقته بالتوجيهات العامة للتعليم وأساليب ممارسته، دون أن تنسى المحتوى، باعتباره جملة المعارف العلمية والفنية، المكونة لمحتوى البرنامج المقرر." (١٣)
- الخصوصية النفسية والاجتماعية. إليه أحد الدارسين، حيث يقول: "تعليمية اللغات، وسيلة إجرائية، لتنمية قدرات المتعلم، قصد اكتساب المهارات اللغوية، والفروق الفردية. وهي إلى جانب ذلك لا تغفل الاهتمام بالمعلم، إذ تنظر في هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والمعرفية والاجتماعية، كما تراقب علاقته بالتوجيهات العامة للتعليم وأساليب ممارسته، دون أن تنسى المحتوى، باعتباره جملة المعارف العلمية والفنية، المكونة لمحتوى البرنامج المقرر." (١٣)

التكوين، من حيث الطرائق والوسائل والأساليب. (١٦)

وهكذا نصل إلى أن تعليمية اللغات، تتصل بالقسم الثاني من اليداكتيك، ألا وهو التعليمية الخاصة، حيث يعتنى فيها بكل ما يتعلّق بتدريس المهارات اللغوية كالقراءة والتعبير بنوعيه والكتابة وغيرها.

وإذا كان المتخصّصون في علوم اللسان، يؤكدون على أهمية التكامل بين جهود الباحثين في علوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم الأعصاب بشأن تعليم اللغات، فإن اللسانيات تظلّ أقرب العلوم إليها، لأنها المنوال العلمي الوحيد الذي يعكف على دراسة الظاهرة اللغوية، فيتخذها موضوعاً للدرس.

والسايكولوجيا، كما يستفيد من ميادين معرفية عديدة كاللسانيات. (١٥)

والجدير بالذكر أن التعليمية من منظور الدارسين وخبرائها تنفّرع إلى قسمين يتكاملان فيما بينهما، ويتمثل القسم الأول في التعليمية العامة أو التعليمية المواد وهي فرع يعتنى بكل ما يجمع بين مختلف مواد التدريس، أو التكوين وذلك على مستوى الطرائق المتبعة، ممّا يعني أنّه يخصّ تدريس جميع المواد أي؛ خصوصيات هذه المادة أو تلك بعين الاعتبار.

أما القسم الثاني فهو التعليمية الخاصة أو تعليمية المادة الواحدة، وهي فرع يتعلّق بكيفية تدريس مادة واحدة من مواد

## أهمية المنهج اللساني في تعليمية اللغات

وتتماشى مع احتياجات المتعلمين، وتجيب

عن هذا السؤال اللسانيات التطبيقية. (١٨)

أما السؤال الثاني: فيتعلق بتحديد نوعية

المتعلمين، وحاجاتهم وميولهم، ثم ترجمة

هذه الحاجات والميول إلى قوالب لغوية

ومفاهيم، ثم تكييفها بما يستجيب لحاجات

المتعلمين، والأهداف والوسائل التعليمية

المتوفرة، ويجب عن هذا السؤال علم

مناهج تدريس اللغات، وأيضا

تخصصات أخرى، كعلم الاجتماع وعلم

النفس وعلم التربية. (١٩)

لقد استفادت تعليمية اللغات من

اللسانيات، استفادة كبيرة على تعاقب

مدارسها ونظرياتها، إذ انبثقت عنها

إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية،

وبنياتها والمناهج التي تحكمها، وذلك

وعليه فإن تعليمية اللغات لا يستقيم لها

أمر، إلا إذا انبثت على الرصيد المعرفي

للفكر اللساني المعاصر، وما يوفّره هذا

الفكر من نظريات، وإجراءات تطبيقية

مؤهلة سلفاً لإيجاد التفكير الكافي لكل

القضايا التي تتعلق، بكل جوانب الظاهرة

اللغوية، ومن هذه الجوانب: المستوى

الصوتي، والمستوى الدلالي. (١٧)

وللاشارة فإن صلة تعليمية اللغات

باللسانيات، تتضح أكثر حين نعلم أنها،

تبحث في سؤالين مترابطين هما: ماذا

ندرس؟ وكيف ندرس؟

فالسؤال الأول: يتعلق بالمادة الدراسية من

حيث كمها وكيفها، بالنظر إلى معجمها

ودلالاتها، ونحوها وأصواتها، ويجرد

الأبنية أو الأشكال اللغوية، والمفاهيم التي

من المعارف المتعلقة بطبيعة الظاهرة اللغوية، وبوظائفها لدى الفرد والجماعة، وبأنماط اكتساب الإنسان لها، وعلى معلم اللغات، أن يستنير بما تمده به اللسانيات من معارف علمية، حول طبيعة الظاهرة اللغوية". (٢١)

ويضيف عبد السلام المسدي مؤكداً الفكرة قائلاً:

"المعرفة اللسانية تتوزع إلى تيارات نظرية مختلفة قد تصل إلى حد التباين في المنهج حيناً وفي التفسير حيناً آخر، بل وفي التأويل أحياناً كثيرة، فإن جملة من الأصول تطلُّ جامعة بين كل المدارس اللسانية، ومن الثوابت الجامعة بين التيارات اللسانية اليوم بل لعلها أم الثوابت، إنه ما من مدرسة لسانية إلا

انطلاقاً ممّا قدمه كلّ من دي سوسير في المدرسة البنيوية، وبلومفيلد في المدرسة التوزيعية، ومدرسة تشومسكي في التوليدية التحويلية، وهو الأمر الذي ساعد على ظهور عدة مفاهيم، كان لها بالغ الأثر في تعليمية اللغات.

وعلى هذا الأساس تكون تلك الاتجاهات اللسانية، بمثابة الحقل المرجعي الأساسي في الديداكتيكي اللغوي، تأكيداً على أنّ اللسانيات، هي محور تعليم وتعلم اللغة، فمن جهة تقدّم لنا الإطار النظري الذي يساعدنا على إدراك العديد من القضايا اللغوية، كما تمكّنتنا من الأدوات الإجرائية، المسعفة في عملية تعليم وتعلم اللغة، (٢٠) مثلما يؤكّده كوردير حيث يقول: "إنّ بين أيدينا اليوم زاداً، ضخماً

لقد ساعد المنهج البنيوي، على دراسة بنية اللغة، مركزاً على اللغة المنطوقة، كما قسم اللغة إلى مستويات: **المستوى الفونيمي** الذي يحتوي على وحدات صوتية، و**المستوى المورفيمي** الذي يتضمن وحدات معجمية، ثم **المستوى التركيبي** الذي يحتوي على تراكيب أوسع من الكلمة كشبه الجملة، إضافة إلى اعتمادهم عملية التقطيع، كطريقة تحليل التراكيب اللغوية،<sup>(٢٤)</sup> مما يكشف اهتمام هذا المنهج بالمادة اللغوية، ووصف تراكيبها.<sup>(٢٥)</sup>

أما **المنهج التحويلي التوليدي**، فإنه يقوم على مبدئين هما: **التوليد**، و**التحويل**. فالتوليد هو إنتاج تركيب أو مجموعة من

ولها نظرية متميزة تخص قضية اكتساب اللغة".<sup>(٢٢)</sup>

إن إحاطة معلم اللغات بانجازات النظرية اللسانية، وما يتصل بها من اصطلاحات، ومفاهيم وإجراءات، من شأنه أن يسهل عليه، عملية التعليم، خاصة إذا علمنا أن هذه النظرية، تعمل على ضبط العملية التأفظية، وحصر العوائق العضوية والنفسية والاجتماعية التي تعوق سبيلها لدى المتكلم.<sup>(٢٣)</sup>

وما من شك في أن حضور **المنهج اللساني** في حقل تعليمية اللغات، يظهر بشكل جلي وواضح، من خلال أهم النظريات اللسانية، والمتمثلة في النظرية البنيوية والنظرية التحويلية التوليدية والنظرية الوظيفية.

والدليل على ذلك أنّ الطفل يبدأ في سنّ  
معينة إنتاج الجمل، وفي سنّ السادسة  
مثلاً، يكون قادراً على التعبير عما  
بداخله، بعدد كبير من الجمل التي لم  
يسمعا من قبل.

كما أشار هذا المنهج إلى الكفاية  
اللغوية، التي هي

امتلاك المتحدث والسّامع، القدرة على  
إنتاج عدد لا محدود من الجمل، من عدد  
محدود جداً من الفونيمات الصوتية، ثمّ  
القدرة على الحكم بصحة الجمل التي  
يسمعا من وجهة نظر نحوية تركيبية،  
وأيضاً أكّد على الأداء اللغوي الذي هو  
الكلام أو الجمل المنتجة، وهو الظاهر  
المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللّغة.

التراكيب، من الجملة الأصل التي تسمّى  
بالجملة التوليدية،

وهي التي تؤدّي معنى مفيداً، مع أنّها  
تتشكّل من أقل عدد ممكن من الكلمات،  
وأيضاً خالية من عمليات التحويل.

والتحويل طبقاً لهذا المنهج، عملية تغيير  
تركيب لغوي، إلى آخر بتطبيق قانون  
تحويلي واحد أو أكثر، وقد نتج عن ذلك  
ما صار يعرف بالتحويل الباطني أو  
البنية العميقة، والتركيب الظاهري أو  
البنية السطحية. (٢٦)

يقوم المنهج التوليدي التحويلي، على  
عدّة مرتكزات منها: الفطرة اللغوية في  
ذهن الإنسان، والتي بفضلها يتمكّن من  
إنتاج الجمل والتعبير عما في نفسه،

## أهمية المنهج اللساني في تعليمية اللغات

سياق التآلف، ويحقق أهدافاً تواصلية محددة. (٢٨)

وهكذا يتبين لنا أن النظرية اللسانية، ممثلة في أهمّ مناهجها، خدمت حقل تعليمية اللغات، بشكل واسع حيث كشفت بنية اللغة، وعالجت ظواهرها، ووضّحت القواعد التي تحكمها، ومختلف الوظائف التي تؤديها التراكيب اللغوية، فضلاً عن الجانب الفونولوجي، والمورفولوجي الذي درسته بعناية فائقة.

وما من شك، في أنّ مثل هذه الحقائق، صارت بيد معلم اللغة، إليها يحتكم في تدريسها للمتعلّمين ممّا جعل تعليمها، أمراً ميسوراً من جهة، ومقنناً بصفة علمية من جهة أخرى، بعد أن توفّر الإطار النظري

فالكفاية اللغوية تمثّل المخزون المعرفي في ذهن الإنسان، بينما الأداء يمثّل استعمال المتكلّم للقوانين اللغوية فيما يتكلم به أو يكتبه. (٢٧)

وإذا جننا إلى المنهج الوظيفي، وجدناه يعطي جلّ عنايته، لوظائف المكونات في الجملة، مستنداً في ذلك، إلى البعد التداولي للغة، بحكم أنّها وسيلة تواصل.

إنّ الاتجاه الوظيفي، يربط اللغة بالوظيفة التي تؤديها من جانب، وبالبيئة الاجتماعية وتظافر العناصر من جانب آخر.

فاختلاف التراكيب عند الوظيفيين يترتب عنه وظائف مختلفة، بحيث يغدو كلّ تركيب تعبيراً عن اختيار لغوي، يناسب

تحرص على عدم الاكتفاء في تدريس اللغة بحصر المواقف اللغوية، وتدريب الدارسين عليها، بل لا بدّ من الاستخدام الواعي للقاعدة، من خلال مواقف جديدة، وهذا من شأنه، يساعد على تنمية القدرة الذهنية للمتعلم.

ولا ينبغي في هذا المقام، إغفال أهمية ربط الجانب النظري بالجانب التطبيقي في عملية تعليم اللغة، علماً أنّ الدرس النظري، يجب أن يتّسم بالفهم الواعي للقواعد وهذا قبل الشّروع، في عملية التطبيق.

وانطلاقاً ممّا تقدّم، تتبيّن لنا أهمية اللسانيّات، في حقل التعليميّة بصفة عامّة وتعليميّة اللّغات بصفة خاصّة، وعليه فإنّ معلّم اللّغة، مطالب بالتّعرف

الذي يمكّن من إدراك العديد من القضايا اللغوية، فضلاً عن الأدوات الإجرائية.

لقد صار تعليم اللّغة بفضل المنهج اللساني، مشروطاً بالإحاطة بالنّظام الصّوتي والمعجمي لتعليم وتعلّم اللّغة، وأيضاً بالسيطرة على القواعد النحويّة، حتّى يتمكّن الدّارس، من ممارسة اللّغة بشكل جيّد. كما يدعو هذا المنهج إلى ربط تعليم اللّغة بالمعنى، والحرص على جانب الفهم أثناء ذلك.

وليس هذا فحسب، وإنّما تؤكّد اللسانيّات، أيضاً على تغليب الطّريقة الاستنباطيّة، في عمليّة التّعليم والتي تهدف إلى تحقيق بنية معرفيّة لدى الدّارس، تتّصف بالوضوح والتّنبّات والتنظّم وربط المعلومات، بخبراته السّابقة، وأيضاً

## أهمية المنهج اللساني في تعليمية اللغات

---

على المادة اللسانية، من أجل الوقوف

على الحقائق المتصلة باللغة، وأيضاً

بهدف تبني طريقة ناجعة، ومنهج علمي

في عملية التدريس.

(١) ينظر بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات ENAG، الجزائر، د ط، ٢٠٠٧، ص

١١١-١١٧.

(٢) ينظر في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، ط ١، ٢٠٠٧، ص ١٣.

(٣) ينظر مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبه للنشر، الجزائر، ط ٢، ٢٠٠٦، ص ٠٩.

(٤) ينظر في علم اللغة العام، شرف الدين الزاجحي، دار المعرفة الجامعية، د ط، ٢٠٠٨، ص ١١.

(٥) اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د ط، ٢٠٠٥، ص ٠٦.

(٦) المرجع نفسه ص ٦.

(٧) المرجع نفسه ص ٦.

(٨) المرجع نفسه ص ١١، ١٢.

(٩) ينظر المرجع نفسه ص ١٧، ٢٨.

(١٠) ينظر بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص ١١٣، ص ١١٦.

(١١) ينظر اللسانيات: النشأة والتطور، أحمد مومن، ص ٧٩.

(١٢) من الديدانكتيك إلى البيداغوجيا، رشيد بناني، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩١، ص ٣٩.

(١٣) ينظر تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، بشير أبرير، عامل الكتب، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧، ص ١١.

(١٤) دراسات في اللسانيات التطبيقية - حقل تعليمية اللغات - أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د ط،

٢٠٠٠، ص ٠١.

(١٥) ينظر اللسانيات والديدانكتيك، علي آيت أوشان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٠٥، ١٩.

- (١٦) ينظر المرجع نفسه ص ٢١.
- (١٧) ينظر دراسات في اللسانيات التطبيقية، أحمد حسّاني، ص ٠٢.
- (١٨) المرجع نفسه ص ١٠
- (١٩) المرجع نفسه ص ١٠
- (٢٠) ينظر اللسانيات والديداكتيك علي أيت أوشان، ص ٠٦.
- (٢١) دراسات في اللسانيات التطبيقية، أحمد حسّاني، ص ٤١.
- (٢٢) ينظر المرجع نفسه ص ٠٢، ٠٣.
- (٢٣) ينظر المرجع نفسه ص ٤٣.
- (٢٤) ينظر اللسانيات: النشأة و التطور، أحمد مومن، ص ١٩٧.
- (٢٥) ينظر دراسات في اللسانيات العربية، عبد الحميد السيد، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، الأردن، م٨، ع٣، ٢٠٠٢، ص١٣٧.
- (٢٦) ينظر تعليم اللغة على ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي، ابتهاج محمد علي البار ص ٠١، ٠٢.
- (٢٧) ينظر المرجع نفسه، ص ٠٦، ٠٧.
- (٢٨) ينظر دراسات في اللسانيات العربية، عبد الحميد السيد، ص ١٣٩.

## خصائص العربية في ثراء دلالاتها البلاغية وتنوعها

د. وهيبة بن حدو

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الجزائر

البحث:

اللغة العربية لغة غنية دقيقة تمتاز بالوفرة الهائلة في المفردات و التراكيب و الصيغ، و لها جرس و رنين موسيقي فإذا تكلم ذو بيان فإنه يطرب لسماعها و يعلم بيانها و يرتاح لتباينها و هي بهذا الجرس و الرنين منحت العربي التفوق في الأداء. و يكفيها شرفا أنها حاملة الرسالة السماوية مبلغة لوعي إلهي معجزته خالدة و إعجازه أزلي، و هي ناشرة الدين الحنيف و سفيرته للعالمين.

و من خصائصها الدقة في التعبير و الفصاحة و البلاغة التي تميزت بها عن سائر اللغات، و الفصاحة هي " تمام آلة البيان"<sup>١</sup>، و لا يكون المتكلم فصيحاً "حتى يكون ملماً باللغة العربية، عالماً بقواعد نحوها و صرفها، واسع الاطلاع على مفرداتها و معانيها الدقيقة، كثير النظر في كتب الأدب، مطلعاً على أقوال كبار الفصحاء، له دراية بأساليب العرب في شعرهم و نثرهم و أمثالهم و كناياتهم و مجازاتهم."<sup>٢</sup>

أما البلاغة ففي اللغة تعني "الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان مراده، إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها ومبلغ الشيء منتهاه"<sup>٣</sup>، و اصطلاحاً هي "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهو مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة

يكون في منزلة لا يستحق معها اسم  
البلاغة.

فاللغة العربية منحوت للمتكلم سبلا  
كثيرة للتعبير عن أفكاره، فإذا كان كلامه  
موجهًا لعامة الناس تكون ألفاظه  
صريحة في أداء المعنى، ولا تحقق أي  
نوع من الإثارة الحسية للنفس، وإنما تقدم  
ما تراه مشاهدًا أمامها تقديمًا كلاميًا  
بحيث تتطابق فيه الصورة والأصل، و  
هذا ما قال عنه المبرد "والكلام يجري  
على ضروب فمنه ما يكون في الأصل  
لنفسه"<sup>٥</sup>. و هو الكلام الذي تكون الدلالة  
فيه على المعنى المراد:<sup>٦</sup>

\* باللفظ الموضوع له لغة، و هو ما  
يسمى "حقيقة لغوية".

\* أو باللفظ الدال عليه في الاستعمال  
العام الدارج، و هو ما يسمى "حقيقة في  
العرف العام".

... فمقام كل من التذكير والإطلاق،  
والتقديم، والذكر يباين مقام خلفه، ومقام  
الفصل يباين مقام الوصل، ومقام  
الإيجاز يباين مقام خلفه، وكذا خطاب  
الذكي مع خطاب الغبي، ولكل كلمة مع  
صاحبها مقام وارتفاع شأن الكلام في  
الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار  
المناسب"<sup>٤</sup>.

إن المتكلم لا يكون بليغًا، ولا يوصف  
كلامه بالبلاغة حتى يكون قد أولاه قدرًا  
من التأنق والتجويد والجمالية، والخروج  
عن لغة العامة إلى لغة الخاصة من  
فصحاء العرب الذين يلجؤون لنقل  
معانيهم وتجاربهم إلى أعمال الفكر  
والرواية والذوق والخيال والعاطفة في  
اختيار المعاني، والألفاظ والتراكيب  
والصور الفنية البلاغية المعبرة عن  
الغرض في نظم خاص مقصود يتحقق  
به الإقناع والتأثير في المتلقي، وإلا فإنه

فقد جاء عن ابن المقفع قوله: " لا خير في كلام لا يدل على معنالك، ولا يشير إلى مغزائك"<sup>٨</sup>.

فإن لم يحط القول بالمعنى فقد الكلام مطلباً أساسياً فيه، وكما تتم هذه الإحاطة يجب مراعاة جملة من التواميس اللغوية التي تحتل محل الأساس في كل عملية تواصل لغوي مهما كان مستواها، وهذه التواميس هي: ملاءمة اللفظ للمعنى، وملاءمة الكلام للمتلقي، وملاءمة الكلام للحال أو المقام.

-الملاءمة بين اللفظ والمعنى:

إن لكل لفظاً موقعاً محددًا في أداء المعاني، وتظهر قدرة المتكلم في مدى حذقه في اختيار اللائق بالمعنى من الألفاظ. وهذا ما لم يستطع الإمام عبد القاهر إغفاله مع أنه لم يعتد باللفظ المفرد، حيث قال: "اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخص

\* خطاب الذين يصعب عليهم الفهم بأسلوب غيره، كالصغار و ضعفاء التفكير. وهذا النوع من الكلام هو النسبة الأكبر من كل كلام، ويكون أوقع و أنفع و أجدى في الأحوال التالية:<sup>٧</sup>

\* حينما يكون المخاطب في حالة انفعالية أفقدته الهدوء و الصفاء الفكري.

\* لدى بيان الحقائق الكبرى العقديّة.

\* لدى بيان المبادئ التي تعلنها الشعارات.

\* لدى كتابة نصوص التشريع أو التقنين.

\* لدى التعبير عن الأحكام القضائية.

\* في معظم مواقف الدعاء لله تعالى.

\* في كثير من صور التعليم المنهجي.

و يشترط في هذا النوع من الكلام الفهم والإفهام، ولقد أدرك القدماء ذلك،

في السلم الاجتماعي وحظه من الجاه والسلطان.

وتتصل بهذين الاعتبارين الرئيسيين متطلبات أخرى ذات طابع نفسي لأن قبول الكلام والتأثر بما يحمله لا يكون إلا مع الاستعداد النفسي، لذا فعلى المتكلم أن يراعي الحالة النفسية لمخاطبيه، ومدى حرصهم على الاستماع منه، قال عبد الله بن مسعود: "حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنبوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك"<sup>١٢</sup>.

وبالإضافة إلى هذه العناصر الضرورية التي يجب الانتباه إليها عند عملية التواصل برز مظهر آخر من مظاهر ملاءمة الكلام للمتلقي ألا وهو ملاءمة الكلام لما ينتظره المتلقي، لأن الكلام إذا لم يحدث شيئاً جديداً للمتلقي لم يلق قبولا ولم يحقق له البغية، ولأن المتلقي ينتظر

وأولى، وضرباً من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذاً إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل...<sup>٩</sup> فالإمام هنا يؤكد أمر الملاءمة بين اللفظ والمعنى، فالألفاظ أنواع كما أن الأغراض أنواع.

- الملاءمة بين الكلام و المتلقي:

نادى القدماء على ضرورة مراعاة المتكلم للمخاطب وألحوا على أنه "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين"<sup>١٠</sup>. لأن مدار الأمر كما يقول الجاحظ: "على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم"<sup>١١</sup>.

و يبدو أنه يشير "بمقدار الطاقة" إلى زاد المخاطب اللغوي ومنزلته في العلم، بينما يشير . "بأقدار المنزلة" إلى رتبته

يتوخاها المتكلم وينتظرها السامع وهي  
الفهم والإفهام.

أمّا الكلام إذا كان موجهاً للخاصة،  
ويعتمد فيه صاحبه على الخيال الذي  
يعمل بدافع من الحس والانفعال على  
اختيار الوسيلة التي يجلو بها حقيقة  
الأشياء، ويقدم بها فكرته "في صورة  
مقبولة ومعرض حسن"<sup>١٦</sup>. فلا بد أن  
يجوز قدراً من الحسن والجمال، وذلك  
يقتضي من الأديب "مزيداً من التأنق  
والمبالغة، والتجويد والترتيب، لأن ذلك  
هو مناط البلاغة وبه يرقى الكلام من  
المألوف الذي لا يتفياً سوى الإفهام إلى  
مدارج الجمال البلاغي المؤثر"<sup>١٧</sup>.

ومما جاء صريحاً في هذا الصدد  
نص لأبي سليمان المنطقي أورده أبو  
حيان في مقابساته، يقول فيه: "حد  
الإفهام والتفهم معروف، وحد البلاغة  
موصوف ... وليس ينبغي أن يكتفي

دائماً من الكلام شيئاً جديداً يضيفه إلى  
رصيده المعرفي.

الملاءمة بين الكلام و المقام:

لا أحد يشك في قدرة السلف على  
وضع اليد على أدق خصائص اللغة  
الأدبية فضلاً عن أبرزها كملاءمة الكلام  
للمقام، فقد عرفت منذ العصر الجاهلي  
والدليل على ذلك المثل الجاهلي  
المشهور "كل مقام مقال"<sup>١٣</sup>، وقول  
الشاعر<sup>١٤</sup>. (الخطيئة)

تَحَنَّنْ عَآيِي هَآدَاكَ الْمَلِيكَ  
فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً  
وخلاصة القول إن الكلام إذا جاء مراعيًا  
لهذه الأحوال كلها، من ملاءمة اللفظ  
للمعنى، والكلام للمتلقي، والكلام للمقام،  
"كان قمينا بحسن الموقع ويانتفاع  
المستمع"<sup>١٥</sup>، وتحققت وظيفة الكلام التي

\* الأساس الثاني: كون الكلام في مفرداته و جملة فصيحاً وفق ضوابط و قواعد و منهج اللسان العربي، و لا يخلو هذا الأساس من مؤثرات جمالية أيضاً.

\* الأساس الثالث: كون الكلام بليغاً، أي مطابقاً لمقتضى حال المخاطب به فرداً كان أو جماعة، و بالغاً التأثير المرجو في نفسه، و لا يخلو هذا أيضاً من مؤثرات جمالية.

من هنا فقد امتدح العرب الصور البلاغية إذا أدى استعمالها إلى فائدة، فالصورة ليست حليلة تالية يؤول بها للتزيين ولكنها تعد عنصراً مهماً لأن المبدع يقدم لنا من خلالها تجربته الشعرية "والأديب الحق هو من يملك القدرة على لم أطراف التجربة وتكثيفها والجمع بين الانغماس في طياتها والقدرة على بلورتها وتجسيدها في عمل أدبي قوامه الألفاظ والتركيب ... ومن الأمور البديهية قولنا: إن اللغة لا تغطي بصورة

بالإفهام كيف كان، وعلى أي وجه وقع ... والإفهام إفهامان، رديء وجيد، فالأول لسفله الناس، لأن ذلك جامع المصالح والمنافع، فأما البلاغة فإنها زائدة على الإفهام الجيد بالوزن والبناء والسجع والتقفية، والحلية الرائعة، وتخير اللفظ، واختصار الزينة بالرقعة والمتانة، وهذا الفن لخاصة الناس، لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام"<sup>١٨</sup>.

و بهذا فإن الارتقاء في درجات سلم البلاغة العالية و الأدب الرفيع في اللسان العربي يعتمد على نصيب الكلام من عناصر الأسس الثلاثة التالية:<sup>١٩</sup>

\* الأساس الأول: الجمال المؤثر في النفس الإنسانية، المفطورة على الميل إلى الأشياء الجميلة، و حبها، و الارتياح لها، و التأثير بها، و الانفعال السار بمؤثراتها.

إن اللغة العربية أمّدت المتكلم للتعبير عما يريد من معان ذهنية، و مشاعر نفسية بطرق متنوعة غير طريق الأوضاح اللغوية التي وضعت بها المفردات و العبارات لتدل دلالة مباشرة عليها، فهو يحتال للتعبير عما يريده من خلال ما تسعفه به ذاكرته من مفردات و عبارات بواحد فأكثر من الطرق التالية: التشبيه، و المجاز، و الاستعارة، و الكناية.

-التشبيه:

التشبيه في لسان العرب المثل، "وأشبه الشيء الشيء: ماثلته... وأشبهت فلانا وشابته واشتبه عليّ وتشابه الشيطان واشتبهها: أشبه كل واحد منهما صاحبه... والتشبيه التمثيل" ٢٢.

و عرفه المبرد فقال: "واعلم أن للتشبيه حدا، فالأشياء تشابه من وجوه، وتتباين من وجوه، وإنما يُنظَرُ إلى

مباشرة عالم الإنسان وآفاقه لذا يفرع إلى المجاز والتشبيه والاستعارة والرمز وسائر الأساليب الفنية للصورة وللتركيب الجمالي، وكذلك الإيقاع الذي يعطي أبعادا داخلية" ٢٠.

فالصورة قادرة على التعبير عن إحساس المتكلم وبها يستطيع أن يرسم الناس الأفعال والأشياء كما هي في نفسه وهذا قد يتطلب منه: "أن يجعلها أكبر أحيانا وبلون آخر أحيانا، وقادرة على السير في آفاق أبعد مرات وهكذا يخرج من إطار المحدود إلى مجال يتسع ويستجيب إلى رغبته وهو لا يملك إلا الكلمة وسيلة، فيستحضر بها البعيد ليغدو قريبا ويذهب إلى الماضي سائلا قريبا ويجنح إلى المستقبل متشوقا" ٢١.

ولقد أدت الصورة الفنية في القديم وظائف شتى أهمها "التحسين والتقييم" و "الشرح والتوضيح"، و "العجب والتأثير" وغيرها من الوظائف.

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا  
لَدَى وَكْرِهِمَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي  
أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في  
بيت حتى قلت<sup>٢٧</sup>:

كَأَنَّ مَنَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا  
وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ<sup>٢٨</sup>.  
وقال ابن سلام وهو يتحدث عن ذي  
الرمة: "كان أحسن أهل طبقتة تشبيها  
وأحسن الإسلاميين ذو الرمة"<sup>٢٩</sup>. وعندما  
أشرقت شمس الإسلام، سار شعراؤه سيرة  
من قبلهم مع تأثرهم بتصوير القرآن  
الكريم.

وقال عنه الرماني: "والتشبيه البليغ  
إفراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه  
مع حسن التأليف"<sup>٣٠</sup>. وقال العسكري:

التشبيه من أين وقع، فإذا شَبَّه بالشمس  
فإنما يراد: الضياء والرونق، ولا يُراد  
العظم والإحراق"<sup>٢٣</sup>.

وحد التشبيه: "هو الدلالة على مشاركة  
أمر لآخر في معنى"<sup>٢٤</sup>، والمراد بالأمر  
الأول المشبه، والثاني: المشبه به،  
وبالمعنى: وجه الشبه، وبالأداة: أداة  
التشبيه.

كان القدماء قد أكثروا من استعمال كلمة  
"التشبيه" من غير أن يعرفوه، وإنما عرفوه  
صورة توضح الفكرة، وتحسن المعنى،  
فبشار بن برد يقول: "ونظرت إلى  
مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف  
التشبيهاً فسرت إليها بفكر جيد وغريزة  
قوية فأحكمت سيرها وانتقيت حرها"<sup>٢٥</sup>  
ويقول "لم أزل منذ سمعت قول امرئ  
القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت  
واحد حيث يقول"<sup>٢٦</sup>:

الجميلة والمؤثرة في الشعر الجاهلي والإسلامي.<sup>٣٥</sup>

فالتشبيه فن من فنون التعبير الجميل المؤثر تعتمد النفوس البشرية بالفطرة حين يدعوها إلى ذلك غرض أو آخر من أغراضه التي رصدها البلاغيون القدامى<sup>٣٦</sup>، والمعاصرون<sup>٣٧</sup> فرسخوا بصورتها وغناها آفاقه الرحبة التي اتسعت لفئات الأمة وطبقاتها في تحقيق مآربهم الفكرية وخلصاتهم الشعورية ومقاصدهم اليومية<sup>٣٨</sup>.

وفي كتاب الله تعالى جاءت أيضا صور التشبيه وألوانه بكثرة، لكنها انفردت بخصائص تميز بها القرآن عن التشبيه المعروف في الشعر، وأولى تلك الخصائص أنه يتلقف عناصره من الطبيعة ويعد جزء أساسيا ومهما في الجملة القرآنية، فيه يكمل المعنى ويبرز الفكرة؛ إذ يصورها بطريقة مؤثرة وقوية، ومن خصائصه أيضا الدقة في اختيار

"والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا"<sup>٣١</sup>.

و التشبيه كثير في كلام العرب "حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد"<sup>٣٢</sup>. ولهذا قيل عن التشبيه أنه: "ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغني أحد منهم عنه"<sup>٣٣</sup>. وقيل أيضا: "أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فنّ البلاغة"<sup>٣٤</sup>.

ومثل فن التشبيه المراحل الأولى من التصوير الأدبي الرابطة بين الأشياء لكونه من أقدم صور البيان ووسائل الخيال، وقد مرّ التشبيه بمراحل كثيرة حتى تطور وأصبح من أهم وسائل البيان عند العرب بعد أن تألقوا وعاشوا حياة مدنية زاهية متطورة، وكان هذا الفن أكثر الفنون وضوحا وتعبيرا عن البيئة المحيطة به على مختلف عصور الأدب، حيث جاء كثير من أنواعه وصوره الفنية

في الموعظة، و في كثير من صور الإقناع.

الداعي الثاني: ما في التشبيه من طرق متعددة، و صور كثيرة، تعطي المعبر البليغ مجالاً واسعاً لانتقاء ما يراه أكثر تأثيراً فيمن يوجّه له الكلام، أو أكثر إبداعاً، و هذا أمر يشعر فيه المتكلم بلذّة الإبداع و الابتكار و إيجاد ما لم يسبق إليه، و هي نزعة موجودة في طبائع الناس الفطرية، تنمو عند الأذكياء و العباقرة، و تضرع عند غيرهم.

الداعي الثالث: ما في كثير من الصور التشبيهية من جمال يرضي أذواق المتلقين و يمتّعهم، إذ يقدم لهم لوحات جمالية مختلفة.

و من التشبيه الحسن قول القاضي أبي قاسم التنوخي:

و لييلة مشتاق كأن نجومها قد اغتصبت عين الكرى و هي نؤم

الألفاظ الموحية كي تتكون الصورة دقيقة وواضحة<sup>٣٩</sup>.

إن الصورة التشبيهية جزء من تكوين التجربة الشعرية عند العربي، وهي "ملمح من ملاح العمل الأدبي الفني، وقد تنوعت في أشكال وقوالب تطاوع رغبة الفنان في التعبير، و تنتقل معه في نظرتة السريعة، أو في تأمله الطويل، و تكون عوناً له في كشف مكنونات صدره في القصائد المتأنيّة التي يعيد فيها التشكيل اللغوي و يشذب تداخلها، و كذلك الشأن في تلفت لا يكاد يهدأ عن يمين و شمال وإلى هذا الطرف وذاك البعيد"<sup>٤٠</sup>.

و يرجع اختيار أسلوب التشبيه في الكلام إلى الدواعي الرئيسية التالية:<sup>٤١</sup>

الداعي الأول: استخدام الأسلوب غير المباشر للتعبير عن المراد، إذ هو أكثر تأثيراً في النفوس من الأسلوب المباشر غالباً، و ذلك في المجالات الأدبية، و

أي أن هذه وإن لم تكن موازنة فهي تجوز مجازها وجوازها لقربها منها فهذا تأويل قلنا "مجازا أي أن الكلام الحقيقي يمضي لسنته لا يعترض عليه وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه"<sup>٤٣</sup>.

وفي الاصطلاح هي: "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جرت بها. ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز"<sup>٤٤</sup>.

و للمجاز أهمية في اتساع اللغة وحيويتها، وإمدادها بالمعاني الملائمة لأحوال الناس والمعبرة عما يريدون في شتى ميادين الفكر والنشاط الإنساني.

كان عيون الساهرين لطولها  
إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم  
حيث شبّه الشاعر عيون الساهرين  
في ليلة المشتاق الطويلة بالأنجم إذا  
شخصت للأنجم الزهر في السماء.

-المجاز:

المجاز في اللغة من "جزت الطريق، وجاز الموضع جوزا وجؤوزا و جوازا و مجازا و جاز به و جاوزه جوازا وأجازه و أجاز غيره و جازه: سار فيه وسلكه... والمجاز والمجازة: الموضع... و جاوزت الموضع جوازا بمعنى جزته"<sup>٤٥</sup>.

ويرى ابن فارس أن المجاز: "مأخوذة من جاز يجوز إذا استنّ ماضيا نقول: جاز بنا فلان و جاز علينا فارس هذا هو الأصل، ثم نقول: "يجوز أن نفعل كذا" أي ينفذ ولا يرد ولا يمنع ونقول عندنا دراهم وضع وازنة وأخرى تجوز الموازنة

و إذا تتبعنا نشأة الكلام عن "الحقيقة والمجاز" فإننا نجد أن الجاحظ من أوائل من عرضوا لهذا الموضوع بالبحث. ففي كلامه عنهما يقول: "وإذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا: أكله الأسود، فإنما يعنون النهش و اللذع والعض فقط، وقد قال الله عز وجل ﴿أُجِيبُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾<sup>٤٥</sup> ويقولون في باب آخر: فلان يأكل الناس، وإن لم يكن يأكل من طعامهم شيئاً، وكذلك قول دهمان النهدي:

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَسٍ أَكَلُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ  
فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز<sup>٤٦</sup>.  
فالأكل في قوله: "أكله الأسد" حقيقي، أما في  
الأمثلة الأخرى فالأكل على اختلاف أنواعه مجازي  
كما ذكر.

ومن معاصري الجاحظ الذين عرضوا لذات الموضوع من زاوية خاصة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

الدينوري (ت276هـ)، فقد اهتم ابن قتيبة فقط بالرد على من أنكروا المجاز وزعموا أن الكلام كله حقيقة ولا مجاز فيه، وفي ذلك يقول: "لو كان المجاز كذبا لكان أكثر كلامنا باطلا، لأننا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل ورخص السعر...، ونقول: كان الله، وكان بمعنى حدث، والله قبل كل شيء. وقال الله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ﴾<sup>٤٧</sup> لو قلنا لمنكر هذا كيف تقول في جدار رأيته على شفا انهيار؟ لم يجد بدا من أن يقول: يهيم أن ينقض، أو يكاد أو يقارب، فإن فعل فقد جعله فاعلا، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من ألسنة العجم إلا بمثل هذه الألفاظ<sup>٤٨</sup>.

و المجاز طريق من طرق الإبداع البياني، تدفع إليه الفطرة الإنسانية المزودة بالقدرة على البيان، و استخدام

اللفظ المتروك المستبدل به اللفظ الآخر. بل المجاز حركات ذهنية تصل بين المعان، و تعقد بينها روابط و علاقات فكرية تسمح للمعبّر الذكيّ اللّماح بأن يستخدم العبارة التي تدلّ في اصطلاح التخاطب على معنى من المعاني ليذلّ بها على معنى آخر، يمكن أن يفهمه المتلقي بالقرينة اللفظية أو الحالية أو الفكرية.<sup>٤٩</sup>

و دواعي المجاز و أغراضه يمكن ذكر أهمّها فيما يلي:<sup>٥٠</sup>

أولاً: أن المجاز في الكلام هو من أساليب التعبير غير المباشر، الذي يكون في معظم الأحيان أوقع في النفوس وأكثر تأثيراً من التعبير المباشر.

ثانياً: يشتمل المجاز غالباً على المبالغة في التعبير لا توجد في الحقيقة، و المبالغة ذات دواعي بلاغية متعددة، منها: التأكيد - التوضيح - الإمتاع

الحيل المختلفة للتعبير عما في النفس من معان تريد التعبير عنها.

وقد استخدمه الناطق العربي في عصوره المختلفة، في حواضره و بواديه استخداماً بارعاً و واسعاً جداً، حتى بلغت اللغة العربية في مجازاتها مبلغاً مثيراً للإعجاب بعبقريّة الناطقين بها في العصور الجاهلية، و في العصور الإسلامية، و كان لفحول الشعراء، و أساطين البلغاء، من كتاب و خطباء، أفانين بديعة، عجيبة و معجبة من المجاز، لا يتصيّدها إلا الأذكياء و الفطناء، المتمرسون بأساليب التعبير غير المباشر عن أغراضهم.

و ليس المجاز مجرد تلاعب بالكلام "في قفزات اعتباطية من استعمال كلمة أو عبارة موضوعة لمعنى، إلى استعمال الكلمة أو العبارة بمعنى كلمة أو عبارة أخرى موضوعة لمعنى آخر، و وضع هذه بدل هذه للدلالة بها على معنى

تتحسس أماكن الجمال البياني فتتأثر به  
تأثر إعجاب و استحسان.

-الاستعارة:

للاستعارة أهمية كبيرة في العمل  
الأدبي؛ لما تتطوي عليه من وظائف  
تكسب المعنى قيمة جمالية، إلى جانب  
قيمتها التعبيرية.

والاستعارة في اللغة "مأخوذة من  
العارية، أي نقل الشيء من شخص إلى  
آخر حتى تصبح تلك العارية من  
خصائص المعار إليه"<sup>٥١</sup>. و"وتعور  
واستعار: طلب العارية. واستعاره الشيء  
واستعاره منه: طلب منه أن يعيره  
إياه...و اعتوروا الشيء و تعوروه و  
تعاوروه: تداولوه فيما بينهم"<sup>٥٢</sup>.

أما اصطلاحاً فقد عرّفها عبد القاهر  
الجرجاني فقال: " الاستعارة في الجملة  
أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي  
معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به

بالجمال - الترغيب عن طريق التزيين و  
التحسين - التنفير عن طريق التشويه  
و التحقير، إلى غير ذلك.

ثالثاً: يتيح استخدام المجاز فرصاً كثيرة  
لابتكار صور جمالية بيانية لا يتيحها  
استعمال الحقيقة، فمعظم أمثلة التصوير  
الفني الرائع مشحونة بالمجاز.

رابعاً: استخدام المجاز يمكّن المتكلم من  
بالغ الإيجاز مع الوفاء بالمراد ووفرة  
إضافية من المعاني و الصور البديعية.  
إلى غير ذلك من دواعي و أغراض.

و هكذا يحمل المجاز في العبارة من  
المعان الممتدة الواسعة، و من الإبداع  
الفني ذي الجمال المعجب، ما لا يؤدّيه  
البيان الكلامي إذا استعمل على وجه  
الحقيقة في كثير من الأحيان. مع ما في  
المجاز من اختصار في العبارة و  
إيجاز، و إمتاع للأذهان، و إرضاء  
للنفوس ذوات الأذواق الرفيعة التي

بأسلوب استعارة اللفظ الدال على المشبه به، أو استعارة بعض مشتقاته، أو بعض لوازمه، و استعمالها في الكلام بدلا عن ذكر لفظ المشبه، ملاحظا في هذا الاستعمال ادعاء أن المشبه داخل في جنس أو نوع أو صنف المشبه به، بسبب مشاركته له في الصفة التي هي وجه الشبه بينهما، في رؤية صاحب التعبير.

و الاستعارة ليست مجرد نقل آلي للفظ المشبه به، بل لا بدّ فيها من عمل فكري أو شعور نفسي يصحّح في تصوّر المتكلم هذا الاطلاق، فهي من باب "مخاطبة الذكاء عند المتكلم و المستمع، فكلاهما يشترك في هذه الأحاجي التي تعتمد على ذكاء المستمع في فهم المقصود بالقول، و ذكاء المتكلم في صنع عبارات تحتاج من مستمعه أن يعمل ذهنه فيها، و هذا الأمر يوضّح ديناميكية الاستعارة، فمن كانت لديه

حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية"<sup>٥٣</sup>.

و قد عرفها ابن رشيق القيرواني فقال: "الاستعارة أفضل المجاز، و أول أبواب البديع... و الاستعارة إنّما هي من اتساعهم في الكلام اقتدارا... لأنّ ألفاظ العرب أكثر من معانيهم، و ليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم، فإنّما استعاروا مجازا و اتساعا، ألا ترى أنّ للشيء عندهم أسماء كثيرة، و هم يستعيرون له مع ذلك؟ على أنّا نجد أيضا اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة... و ليس هذا من ضيق اللفظ عليهم، ولكنه من الرغبة في الاختصار، و الثقة بفهم بعضهم عن بعض"<sup>٥٤</sup>

فهي من قبيل المجاز في الاستعمال اللغوي للكلام، و أصلها تشبيه حذف منه المشبه و أداة التشبيه و وجه الشبه، و لم يبق منه إلا ما يدل على المشبه به،

قوله "عود النساء" هن اللاتي معهن أولادهن، والأصل في "عود" في الإبل التي معها أولادها فنقلته العرب إلى النساء وهذا من المستعار وقد تفعل العرب ذلك كثيرا، قال: "والآجال" الفرق من البقر والظباء"<sup>٥٦</sup>.  
ومن أوائل من عرف الاستعارة وسماها وأفاض بعض الشيء في الحديث عنها الجاحظ. فالاستعارة عنده هي "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" ورد هذا التعريف في تعليقه على البيت التالي:

وَطَفَقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِي  
عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا  
حيث قال: "وظفقت، يعني ظلت تبكي على عرصها عيناها، عيناها هاهنا للسحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية

القدرة على إيجاد ترابط بين الأشياء المتشابهة؛ كان مبدعا، و من كانت لديه القدرة على فهم هذا الترابط بين الشئيين المتشابهين كان مستمعا جيدا،"<sup>٥٥</sup> و بهذا فإن من أهداف الاستعارة التواصل بين الناس و فهم بعضهم بعضا، و الشرح و التوضيح و المبالغة و الاختصار في اللفظ المعبر عن المعنى، و هذه الأهداف تجعل للاستعارة قيمة كبيرة، فهي تنوب مناب الحقيقة، و تصبح في مواضع معينة ضرورة تتفوق فيها على الحقيقة و تنوب منابها. و هي نوعان: استعارة في المفرد و استعارة في المركب.

و قد ورد لفظ الاستعارة صريحا عند أبي عبيدة في كتابه "النقائض" حيث قال: " قال الفرزدق لجرير:

لَا قَوْمٌ أَكْرَمُ مِنْ تَمِيمٍ إِذْ غَدَتْ  
عُودَ النَّسَاءِ يَسْقُنَ كَالْآجَالِ

زائر خفيف الظلّ محبوب يزور  
الأسماع، و حذف المشبّه به و رمز إليه  
بشيء من صفات قدومه زائرا، و هي  
المصافحة، و أطلق فعل صافح على  
طريقة الاستعارة المكنية.

و شبّه الضمائر و القلوب بذني فم يتبسّم  
حين سروره بأمر ما لكّنه حذف المشبّه  
به و رمز إليه ببعض صفاته و هو  
التبسّم. و هي استعارة تصريحية.

- الكناية:

لقد جرت الكناية على ألسنة العرب  
فنا أدبياً، وصورا تتردد في كلامهم،  
وتحتفي بها أشعارهم، "فهي مظهر من  
مظاهر البلاغة، وأسلوباً من أساليب  
البيان، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف  
طبعه وصفت قريحته، ويكمن السر في  
بلاغتها أنها في صور كثيرة لا تأتي  
بالدعوى إلا معها دليلها، والقضية إلا  
وفي طيها برهانها"<sup>٦٢</sup>.

الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"<sup>٥٧</sup>.  
وإذا كان الجاحظ هو أول من عرف  
الاستعارة فإن ابن قتيبة هو أول من عقد  
لها باباً في كتابه "تأويل مشكل القرآن"  
حيث قال في تعريفها: "فالعرب تستعير  
الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان  
المسمى بها بسبب من الأخرى، أو  
مجاورا لها، أو مشاكلا"<sup>٥٨</sup>.  
ومن الاستعارة التي كشف عنها تلك  
الموجودة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ  
عَنْ سَاقٍ﴾<sup>٥٩</sup> أي عن شدة من الأمر...  
وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر  
عظيم يحتاج إلى معاناته والجِدِّ فيه،  
شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في  
موضع الشدة"<sup>٦٠</sup>.

و من أمثلة الاستعارة في كلام العرب  
قول السّريّ الرّقاء يصف شعره:<sup>٦١</sup>  
إِذَا مَا صَافَحَ الْأَسْمَاعَ يَوْمًا  
تَبَسَّمتِ الضَّمَائِرُ وَالْقُلُوبُ  
شبّه الشاعر سماع أبيات شعره بقادم

و تدخل الكناية في عموم التعبير عن المراد بأسلوب غير مباشر، فهي مما يتوارى، أو يختفي بساخر، و يدل على المقصود بلازم له، أو مقارن له، أو بطرف من أطرافه أو نحو ذلك.

و من القدماء الذين توسعوا في معنى الكناية أبو عبيدة، فهي عنده تشمل:

(1) عود الضمير على اسم يفاد مما سبق ومثاله: أنه جعل الضمير في قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾<sup>٦٦</sup> كناية عن الشمس<sup>٦٧</sup>.

(2) الكناية بمعناها البياني، ففي قوله تعالى ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَائِطِ﴾<sup>٦٨</sup> يقول: "كناية عن حاجة ذي البطن"<sup>٦٩</sup>.

و يجيء الجاحظ فيورد للكناية أمثلة كثيرة، ويبين المراد بها، ومن ذلك قوله: "وإذا قالو: فلان مقتصد، فتلك كناية عن البخل"<sup>٧٠</sup>، وقال: "يقال للراعي: إنه

عرّف ابن منظور الكناية فقال: كنى الشيء يكتّنه كُنا و كنونا و أكتّنه و كتّنه: ستره... و كن أمره عنه كُنا: أخفاه.<sup>٦٣</sup>

فمادة: "كنى" يراد بها في اللغة: الستر و الاختفاء.

و يقول المبرد في كتابه الكامل، "والكلام يجري على ضروب فمنه ما يكون في الأصل لنفسه، ومنه ما يكتنى عنه بغيره، ومنه ما يقع مثلا فيكون أبلغ في الوصف"<sup>٦٤</sup>. فالكناية عنده ضرب من ضروب الكلام الذي لا يقصد به معاني ألفاظه وإنما يكتنى به عن غيره.

ولقد عرفها الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: "المراد بالكناية ها هنا: أن يريد المتكلم بثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود؛ فيوصل إليه، ويجعله دليلا عليه"<sup>٦٥</sup>.

قسّم البلاغيون المتأخرون الكناية إلى أقسام: كناية عن صفة، كناية عن موصوف، و كناية عن نسبة. أما أغراضها البلاغية فهي كثيرة منها:<sup>٧٥</sup>

- إيثار الأسلوب غير المباشر في الكلام، إذا كان مقتضى الحال يستدعي ذلك.
- كون التعبير المكّنّى به ينبّه على معنى لا يؤدّيه اللفظ الصريح المكّنّى عنه.
- كون المكّنّى به أجمل عبارة، و أعذب لفظاً من المكّنّى عنه، فمراعاة الجمال الفنّي من الأغراض المهمّة التي تقصد في الكلام.
- كون المكّنّى عنه مما يحسن ستره، و يقبح في الأدب الرفيع التصريح به.
- إرادة إيضاح المكّنّى عنه بما في المكّنّى به من توضيح له.

لضعيف العصا"، إذا كان قليل الضرب بها للإبل، شديد الإشفاق عليها"<sup>٧١</sup>.

كما يبين منزلة الكناية والتعريض بقوله: "أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف"<sup>٧٢</sup> ويقول: "رُبّ كناية تربي على إفصاح، ولحظ يدل على ضمير"<sup>٧٣</sup>.

وابن قتيبة تتاول الكناية في كتابه "تأويل مختلف الحديث"، حتى أن الأمثلة التي ساقها عنها هي الأمثلة التي تلقفها العلماء بعده، وزجوها في كتبهم، قال: "وكلام العرب إيحاء وإشارة وتشبيه يقولون: فلان طويل النجاد، والنجاد خمائل السيف، وهو لم يتقلد سيفاً قط، وإنما يريدون أنه طويل القامة، فيدلون بطول نجاهه، على طوله، لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل"<sup>٧٤</sup>.

العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا<sup>٧٦</sup>. فمبدأ الإفادة يتطلب من الكلمة أن تكون ذات قيمة فنية وإلا كانت زائدة وهذا يدخل في مجال العيب والرداءة.

إن نسبة الجمال في الكلام ترتقي جدًا حينما ندرك أن الأديب قد اختار الصورة البلاغية التي أوردها في كلامه لغرض فكري زائد على مجرد اختيار صورة جمالية بلاغية يذكرها علماء البلاغة.

لقد أمدت اللغة العربية المتكلم بسبل كثيرة للتعبير عن أفكاره و مكنونات صدره بصورة جميلة تجذب له السامع و تجعله يتأثر بما يقول، و هذا ما لم تقدّمه أية لغة لمتكلميها.

- إرادة بيان بعض صفات المكئى عنه مع الاختصار، بالاختصار على ما يذكر من صفاته لغرض يتعلق بذكرها.
- إرادة صيانة اسم المكئى عنه.

من هنا فقد امتدح العرب الظواهر البلاغية إذا أدى استعمالها إلى فائدة، ومن هذه الظواهر البلاغية تلك التي تومئ مسمياتها بأن هناك عنصرا لغويا زائدا في السياق كـ بعض المحسنات البديعية ومنها التجنيس مثلا، فمرجع الحسن في الجناس أن يتضمن لفظة ذهنية، وأن يضيف إلى السياق معنى لا يحصل بدونه، ليكون ذا قيمة في نقل الصورة إلى المتلقي، بقول الإمام عبد القاهر: 'فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من

<sup>١</sup> الصناعتين، أبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى بابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م: ٨

<sup>٢</sup> البلاغة العربية أسسها، و علومها، و فنونها، و صور من تطبيقاتها، تأليف عبد الرحمن حسن حبنكه الميراني، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م: ١ / ١٢٧

<sup>٣</sup> جواهر البلاغة، المعاني والبيان، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتحقيق وتوثيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٩، ط١، ص ٤٠

<sup>٤</sup> التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ص ٣٤

<sup>٥</sup> الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر: 290/2

<sup>٦</sup> البلاغة العربية أسسها، و علومها، و فنونها، و صور من تطبيقاتها: ١ / ٤١

<sup>٧</sup> ينظر المرجع نفسه: ١ / ٤٢

<sup>٨</sup> البيان و التبيين، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٧، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م: ١ / ١١٦

<sup>٩</sup> الرسالة الشافية، ملحق بكتاب دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، علق عليه، محمود محمد شاكر،

مكتبة الخانجي، القاهرة.: ٥٧٥

<sup>١٠</sup> البيان والتبيين: ١٣٨/١

<sup>١١</sup> المصدر نفسه: ٩٣/١

<sup>١٢</sup> المصدر نفسه: ١٠٤/١

<sup>١٣</sup> مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البامي

الخطبي، القاهرة، ١٩٧٨، ج٣/١٢٦ والمثل موجود في كتاب الحيوان للجاحظ: ٢٠١/١.

<sup>١٤</sup> الكامل: ١٩٢/٢، ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان طه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، القاهرة،

١٣٧٨هـ، ط١: ٢٢٢.

<sup>١٥</sup> البيان والتبيين: ٨/٢

<sup>١٦</sup> الصناعتين: 10

<sup>١٧</sup> مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، حامد صالح خلف الربيعي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م: ٧١

<sup>١٨</sup> المقابسات، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط١، ١٣٤٧هـ:

١٧٠.

<sup>١٩</sup> البلاغة العربية أسسها، و علومها، و فنونها، و صور من تطبيقاتها: ١٨-١٩

<sup>٢٠</sup>جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي، فايز الداية، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤٢٤هـ /

٢٠٠٣م: ٣٧

<sup>٢١</sup>جماليات الأسلوب: ٧٢

<sup>٢٢</sup>لسان العرب، ابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري ت(711هـ)

تحقيق وتعليق عامر أحمد حيدر وراجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، 2003م، 1423هـ، مادة شبه

٥٠٣/١٣

<sup>٢٣</sup>الكامل: 52/3

<sup>٢٤</sup>بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال صعيدي، المطبعة النموذجية، ط٤: ٧-6/3

<sup>٢٥</sup>العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي الحسن بن رشيق، القيرواني الأزدي، حققه وفصله وعلق على

حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م: 239/2

<sup>٢٦</sup>ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٥،

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ص١٢٩

<sup>٢٧</sup>ديوان بشار، شرح و تكميل محمد الطاهر ابن عاشور، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر بالقاهرة،

١٣٧٦هـ/١٩٥٧م: ٥٦/١

<sup>٢٨</sup>الأغاني لأبي فرج الأصبهاني، مصورة عن طبعة بولاق الأصلية بيروت، دت: 196/3

<sup>٢٩</sup> طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة،

١٩٥٢م: 55/1

<sup>٣٠</sup> النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني

و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣،

١٩٧٦: ص ٨١

<sup>٣١</sup> الصناعتين: 243

<sup>٣٢</sup> الكامل: ٩٣/٣

<sup>٣٣</sup> الصناعتين: ٢٤٣

<sup>٣٤</sup> الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع، الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس

الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: ١٦٤

<sup>٣٥</sup> ينظر فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، فتحي عبد القادر فريد، منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع،

الرياض، ط١، 1400هـ، 1980م، ص27

<sup>٣٦</sup> ينظر الإيضاح: ١٦٤ و ما بعدها

<sup>٣٧</sup> ينظر فن التشبيه، علي الجندي، ط2، 1368هـ، 1966م، القاهرة، ص 218

<sup>٣٨</sup> البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكمال حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجمهورية

العراقية، ط1، 1402هـ، 1982م، ص311

<sup>٣٩</sup> من بلاغة النظم القرآني، ط1، بسيوني عبد الفتاح، ط1، 1992م، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر،

ص196-209

<sup>٤٠</sup> جماليات الأسلوب: ص ٩٤

<sup>٤١</sup> البلاغة العربية أسسها، و علومها، و فنونها، و صور من تطبيقاتها: ١٦٧/٢

<sup>٤٢</sup> لسان العرب: ٣٢٦/٥. مادة (جوز)

<sup>٤٣</sup> الصاحبى فى فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب فى كلامها، لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،

علق عليه و وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: 168

<sup>٤٤</sup> أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: ريتز، استانبول، مطابع وزارة التعليم ١٩٥٤، ص٣٢٥-٣٢٦

<sup>٤٥</sup> سورة الحجرات: ١٦

<sup>٤٦</sup> الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الحلبي، ط١، ١٣٥٦هـ.: 27/5-28

<sup>٤٧</sup> سورة الكهف: 77

<sup>٤٨</sup> العمدة: 236/1

<sup>٤٩</sup> البلاغة العربية أسسها، و علومها، و فنونها، و صور من تطبيقاتها: ٢٢٥/٢

<sup>٥٠</sup> المرجع نفسه: ٢٢٧/٢-٢٢٨

<sup>٥١</sup> معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، بغداد، المجمع العلمي العراقي، 1403هـ/1983م: ص136

<sup>٥٢</sup> لسان العرب: ٦١٨/٤، مادة (عور)

<sup>٥٣</sup> أسرار البلاغة: ص ٣١

<sup>٥٤</sup> العمدة، ابن رشيق القيرواني، مطبعة حجازي القاهرة، ١٩٣٤م: ٢٤٣/١

<sup>٥٥</sup> الاستعارة القرآنية و النظرية العرفانية، عطية سليمان أحمد: ص ٥

<sup>٥٦</sup> النقائض بين جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري، ط1، 1998م، دار صادر بيروت: ٥٢/١-٢٧٥

<sup>٥٧</sup> البيان والتبيين: 1/153

<sup>٥٨</sup> تأويل مشكل القرآن، أبي محمد بن عبد الله بن قتيبة، شرحه ونشره أحمد صقر، المكتبة العلمية: ص ١٣٥

<sup>٥٩</sup> سورة القلم: الآية 42

<sup>٦٠</sup> تأويل مشكل القرآن: ص ١٣٧

<sup>٦١</sup> ديوان سريّ الرقاء، تقديم و شرح كرم البستاني، مراجعة ناهد جعفر، دار صادر بيروت، ط1، ١٩٩٦م: ص ٤٦

- <sup>٦٢</sup> جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، السيد أحمد الهاشمي، ط1، دار الفكر للطباعة، و النشر، بيروت، 1427هـ/2006م: ص354
- <sup>٦٣</sup> لسان العرب: ١٣/٣٦٠. مادة ( كمن )
- <sup>٦٤</sup> الكامل: 290/2
- <sup>٦٥</sup> دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، علق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة: ص 430
- <sup>٦٦</sup> سورة ص: 32
- <sup>٦٧</sup> ينظر مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقق محمد فؤاد سركين، نشر الفانجي، ط١، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م: 15/1-72-174 و 182/2
- <sup>٦٨</sup> سورة النساء: 43، سورة المائدة: 06
- <sup>٦٩</sup> مجاز القرآن: 128
- <sup>٧٠</sup> البيان والتبيين: 88/1
- <sup>٧١</sup> المصدر نفسه: 52/3
- <sup>٧٢</sup> المصدر نفسه: 117-116/1
- <sup>٧٣</sup> المصدر نفسه: 07/2
- <sup>٧٤</sup> تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة بيروت، 1995: 151
- <sup>٧٥</sup> البلاغة العربية أسسها، و علومها، و فنونها، و صور من تطبيقاتها: ٢ / ١٤٣-١٤٤
- <sup>٧٦</sup> أسرار البلاغة: ٠٦

## دراسة حروف المعانى فى خطبه ٢٢٢ من نهج البلاغة

أ.م.د. بلاسم محسنى

الباحثة، فتحية هلالىان

جامعة فردوسى مشهد-اىران

المقدمة:

إن كتاب نهج البلاغة هو مجموع ما اختاره السيد الشريف الرضى (رحمه الله) من خطب ورسائل وحكم وأقوال قصيرة من كلام سيدنا و مولانا اميرالمؤمنين وامام الموحدين على «عليه السلام». كتاب من اعظم الكتب الاسلامية و أرفعها قدرا و اجمعها محاسناً، كتاب جامع للمعارف الالهية والاسرار النبوية والاحكام الاسلامية والقواعد الاساسية. فقد وردت فى هذا الكتاب مواعظ شافية للمتعظين وآداب للعارفين وتحذير للمناققين وتخويف للامراء واصحاب السلطة، حيث ترشد هم للقسط فى الحكم و بسط العدل للمسلمين.

تتناول هذه الدراسة احد الاقسام الثلاثة للكلمة العربية وهو الحرف، والحرف هو احد الاركان المهمة فى الجملة ومكون اساسى من مكونات الجملة العربية فى افادة المعنى، حيث انه لا يمكن للجملة أن تستغنى عن الحرف بأى شكل من الاشكال. فهو يوصل معانى الافعال إلى الاسماء و يربط بينهما بشكل متسلسل وصولا الى معنى اعمق و ادق للموضوع. تم التركيز فى هذا البحث على دراسة الحروف الواردة فى الخطبة رقم

من خلال هذه الدراسة أن هناك فوائد ملحوظة نحوية و صرفية افادت الباحث وقد تفيد القارىء و تضيف الى معلوماته.

منهج البحث:

أعتمدت هذه الدراسة فى هذا البحث على المنهج الوصفى\_التحليلى وإقتصرت على دراسة الحروف الواردة فى إحدى خطب نهج البلاغة و هى خطبة يحمد الامام (ع)، الله تعالى فيها، ثم يثنى على نبيه و يوصى بالزهد و التقوى.

خطة البحث:

بدء البحث بالمقدمة ثم التمهيد و من خلاله، التعريف بالحروف لغة و اصطلاحاً، ثم تناول المعانى التى جاءت عليها حروف المعانى معتمدا فى ذكر المعانى على الكتب التى اهتمت بذلك واهمها:

٢٣٣ ومعانيها وكما يعرفها الزجاجى: « بأنها حروف تدل على معنى فى غيرها»، و هو تعريف اطلقه النحويون على هذه الحروف ؛ فهى تربط بين الكلمات تعطى دلالة معينة يقصرها المتحدث و لها معنى أو عدة معانى مشهورة تدلّ عليها.

أهمية الدراسة

على حد علمنا لا توجد بحوث فى هذا الموضوع ضمن نهج البلاغة، و جلّ شواهد الكتب التى حملت عنوان (حروف المعانى) اهتمت بدراسة القرآن الكريم والشعر العربى والقليل جدا من الحديث النبوى الشريف أو أقوال العرب. لذلك فإن أهمية هذه الدراسة ترجع الى بلاغة الكتاب ؛ لأنه يرتكز على البلاغة العربية، فهو يظهر فيضا من الافكار و العبارات التى لا حدود لها؛ كما يظهر افكارا مرتبة ترتيبا مذهبلا: حيث لعبت الحروف دورا رائعا فى تماسك تلك الافكار و ترابط تلك العبارات. يتبين

- 1- مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب  
لإبن هشام
- 2- الجنى الدانى فى حروف المعانى  
للحسن بن قاسم المرادى
- 3- موسوعة معانى الحروف العربية  
للدكتور على جاسم السلطان
- 4- الازهية فى علم الحروف العلى بن  
محمد النحوى الهروى
- و غيرها من الكتب.
- تضمّن البحث معانى الحروف الواردة  
فى الخطبة، وضعنا بالأول جدول يبيّن  
عدد مجىء هذه الحروف التى اشتملت  
عليها الدراسة فى هذه الخطبة ومن ثم  
اتينا بنص للخطبة ورتبنا بعدها الحروف  
ومعانيها على ترتيب رتبها صاحب مغنى  
البيب .

١-التعريف بالحرف لغة واصطلاحاً :

١-١- الحرف لغة :

يقول صاحب لسان العرب فى تعريف  
الحرف لغة : « الحرف و هو واحد  
الحروف حرفا الرأس : شقاه و حرف  
السفينة : جاتبها و الجمع احرف و  
حروف و حرفه . حرف عن الشىء،  
لحرف حرفا و انحرف و تحّرف و احرف  
ورفا: عدل و اذ المال الإنسان عن شىء  
يقال تحّرف و انحرف واحرف ورف و  
تحريف الكلم عن مواضعه: اى تغييره، و

أيضاً لنص الخطبة معتمدين على:

- ١- نهج البلاغة للسيد الشريف الرضى  
(رحمة الله) ترجمة عبدالحميد آيتى
- ٢- شرح نهج البلاغة الكمال الدين بن  
ميثم البحرانى
- ٣- شرح نهج البلاغة للاستاد الشيخ  
محمد عبدة
- ٤- شرح نهج البلاغة لإبن أبى الحديد  
المعتزلى

إذا دلّ حرف المعنى فى غيره، فيسمى حرف المعنى و هذا تعريف اطلقه النحويون على هذه الحروف. فلهذه الحروف صلة كبيرة و قوينة لفهم المعنى و اهمية كبيرة فى اللغة، لأن من خلالها نفهم الكثير من الاساليب و ندرك روعة اللغة و جمالها.

٣- حروف المعانى من حيث اقسامها:

يقول صاحب الجنى الدانى: « ذكر بعض النحويين للحرف نحواً من خمسين معنى. و زاد غيرهم معانى اخر؛ وهذه المعانى المشار اليها، ترجع غالباً إلى خمسة أقسام الا وهى: معنى فى الاسم خاصة كالتعريف؛ و معنى فى الفعل، كالتنقيس؛ و معنى فى الجملة، كالنفي و التوكيد؛ و ربط بين مفردين . ربط بين جملتين كالعطف». فيقسم ابن قاسم المرادى الحرف من حيث اختصاصه بمايلى الى ثلاثة اقسام و هى: احدها: حروف مختصة بالاسم، الثانى: حروف

التحريف فى الكلمة: اى تغيير الحرف عن معناه و الكلمة عين معناها(١) و يقول الفيروزآبادى: « الحرف من كل شى طرفة وشفيرة وحدة و من الجبل اعلاه المحدد، وعند النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل، و ما سواه من الحدود فاسد». (٢)

٢-١- الحرف اصطلاحاً:

تعددت آراء العلماء و اصحاب المعجمات فى تعريف الحرف اصطلاحاً، سنقف هنا على أهم التعريفات والأقوال لبعض النحاة فى تعريف الحرف: قال ابن منظور: « أن الحرف: الاداة التى تسمى الرابطة، لانها تربط الاسم بالاسم و الفعل بالفعل كان عن، على، ونحوهما(٣) قال سيبويه: «الحرف ما جاء لمعنى و ليسى باسم و لا فعل». (٤) يعرف ابوقاسم الزجاجى الحرف بأنه: «ما دلّ على معنى فى غيره»(٥)

٢- حروف المعانى:

٤-٥- و القسم الاخير و هى الحروف الخماسية التى ذكر واحدة منها فى كتابة وهى « كَلْمًا ».

٥- حروف المعانى الواردة فى الخطبة رقم «٢٣٣» وقد اصطلحنا عليها خطبة (( الزهد والتقوى )) نسبة إلى هيمنة الموضوع عليها ، واختلاف الشراح فى ترقيم خطب نهج البلاغة، سيبتين للقارى عند قراءته لكتاب نهج البلاغة، إنّ الحروف قد استحوذت على مساحة كبيرة من نهج البلاغة ولا ادلّ على ذلك، من وجود هذه الحروف فى هذه الخطبة فأعدنا فى الجدول التالى عدد هذه الحروف التى بلغت (٢٢٣) حرفاً ينظر الملحق .

٢- نص الخطبة:

من خطبة له عليه السلام يحمد الله ويثنى على نبيه ويوصى بالزهد والتقوى:

مختصة بالفعل، الثالث: حروف مشتركة بين الاسم و الفعل.(٦)

٤- عدة حروف المعانى:

حروف المعانى و على ما ذكرها صاحب المغنى(٧) فى كتابه و عدّها، فهى تنقسم على خمسة اقسام:

٤-١- القسم الاول و هى أحادية: ك: « الهمزة والألف و الباء وغيرها » و هى احد عشر حرفاً.

٤-٢- القسم الثانى و هى ثنائية، وهى واحد وثلاثون حرفاً: « إذ أل، أم، أن، إنّ وغيرها من الحروف ».

٤-٣- القسم الثالث و هى الحروف الثلاثية منها « أجل، إذن، إذا و غيرها من الحروف » و هى أيضاً واحد وثلاثون حرفاً.

٤-٤- و القسم الرابع الحروف الرباعية و هى ثمانية عشر حرفاً: « اذما، ألاّ إلّا أما، إمّا وغيرها من الحروف ».

مَا أَبْدَى وَ أَخَذَ مَا أُعْطِيَ وَ سَأَلَ عَمَّا  
 أَسْدَى فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَ حَمَلَهَا حَقًّا  
 حَمَلَهَا أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَ هُمْ أَهْلُ  
 صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ وَ قَلِيلٌ مِنْ  
 عِبَادِي الشَّاكُرُونَ فَاهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا  
 وَ الظُّلُومُ بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا وَ اعْتَاضُوهَا مِنْ  
 كُلِّ سَلْفٍ خَافًا وَ مِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا  
 أَتَقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ وَ اِفْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ وَ  
 أَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ وَ اِرْحَضُوا بِهَا دُنُوبَكُمْ وَ  
 دَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ وَ بَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ وَ  
 اِعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَ لَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ  
 مَنْ أَطَاعَهَا إِلَّا فَصُونُوهَا وَ تَصَوَّنُوا بِهَا  
 وَ كُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُرَاهَا وَ إِلَى الْآخِرَةِ  
 وُلَاهَا وَ لَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى وَ لَا  
 تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا وَ لَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا  
 وَ لَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَ لَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا  
 وَ لَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا وَ لَا تُفَنِّئُوا  
 بِأَعْلَاقِهَا فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ وَ نُطْقَهَا كَاذِبٌ  
 وَ أَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ وَ أَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ إِلَّا  
 وَ هِيَ الْمُتَصَدِّقَةُ الْعُنُونُ وَ الْجَامِحَةُ  
 الْحَرُونَ وَ الْمَائِنَةُ الْخُنُونُ وَ الْجَجُودُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَ  
 الْعَالِبِ جُنْدُهُ وَ الْمُتَعَالَى جَدُّهُ أَحْمَدُهُ عَلَى  
 نِعَمِهِ التُّوَامِ وَ آلائِهِ الْعِظَامِ الَّذِي عَظَّمَ  
 حِلْمُهُ فَعَفَا وَ عَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَ  
 عَلِمَ مَا يَمْضِي وَ مَا مَضَى مُبْتَدِعِ  
 الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَ مُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا  
 اِقْتِدَاءٍ وَ لَا تَعْلِيمٍ وَ لَا اِحْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ  
 حَكِيمٍ وَ لَا اِصَابَةَ خَطَاٍ وَ لَا حَضْرَةَ مَلَاٍ  
 الرسول الأعظم وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
 وَ رَسُولُهُ اِبْتِغَاءَهُ وَ النَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي  
 غَمْرَةٍ وَ يَمْوُجُونَ فِي حَيْرَةٍ قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَهُ  
 الْحَيْنِ وَ اِسْتَعْلَقَتْ عَلَى أَفئِدَتِهِمْ أَفْقَالُ  
 الرِّينِ عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا  
 حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ الْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ  
 حَقِّكُمْ وَ أَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ وَ  
 تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي  
 الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَ الْجَنَّةُ وَ فِي غَدِ الطَّرِيقُ  
 إِلَى الْجَنَّةِ مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ وَ سَالِكُهَا رَاحٌ  
 وَ مُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةٌ  
 نَفْسَهَا عَلَى الْأَمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَ  
 الْعَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ إِلَهُ

حرف الباء المفردة

تستعمل الباء لأربعة عشر معنى (٨)  
المعاني الواردة منها فى نهج البلاغة:

- ١- الإلصاق. وهو معنى لايفارقها وردت فى قوله (ع): «أوصيكم بتقوى الله» وهو يوصى بالتقوى على الدوام، ٢- التعديّة: وردت فى قوله (ع): «واعتبروا بمن أضعها ولا يعتبرنّ بكم من أطاعها» أى إجعلوا من اضعها عبرة لكم ولا تكونوا أنتم محط التجربة فيعتبر بكم الآخرون وفى قوله (ع): «تصّونوا بها» أى اجعلوها حصنكم.
- ٣- الاستعانة: وردت فى قوله (ع): «تستعينوا عليّ بالله وتستعينوا بها على الله» أى استعينوا بالله لتحقيق التقوى و استعينوا بهالقرب من الله و الوصول الى رضوانه و فى قوله (ع): «فأهطعوا بأسماعكم إليها» و «أيقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم... وارحضوا بها دنوبكم و داؤوا بها الأسقام» . ٤-

الكنود و العنود الصدود و الحيود الميود  
حالتها إنتقال و وطأتها زلزال و عزها ذل  
و جدّها هزل و علوها سفل دار حرب و  
سلب و تهب و عطب أهلها على ساق  
و سيق و لحاق و فراق قد تحيرت  
مذاهبها و أعجزت مهاربها و خابت  
مطالبها فأسألمتهم المعاقل و لفظتهم  
المنازل و أعيتهم المحاول فمن ناج  
مغفور و لحم مجزور و شلو مذبح و دم  
مسفوح و عاض على يديه و صافق  
بكفيه و مرتقى بخديه و زار على رأيه و  
راجع عن عزمه و قد أدبرت الحيلة و  
أقبلت الغيلة و لات حين مناص هيئات  
هيئات قد فات ما فات و ذهب ما ذهب  
و مضت الدنيا لحال بالها فما بكت  
عليهم السماء و الأرض و ما كانوا  
منظرين

٧- دراسة معانى الحروف الواردة فى  
الخطبة

٧-١- الحروف الأحادية

١-السبب: فى قوله (ع): «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ» «أى لم تكن لهم اعمال صالحة لظلمهم حتى تبكى ملائكة السماء و اهل الارض عليهم. ٢- للتعقيب: وردت فى قوله (ع): «فَمَنْ نَاجٍ مَعْفُورٍ» و الثانى: أن تكون رابطته للجواب و هذا الوجه منحصر فى ستة اوجه نذكر منها الواردة فى الخطبة: ١- أن يكون فعلها انشاء: وردت فى قوله (ع): «فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ» وقوله: «أَلَا قُصُوتُوهَا...». ٢- أن تقترن بحرف له الصدر، وردت فى قوله (ع)، «فَأِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» و «فَإِنَّ النَّفْوَى فِى الْيَوْمِ الْحَرِّ وَالْجَنَّةُ» و «فَإِنَّ بَرْفَهَا خَالِبٌ». ٣- أن تكون زائدة: وردت فى قوله (ع): «فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا»

حرف اللام المفردة

و هى ثلاثة اقسام: عاملة للجبر، عاملة للجزم، غير عاملة. (١٠) فيقتصر البحث على اللام الواردة فى النص و هى الجارة

المصاحبة أو الحال وردت الباء فى قوله (ع): «وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ» للمصاحبة، وفى قوله (ع): «وَأَلْظَمُوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا» وفى قوله (ع): «مُبْدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ» فموضع الجار والمجرور هنا نصب بالحالية و قوله (ع): «وَمُرْتَفِقِ بِخَدْيِهِ» للحال. ٥- الاستعلاء: متضمنة معنى «على» وردت فى قوله (ع): «بَلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ» والمعنى: «لم يقتد على أحد غيره» وقوله: «وَصَافِقِ بِكَيْفِيَّةٍ» أى: «يضرب إحداها على الأخرى من شدة الندم». ٦- التوكيد ومن قوله (ع): «وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا وَلَا تُفْتَنُوا بِأَغْلَاقِهَا» فهى زائدة وتؤكد النهى.

حرف الفاء المفردة

وهى حرف مهملة ترد على ثلاثة أوجه. احدها أن تكون للعاطفة وهى تفيد ثلاثة أمور: الترتيب والتعقيب والسببية (٩) و المعانى الواردة منها فى الخطبة:

بين الأسماء أو الصفات أو الأفعال لغرض التوكيد منها:

أ. عطف المفرد على المفرد فى قوله (ع) «عَبْدَةٌ وَرَسُولَةٌ»

ب...عطف الشى على مرادفه: فى قوله (ع) «فِى سَلَاقٍ وَ سِيَّاقٍ» و قوله: «التَّقْوَى فِى الْيَوْمِ الْجَرُّ وَ الْجَنَّةُ»

ج. عطف الجملة على الجملة بالمعنى: وردت فى قوله (ع): «الفَائِشَى فِى الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَ الْغَالِبِ جُنْدُهُ وَ الْمُتَعَالَى جَدُّهُ» وقوله « إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أْبَدَى وَ أَخَذَ مَا أَعْطَى وَ سَأَلَ عَمَّا أَسَدَى».

د. عطف الجملة الأثنائية على مثلها فى قوله (ع): « فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْعَا وَ أَلْظُوا بِجَدِّكُمْ عَلَيْهَا وَ اعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا وَ مِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ وَ اقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبِكُمْ وَ ارْحَضُوا بِهَا دُنُوبَكُمْ وَ

التي تحمل اثنان و عشرون معنى نذكر منها الواردة فى الخطبة: ١- الاستحقاق:

وردت فى قوله (ع) : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَائِشَى فِى الْخَلْقِ حَمْدُهُ» اى الحمد يستحقه الله تعالى و لا يستحق ذلك غيره. ٢- التبيين: وردت فى قوله (ع)

: « بِرَبِّكَ اقْتِدَاءً ..... لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ» أى « أن الخالق لم يقتدى باحد» ٣- التعليل: وردت فى قوله (ع):

« لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا» أى عرضت نفسها لأنهم يحتاجون إليها فى الآخرة

حرف الواو المفردة

يقول صاحب المغنى (١١): «أن مجموع ما يذكر من اقسامها إلى خمسة عشر قسما، المعانى الواردة منها فى الخطبة:

١- «الحال» وردت الواو فى قوله (ع): « وَ النَّاسُ يَضْرِبُونَ فِى غَمْرَةٍ وَ يَمْجُؤُونَ فِى حَيْرَةٍ» و قوله « وَ هُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ». ٢- مطلق الجمع: وهى تجمع

حرف مصدرى ناصب للمضارع وكما وردت في قوله (ع) مرة واحدة في هذه الخطبة وهو يقول (ع): « أن تَسْتَعِينُوا عَلَيَّهَا بِاللَّهِ » والمعنى « هو أن تستعينوا على قطع عقباتها بالله و تتفوقوا بها » (١٤)

حرف عن

باعتبارها حرفا تكون على و جهين (١٥):

أولاً أن تكون حرف جر و جميع ماذكر لها عشرة معان: ١- المجاوزة ٢- البدل ٣- الاستعلاء ٤- التعليل ٥- مرادفة بعدد ٦- الظرفية ٧- مرادفة من ٨ - مرادفة الباء ٩- الاستعانة ١٠- زائدة للتعويض و الثانى: أن تكون حرفا مصدرى، والمعاني الواردة منها فى الخطبة: ١- المجاوزة: فى قوله (ع): « وَ كُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا » اى: «تجاوزوها و ابتعدوا عنها» حرف فى:

ذَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ وَ بَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا».

هـ . . عطف الجملة الإنشائية على الخبرية أو عكسها فى قوله: « أَلَا فَصُوتُهَا وَ تَصَوُّتُهَا بِهَا ».

٧-٢- الحروف الثنائية

حرف إذ

وهى على اربعة اوجه (١٢): ١- ان تكون اسماً للزمن الماضى، ٢- أن تكون اسماً للزمن المستقبل، ٣- إن تكون للتعليل، ٤ - أن تكون للمفاجأة وذكرت هنا اسماً للزمن الماضى و هى مفعول به فى قوله (ع): « وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: « وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ »

حرف أن

بفتح الهمزة و سكون النون (١٣) وهو على وجهين: اسم وحرف و هو على اربعة اوجه: الواردة منها فى الخطبة:

وردت فى قوله (ع): « قَد قَادَتْهُمُ أَرْمَةٌ  
الْحَيْنِ » و قوله: « قَد تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا »  
فهنا تقرب المعنى وتقويه و تنفى اى  
شك عنه.

حرف لا

و هى على ثلاثة اوجه (١٨) نأتى  
بالاوجه الواردة منها فى قوله (ع):

١- عاملة عمل إنّ وهى النافية للجنس:  
ومن أمثلتها التى وردت فى الخطبة فى  
قوله (ع): «بِلا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ وَ لَا  
اِحْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ وَلَا إِصَابَةٍ  
خَطَاٍ وَلَا خَضْرَاءَ مَالٍ». ٢- الجازمه و هى  
لطلب الترك و تختص بالدخول على  
المضارع (ع) و تقتضى جزمه و  
إستقباله و قد وردت (لا) فى قوله: « وَلَا  
يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنَ اطَاعَهَا » و قوله: «وَلَا  
تُضَعُوا مَن رَفَعْتَهُ النَّقْوَى وَلَا تَرْفَعُوا مَن  
رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا وَلَا تَشِيْمُوا، بَارِقَهَا وَلَا تَسْمَعُوا  
نَاطِقَهَا وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَلَا تَسْتَضِيئُوا  
بِإِسْرَاقِهَا وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا »

حرف جر له عشرة معان (١٦): وردت  
« على » فى هذه الخطبة ظرفية مكانية  
فقط: ١- الظرفية: فى قوله (ع): «  
الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ» و قوله : «  
فَإِنَّ النَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ وَفِي  
عَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ » و قوله «عَدَلْ  
فِي كُلِّ مَا قَضَى» اى «عدله فى كل ما  
حكم عليه أو نهى عنه » وقوله «  
يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ»  
اى: «انهم يسرون فى جهالتهم و  
حيرتهم».

حرف قد

(قد) على وجهين (١٧): أحدها: حرفية  
وهى المختصة بالفعل المتصرف الخبرى  
المثبت المجرد من الجزم أو النصب  
والثانى: الاسمية و هى بمثابة اسم فعل  
و اسم مرادف لحسب، والمعانى الواردة  
لقد الحرفية فى هذه الخطبة: ١- لتقريب  
الماضى من الحال : وردت فى قوله  
(ع): « قَد قَاتَ مَا قَاتَ ». ٢- التحقيق:

حرف لم

تأتى حرف «لم» حرف نفى، تجزم الفعل المضارع و تخلص معناه الى الماضى و تقابله (١٩) وردت في قوله (ع): «لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا»

حرف من

تأتى على خمسة عشر وجهها (٢٠): المعانى الواردة منها فى الخطبة: ١- التبويض: وهى اقتباس له بالآية الشريفة: « وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِى الشَّاكِرُونَ ». ٢- مرادفة ل (عن): وردت فى قوله (ع): « وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا وَ مِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ » والمعنى «اعتاضوها خلفاً عن كل محبوب فى الدنيا سلفاً لهم» (٢١)

٣-٧- الحروف الثلاثية

حرف إذا:

و هى على وجهين (٢٢):

١- أن تكون المفاجأة وهى تختص

بالجمل الاسمية ولا تحتاج الى جواب ولا تقع فى الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال ٢- أن تكون لغير المفاجأة وهى ظرف للمستقبل مضمنة معنى (لو) الشرطية وتختص بالدخول على الجملة الفعلية وردت «إذا» فى هذه الخطبة فى قوله (ع): « إِذَا أَعَادَ اللهُ مَا أَبَدَى » لغير المفاجأة وهى ظرف. والمعنى « الوقت الذى يعيد الله فيه ما كان ابداً من الخلق» (٢٣)

حرف الا:

بفتح الهمزة و التخفيف و هى على خمسة اوجه (٢٤): والمعانى الواردة منها فى الخطبة: ١- التحضيض، وردت فى قوله (ع): « أَلَا فَصُّوْنُوهَا وَتَصَّوُّنُوهَا بِهَآ ». ٢- التنبيه : وردت فى قوله (ع): « أَلَا وَهِيَ الْمُتَّصِدِّيَةُ الْعُنُونُ ».

حرف إلى:

بفتح الهمزة والنون المشددة (٢٧): تكون من الاحرف المشبهة بالفعل مختصة بالدخول على الجملة الاسمية و هي على وجهين : ١- حرف توكيد ٢- لغة فى لعلّ ، والمعانى الواردة منها فى هذه الخطبة:

١- التوكيد: وردت مرة واحدة فى قوله (ع): « وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » حرف إن:

بكسر الهمزة والنون المشددة، تستعمل لمعان عديدة أهمها (٢٨): ١- التوكيد ٢- الربط ٢- التعليل و يذكرها ابن هشام فى كتابه بأنها على و جهين احد هما: توكيد و الثانى حرف جواب بمعنى نعم (٢٩)

والمعانى الواردة منها فى الخطبة : ١- التعليل: وردت فى قوله (ع): « فَأَيُّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » لإفادة التعليل وهو نوع من التأكيد، والمعنى هو: « إتقوا الله لأن التقوى حق الله عليكم ». وفى قوله

تستعمل (الى) للمعانى الاتية (٢٤): ١- انتهاء الغاية ٢- المعية ٣- التبيين ٤- مرادفة اللام ٥- موافقة فى ٦- الابتداء ٧- موافقة عند ٨- التوكيد (٢٥) والمعانى الواردة منها فى الخطبة : ١- انتهاء الغاية المكانية: وردت

فى قوله (ع): « وَفِي غَدِّ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ ». وفى قوله: « وَإِلَى الْآخِرَةِ وَآلِهًا ». ٢- مرادفة اللام: وردت فى قوله (ع): « لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيْنَ مِنْكُمْ وَالْعَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا » والمعنى « من اجل حاجتهم نها » فهم محتاجون للتقوى. ٣- التوكيد: و هى زائدة ووردت فى قوله (ع)، « فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا » والمعنى: «أسرعوا مستعينين بأسماعكم إلى سماع وصفها وشرحها ليعرفوها ويعملوا على بصيرة » (٢٦)

حرف أن:

اشر بعضهم «٤- موافقه الباء: وردت فى قوله (ع): «وَ اسْتَغَلَّتْ عَلَى أَفْتِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرِّينِ» فهنا «ألصق أقفال الضلالة بقلوبهم» وفى قوله (ع): «وَالظُّمُورُ بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا» ٥- الإستعانه: وردت فى قوله (ع): «وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ» أى «أوصيكم بأن تستعينوا بالله وتدعوه بأن يعينكم و يوفقكم لتحقيق التقوى وأوصيكم أن تستعينوا بالتقوى للقرب من الله و الوصول الى رضوانه، فإنه تعالى يوم البعث والحساب كالحاكم بين المتخاصمين». (٣١)

#### النتائج

أهم النتائج التى وصلنا اليها خلال هذا البحث:

١. إن معانى الحروف قلما نجد لها ضابطة معينة تتحكم بها فى تحديد معناها، فظاهر الامر أنها تعتمد كثيرا على الذوق اللغوى و البلاغى.

(ع): «فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ» ايضا يعلل نهيته عن شيم بارقها. ٢- التوكيد: وردت فى قوله (ع): «فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرَزُّ وَالْجَنَّةُ» فأراد أن يؤكد (ع) فى قوله: «أن التقوى فى هذه الدنيا حرز و سلاح للانسان».

حرف على:

يأتى هذا الحرف على وجهين (٣٠):  
الاول: أن يكون حرفاً وله تسع معانى والثانى: أن يكون اسماً بمعنى فوق، فالوجه الاول ورد فى الخطبة ١١ مرة ولمعان مختلفة منها: ١- الاستعلاء: وردت فى قوله (ع): «إِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقُّكُمْ» أى حق الله على العباد و حق العباد على الله. ٢- التعليل، وردت فى قوله (ع): «أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الثُّمَامُ» أى لاجل نعمه التى أنعمها علينا. ٣- الظرفية: بمعنى «فى»، وردت فى قوله (ع): «أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسَيْاقٍ» والساق: الشدة والمعنى «أنهم فى شدة و بعضهم يتبع

٢. الجملة العربية لا تستغنى عن الحروف لإفاداتها الكثيرة للمعاني و أهميتها، كونها مكون اساسى من مكونات الجملة العربية.
٣. يعد هذا الكتاب من الناحية الفنية من النصوص الفريدة التى جمعت عمق المضمون و جمال الشكل فى كل ماورد فيه من انواع نثرية: الخطب و الرسائل و الحكم
٤. تحتوى الخطبة على جمل تبدأ بحروف تدل على التأكيد مثل إنّ، ألا، لام التأكيد وغيرها من الحروف لغرض تنبيه السامعين.
٥. الخطبة أتت فى الوعظ و الارشاد فهى تنبه السامعين و تحثهم على طاعة الله سبحانه و تعالى و تنهاهم عن المنكر و كما نرى فهى مليئة بظواهر اسلوبية كثيرة منها الاستعارة، الكناية، المقابلة و التكرار.
٦. تبدأ الخطبة بصيغ انشائية أتخذت من الأمر والنهى وسيلة للتعبير و هى أقوى من الصيغ الخبرية لأنها أشدّ تنبيها و ايقاظا للمخاطب
٧. رأينا تغيّر المعنى للحرف الواحد تبعاً لما يراد من معنى فى سياق الكلام؛ لأنّ معانى الحرف الواحد قد تصل إلى العشرات من المعانى كما رأينا فى «اللام والباء وفى و من» وغيرها من حروف المعانى. وهذا الأمر دفع العلماء إلى أن يتبعوا هذا الجانب من جوانب اللّغة، لهذا أفردوا لها مصنّفات وتناولوا فيها المعانى والوجوه المختلفة لكل حرف من هذه الحروف.
٨. وفى النهاية نقول إذا تأملنا المعانى التى جاءت عليها الحروف ستساعدنا على فهم الكثير والأحسن للكلام و ستؤدّى الى شروح او ترجمة صحيحة ودقيقة.

الملحق

حروف المعنى	عددتها	الامثلة
إذ	١	إِذْ يَقُولُ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ
إذا	١	إِذَا أعَادَ اللهُ مَا أبَدَى
أل	٤٤	الْحَمْدُ، اللّٰهُ، الْفَاشِي، الْخَلْقِ، الْمُتَعَالِي، التَّوَامِ، الْعِظَامِ، الْخَلَائِقِ، الْحَيْنِ، الرَّيْنِ، الْمُوجِبَةِ، النَّاسِ، التَّقْوَى، الْيَوْمِ، الْجِرْزُ وَالْجُنَّةُ، الطَّرِيقُ، الْأُمَمِ، الْمَاضِيْنَ، الْعَابِرِينَ، الْأَقْلُونَ، الشَّكُورُ، الْحِمَامِ، الْأَسْقَامِ، الدُّنْيَا، الْآخِرَةَ، الْمُتَصَدِّقِ، الْعُنُونُ، الْجَامِحَةُ، الْحَزُونُ، الْمَائِنَةُ، الْخُنُونُ، الْجُودُ، الْكُودُ، الْعُودُ، الصَّودُ، الْحُودُ، المُيُودُ، الْمَنَازِلُ، الْمَحَاوِلُ، الْحِيَاةُ، الْغِيَاةُ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
ألا	٢	أَلَا قَسُوتُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا، أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّقَةُ الْعُنُونُ

إلى	٤	وَفِي غَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ، لَمْ تَبْرَحِ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأَمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا، فَأَخْطَعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَكُونُوا إِلَى الْآخِرَةِ وُلاَهَا
أن	١	وَ أَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ
أنّ	١	وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ
إنّ	٣	فَاتَّبَعُوا حَقَّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ النَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِّ رَزُ وَ الْجُبُّ ه فَإِنَّ بَرْفَهَا خَالِبٌ
الباء	٢٠	مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَ مُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلَا اِقْتِدَاءٍ وَ لَا تَعْلِيمِ، عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَ تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ وَ تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ، فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا وَ أَنْظُوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا أَيْقِظُوا بِهَا نُومَكُمْ وَ اقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ وَ ارْحَضُوا بِهَا دُنُوبَكُمْ وَ دَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ وَ بَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ وَ اعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَ لَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا، أَلَا فَصُونُوهَا وَ تَصَوَّنُوا بِهَا، وَ لَا تَسْتَضِيئُوا بِأَشْرَاقِهَا وَ لَا تُفْتَنُوا بِإِعْلَاقِهَا، وَ

		صَافِقٍ بِكَفِّهِ وَ مُرْتَفِقٍ بِحَدِّهِ
على	١١	أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَاسْتَعَلَّقَتْ عَلَى أَفئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ، وَالظُّوَا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، أَهْلَهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ، وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ وَ زَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٌ عَنِ عَزْمِهِ، وَسَأَلَ عَمَّا آسَدَى
عن	٣	كُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا،
الفاء	١٠	عَظَمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَمَا أَقَلُّ مَنْ قَبِلَهَا فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، فَإِنَّ النَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِّ وَالْجَنَّةُ فَأَهْطِعُوا بِإِسْمَاعِكُمْ، فَأَسْأَلْتَهُمُ الْمَعَاوِلُ، أَلَا فَصُوتُوهَا، فَمِنْ نَاجٍ مَعْفُورٍ، فَمَا بَكَتْ
في	٦	الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ، وَعَدَلٌ فِي كُلِّ مَا قَضَى، يَضْرِبُونَ فِي عَمْرِهِ وَ يَمْوُجُونَ فِي حَيْرِهِ،

التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِّ وَالْجَنَّةُ وَفِي غَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ		
قد قادتهم أزمة الحين ، قد تحيرت مآهباها، وقد أدبرت الحيلة، قد فات ما فات	٤	قد
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ، بِلَا اقْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ، لَمْ تَبْرُحْ عَارِضَةٌ نَفْسَهَا لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالِ بِأَلِهَا	٤	الام
بِلَا اقْتِدَاءٍ وَ لَا تَعْلِيمٍ وَ لَا احْتِدَاءٍ صَانِعِ حَكِيمٍ وَ لَا إِصَابَةَ خَطَاٍ وَ لَا حَضْرَةَ مَلَأٍ، وَ لَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتُهُ النَّقْوَى، وَ لَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا، وَ لَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتُهُ الدُّنْيَا، وَ لَا تَشِيْمُوا بِأَرْفَهَا وَ لَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَ لَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَ لَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَ لَا تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا	١٣	لا
لَمْ شَرِحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا	١	لم
وَ لَا تَ حِينَ مَنَاصٍ	١	لات
فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبَلَهَا،	٣	ما

دراسة حروف المعاني في خطبه ٢٣٣ من نهج البلاغة

وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ، وَاعْتَاذُوهَا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ	٤	من
من بداية الخطبة حتى نهايتها ووردت عاطفة وحاليه	٨٦	الواو

الهوامش

١. ( ابن منظور، د.ت، ج ٩، ص ٤١-٤٣ )
٢. ( الفيروزآبادي، د.ت، ج ٢، ص ٣٦٦ )
٣. ( ابن منظور، د.ت، ص ٤١ )
٤. ( سيويوة، د.ت، ج ١، ص ١٢ )
٥. ( الزجاجي، ١٩٧٣م، ص ٥٤ )
٦. ( المرادي، د. ت، ص ٢٥ - ٢٨ )
٧. ( ابن هشام ١٩٩٧ م، ج ١ ص ٦٠٦-٦٠١ )
٨. ( المصدر السابق، صص ١٧٢-١٨٠ )
٩. ( المصدر السابق، ص ٢٧١ )
١٠. ( المصدر السابق، ص ٣٤٨-٣٦٩ )
١١. ( المصدر السابق، صص ٥٦٨-٥٨٨ )
١٢. ( المصدر السابق، صص ١٤٢-١٤٦ )
١٣. ( المصدر السابق، صص ٥٢-٦٩ )

١٤. (البحرانى، د.ت، ج ٣، ص ٢١٩)
١٥. (جاسم سليمان، ٢٠٠٣م، صص ١٣٤، ١٣٣)
١٦. (ابن هشام، ١٩٩٧م، ج ١، ص ص ٢٨٤ - ٢٨٨)
١٧. (المصدر السابق، ص ٢٨٩-٢٩٨).
١٨. ( المصدر السابق، ص ٣٩٢-٤٢٣)
١٩. ( المصدر السابق، ص ٣٩٢-٤٢٣)
٢٠. (المصدر السابق، صص. ٥١٤-٥٢٨)
٢١. (البحرانى، د.ت، ص ٢٢١).
٢٢. ( المصدر السابق، صص ١٥٣-١٧٢)
٢٣. (بحرانى، د. ات، ج ٣، ص ٢٢٠)
٢٤. (ابن هشام، ١٩٩٧م، ج ١، صص ١٢٣-١٢٧)
٢٥. ( المصدر السابق، صص ١٣٥-١٣٦)
٢٦. (البحرانى، د.ت، ص ٢٢١)
٢٧. (ابن هشام، ١٩٩٧م، ج ١، ص ص ٧١-٧٦)

٢٨. (جاسم سليمان، ٢٠٠٣م، ص ٦٢)

٢٩. (ابن هشام، ١٩٩٧م، ج ١، صص ٧٥-٧٠)

٣٠. (جاسم سليمان، ٢٠٠٣م، صص ١٣٢-١٣٣)

٣١. (ابن ابى الحديد، ١٤٢٦ هـ، ج ٢، ص ٩٥)

### مصادر البحث و مراجعه :

١. ابن منظور، ابى الفضل محمد ابن مكرم، دت، "لسان العرب"، دط، منشورات دار صادر، نسخة pdf.

٢. ابن هشام الانصارى، ابو عبدالله، ١٩٧٧ م، "مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب"، حققه وبوبه حنا الفاخورى، د.ط، بيروت: منشورات دار الجيل.

٣. البحرانى، كمال الدين بن ميثم، دت، "شرح نهج البلاغة"، ج ٣، د.ط.

٤. الراوندى، قطب الدين سعيد بن هبة الله، ١٤٠٦ هـ. ق، "منهاج البراعة فى نهج البلاغة"، تحقيق السيد عبد اللطيف ، الكوهكمري، ج ٢، د. ط، قم : مطبعة الخيام.

٥. الرضى، الشريف، ١٣٧٦ هـ. ش، "نهج البلاغة"، ترجمة محمد آيتى، ط١٤، طهران: منشورات دارالثقافة الاسلامية للنشر.

٦. الزجاجى، ابى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق، ١٩٧٣ م، "الايضاح فى علل النحو"،

تحقيق الدكتور مازن المبارك، ط٢، بيروت: دار النفائس.

٧. الفاكهى، جمال الدين ابن عبد الله بن احمد، دت، "شرح الحدود النحوية"، تحقيق

دكتور صالح عائد، د ط، الرياض: منشورات الجامعة الاسلامية.

٨. الفيروزآبادى، د.ت، "قاموس المحيط"، ط١، نشر مؤسسه الرسالة.

٩. المرادى، الحسن ابن القاسم، دت، "الجنى الدانى فى حروف المعانى" تحقيق فخر

الدين قباوه، د ط، لبنان: منشورات دار الكتب الاسلامية.

١٠. المعتزلى، ابن ابى الحديد، ١٤٢٦ هـ، "تهذيب شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد

المعتزلى"، تصحيح عبدالهادى الشريفى، ط١، قم المقدسة: دارالحديث للطباعة والنشر.

١١. النحوى الهروى، على ابن محمد، ١٩٨١ م، "كتاب الازهية فى علم الحروف"، تحقيق

عبد المعين الملوحي، ط٢، دمشق: مجمع اللغة العربية.

١٢. جاسم سلمان، على، ٢٠٠٣ م، "موسوعة معانى الحروف العربية"، عمان: دار اسامة

للنشر

١٣. جميل شامى، احمد، ١٩٩٢م، "معجم حروف المعانى"، ط١، بيروت: مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر.
١٤. سيويوه، ابو بشر بن عثمان بن قنبر، د.ت، "الكتاب"، تحقيق و شرح عبد السلام هارون، د ط ، بيروت: نشر عالم الكتب للطباعة.
١٥. مكارم الشيرازى، ناصر، ٢٠١١م، "تفحات الولاية" (شرح عصرى جامع لنهج البلاغه)، ج٧، ط١، بيروت: دار جواد الائمة للنشر.

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية كتاب "تعلّمتي الأولى" دفتر الأنشطة اللغوية للتربية التحضيرية-أنموذجا-

د.الشامخة خديجة

جامعة غرداية / الجزائر

توطئة:

إن استعمال الصورة بوصفها وسيطاً في العملية التعليمية الحديثة أصبح ضرورة لا تملكها الحاجة فقط، بل أضحت من مسلمات العصر الذي نعيشه المبني على الصورة وفاعليتها في مختلف أشكال التواصل اليوم، حتى لقب بأنه (عصر الصورة) الذي تعد فيه الثقافة البصرية المكون الحاسم لكل قنوات التواصل الممتدة عبر الحاضر والمستقبل، ومن خلال تسجيلها لمجريات التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي، فالصورة والتي لعبت دوراً مهماً عبر وسائل الإعلام المرئية كالتلفزيون والسينما والانترنت والإشهار في تشكيل وهيكلة وعي الإنسان المعاصر عامة والطفل خاصة بأشكال إيجابية حيناً، وأشكاله سلبية أحياناً أخرى، إذ إن الصورة تحضر بشكل جارف في كل مناحي حياة الطفل اليوم، ولقد أسهمت الصورة بتقنياتها وتجلياتها في العمليات التعليمية من خلال صور توضيحية مصاحبة للكلمات.

فالإشكالية التي يطرحها هذا البحث القائم على تسليط الضوء على الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي - كتاب (تعلّمتي الأولى) دفتر الأنشطة اللغوية للتربية التحضيرية - من خلال الوظيفة والفاعلية في تحقيق الكفاءة المستهدفة، فهل الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي كفيلة وحدها من تحقيق الكفاءة المستهدفة في التربية التحضيرية؟

للإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا الخطة الآتية:

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

أغلب خبرات الفرد يحصل عليها من خلال حاستي السمع والبصر بنسبة (٨٠%-٩٠%) (١)

كما أن مبدأ سيكولوجيا يقول: إن الفرد يدرك الأشياء التي يراها إدراكاً متميزاً مما لو سمع عنها أو قرأ عنها، فقد أثبتت معظم الدراسات التي اعتمدت تقييم وتقويم الوسائل التعليمية في البنية التعليمية على مدى أهميتها في بناء التعلم ليبدو أنه من الضروري أن تحضر في كل مراحل التعلم، كما يجب على المعلم أن يكون على دراية بطبيعتها، وطرق اشتغالها حتى يمكنه استعمالها الاستعمال الأمثل، ففي دراسة لـ دوشاسل سنة 1981 أثبت فيها أن التعلم من خلال الصور يساعد على الاحتفاظ بالمعلومات لمدة أطول منه من خلال التعلم اللفظي الذي لا يبقى على المعلومات إلا لمدة أقصر، كما أن الصور تشد أذهان الأطفال على تقبل المادة الدراسية، وتجعلهم أكثر استعداداً للتعلم، وتزيد من التشويق

- توطئة.
- تحديد المفاهيم (الصورة مقارنة سيميائية- الصورة التوضيحية- الكتاب المدرسية- التربية التحضيرية).
- خصائص المرحلة العمرية: طفل ما قبل المدرسة (٥-٦) سنوات.
- تقديم كتاب (تعليمات الأولى) دفتر الأنشطة اللغوية للتربية التحضيرية.
- نماذج من الصور التوضيحية بين الوظيفة والفاعلية.
- الصورة ليست وسيطاً في التعلم والتعليم فحسب، بل هي إستراتيجية، وطريقة في التفكير والتنظيم والتحري وليست مادة فضلة يمكن الاستغناء، بل هي لازمة لزوم نجاح التعلم، وهي كفيلة بتجاوز التعلم اللفظي الذي يعتمد الحفظ والاستظهار في الأغلب، ولا يتيح للمتعلم أعمال التفكير والتنظيم...بينما الصورة تمنحه فرصة المقارنة واستخدام قدراته في حل المشكلات، واستثمار كل العمليات المنطقية في التحصيل، كما تساهم في إبقاء الأثر التعليمي بقوة، ولا غرو في أن

في تغيير سلوكياتهم نحو الإيجاب  
وتحصيلهم بشكل أفضل (٣).

وتساعد الصورة أيضا في تنمية مهارة طرح  
السؤال والتفكير العقلي عموما، وتبعد المتعلم  
عن التفكير النظري الذي يرتبط بالحفظ  
والاستظهار وكما أن دور المعلم ينعكس  
على مردودية الأطفال في التعلم، إذ ينبغي  
أن ينظر إليها بأنها ليست فضلة، بل عمدة  
في العملية التعليمية، وبما أن كتاب التلميذ  
في السنوات الابتدائية على الخصوص قد  
وظف مجموعة من الصور إلى جانب  
العلامات اللسانية، فإن هذا الحضور  
السيمائي المزدوج لابد أن يراعى وفقا  
للطريقة التي وظف بها ابتداء إذ لا يمكن أن  
يعزل الواحد عن الآخر بغية تقديم المادة  
الدراسية بأيسر الطرق التعليمية والبيداغوجية،  
فالطفل لا ينظر إلى الألفاظ بمعزل عن  
الصور، بل رؤيته تكون شاملة لكليهما معا،  
وإن كان في أغلب الأحيان إن لم نقل كلها  
يميل إلى الصور خصوصا في السنوات  
الثلاث الأولى، ولأن هذه الصور أيضا لم

والإثارة، وبالتالي تقبل المادة الدراسية والإقبال  
عليها. (٢)

إن مستوى دمج الطفل للمعلومات التي  
يستوعبها من خبراته السابقة مع المعلومات  
الواردة إليه يرتبط بطبيعة الوسيلة التعليمية  
ذاتها، فكلما كانت الوسيلة أكثر ارتباطاً  
بالإدراك الحسي وقوته، كلما كان تقبل  
المعلومة أفضل وأجود، والتخزين أقوى  
وأعمق، واستثمارها أكفء، ومادامت الصورة  
تعتمد على الحس المشترك، أي أنها  
تستجمع كل المدارك الحسية فإن تأثيرها  
سيكون لا محالة أخطر من تأثير الوسائل  
التعليمية الأخرى التي تعتمد حاسة متفردة  
ضمن هذه المدارك الخمس، لأنه كلما تم  
استثمار مُدخلات إدراكية متعددة في العملية  
التعليمية، كلما كان ذلك أفضل فالصورة  
بإمكانها بالنظر إلى ذلك- حل المشكلات  
التربوية والزيادة في قدرة التلاميذ على  
التحصيل والتفاعل، والرفع من فعالية المادة  
المدرسة، وكل ما يساعد في تطبيق المنهج  
الدراسي بشكل جيد، كما تساعد فئة الأطفال

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

تقديم المادة وإنتاج المعلومات بل تعليم المادة وضمان وصولها للمستقبل بشكل كامل وإيجابي، فهي تستطيع أن تجدد النشاط الذهني للطفل، فأثناء العرض يغدو التلميذ على وعي بالمعلومات السابقة المخزنة سلفاً في ذاكرته، فيستدعيها ويقارنها بالمشاهد الحديثة، فالصورة إذاً هي عملية ربط المعارف المتتابعة في حياة الفرد الاجتماعية والثقافية والنفسية والجمالية(٦).

[[تحديد المفاهيم (الصورة) - الكتاب المدرسية - الصورة التربوية - الصورة التوضيحية - التربية التحضيرية]:

سننطلق من جملة المفاهيم المعتمدة في هذه المقالة، والتي سنفتح أمامنا باب التحليل حول تحديد وظيفة الصورة التوضيحية وفعاليتها في الكتاب المدرسي:

فالصورة في أصلها اللاتيني مشتقة من كلمة (imago) المقصود منها كل تمثيل مصور مرتبط بالموضوع الممثل عن طريق التشابه المنطوري فأصلها الاشتقاقي يحيل على فكرة النسخ والمشابهة والتمثيل، وهي إما

تعد آخر الأهداف كاستراحة العين من التركيز على الكلمات، بل أصبحت قيمة مضافة، لهذا ينبغي أن تتقوى انتقاء لتتسجم مع رسالة النص اللفظية(٤).

إن الصورة التعليمية سواء أكانت فوتوغرافياً، فيلماً تليفزيونياً، سنيماً، أفراساً مضغوطة أو انترنيت أهمية كبرى في مسار الدورة التعليمية التربوية فهي كما يؤكد فيرث:

-تقدم الحقائق العلمية في صورة معلومات بصرية سمعية.

-تمنح فرصة المقارنة والتأمل، وتفتح سبيل التفكير التحليلي لأنها أساس معرفي لغير القادرين على التحليل والاستنتاج انطلاقاً من القراءة المباشرة فقط.

-عنصر تشويق، تحمل مضامين الخطاب، وتوضح أفكاره وتيسر فهمه، وتبسط المعلومات للأطفال..."(٥)

ولذلك لا بد من الاهتمام بالصورة التعليمية المنشورة في الكتب المدرسية والتجارية التربوية الموجهة للأطفال نظراً لدورها التعليمي المهم، فمهمة تكنولوجيا التعليم ليس

توهمت صورته، فتصور لى  
والتصوير: التماثيل، قال ابن الأثير: الصورة  
ترد في لسان العرب (لغتهم) على ظاهرها  
وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى  
معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا  
أي هيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته" (٨) وأمّا  
التصوُّر فهو: "مرور الفكر بالصورة الطبيعية  
التي سبق أن شاهدها وانفعل بها ثم اختزنها  
في مخيلته مروراً بها يتصفحها، وأمّا  
التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل  
فني، فالتصوُّر إذا عقلي أمّا التصوير فهو  
شكلي" (٩).

إن التصوُّر هو العلاقة بين الصورة  
والتصوير، وأداته الفكر فقط، وأمّا التصوير  
فأداته الفكر واللسان واللغة، والتصوير في  
القرآن الكريم، ليس تصويراً شكلياً بل هو  
تصوير شامل فهو تصوير باللون، وتصوير  
بالحركة، وتصوير بالتخييل كما أنه تصوير  
بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيراً ما  
يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات،

أن تكون ثنائية الأبعاد كالرسم والتصوير  
أو ثلاثية كالنقوش البارزة والتماثيل. كما أنها  
في أصولها الإغريقية واللاتينية ترادف أيضاً  
كلمة (أيقون- Icone) والتي يراد منها أيضاً  
المشابهة والمماثلة، وعليها بنى شارل  
سندرس بيرس صرح نظريته السيميائية،  
ليعتمدها اتجاهه كمصطلح مركزي لمقاربة  
الصورة.

ترجمت (Imago) في اللغة اللاتينية  
إلى (Image) في اللغة الإنجليزية واللغة  
الفرنسية مع اختلاف في النطق، ويعرف  
معجم  
(لاروس Larousse) و(روبيو Robert) أن  
الصورة هي إعادة إنتاج شيء بواسطة الرسم  
أو النحت... كما يشير إلى الصورة  
الذهنية (Imaginaire) المرتبطة  
بالتمثل (Representation) (٧).

### مفهوم الصورة:

① لغة: جاء في لسان العرب مادة)  
ص.و.ر) "الصورة في الشكل، والجمع  
صور، وقد صوره فتصور وتصورت الشيء

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

مختلفين في الطبيعة، لكنهما متكاملان في الوجود كما أن العلامة الأيقونة تشير إلى تركيب لمجموعة من العناصر المؤدية إلى إنتاج دلالة ما، فإن العلامة التشكيلية لا تستغل باعتبارها كذلك في حدود تأويلها ككيان حاملا للدلالات" (١٤).

□□ **المفهوم الكتاب المدرسي:** يشكل الوعاء الذي يحوي المادة التعليمية التي يُفترض أنه الأداة أو إحدى الأدوات التي تستطيع أن تجعل التلميذ قادراً على بلوغ أهداف المنهج المحدد سلفاً، وهو المرجع الأساسي الذي يستسقي منه التلميذ معلوماته أكثر من غيره من المصادر فضلاً على أن الكتاب المدرسي هو المستند الذي يستند إليه المعلم في إعداد دروسه، قبل أن يواجه تلاميذ في حجرة الدراسة، وهو الوسيلة التي تضم بكيفية منظمة للمحتويات، ومنهجيات التدريس، والرسوم والصور، فالكتاب المدرسي والمعلم مصدران أساسيان للمعرفة، وأهميته تكمن في العناصر التالية:

ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور (١٠).

② **اصطلاحاً:** يعرّف غريماس رائد السيميائيات السرديّة الفرنسيّة للصورة في معجمه السيميائي (القاموس المعلن لنظرية اللغة) يقول: "الصورة هي كل دال" (١١) وهذا التعريف هو الشائع في الدراسات السيميائية خصوصاً منها السيميائيات البصرية (Sémiotique visuelle) التي تتخذ الصورة موضوعاً لها، في حين رولن بارث يعيد المفهوم الأصلي للصورة والمشتقة من أصل (Imatiri) والتي تعني "التمثيل والمحاكاة" (١٢) وفي نفس الصدد يرى سعيد بنكراد: "أن القضية المركزية تتلخص في معرفة الطريقة التي تأتي من خلالها هذه الصورة إلى العين وتستوطنها باعتبارها نظير الشيء تقوم بتمثيلها" (١٣) وهذا معناه أن الصورة تشير إلى التشابه بينها وبين ما تحيل عليه أو تمثله، وهكذا يمكن القول: "أن الصورة تعد ملفوظاً بصرياً مركباً ينتج دلالاته استناداً إلى التفاعل القائم بين مستويين

□□ كتاب عمل التلميذ: هو كتاب يجسد الأنشطة والتمارين والمشاريع التي يمكن أن يقوم بها التلاميذ، أفراداً وجماعات لتعلم المنهج، وقد يتخذ كتاب عمل أو نشاط التلميذ أيضاً الصيغة التقليدية، حيث يكون واحداً لكل تلميذ خلال الفصل أو السنة الدراسية محتويًا على كثير من الأنشطة والأعمال القاعدية، والتي يديرها المعلم عادة وتهدف إلى توفير كثير من الوقت التدريسي أو قد يتبنى صيغة حديثة متمثلة بمجموعة من الشحنات أو الطاقات التي تخص نشاطاً أو عملاً سيقوم به أفراد التلاميذ أو جماعتهم الصغيرة عند تعلمهم لمفاهيم وخبرات المنهج (١٦).

□□ الصورة التربوية التعليمية: تعد الصورة التربوية التعليمية الموجودة في الكتاب المدرسي ضابطاً من أهم الضوابط التي يركز عليها الخطاب التربوي التعليمي قصد إقناع المتعلم والتأثير فيه، وإنشاء نوع من التواصل معه، كما يمكن القول أنه إحدى الوسائل الإقناعية التي تعكس المحركات في

-الكتاب المدرسي يلزم التلميذ خلال مراحل تدرسه، فهو المصدر الأساسي الذي يستقي منه في معظم الأوقات المعرفة.

-الكتاب المدرسي يحدد للمدرسين ما الذي ينبغي تدريسه للتلاميذ وكيف، فهو يشمل وتوزيع المواد، ووقت اللازم، والمنهجية المتبعة (١٥) ونشير إلى أنه بإمكاننا التمييز بين أنواع الكتب المدرسية التالية (كتاب المرشد-المعلم- وكتاب عمل التلميذ، وكتاب المرشد-المنهج-).

-الكتاب المدرسي ليس مجرد وسيلة، بل إنه جوهر العملية التربوية؛ لأنه يحدد المعلومات التي ستدرس للتلاميذ كما، وكيف، فهو يشكل سلطة علمية، لا يتطرق إليها الشك في نظر واضعيه، إذ يتجه التلميذ إلى قياس مكتسباته بما يقرأه في الكتاب المدرسي... وهو يترجم من وراء سلطته سلطة الجهات التي أقرته (١٦) سنركز على نوع من أنواع الكتاب المدرسي المذكورة سابقاً كونه محور الدراسة ألا وهو:

الساهرة على تأليف هذه الكتب، لأنها تتضوي على مجموعة من الألوان والأشكال غير محدود كما وكيفا(١٧).

الصورة التوضيحية **Illustration**: هي صورة توضح، وتضفي نوعاً من التشويق إلى الجزء المكتوب، وهناك أنواع عديدة من الصور التوضيحية يمكن إعادة إنتاجها من خلال عمليات عديدة فقد تكون الصورة التوضيحية لوحة مرسومة أو صورة فوتوغرافية، أو رسماً أو عملاً من أعمال الفنون التصويرية، كصورة محفورة مثلاً، وقد تُصنع من اللونين الأسود والأبيض أو مجموعة من الألوان، وقد تُستخدم الصور التوضيحية لمجرد التزيين أو لجذب الأنظار إلى قصة أو نص ما، ولكنها لا بد أن تساعد القارئ على فهم الكتابة أو لإيجاد خلفية بقصد إضافة الألوان إلى النص\*.

١ تاريخ الصورة التوضيحية: ظهرت الصور التوضيحية في المخطوطات العربية في مدرسة مصر في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وظهرت في المخطوطات العربية

العالم الخارجي بتلقائية وسهولة بواسطة البصر.

وهكذا كانت الصورة التربوية التعليمية تكثيفاً لمجموعة من الرموز والعلامات والدالة والقائمة على مشاهدة للعالم الخارجي؛ أي أنها إعادة إنتاج للواقع، مع العمل دائماً على تحويل الواقع من المجرّد إلى المحسوس، ومن غير المعقول إلى المعقول لأنها تلعب بإحساس المتعلم الذي ينساق وراء أفكاره وخياله، فنلمس من خلال هذا كله الدور الفعال الذي تقوم به الصورة الموازية للخطاب في الكتاب المدرسي في الاستتار والاستحواذ على انتباه المتعلم وأفكاره، باعتبارها نسقاً تواصلياً نتج عن مجموعة من العلامات والدالة لأن أول خطوة نقوم بها - مع المتعلم في الخطاب اللغوي والتربوية هو تأهيله نفسياً لاستقبال وتقبل الخطاب اللغوي، وبالتالي جلب اهتمامه نحو النشاط المعرفي التعليمي، فالصورة الموازية للخطاب اللغوي في الكتاب المدرسي تمنحها طابعاً دلاليّاً يتمشى مع مقصديات وخفيايات الأطر

الطباعة **ألبريخت فيستر** في بامبرج بألمانيا وكانت تُسمَّى الكتب الخشبية وقد أُطلق هذا الاسم على تلك الكتب لأن العمال استخدموا قطعاً من الخشب في الطباعة، وتُماثل هذه القطع الخشبية اليوم الحروف البارزة، وكان العمال الحرفيون يلوّنون الصور التوضيحية المطبوعة يدوياً، ومن النماذج الشهيرة لمثل هذا النوع كتاب (سفينة الحمقى) التي رسمها **ألبريخت دورير**، و(رقصة الموت) التي صورها **هانز هولبين** -الابن-

كانت الصور التوضيحية في هذه الكتب تُطبع على جانب واحد فقط من الصفحة، وكانت الصفحات الخالية تُلصق معاً لتعطي هذه الكتب الأثر التوضيحي المستمر، وفي أواخر القرن الخامس عشر توسّع عمال الطباعة في ألمانيا والبنديقية في استعمال الخشب المقطع الذي احتل المرتبة الأولى في تجارة المطبوعات.

فقد مزج **ألبريخت دورير** واحداً من أشهر رسامي الصور التوضيحية بين القدرة التقنية غير العادية في الحفر على الخشب وبين

التي وصلت إلينا كاملة من أعمال القرنين (١٢ و١٣) الميلاديين، مما يطلق عليه مدرسة بغداد، وكانت أغلب رسوم هذه المدرسة شرحاً للمتن وتوضيحاً له، وفي القرن ١٥م ظهرت الصورة التوضيحية في مخطوطات المدرسة التيمورية، ثم في القرنين (١٦ و١٧) الميلاديين في مخطوطات المدرسة الصفوية والمدرسة التركية.

عرفت أوروبا الصورة التوضيحية أول مرة فيما سمي المخطوط المضيء في العصور الوسطى، وشرع الرهبان يزينون المخطوطات بالذهب والفضة، وعندما طبع **جوهانس جوتنبرج** أول الكتب بطريقة الحروف المتحركة في القرن الخامس عشر الميلادي، بدت حروفها وكأنها مكتوبة بطريقة مخطوطات العصور الوسطى التي كتبت باليد، وقد تطورت الطباعة تدريجياً فيما بعد حتى وصلت إلى ما نعرفه اليوم.

ظهرت أول كتب تتضمن صوراً توضيحية مطبوعة في أواخر القرن الخامس عشر، ويعود الفضل في طبع هذه الكتب لعمال

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

وتحقيق الكفاءات المطلوبة منها وتنفيذها وتقويمها وتحديد مدى استيعاب التلاميذ لها، كما تسهم بالدفع للتلميذ إلى تقبل المادة الدراسية، وتحفيزه للإقبال على الدرس والتحصيل، فمهمة المدرس بوصفه قطباً في العملية التعليمية مسؤول بالضرورة على انتقاء الطرق الكفيلة التي تجعل الصورة تؤدي وظيفتها على أكمل وجه، فكلما كان المعلم على دراية بطرق اشتغال الصورة تريبوياً كلما ساعد ذلك في الرفع من مستوى الطفل على استيعاب المادة وتيسير التفاعل معها.

ويمكن بذلك تصميم صور توضيحية في الكتاب المدرسي، الذي هو رفيق المتعلم في صعود سلم التعلم، فالصورة تسهل العملية التعليمية حيث يشاهد، ويعبر، وينطق... هذا كله من خلال التكامل الحاصل بين اللفظ والصوت والصورة بفضل المعلم الذي يعتبر المنسق والموجه لعملية ليعطي معلومة متكاملة، إن الصورة تقوم بدور رئيسي في

شعوره بأنه يصنع أشكالاً لأشياء حية، فقد استخدم كلاً من الخشب والنحاس لحفر صور، وفي أواخر القرن السادس عشر استُبدل بالخشب الحفر على رقائق النحاس على أنه الوسيلة المفضلة لطبع الصور ومنذ ذلك الحين تقدمت طباعة الصور باستخدام أسلوب الطباعة، أما اليوم فالصورة تصنع إلكترونياً دون خشب ولا نحاس بل بضغطة زر أما الألوان والأشكال فهي غير منتهية في عالم الحاسوب، كما أنها أكثر تعقيداً وتعُدداً في الألوان بمقدار متطلبات العمل الأدبي وقد تم تصغير حجم الصور ثم طبعتها بعد ذلك بالحفر الفوتوغرافي (١٨).

نلمس أن المدرسة الابتدائية تفضلها-الصورة التوضيحية-لما لها من دور فعال في تطوير قدرات المتعلم خصوصاً في المدرسة الابتدائية، فقد أكدت التجارب واستطلاعات الرأي على أهمية الصورة في العملية التربوية، ونخص بالحديث الصورة في الكتاب المدرسي في المرحلة التحضيرية، إذ يمكن الاستفادة من الصورة في المادة المدرسة،

\* أن تمكن التلميذ من التركيز على جانب رئيس منها (٢٠).

التربية التحضيرية: لقد جاء تعريف التعليم التحضيري في الجزائر في الجريدة الرسمية، تحت رقم (٣٥-٧٦) الصادر بتاريخ: ١٦ أفريل 1976 بالمادة (١٩) كالآتي: "التعليم التحضيري تعليم مخصص للأطفال الذين لم يبلغوا سن القبول الإلزامي في المدرسة." (٢١) وأما في كتاب منهاج التربية التحضيرية كالآتي: "التربية التحضيرية تعني مختلف البرامج التي توجه له هذه الفئة." (٢٢) أي لفئة الأطفال الذين لم يبلغوا سن القبول الإلزامي في المدرسة وأيضاً: "التربية التحضيرية تسمح للأطفال بتنمية كل إمكانياته كما توفر له فرص النجاح في المدرسة والحياة" (٢٣) وهنا تعريف آخر للتعليم التحضيري هو: "هذا النوع من التعليم خصص للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الأربعة والستة سنوات - أطفال لم يبلغوا سن القبول الإلزامي في المدرسة الأساسية - ويمنح هذا التعليم التحضيري في المدارس العادية

حمل الرسالة التعليمية بحيث تجعل التعليم والتعلم نشاطين ناجحين فاعلين (١٩).

② خصائص مميزة: يعود كل ما سبق لتوفرها على الخصائص الآتية:

\* تحوي عامل تشويق وإثارة لاهتمام التلميذ لما يدرسه، وهي أدق من الألفاظ في التوضيح في حالات كثيرة.

\* تستطيع باستخدامها السليم أن تترك في نفوس التلاميذ أثراً يقرب من أثر واقع ما تصوره، تقرب البعيد زماناً ومكاناً.

\* تنمي قدرات التلميذ على الملاحظة والتفكير والتحليل، وتتيح له مجالاً للتدريب على ذلك، وتذكرهم بأشياء سبق لهم تعلمها.

③ معايير اختيارها: إن هذه الأهداف التي يمكن للمتعلم بلوغها من خلال توظيف الصورة لا تتحقق إلا إذا وعينا جملة من المعايير:

\* أن تكون الصورة واضحة.

\* أن تساعد على بلوغ الهدف من الدرس.

\* أن تزيد من معلومات التلميذ.

رسم مثلث أو مربع ورسم صورة بسيطة لشخص....

• يتميز الطفل بطول النظر، حيث يرى الأشياء الكبيرة أوضح من الصغيرة، والبعيدة أكثر من القريبة، أما حاسة السمع عنده تظل غير ناضجة حتى نهاية هذه المرحلة، فالطفل لا يتذوق اللحن المعقد ولكن تستهويه أصوات الطيور والحيوانات، كما أنه يحاول أن يلمس ويمسك بكل شيء بيديه ليتعرف عليه عن قرب، كما تستهويه الألوان الزاهية الجذابة، ويكون في كامل لياقته على مستوى الحركات الجسدية، فهو لا يتعب من اللعب لاحتواء جسمه على طاقة كبيرة.

② الخصائص المعرفية (العقلية): نلخصها في النقاط التالية:

• تتشكل مفاهيم الأساسية لديه مثلاً (الزمان، والمكان، والعد، والتركيز والانتباه...) وتوسع آفاق قدراته العقلية مما يجعله مستعداً للإقبال على التعلم وحبه للاستطلاع والاستقصاء ليصل إلى الحقائق تتكون له قدرة على حل

ضمن أقسام الحضانة، ورياض الأطفال، ويوم سنتين" (٢٤).

خصائص المرحلة العمرية (٥-٦) سنوات في الجانب التعليمي:

قبل تطرق إلى الجانب التعليمي نشير بشكل مختصرة إلى الخصائص (الجسمية-الانفعالية-الاجتماعية-المعرفية) نظر لترايط الحاصل بينهم وبين الجانب التعليمي:

① الخصائص الجسمية (الحركية): نلخصها في النقاط التالية:

• عجزه على ربطه وتزوير ملابسه، وذلك راجع إلى أن عضلاته الصغيرة لازالت لم يكتمل نموها بعد؛ فالطفل في التريبة التحضيرية لا يمكنه مسك قلم أو ملعقة مثلاً بين أصابعه بسهولة، فهو يستعمل يده كاملة في القيام بذلك ولكنه يتمكن من ذلك تدريجياً وبالتدريب (24) ولكن مع نهاية سن الخامسة يصبح قادراً على القيام بذلك، وتزداد قدرته على الاتزان الحركي مما يساعده ذلك على القيام ببعض الحركات مثلاً القفز، الجري،

عدة مرات، كما يمكنه أن يضيف إليه أشياء من مخيلته بكل إبداع وابتكار، فتراه يقص أشياء وكأنه عاشها ولكنه في الحقيقة من مخيلته فقط.

• إن أطفال هذه المرحلة ينغمسون في رؤية التخيل أو ينهمكون في لعبهم إلى درجة أنهم ينسون أنفسهم وكذلك من حولهم فإذا كلمتهم أو ناديتهم لا يعيرونك أي اهتمام لأنهم لا يسمعونك، إلى أن يشبعون رغبتهم من اللعب أو أي شيء آخر (28).

**③ الخصائص الاجتماعية:** نلخصها في النقاط التالية:

• ازدياد توجه الأطفال نحو العلاقات الاجتماعية، ومشاركة الآخرين أهمهم ومسراتهم (المشاركة الوجدانية) التي تختلف من ظرف للآخر كما تتغير بتغير الزمن (31) ويتميز بالود والتعاون والرغبة الصادقة في إسعاد من حوله، ويفضل صحبة الأطفال فهو في حاجة إلى رفاق في سنه (32) وتحدد درجتها بدرجة إدراك الطفل للموقف وفهمه له وخبراته السابقة والتوجيه

المشكلات لهذا فإنه بإمكاننا تكليفه ببعض المهام البسيطة.

• تزيد قدرته على التذكر، فطفل الرابعة والنصف بإمكانه أن يتذكر أربعة أرقام، ويكون تذكره للكلمات والعبارات المفهومة أحسن من تذكره للكلمات الغامضة بالنسبة له، كما تزداد قدرته على الحفظ، مثل حفظ الأغاني والأناشيد، وفي نهاية هذه المرحلة تصل ذاكرة الطفل إلى ما يسمى 'بالعصر الذهبي للذاكرة' (25) وبذلك فإنك أي شيء يعرفه الطفل يعتمد على ذاكرته وأدائه في المهمات المختلفة، ويمكن للوالدين في هذه المرحلة إثارة دهشة الأطفال، والقراءة لهم فيسأهمون في تطویر أبنيتهم المعرفية. (26) وهذا ما أكدته العلماء حيث رأوا أن "الطفل الذي تحيط به بيئة تثري عقله وتشحذ للعمل وتمده بالمعلومات، يكون لديه خلايا عقلية أكبر، ونشاط عقلي زائد... بإثراء بيئة الصغير، يمكن أن يكون له عقل واسع بخلايا مضيئة ومتوهجة، وعقل سليم كبير الفاعلية" (27) فطفل تسمعه يردد كلما يسمعه

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

مفيدة كما أنه أدرك أنها لا تلاقى استحسانا ممن حوله، وانفعالاته تلعب دوراً مهماً جداً في حياته وفي نمو شخصيته، فإذا عبر عنها بكل حرية دون أن نصده فستكون نتيجة ذلك إنسان سوي مملوء بالمشاعر النبيلة كما أن سيطرته على اللغة تساعد على الاعتدال في التعبير عن انفعالاته لأنه يكتشف في اللغة وسيلة جديدة للتعبير عما يشعر به من ألم أو سرور.

• يبدأ الطفل في الانفتاح على العالم الخارجي انطلاقاً من دخوله إلى المدرسة، وتكوين علاقات مع رفاقه مما يساعده على الشعور بالطمأنينة والتخلي قليلاً عن شدة تعلقه بوالديه، فسلوكه الانفعالي يتطور ويتكيف نتيجة عوامل متعددة يعود بعضها إلى عامل النضج وإمكانيات الطفل العقلية والجسمية وحاجاته وميوله المختلفة ويعود بعضها الآخر إلى التعليم والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل (٣٠) .

⑤ الخصائص اللغوية: نلخصها في النقاط التالية:

الذي توفر له في الأسرة وبدرجة التعاون أو المنافسة التي يشجعها المجتمع حوله.

• قابلية الطفل في هذه المرحلة للتكيف الاجتماعي وقدرته على التعاون والإسهام في فعاليات جماعية تكون قوية، كما أن له القدرة على القيام بأنماط عديدة من لسلوك بعضها إيجابي ومرغوب فيه وبعضها الآخر سلبي وغير اجتماعي.

• من الأمور الاجتماعية البارزة هنا أيضاً الصراع والقتال بين الأطفال في هذه المرحلة ويفسرها بعض المربين بأنها تفريغ للطاقة أو وسيلة من وسائل الذات، لهذا يلجأ الأطفال الذكور خاصة إلى تشكيل جماعة يضعون على رأسها زعيماً ويسنون لها دستوراً للقتال ويحددون طريقته (٣٣).

④ الخصائص الانفعالية (النفسية): نلخصها في النقاط التالية:

• تتميز انفعالاته بالاعتدال والهدوء بازدياد نمو الطفل العقلي واغتناء خبرته فيستغنى عن كثير من الحركات والتعبيرات الحادة لأنه اكتشف من خبرته أنها حركات غير

على تمييزها وتصحيحها. سنعرض بعض النقاط في هذا الجانب:

- يحسن الاستماع (الإصغاء) إلى الآخرين.
- يستخدم الكلمات الوصفية تلقائياً للأشياء والكائنات (كبير - صغير - ثقيل - خفيف - ناعم - خشن - سريع - بطيء...).
- يعرف صفات الأشياء كاللون والحجم والشكل، ويستطيع أن يعد من واحد إلى عشرة فأكثر.
- يستطيع استخدام صيغ التذكير والتأنيث لبعض المسميات للإنسان والحيوانات والطيور.
- يعرف صيغ المفرد والمثنى والجمع، وضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب، والأفعال في الماضي والمستقبل.
- يستطيع أن يتحدث بجملة مكونة من ست كلمات، كما تتسم أحاديثه بالترابط إلى حد ما؛ بحيث يستطيع أن يعبر عن أفكاره.
- يستطيع أن يقلب صفحات كتب الأطفال المصورة، يدرك تفاصيل صورة شاهدها في كتاب أطفال مصور.

• نلاحظ عليه أنه كثير الكلام، فهو يتكلم باستمرار دون توقف ودون تعب، فإذا أردت أن تسكته فإنه لا يستطيع ذلك لمدة طويلة كما أنه كذلك كثير الأسئلة إلى درجة أنه يتعب من حوله بأسئلته المتواصلة.

• يسهل عليه تعلم أي لغة أجنبية نظراً لما يتميز به من حسن استماع خاصة لكل ما يثير اهتمامه وذاكرته القوية، وتعرف هذه المرحلة بالعصر الذهبي للغة التي يكتسبها الطفل نظراً لالتقاطه لكل جديد من الكلمات وتكراره لكل ما يسمعه كثرة الأسئلة التي يطرحها (29).

**الخصائص في الجانب التعليمي (5-6) سنوات:** في هذا السن يكتسب الطفل العديد من المهارات اللغوية، ويختلف نمو مفرداته باختلاف محيط أسرته والظروف التربوية التي تهيأ له في المنزل والمدرسة ومع اعترفنا باختلاف الظروف والبيئات للأطفال فإن الطفل بشكل عام عندما يدخل المدرسة الابتدائية يتمتع بحصيلة لغوية جيدة يجب أن يعمل المعلم

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

عتبة (Seuil) أساسية تحدد وظيفة الكتاب وأنشطته، فمن خلاله تتجلى جوانب جوهريّة تحدد الدلالات العميقة للكتاب كتب على الغلاف (تعلّماتي الأولى - دفتر الأنشطة اللغوية للتربية التحضيرية) - يوحى بأنه أول خطوة يضعها هذا الكتاب في مشوار التعلم كما أنه يحدد تخصصه في الأنشطة المتعلقة باللغة في التربية التحضيرية المرتبطة بسن (5-6 سنوات) المكتوب في الحاشية اليسرى والسفلى للكتاب أهم شيء هو أنه تخصص في اللغة وآلية تناولها عبر الصور التوضيحية التي أوكلت لها وظيفة التعلم انطلاقاً من فعاليات (القراءة والتخطيط والكتابة) كل هذا كتب على غلاف جسدت عليه لوحة تحمل في طياتها الكثير من الومضات تركز على أهمية التعلم لجميع الأنشطة كـ (اللغة - الرياضيات - الرسم - الأشغال اليدوية - الموسيقى...) أو بالأحرى النشاطات (اللغوية - العلمية - الفنية...) التي سيتعلمها في المدرسة انطلاقاً من السنة

• يستطيع أن يسلسل أحداث قصة سمعها، أو شاهدها من خلال الصور.

• يعرف متى يقول: (من فضلك - لو سمحت - أشكرك - آسف) ينطق حوالي 85% من كلماته نطقاً سليماً.

• يستطيع أن يقرأ ويكتب جميع الحروف الهجائية، كما يستطيع أن يقرأ بعض الكلمات المكونة من حرفين أو ثلاثة حروف. (34)

ينظر صورة رقم 1

### كتاب تعلّماتي الأولى:

لنحاول إذن قراءة واقع الصورة التوضيحية في كتاب تعلّماتي الأولى (دفتر الأنشطة اللغوية للتربية التحضيرية) من التعليم الابتدائي، لنقف على حجمها ونوع حضورها، وآليات اشتغالها، وإمكانية تحقيق الأهداف المرجوة منها: الصورة في الكتاب المدرسي: (الجانب الوصفي) قبل الانطلاق في تقليد صفحات الكتاب إن أول خطوة تُقدم عليها من أجل ولوج عالم الكتاب المدرسي - المضمون - وجب علينا أن نقف على عتبة العنوان أولاً؛ حيث أنه يشكل

مساعدة الطفل على الاستئناس بالمكتوب من خلال التمييز البصري والتمييز السمعي والربط بين الحرف والصوت، وفي النشاط التخطيط والكتابة: يستهدف هذا النشاط تمارين متنوعة تسمح للطفل بالتدرب على رسم خطوط وأشكال محددة تساهم في إكسابه المهارات الأساسية للكتابة بأدوات متنوعة وملائمة، لتتضح لنا الاختيارات والتوجهات التربوية المتعلقة بمضامين يرصدها الدفتر في النقاط منها:

\* اعتماد مبدأ التكامل والتنسيق بين مختلف المعارف وأشكال التعبير، فيتحدث الفريق التربوي عن مراعاة مبدأ التنويع في المقاربات، وتقنيات تفعل المضامين والوسائل التعليمية.

\* والحديث عن منهجية تقديم النصوص القرائية يعتبر الدفتر مدخلاً سيميولوجياً يمكننا عبر إدراك العلامات غير اللفظية، وتأنيث بياض النص إدراك الكفاءات التي تبتغى من القراءة والكتابة بلوغها، ونجد الكفاءة المنهجية

التحضيرية، في هذا السن يكون الطفل كتاب مفتوح على عتبات التعلم والتدريس...

### ① الصورة في وعي الفريق التربوي: بعد

ولوح صفحات الكتاب؛ نقوم بعملية بحث في وعي مؤلفيه على الأقل المصريح به عن المكانة التي تبوأتها الصورة في مشروع تأليفهم هذا الكتاب المدرسي. ورد في تقديمه، أثناء الحديث عن كتاب التلميذ: إن الدفتر موجه لأطفال التربية التحضيرية (5-6 سنوات، قد اعتمد تمارين متنوعة مهيكلة بحيث تعالج التعلّقات القاعدية، فإنه أيضاً قد وظف رسوماً وأشكالاً تأخذ بعين الاعتبار محيط الطفل الاجتماعي والثقافي مع تحديد وضعها على الصفحة بكيفية بيداغوجية هادفة ملائمة، نلخص من تقديم المطروح بالكتاب، أن موضوعاته جاءت لاستحثاث دافعية القراءة والتخطيط والكتابة معاً، والتي لم يعد لها فقط دور التزيين والترويح عن العين، بل أضحت جزءاً من تضاريس النص، ما يؤكد جزئية تقديم التمارين في نشاط القراءة مثلاً يستهدف هذا النشاط

الحضور الكمي: لا شك أن متصفح الدفتر يلحظ بغير عناء تطور حضور الصورة المصاحبة للنشاطات والأهداف المبتغاة، الذي نحصي فيه ثلاثة وستين بعد المائة، تصاحبها خمس وثلاثون شكلاً، منها تسع وتسعون في النشاطات القراءة، وأربع وستون في التخطيط والكتابة، بينما تتعدم الصورة في بعض الصفحات المتعلقة بالقراءة، ومعظم هذه الصور على شكل رسومات (رسم يدوي) تقدم في كامل الصفحة بدون تعليق كمرحلة مبدئية ليتطور الأمر إلى الحروف وقراءتها... وتأتيها بسؤال محدد وبسيط تستحث ولوج عوالمها واتخاذها منافذ للقراءة أو الكتابة أو التخطيط، لنأخذ على سبيل المثال لا على سبيل الحصر نماذج تسمح لنا بالإجابة على التساؤل المطروح في بداية هذه المقال:

### ② نماذج من الصور التوضيحية بين الوظيفة والفاعلية:

● **الوظيفة:** إن كل صورة تحمل في طياتها خطاباً أو رسالة معينة، ووضع صورة

متضمنة عدة نقاط أبرزها تنمية مهارات الإدراك البصري والسمعي للنص.

\* ويضع الدفتر للقراءة الوظيفية مجموعة أسس منها التأكيد على أن المتعلم لا يستقبل النص سلبياً بل يلتقط قبل قراءته مؤشرات وعلامات...

\* تساعد على تكوين فرضية أولى لقراءة النص، وأثناء بسط خطوات الإنجاز يقترح الفريق التربوي في مرحلة (اكتشاف النص) مجموعة أنشطة، منها استثمار مشاهد النص بما يساعد على وضعه في إطاره المناسب، وحين يواصل الدفتر في تقديم جملة من التوجيهات، دعا إلى اهتمام الطفل بالمعينات الواردة فيه ومنها الصور (٣٥).

هذه جملة النصوص والإشارات التي تبين مدى حضور الدور التعليمي للصورة في وعي الفريق التربوي أثناء وضعه لدفتر الأنشطة اللغوية للتربية التحضيرية، فلننظر كيف انعكس هذا الوعي من خلال ثنائية (الوظيفة والفاعلية) على صفحات الدفتر، وحضور الصورة في الدفتر:

المكتسبات اللغوية وتنظيم لغته، وإكسابه ما يحتاجه من ألفاظ وصيغ للتعبير عن أفكاره ومشاعره، ترجمه العنوان الرئيس (تعليماتي الأولى) وهذه التعليمات على رأسها اللغة التي تعتبر في التربية التحضيرية من أهم الأنشطة بها، كونها أداة اتصال وتواصل والتي ترسمها أنشطة كـ (التعبير الشفوي، القراءة والكتابة) مما سبق وبالاعتماد على وظائف اللغة التي قال بها هاليداي سنربط الوظيفة المتعلقة بالصورة التوضيحية بوظائف اللغة ومدى الفاعلية النشاطات اللغوية في تحقيقها يرى كلين أن اللغة تخدم ثلاثة أدوار هي:

\*التواصل والتفاعل مع الآخرين.

\*تسهيل عمليات التفكير.

\*تسهيل عمليات استدعاء معلومات خارج نطاق مخزون الذاكرة." (٣٧)

ولذا سنحاول في هذه الصفحات تحليل بعض الأمثلة من الصور التي حوaha الكتاب (تعليماتي الأولى) للسنة التحضيرية من

مصاحبة لنص ما الكلمة، والحرف، والقصة... فكل صورة سواء في الكتاب المدرسي أو غيره لا بد أن لها مغزى معيناً أو إيديولوجية مقصودة تهدف إلى غاية، ولكن المثير للانتباه هو كون الصور أحياناً تمرر رسائل غير مقصودة من الواضع لم تخطر له ببال فعلى الدارس المتأمل في هذه الأداة التربوية أن يستنبط دلالاتها، وأن يكتشف ما وراء الأكمة. (٣٦)

● **الفاعلية:** بعد استقراء الصور التي حوaha كتاب (تعليماتي الأولى) تبين لنا أن الصورة لها فاعلية لغوية إيجابية التي تسمح بتعلم اللغة واكتسابها ومن ثمة استعمالها للتواصل مع الآخرين، ومدّ جسر التواصل وبين المعلم والمتعلم في المواقف التدريسية، وكذا الأنشطة التطبيقية التعليمية، هذا الجسر الذي كانت لبناته لغوية محض على اعتبار أن الكتاب كان خاص بالأنشطة اللغوية. سننطلق من كون أن الدفتر متعلقة بالنشاطات اللغوية؛ أي الكفاءة العامة التي بني عليها هذا الدفتر هي: تثبيت وتعزيز

التوضيحية في الدفتر انطلاقاً من: ينظر

## صورة رقم ٢

أعرف بشخصيتي -أقدم نفسي-

●**الوظيفة:** هذه الوظيفة التي ترجمتها العديد

من الصور التوضيحية في الدفتر، انطلاقاً

من صورة رفع العلم الذي يكون في الفترة

الصباحية في الدقائق الأولى من دخول

المدرسة، بعد دق الجرس يتجمع التلاميذ في

صفوف منظم ومرتب حسب السنوات ويتقدم

تلميذان أحدهما يحمل العلم فوق كفيه للقيام

برفع العلم على السارية وفي جو يتسم

بالاستعداد والوقار والصمت ينشد التلاميذ

النشيد الوطني والعلم يرفع شيئاً فشيئاً كل هذا

على مرئى من تلاميذ قسم التحضيري ليلتقوا

بهذا العمل اليومي في صورة جسده-

الصورة(أ)-ليقابلها في الكتاب صورة خريطة

الوطن الجزائري كخلفية بألوان العلم الوطني

كتب النشيد الوطني عليها في أربع مقاطع -

الصورة(ب)-لنجد في الصفحة الموالية نشاط

سمي ب-(أقدم نفسي) جاء في دائرة على شكل

مقاطع تحمل الكلمات(عمري طولي وزني-

التعليم الابتدائي وسيكون التحليل عبر

مرحلتين اثنتين:

١. **وظيفة:** وذلك عن طريق ذكر مكوناتها

بشكل وصفي، ثم تحليل محتوى الصورة

وعلاقتها بوظيفة اللغوية ارتبطت بها، لهذا

سنختار ستة وظائف عبر إسقاط وظائف

اللغة على الصورة التوضيحية.

**فاعلية:** التي تركز على تعليم اللغة-العربية-

والتي تعتبر إحدى الكفاءات في التعليم؛ لأنها

وسيلة أساسية للاتصال مع الآخرين، وكذلك

تتمية المحادثة واستعمال الدارسين هذه اللغة

وعدم الخوف من الوقوع بالخطأ، لذلك من

واجب المدرس أن يشجع الدارسين على

التعبير والمحادثة والكتابة والرسم مهما كانت

الأخطاء؛ لأن الخوف من الخطأ في تعليم

اللغة العربية يعتبر عيباً.

**أولاً: الوظيفة الشخصية:** تشكل اللغة لأي فرد

إثبات الهوية من خلالها يعبر الفرد عن

مشاعره واتجاهاته وآراءه وأفكاره ومعتقداته

نحو المواقف والمواضيع المتعددة" (٣٨) هذه

الوظيفة التي ترجمتها العديد من الصور

يتم اكتساب المعارف والخبرات وتحقيق الفهم من خلال التساؤل حول العديد من الظواهر التي نواجهها في حياتنا اليومية" (٣٩) نرى كيف تعامل الدفتر مع هذه الوظيفة؟

● **الوظيفة:** سنعرض للمفردات من خلال الصور التوضيحية-المختارة-التي وردت في الدفتر مألوفة يستعملها الطفل في حياته اليومية وهي ضرورية لفهم محيطه بمختلف مكوناته...التي تم عرضها وفق محاور معينة كـ(المدرسة، البيت، الشارع، الخضر والفواكه، الحيوانات، المهن...جسنتها صور توضيحية تسعى إلى ربط العلاقة بين هذه المفردات والصورة يتعرف الطفل على بعض الكلمات المألوفة(كلمات مألوفة، جمل بسيطة)يربط بين الصور المتشابهة ثم الكلمة والصورة، يقابل بين الكلمات المتشابهة، شملت هذه الصور التوضيحية المختارة- نماذجاً-تلك الوظيفة الحاملة في طياتها استكشاف الأشياء التي وردت في صفحات الدفتر كـ(سبورة- الهاتف- صحن-إشارات ضوئية-عنب-أرنب...أين يعتمد الطفل في

عنواني-اسم مدرستي)ليتوسطها مقطعين متقابلين بهما كلمتين(لقبي-اسمي)برفقة إطار مستطيل كتب بداخله(صورتني)- الصورة(ج)-لمس من هذه الصور التوضيحية ما مدى أهمية الوظيفة الشخصية في تقديمها للطفل أهم الثوابت الوطنية(العلم الوطني-النشيد الوطني-الألوان الوطنية...والثوابت الشخصية(صورتني-اسمي-لقبي-عمرى...).

● **الفاعلية:** تركز على تعزيز وترسيخ مبدأ الانتماء الذاتي والجماعي، وكذا بناء القدرات المتبينة لسلوكيات الشخصية الإيجابية والتكيف الاجتماعي والمواطنة، من أجل التعايش والتعامل مع الآخر تترجم هذه الفاعلية عبر اكتساب القدرة على التعبير وتقديم نفسه-الطفل-للآخرين وبالتالي تعزيز الثقة بالذات وتعميقها من خلال التطبيق(الوقوف لتحية العلم- وإنشاد النشيد الوطني- وتقديم نفسه).

ثانياً: **الوظيفة الاستكشافية:** تعدّ اللغة إحدى وسائل التعلم والاستكشاف حيث من خلالها

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

ومعروف لدى الطفل(البيت، المدرسة المطبخ...)وبألوان تستجيب لميول الطفل ورجباته واهتماماته.

ولعل فاعليتها تتركز في تقوية مهارات الإنصات(الاستماع)فمن المهم أن يستمع الطفل إلى لغة سليمة حتى يتحدث بلغة سليمة، فالنموذج اللغوي الذي تقدمه المريية مهم جدا، سواء كانت لغتها التي تحدث بها الأطفال، أو ما تختاره لتقرأه عليهم ويمكن الاستعانة بمسجل ليسمع الأطفال صوت المريية وطريقة لفظها للحروف والكلمات،وكذلك يستمعون إلى أصواتهم وطريقة حديثهم ونطقهم للكلمات وهناك حروف في الأبجدية مثل(السين، الصاد، الذال...)يحتاج الطفل إلى العديد من الحصص التدريبية-لغة الشفوية-التي تعتمد على الاستماع لتنمية القدرة على التمييز بين أصواتها وطريقة نطقها، كما يُدرب الأطفال على التمييز السمعي بين أصوات الحركات الفتحة،الكسرة، الضمة، ويمكن تحديد أهداف التحدث والإنصات على النحو التالي:

ذلك على التمييز البصري والتميز السمعي حيث يتدرج محتواه-الدفتر من صور إلى كلمات وجمل ونصوص قصيرة وحروف، ونجد قصة تروي(الصورة ٢٨)التي تحمل عنوان(الشمس والريح)وبين طرفين العنوان صورة الشمس بألوانها وشكلها والريح بألوانه وشكله-المفترض-ليضم الوسط الصفحة الحوار بين هذين الطرفين لتنتصر الشمس بالحكمة واللين على الريح رمز القوة والشدة، ونجدها قصة مقتبسة من قصص عالمية، مع العلم أنه على المعلم قراءتها بطريقة توجي بحركة الشمس والريح من خلال الأصوات والحركات الموحية لجلب انتباه الطفل، واحتواء تفكيره في عملية استكشاف المطلوب في جو قصصي ممتع. ينظر صورة رقم ٣.

●**الفاعلية:** هذه الصور التوضيحية من خلالها يكتشف الأشياء التي تحيط به ويتعامل معها انطلاقا من نطق أسمائها ودورها وموضعها مع العلم أنه يعرفها من خلال اللغة الأولى(الدارجة)ولتسهيل اكتشافها وإدراكها يتم وضع الصور في سياق معين

الظواهر الطبيعية...بالإضافة إلى بعض التجارب البسيطة التي يجربها الأطفال في غرفة الفصل مثل التجارب المرتبطة بمفاهيم كتصنيف الأشياء حسب الوزن، الطعم...

ثالثاً: **الوظيفة التنظيمية:** تؤدي اللغة وظيفة الفعل والتوجيه العملي لسلوك الآخرين من خلال التعبير اللغوي عن الطلبات والأوامر والتعليمات" (٤٠) سنأخذ نموذجاً على ذلك من خلال تبيان أثر الصورة في هذه الوظيفة المهمة في حياة الطفل: ينظر صورة رقم ٤

• **الوظيفة:** هذه القصة مقتبسة من القصة البراقة لزينة زين كما هو موضح في آخر الصفحة- جاء محتوى القصة يحمل في طياته الوظيفة التنظيمية عبر توجيه سلوك الطفل اتجاه الحيوانات الأليفة (الهرة- الكلب- البيغاء- السمكة) التي رسمت مقابلة لصورة هاني الذي يحب هذه الحيوانات ويتحدث عنها بطريقة مختصرة ويذكر فضلها عليه من خلال ما تمنحه من حماية كالهرة التي تصطاد الفئران لتخلصه من شرها، والكلب

\* نمو المفردات اللغوية التي يحتاجها الطفل للتعبير عن الأشياء والأفعال و الأحاسيس التي يشعر بها.

\* اللفظ الصحيح للكلمات و النطق السليم للحروف. التكلم في جمل سليمة غير مبتورة.

\* اكتساب مهارة ترتيب الأفكار ليفهم السامع معنى الكلام. مهارة الاتصال بالآخرين.

وذلك اكتشاف الظواهر الكونية والكائنات الطبيعية ومفرداتها، التي يشاهد في حياته اليومية كظواهر الحرارة والرياح التي تساهم في تقريب الطفل من الحقيقة والواقع بالانغماس بين صراع الخير والشر والانتقال تدريجياً من عالم محدود إلى عالم متسع لا حدود له، وهكذا يتم اكتساب المعرفة الموضوعية من خلال الأحداث والأفكار الخيالية والتفاعل معها في العالم المحيط به.

إن المفاهيم والمهارات العلمية المناسبة لطفل التربية التحضيرية ترتبط بصفة أساسية بحواسه وبملاحظته الشخصية التي يكتسبها من خلال خبرات مباشرة وتفاعل حقيقي مع الأشياء في الطبيعة كـ (النباتات، الحيوانات،

ترجمتها الصورة المقابلة (ص ٧١)، وتنمية اتجاهات الرفق بالحيوان والعناية به، وتعميق هذه المفاهيم من خلال التطبيق الموجود في أسفل الصفحة في الإطار الفراغ الحيوان الذي يفضلُه هاني (السؤال المطروح) والحيوان الذي تفضله أنت أي الطفل (السؤال المطروح). يكتسب الطفل مهارات علمية من خلال استخدامه للأشياء والأدوات كما ينمي اتجاهات فكرية مثل حماية الحيوانات بالإضافة إلى الاتجاهات والعادات المرتبطة بالتعايش والغذاء والنظافة الشخصية ونظافة البيئة.

**رابعاً: الوظيفة الرمزية:** تعد اللغة أداة للتعبير عن المفاهيم والموضوعات والأشياء، إذ إن الألفاظ اللغوية التي نطقها على الأشياء هي بمثابة رموز اصطلاحية للدلالة على المفاهيم المادية والمجردة في البيئة المادية والاجتماعية التي يتفاعل معها، وبهذا تشكل إحدى أدوات الفكر الهامة في حياة البشر. (٤١)

لوفائه ومحبته وأمانته، واللبغاء الذي هو مصدر تسلية وضحك، والسمة التي يتمتع بجمالها ورشافتها في الماء ليتواصل حبل المحبة إلى السلحفاة في وسط صفحة مؤطرة بألوان زاهية، لتليها صفحة (الصورة ٧١) تحمل صورة هاني مع حيواناته الخمس رسمت بطريقة بسيطة ومع ألوان ملفت للنظر الطفل وهناك علاقة وطيدة بين العنوان والصورة؛ فهاني طفل يحب هذه الحيوانات الأليفة التي تعيش معه في البيت.

**● الفاعلية:** تكمن في توجيه سلوك الطفل عبر أوامر وتعليمات بطريقة غير مباشرة من خلال الخلفية الدينية والإنسانية عبر الرفق بالحيوان الموصى به في جميع الأديان والدين الإسلامي خصوصاً، وكذا زرع وتحييد إليه الخصال الحسنة كـ (المحبة- الوفاء- الأمانة... ) ونلمس التركيز على فاعلية التعبير عن مشاعره وأحاسيسه بحرية اتجاه الحيوانات وبمعنى آخر إتاحة الفرصة للطفل للتعبير عن انفعالاته و أحاسيسه والتخلص من بعض أسباب التوتر النفسي التي

التجريب وتوظيف القوة الحركية له. ينظر  
صورة رقم ٥

● **الفاعلية:** تركز هذه الوظيفة على فاعلية  
تتمية قوة إدراك العلاقات لدى الطفل حتى  
يتسنى له التعامل مع الرموز على أنها خارج  
الكيان الشخصي للطفل بل لها وجود  
موضوعي هذه الحروف فمثلا (الإبرة-  
السحاب-سمكة-شجرة...) بحيث أنها تتطور  
لإنتاج كتابي تسمح له بالسيطرة على هذه  
الكينونة (اليد-الأصابع). عبر فاعلية التحكم  
التدريجي في حركات اليد والأصابع والتآزر  
الحركي البصري يمكنان الطفل من  
استكشاف نشاط التخطيط المتمثل في ثلاث  
أبعاد متلازمة هي: الرسم، التخطيط، الكتابة،  
قد ينطلق الطفل من الحروف بدايةً كأنها  
رموزا وبعد حين تصير حروفا يكتبها ويقراها،  
ويشكل عبر ربط هذه الحروف كلمات  
وجملا مفيدة؛ وبالتالي تتمية العمليات العقلية  
المختلفة، وتُتمى هذه التجارب في الأطفال  
مهارات معرفية عملية أساسية أهمها:  
الملاحظة، الفهم والاستنتاج واستعمال القلم

● **الوظيفة:** بفضل ظهور الفكر الرمزي ونمو  
التفاعلات اللفظية التي تتم بينه وبين  
الراشدين يكتشف الطفل قدراته على التعبير  
والتواصل بوسائل أخرى غير اللغة  
المنطوقة (الرمز)، وذلك من خلال الآثار  
والتخطيطات التي يتركها على مختلف  
الفضاءات نتيجة نمو قوته الحركية التي  
أصبح قادرا على توظيفها بأكثر دقة وتعتبر  
هذه المرحلة هي الأولى نحو الإنتاج  
الكتابي؛ انطلاقا من نشاط الكتابة نجد أن  
هناك مهارات ممهدة لعلمية الكتابة مثل  
الرسم الخطوط الرئيسية (الأفقية، المنحنية،  
المنكسرة) بدون قيود أي ليس على أسطر أو  
داخل مربعات ولكن بشكل حر لتتمية  
المهارات الدقيقة لأنامل اليد وتحقيق التآزر  
العضلي بين حركة العين واليد عبر تقليده-  
الطفل لهذه الأشكال، كمرحلة مبدئية ثم يلتقي  
مع كتابة كلمات لكن كصورة رمزية يعرفها  
الطفل الإبرة (أ) - الليمون (ل) ويشكل حروفا  
بالعجين كمرحلة انتقال من الاستطلاع إلى

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

مصدر استنارة أطفال التربية التحضيرية، وملائمة أكثر لميولهم وتستجيب لحاجاتهم، فقدمهم شغوفين دائماً بسماعها، يتوحدون مع أبطالها، يعايشون أحداثها ويتأثرون بمحتوياتها، فعن طريق القصة تقدم الأفكار والتجارب في شكل معبر ومشوق عن طريقها كذلك نثري الرصيد اللغوي للطفل وتحببه في القراءة وتزوده بالأساليب اللغوية الصحيحة.

ويحمل كتاب التحضيري خمسة قصص (٥) كالاتي: (العنزة والذئب- الشمس والريح- الدجاجة وحبّة القمح- الحمار والذئب- هاني والحيوانات الأليفة) جاءت القصص مطابقة لعنوانيه توزعت في ثنايا الكتاب جسديتها ألوان متعدد واضحة المعالم في إطار بارز وبخطوط غليظة أغلبها مقتبس من قصص عالمية بلغة بسيطة وسهلة القراءة، وفي الختام يتم تقويم استيعاب الطفل من خلال التمارين البسيطة التي تطبق حول القصة المقروءة (القص واللصق الرسم، التخطيط،

والمسطرة، إدراك العلاقة بين الأشياء...إلى جانب هذه المهارات المعرفية اكتساب الأطفال المهارات الحركية مثل التوازن والتآزر وإصابة الهدف، وتقوية أجهزة الجسم المختلفة.

**خامساً: الوظيفة التخيلية:** تعد اللغة أداة للتسلية والترفيه والهروب منا لواقع نتيجة الضغوط النفسية والمتاعب التي يواجهها الفرد في حياته اليومية نظراً لكثرة المطالب، كما يمكن استخدامها لترجمة الخيال ممثلاً في القصص... التي تعكس الأحاسيس والتجارب الشخصية، والتخيل عملية عقلية تعتمد على تكوين علاقات جديدة بين خبرات سابقة بحيث تنظم هذه الخبرات في أشكال وصور جديدة لم يألفها الفرد من قبل والتخيل يصل بين ماضي الطفل وحاضره ويمتد إلى مستقبله ولذلك فهو أساس للإبداع الفني والابتكار والتكيف مع البيئة. (٤٢)

● **الوظيفة:** تسيطر القصة على الدفتر نظراً لأنها لون من ألوان آداب الطفل، وتمثل

استعمال الأنماط اللغوية والصيغ والتراكيب المختلفة، وتنمية مهارة الإصغاء والأهم تنشيط الخيال وتقصص شخصيات القصة والتسلية والمتعة النفسية التي يوفرها موضوع القصة. ختاماً بعد هذه الجولة في كتاب التحضيري (تعليماتي الأولى) الذي حولنا من خلاله دراسة التلازم الحاصل بين الوظيفة والفاعلية في صفحات معدودة، توصلنا إلى أن إذا كانت لغة التعليم هي مختارات توافق بين اللغة اللفظية الفونيمية الشكلية واللغة البصرية الحسية الحاصلة عن المشاهدة فهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للريبة على أنه من الضروري أن يكون الاهتمام بها؛ أي بتكنولوجيا الصورة. محاكاة الأهمية التي تحظى بها اللغة الشكلية من تنظيم وتأسيس، ذلك لأن الصورة يمكنها أن تقوم بدور رئيس في توجيه الرسالة التعليمية وتنظيم الشبكة المعرفية، بحيث يغدو التعليم والتعلم مهارتين فاعلتين داخل الحقل التربوي. فالصورة التوضيحية -إذا- أساسية في مجال التربية والتعليم ولذلك لابد من تفعيل العملية التربوية

● **الفاعلية:** القصة على اختلاف أنواعها تحمل مضمونا لغوياً، دينياً... ومنها قصص الحيوان التي تلقى رواجاً كبيراً بين الأطفال لأنهم يتعلقون بسهولة بشخصيات هذه القصص ويحبونها ويتحيزون إليها ويرجع ذلك إلى المتعة التي يجنونها في تقمص أدوار هذه الحيوانات كما تتيح لهم الفرصة ممارسة التخيل والتفكير دون عناء وذلك لبساطة أحداثها وسهولة ألفاظها، ويمكن للمربية أن توجه بعض الأسئلة لهم لتنمية الملاحظة ومساعدة الأطفال على التحدث والتعبير كما أن قراءة القصص على الأطفال تزيد من قدرتهم على تكوين الجمل للتعبير عن الأحداث، ويستحسن أن تكون لغة القصة بسيطة يمكن للأطفال استخدامها في تعبيرهم عن الأحداث عندما يطلب منهم ذلك، ويمكن سرد القصة على الأطفال باستخدام الدمى والحركة والتمثيل، ونجد فاعلية تتشعب بين جوانب عدة؛ منها الإثراء الرصيد اللغوي للطفل والتدريب على

التعليمية وتوطيدها بالصورة على اختلاف أشكالها وأحجامها، حتى تستطيع أن ترسخ في ذاكرة المتعلم مالا تستطيع اللغة الحرفية الشكالية أن تبقية، وإجمالاً فهذا الموضوع الحساس في حاجة إلى مزيد من الدراسات المستفيضة، وبحثنا هذا خطوة متواضعة في هذا الباب قد اعترأها قصور كبير، وهي غييض من فييض ورحم الله الحريري إذ قال: وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدِّ الْخَلَا \*\*\* فَجَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا.

الملاحق :

صورة رقم ١



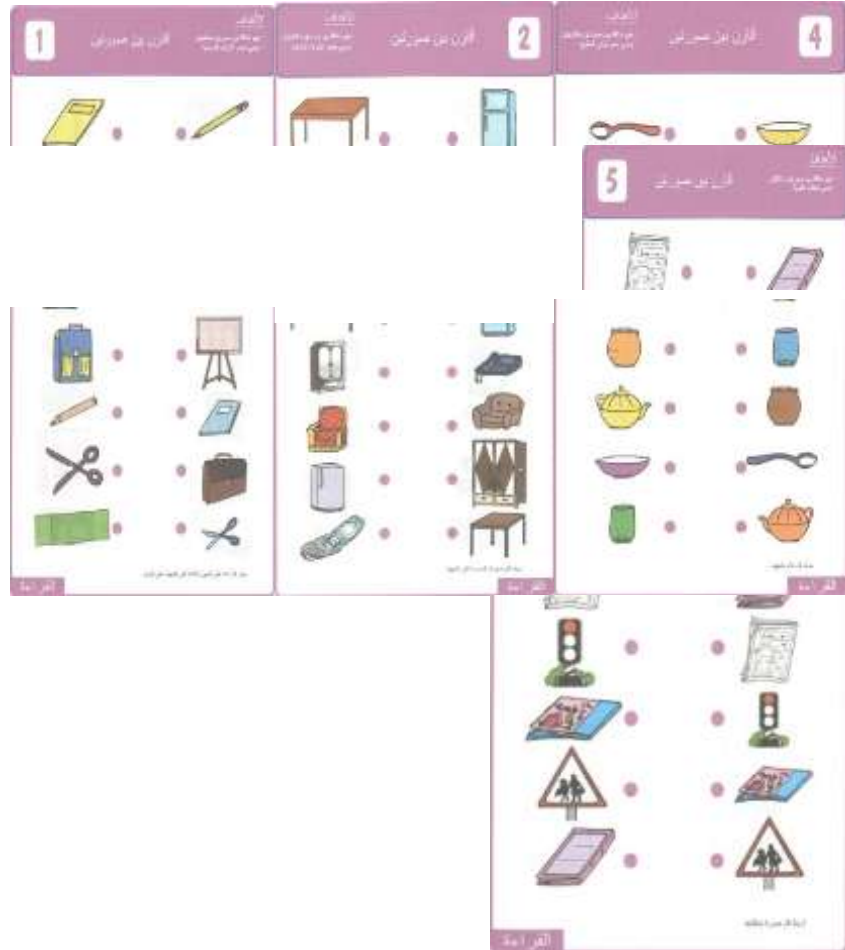
الصورة (١): توضح واجهة كتاب تعليماتي



الصورة (ب): النشيد الوطني الجزائري

الصورة (أ): الأداء الحركي لرفع العلم الوطني

الصورة (ج): أعرف بشخصيتي -أقدم نفسي-







## الشمس والرياح

# 28

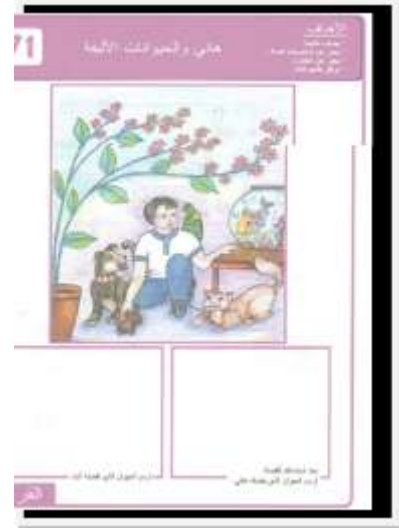
### ذَاتَ يَوْمٍ تَقَبَّتِ الشَّمْسُ مَعَ الرِّيحِ، وَتَحَاوَرَا فِي أَيِّهِمَا أَنْفَعُ:

### الهُدُوءُ أَمْ الْقُوَّةُ؟

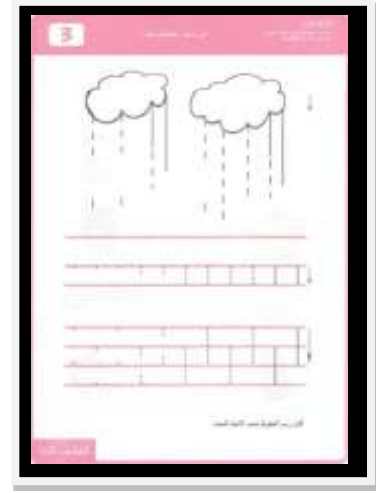
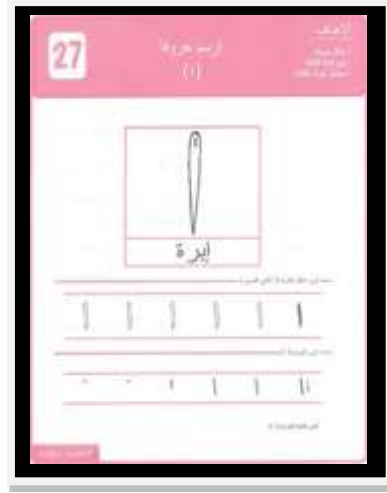
فكانت الرياح . أما الضميمة فكانت على حذوهم بقدرة وتكبير .  
 فصاروا ألقوا الضميمة كعبت أثيراً أقرت تلك الغابة على ذلك التابوت .  
 وأخذت كرسيتهم ويحدها والمضيفة بقوة تفرح أقرت تلك الغابة على .  
 جهداً يتحاشون ويتحاشون كلما أمتدوا الضميمة .  
 فأخذت الرياح يهرجتها .  
 فكانت الضميمة . أتصلح أنت الضميمة برفق وتكبير .  
 وتذاتت كرسيتهم الضميمة كرسيتهم . فأخذت أقرت الغابة بالخرابة  
 كل كرسيتهم وتحفظون من كرسيتهم .  
 وهكذا الضميمة الضميمة والأيام على الحذو والقرابة .

مقتبسة من قصص حالمية .

صورة رقم ٤



الصورة (٧٠+٧١): آلية تنظيم العلاقة بين الإنسان والحيوانات الأليفة





الإحالات:

(1) ينظر: شاكِر عبد الحميد، عصر الصورة السلبية والايجابيات، مجلة عالم المعرفة، ع311، يناير 2003، ص389.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص389-390.

(3) ينظر: العابد عبد المجيد، نور الصورة في التعليم، مجلة إلكترونية (الحوار المتمدن)، ع2826، 11/11/2009، ص22:04.

(4) ينظر: حمدان محمد زياد، وسائل وتكنولوجيا التعليم مبادئها وتطبيقاتها في التعلم والتدريس، دار التربية الحديثة، عمان، ط2، 1986، ص26.

(5) نقلا عن: المرجع نفسه، ص45.

(6) ينظر: فائق عبد الجواد، تقنيات التعليم بين النظرية والتطبيق، دار القدس، أريد، ط1، 1991، ص44-46.

(7) نقلا عن: سعيد بنكراد، سيميولوجيا الأنساق البصرية (الصورة نموذجاً)، منشورات الزمن سلسلة "شرفات"، ع11، 2006، ص89.

(8) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ص.و.ر.)، دار صادر بيروت، مج4، ج4، ص493.

(9) صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د.ط)، 1988، ص74.

(10) ينظر: المرجع نفسه، ص76.

(11) نقلا عن: سعيد بنكراد، المرجع السابق، ص89-90.

(12) سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص90.

- (١٣) المرجع نفسه، ص ٩٠-٩١.
- (١٤) نقلا عن: معجم علوم التربية "مصطلحات البيداغوجيا والبيداكتيك"، ص ١٨٨-١٨٩.
- (١٥) المرجع نفسه، ص ١٩٠.
- (١٦) المرجع نفسه، ص ١٩٠.
- (١٧) ينظر: شاكر عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٣٨٨.
- (\*) ينظر: الموسوعة المعرفية الشاملة: تحتوي الموسوعة على العديد من أنواع الصور التوضيحية، والعديد منها مطبوع بالألوان.
- (١٨) نقلا عن: المرجع نفسه، ص ١٩٧٧.
- (١٩) ينظر: شاكر عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٣٩٧.
- (٢٠) ينظر: العابد عبد المجيد، المرجع السابق، ص ٢٤.
- (٢١) Journal Officiel de la république algérienne, n33, le 23 Avril 1976, p428.
- (٢٢) مديرية التعليم الأساسي: منهاج التربية التحضيرية (للأطفال في سن ٥-٦ سنوات)، 2004، ص ٧.
- (٢٣) نقلا عن: عبد السلام نعمون، بيئة العمل وتأثيرها في تحديد مستوى فعالية أداء الفريق التربوي لمؤسسات التعليم الثانوي، رسالة ماجستير (مخطوطة)، جامعة سطيف (٢٠٠٦-٢٠٠٧)، ص 154.
- (٢٤) ينظر: رائد خليل سالم، المدرسة والمجتمع، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ط1، 2006، ص ١١٦.
- (٢٥) ينظر: المرجع نفسه، ص ١٢٠.
- (٢٦) محمد عودة الريماوي، علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، دار المسيرة، عمان، ط1، 2003، ص 31.

## الصورة التوضيحية في الكتاب المدرسي بين الوظيفة و الفاعلية في العملية التعليمية

(٢٧) جميل أبو ميزر، محمد عبد الرحيم عدس، المرشد في منهاج رياض الأطفال، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠١، ص 186.

(٢٨) ينظر: المرجع نفسه، ص 189.

(٢٩) ينظر: رائد خليل سالم، المرجع السابق، ص 125.

(٣٠) ينظر: فائز محمد علي الحاج، بحوث في علم النفس العام، المكتب الإسلامي، الرياض، ط ٥، 1986، ص 102-103.

(٣١) ينظر: المرجع نفسه، ص 104.

(٣٢) رائد خليل سالم، المرجع السابق، ص 125.

(٣٣) ينظر: فائز محمد علي الحاج، المرجع السابق، ص 210.

(٣٤) ينظر: شبيل بدران، الاتجاهات الحديثة في تربية طفل ما قبل المدرسة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (د.ط.)، 2000، ص 149.

(٣٥) ينظر: دليل دفاتر الأنشطة اللغوية والعلمية للتربية التحضيرية، نخبة من مؤلفين، الديوان الوطني للطبوعات المدرسية، الجزائر، 2009-2010، ص (7-9).

(٣٦) ينظر: أحمد سعدي، الصورة في الكتاب المدرسي، المركز التربوي الجهوي، مراكش، (د.ط.)، 2008-2009، ص 22.

(٣٧) عبد الله الحاج هدى، صعوبات اللغة واضطرابات الكلام، دار الشجرة للنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 2004، ص 63.

(٣٨) المرجع نفسه، ص 64.

(٣٩) المرجع نفسه، ص 64.

(٤٠) المرجع نفسه، ص ٦٤.

(٤١) المرجع نفسه، ص ٦٤.

(٤٢) المرجع نفسه، ص ٦٤.

## عناصر الشعرية ومقوماتها عند شاعر الأقصى يوسف العظم "دراسة في جماليات النص"

ا. د. حسين لفته حافظ  
جامعة الكوفة  
العراق

ا. م. د. عباس عبد الحلیم عباس  
الجامعة العربية المفتوحة  
الأردن

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ويعد...

هذه دراسة تتناول عناصر الشعرية ومقوماتها عند شاعر الاقصى يوسف العظم وهو شاعر ومفكر أردني ولد بمدينة معان جنوب الأردن سنة ١٩٣١م درس اللغة العربية في الأزهر الشريف. وفي جامعة عين شمس في مصر وعمل معلما في الكايفة العلمية الاسلامية حتى عام ١٩٦٢م من اشهر مؤلفاته :

كتاب "المنهزمون...دراسة في الفكر المتخلف والحضارة المنهارة".

وبراعم الإسلام في العقيدة وبراعم الإسلام في الحياة وأدعية وآداب للجيل المسلم وأناشيد وأغاريذ للجيل المسلم ومشاهد وآيات للجيل المسلم والعلم والإيمان للجيل المسلم. وله دواوين شعرية عرف على إثرها باسم شاعر الأقصى أهمها:

ومنبع الدهشة والروعة في القصيدة ... وهي روعة لا بد أن تستند إلى معطيات لغوية يمتلكها النص ، وتمثّل اختيارات شعرية يمكن رصدّها ، وفهم تأثيراتها الدلالية والنفسية والفنية . وقد عُنِي تراثنا البلاغي بالتظير للعناصر النصية التي تنقل النص الشعري من مستوى الفصاحة إلى مستويات البلاغة النصية القائمة على تجليات علوم المعاني والبديع والبيان ، من صور شعرية ومجازات ، واستخدام طاقات الذكر والحذف والتقديم والتأخير ، والسجع والجناس والطباق وغير ذلك مما ينبغي على المتلقي الوقوف عنده ، واستثمار دلالاته في النظر إلى عناصر الجمال في الشعر .

وبطبيعة الحال فإن قراءة النص الشعري ، ورحلة البحث عن جمالياته وعناصر الشعرية فيه استمرت عبر معطيات البلاغة الجديدة ، أو ما عرف في

في رحاب الأقصى والسلام الهزيل ولبيك ابتهالات شعرية وعرائس الضياء وعلى خطى حسان وفتية الأباييل ويا قدس ومواكب النور ولو أسلمت المعلقات (نظرات في المعلمات الجاهلية و معارضتها بسبع إسلاميات ) ، شاعرنا في يوم ١٥ رجب ١٤٢٨ هـ الموافق للأحد ٢٩ يوليو ٢٠٠٧ م.

أما عن منهج الدراسة فقد اتبعنا فيها المنهج الفني من خلال قراءة النصوص الشعرية لغرض الوقوف على أهم مقومات الشعرية ومن ثم بيان جمالية النص ، ومن الجدير بالذكر ان مصادر الدراسة تنوعت بين كتب الادب والنقد والبلاغة ، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

**التمهيد : النص ... من البلاغة إلى الشعرية**

لا شك أن بلاغة النص هي مصدر شعريته ، أي سرّ طاقته الجمالية ،

تودوروف - " نظرية داخلية للأدب ،  
أي تتبع منه وتصبّ فيه ... وتتجلى في  
المنظور الفكري ، والمضامون ،  
والأسلوب " (١) ذلك أنّ النص الأدبي  
لا يقدّم نفسه من زاوية واحدة فقط ،  
بمعنى أنّ النص عملة ذات وجهين ،  
وهما متلازمان بالضرورة ، لذا ينبغي  
للناقد أو المتلقي أن يسأل عن ( ما الذي  
يقوله النص ؟ وكيف قاله ؟ ) وإنّ أي  
إهمال لأحد وجهي العملة ، لأحد  
عنصري النص ، هو تخريب لعالم  
النص وإغفال لمكوناته ، وأجزاء من  
هيكله ، ولا سيّما أنّ النص الأدبي /  
العمل الفني ، يقوم في جزء كبير منه  
على جهد المبدع وخبرته في مجال  
إبداعه ، مثلما يقوم في جزء آخر على  
الموهبة والإلهام . وهو ما تؤكّده  
الدراسات المهمة بحقول الإبداع  
المختلفة ، مهما كانت مرجعيات هذه  
الدراسات وتوجهاتها ، نفسية ، أو

مدارس النقد الحديث بالأسلوبية ، وما  
توفره من أدوات ومناهج في دراسة  
النص الأدبي وتحليله ، والبحث عن  
بصمة الأديب الخاصة والمتميزة في  
نصوصه ، لكشف أسرار الصياغة  
اللغوية وطاقتها الخلاقة ، من خلال  
مراقبة الأصوات والألفاظ والتراكيب ،  
ومتابعة ما يسمى ( بالحقول الدلالية )  
التي تقود الناقد والقارئ إلى ثوابت  
أدبية تتمركز حولها موضوعات نصية  
مختلفة ، مما يتصل اتصالاً مباشراً  
بالمبدع نفسه ، وتكوّناته النفسية  
والاجتماعية والسياسية ، من جهة ،  
وبالنص الإبداعي من جهة أخرى.

إنّ معطيات البلاغة وتحولاتها  
الأسلوبية ترمي إلى كشف جماليات  
النص الأدبي ، وطاقته الشعرية ، تلك  
التي لا تسمح للممارسة الانطباعية  
والانشائية أن تتحكم بقراءة النص  
وتأويله ، فالشعرية - كما يقول

وتوظيفها في تنويع معنى الأداة  
الاستفهامية الواحدة لإنتاج متتاليات  
دلالية مختلفة. (٢)

وإنّ ما عنيت به البلاغة في هذا  
الجانب احتقت به الأسلوبية ومناهج  
التحليل اللغوي للنص احتفاءً واضحاً ،  
ومن هنا راحت البحوث والدراسات التي  
تتناول النص الشعري بالتأويل والتحليل  
استناداً إلى أدبيات الإبداع الفردي وما  
ينجم عنه من ظواهر تتظافر معاً لتمنح  
عالم الأديب خصوصيةً إبداعيةً تتحرك  
وفق آليات معينة للتماسك والاتساق من  
خلال عناصر ما يعرف ( بالأدبية ) أو  
( الشعرية ) ومقوماتها وعناصرها  
المتعددة على رأسها ( الصورة ) .

والحق أنّ التحول من البلاغة إلى (   
البلاغة الجديدة ) بما يتضمنه هذا  
المصطلح من عبارات وتسميات  
ومدارس ومذاهب نقدية متعددة يدفع  
باتجاه إعادة الاعتبار للمعطيات النصية

اجتماعية ، أو فنية أو لغوية أو غير  
ذلك .

لقد حاولت بعض المناهج والمدارس  
النقدية عزل النص عن مضمونه الفكري  
وسياقاته الموضوعية ، والنظر إليه  
بوصفه شكلاً أو زياً خارجياً ، ولست  
بصدد مناقشة هذه المناهج والنظريات ،  
ولكن أود البرهنة على أهمية الترابط  
وبين ما يقوله النص الأدبي والأدوات  
الفنية المستخدمة في هذا القول ، فإن  
نقول فكرة ما بطريقة معينة قد لا تؤدي  
نفس الأثر أو التأثير لو قلنا الفكرة  
نفسها بطريقة مختلفة ، هذه هي الفكرة !

لقد عُني النقد العربي القديم بهذه المسألة  
، ورصدت علوم البلاغة تجليات  
التوظيف الجمالي للغة لتحقيق أفكار  
معينة ، فعلى سبيل المثال يلحظ المتتبع  
للمدونة البلاغية في التراث العربي ، أنّ  
للاستفهام وحده أربعين غرضاً بلاغياً  
يمكن للمبدع أو الشاعر استثمارها

أولاً خلقاً وإبداعاً وليس محاكاة للطبيعة " (٣)

وفي هذا السياق من الفهم لا بدّ من البحث عن عناصر هذا الخلق / الإبداع ، وفهم فاعليّتها في بناء رؤية فنية ، تكاملية تشف عن ( شعرية العمل الأدبي ، لأن مفهوم الشعرية كما قدّمه تودوروف " ينطبق على الاختيار الذي يمارسه كاتب معيّن ، من بين كل الخيارات أو الإمكانيات الأدبية كما تتجلى في المنظور الفكري والمضمون ، والأسلوب ... إلخ " ، ومن هنا قامت الدراسات التي تتناول شعرية النص ، وجمالياته الأسلوبية على تفحص المكونات الدقيقة التي تمنح الجملة بلاغتها وجماليّتها ، وكان ثمة أنواع من ( البهارات ) الأدبية كبهارات الأظعمة التي لولاها لما وصلنا إلى الطعم النهائي المطلوب ، وعذراً لهذا التمثيل ، غير أن استعمال كلمة ( التذوق ) كمدخل

الحقيقية ، أعنى تلك الوقائع اللغوية ودلالاتها على سياقات فكرية ومواقف انسانية تبعاً لذلك ، ونعد من تلك المعطيات مظاهر مثل التكرار ، والاستفهام ، والحدف ، والتصغير ، والنفي ، والتوكيد ، والتكثيف المعنوي ، والموسيقى ، والعبارات الاستعارية ، والحدف ، والزيادة ، وتوظيف الأمثال ، والتراث ، بأشكاله المختلفة ، مما يمكن إدراجه ضمن تحديدات نصية وأسلوبية تكسب التعبير الشعري خمائر جمالية تسهم في إنضاج شعرية النص وسحره البيانية من جهة ، وطاقاته التأثيرية من جهة أخرى ، وهنا يمكن إعادة النظر إلى الفن الذي يحمل قضية انسانية حقيقية ويلتزم بالدفاع عنها ، وجدير بالذكر أنّ نقاد الواقعية ، على الرغم من إدراكهم العميق لمهمة الفن ودوره في التعبير عن مشكلات الواقع ، فهم يعدون " الفن شكلاً من أشكال العمل والفعل ، لذا فإننا نتصوره حينئذ باعتبار

بانني خير من تسعى به قدم  
انا الذي نظر الأعمى إلى أدبي  
وأسمعت كلماتي من به صمم  
انام ملء جفوني عن شواردها  
ويسهر الخلق جراها ويختصم  
وجاهل مده جهله في ضحكي  
حتى اتته يد فراسه وفم  
اذا رأيت نيوب الليث بارزه  
فلا تظنن ان الليث يبتسم  
ومهجة مهجتي من هم صاحبها  
أدركتها بجواد ظهره حرم  
رجلاه في الركض رجل واليدان يد  
وفعله ما تريد الكف والقدم  
ومرهف سرت بين الجحفلين به  
حتى ضربت وموج الموت يلتطم  
الخيال والليل والبيداء تعرفني

لإدراك جمالية النص الأدبي ، مصطلح  
سائغ ومستعمل بوضوح في التحليل  
النقدي ، ولعل مثالا من شعر المتنبي  
يمكن أن يقدم نموذجا تطبيقيا في هذا  
الإطار ، يقول أبو الطيب في القصيدة  
التي عاتب فيها سيف الدولة الحمداني :  
واحزر قلباه ممن قلبه شيم  
ومن بجسمي وحالي عنده سقم  
مالي اكنم حبا قد برى جسدي  
وتدعي حب سيف الدولة الامم  
يا أعدل الناس الا في معاملتي  
فيك الخصام وانت الخصم والحكم  
أعيذها نظرات منك صادقة  
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم  
وما انتقاع اخي الدنيا بناظره  
اذا استوتت عنده الانوار والظلم  
وسيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا

الاعتبار إلى الذات . خاصة وأن هذا النص قيل في ظروف تمثل إهانة للمتنبى من حبيبه وصديقه وأميره سيف الدولة .

• وفي البيت الثاني يتجلى المتنبى في قلب دلالة الضمير واستخداماته من السلب إلى الإيجاب ، بحيث يصبح للضمير معنى مغايراً بسبب اختيارات الشاعر الخاصة ، فضمير المتكلم (الياء ) في ( مالي ) يضع ذات الشاعر في جانب - يقابل ( الأمم ) والناس كلها في الجانب الآخر ، وكأنه من خلال ضميره المتكلم ( ي ) عالم مستقل بذاته يوازي ويواجه الأمم كعالم مضاد ومقابل .

• وضميراً الـ ( نا ) في البيت الثالث من خلال كلمتي ( يجمعنا ) و ( أننا ) يصور نوع من الانسجام والتماثل بين عالمي ( الشاعر ) و ( الآخرين ) وهو انسجام وتماثل غير حقيقي

والسيف والرمح والقرطاس والقلم صحبت في البيداء الوحش منفرداً حتى تعجب مني القور والاكم أبو الطيب المتنبى ، شرح ديوان المتنبى ، عبد الرحمان البرقوقي: دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ج ١ ٢١٥

فلنتأمل أحد جوانب الإبداع الشعري في تكوين جمالية الاستعمال اللغوي ، وبهاء الأسلوب عبر اختيارات الشاعر في مجال هندسة الضمائر على سبيل المثال:

• فهو في البيت الأول يشير إلى سيف الدولة بضميرين للغائب ( قلبه - وعنده ) وهذه دلالة جيدة على استخدام ميكانيزم نفسي دفاعي يحاول الشاعر من خلاله ( تقزيم الآخر ) والإقلال من شأنه في محاولة لرد

الدولة بدءاً من البيت السابع : ( قد  
ناب عـنك ) ( واصطنعت لك  
( وما بعده ، ذلك أن الشاعر يريد أن  
يحافظ على مسافة ( التعلق /  
والتوتر ) ( بالممدوح / المعائب ) في  
أن معاً ، فالمتبني سجّل إدانته لسيف  
الدولة في الأبيات الستة الأولى  
باستخدام ( الضمير الغائب ) ثم عاد  
لاستخدام ( ضمير المخاطب )  
وإعادة الاعتبار لسيف الدولة فيما بعد  
، وهو نوع من التوازن الذي يحافظ  
على العلاقة المنطقية بين الشاعر  
والممدوح دون تجن وفي الوقت نفسه  
دون ابتذال .

هذا مثال يشير إلى طريقة التعامل مع  
لغة النص لاكتناه كنوز الدلالة مما يؤكد  
أنّ " المادة الوحيدة التي يطرحها النص  
الشعري للتحليل هي لغته : هي وجوده  
الفيزيائي المباشر على الصفحة أو في  
الفضاء الصوتي . ومن هنا كانت

بدليل تقييد هذا الجمع بين العالمين  
عبر ضميري ال ( نا ) مشروط في  
الموضوعين ، ففي الموضوع الأول  
نجد مشروطاً ب ( إن ) الشرطية  
وفي الموضوع الثاني نجد أيضاً  
مشروطاً ب ( ليت ) التي تدل -  
لغويّاً - على أمر مستحيل التحقق .

• ويستمر الشاعر بالتعبير عن سيف  
الدولة وحضوره في القصيدة ،  
والإشارة إليه باستخدام ضمائر الغائب  
( زرتّه - نظرت إليه : في البيت  
الرابع ) ( كان - كلهم : في البيت  
الخامس ) ( يممته : في البيت  
السادس ) لكن هذه الاعتبارات  
والنظرات التي تمثل سيف الدولة (   
شخصاً غائباً ) ليس له حضور فعلي  
على صعيد توظيف الضمائر في لغة  
النص يمثل وضعاً عارضاً لا أصيلاً  
، الأمر الذي جعل الشاعر يعود إلى  
أصل العلاقة والحضور الكلي لسيف

تمهيداً لهذا الفصل ، ومدخلاً أساسياً له .

تُعَدّ ( الشعرية ) وظيفة من وظائف اللغة ( Function Of Language ) وهي نتاج لحالة من حالات التركيز على الرسالة عبر تفحص آليات إنتاجها ، وطرق تشكّلها ، وأخيراً زوايا تلقيها واستقبالها ، وهذا يشير إلى أن ( الشعرية ) بهذا المفهوم صفة من صفات ( القول ) وقد حملت الكلمة مفهوماً متطوراً في بيئات نقدية مختلفة ، مع الإشارة إلى ورود الكلمة ، بمعناها المصطلحي في نقدنا العربي القديم ، فقد أورد هذا المصطلح الناقد الأندلسي حازم القرطاجني ( ت ٦٨٤ هـ ) مقتبساً عن ابن سينا حديثه عن أسباب حب الناس للأدب قوله : (( ثم قد وجدت الأوزان مناسبة للألحان طبعاً فمالت إليها النفوس وأوجدتها ، فمن هاتين العنوين تولدت الشعرية )) (٥) ثم يجعل

الإمكانية الوحيدة لتحليل الشعرية في النص هي اكتشاف طبيعة المادة الصوتية - الدلالية ، أي نظام العلامات ، التي هي جسده وكيونته الناضجة والتي هي شرط وجوده أيضاً " (٤) وهو الدليل لمقولات التأويل للمعنى والتأطير للشكل الجمالي الذي يراهن عليه النص .

المبحث الاول: عناصر الشعرية في قصائد العظم

- مفهوم الشعرية

مع أنّ مصطلح الشعرية ( Poetic ) هو أحد أهم أركان هذه الدراسة ، وقد كان من المتوقع الحديث عنه في بدايتها ، إلا أن إرجاءه لهذا الفصل الرابع ( الأخير ) جاء لغاية فنية اقتضاها مضمون هذا الفصل ومحتواه ، فهو فصل في ( شعرية القصيدة ) مما يستلزم أن يكون الحديث عن مصطلح الشعرية

الجمالية التي يبثها النص في متلقيه ،  
حال تعاملهم مع مكوناته ونظام بنائه ،  
ولا شك أن هذا الكشف هو عمل تحليلي  
متقن ، يتقن طرح الأسئلة لمواجهة  
معجم القصيدة ، وجمالها ، وصورها ،  
ومكوناتها الكلية ، لذا يربط  
معجم السيموطيقا بين (الشعرية ) و (   
الوظيفة الجمالية ) للغة ، ويعبر عن  
ذلك بالقول : (( إنّ الوظيفة الشعرية  
هي التي تشكل الطريقة التي تحدد كيفية  
التعبير عن الرسالة )) (٨)

لذا أزعّم أنّ ما تصبو إليه الشعرية  
هو غاية الغايات في البلاغة ونظرية  
النظم وعلم الأسلوب ، ونظريات النص  
وكل بحث في تحليل العمل الأدبي  
وإمّاطة اللثام عن دهشته وروعته ،  
بغض النظر عن التسميات  
والاصطلاحات التي يستخدمها كل  
طرف ، ولقد ظلّ هذا المبتغى مبحثاً  
مهماً في الدراسات النقدية التي اشتغلت

القرطاجني الأمر من هذه " الشعرية "  
صفة لنمط من الأقوال ، فيقول : (( فإن  
الأقويل الشعرية يحسن موقعها في  
النفوس من حيث تختار مواد اللفظ  
وتنتقي أفضلها ، وتركب التركيب  
الملائم المتشاكل ، وتستقصى بأجزاء  
العبارات .... )) (٦)

وفي واقع الأمر فقد لقي هذا  
المصطلح عناية كبيرة في دوائر نقد  
الحدث وما بعدها عند تودروف (   
Todorov وجان كوهين J. Chen )  
( اللذين سار على فهمها كمال أبو ديب  
ليقول : (( الشعرية ، إذن ، خصيصة  
نصية ، لا ميتافيزيقية ، ولأنها كذلك  
فهي قابلة للاكتناه ، والتحليل المتقسي  
، والوصف .... اكتناه العلاقات التي  
تتنامى بين مكونات النص على  
الأصعدة الدلالية والتركيبية والصوتية  
والإيقاعية )) (٧) بمعنى أن هذه  
الشعرية هي المسؤولة عن كشف الحالة

الفصول على مدار العام ، بداية من قوله :

حتى إذا معمعان الصيف  
هَبَّ له

بأجّة نشّ عنها الماء والرطب  
لقد عمد إحسان إلى معجم القصيدة ،  
ودلالة الألفاظ فيها لتدعيم الرأي النقدي  
الذي عرضه نظرياً ، وأعلن عن رغبته  
في السير على هديه ، فوجد أن الشاعر  
((يستعمل ألفاظاً تحسّ دلالتها في  
جرسها قبل أن تفهم معناها)) (١١) ،  
وهذا مدخل لغوي يدل على أن النظرية  
المراد تطبيقها لا تخون الوجود العام  
للنص ، وكونه كياناً لغوياً له فاعلية  
وأبعاد نفسية أو أسطورية وما شابه ،  
مما لا يكفل لنا معاملته على أنه مجرد

على نصوص شعرية وحاولت استنتاج  
مادتها اللغوية ( بكل مكوناتها )  
وسياقاتها المنتجة لها ، وفق قوانين  
التشكيل النصي ، فالشعرية (( تبحث  
عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته ،  
فهي مقارنة للأدب مجردة وباطنية في  
الآن نفسه ... وتكريس الجهد لاستنتاج  
خصائص الخطاب الأدبي بوصفه تجلياً  
لبنية عامة ... وبعبارة أخرى يُعنى العلم  
بالشعرية بتلك الخصائص المجردة التي  
تصنع فرادة الحدث الأدبي ، أي الأدبية  
(( ٩) مثلما نقرأ في نقد احسان عباس  
لنصوص من شعرنا العربي القديم ،  
ولنضرب مثلاً من تحليله الشعري  
لنصوص لذي الرّمة ، والمعري وغيرهما  
، وهو تحليل يقوم على ((دراسة  
الصور والرموز والنماذج الكبرى - أو  
العليا - والمبني الباطني في القصيدة))  
(١٠) من أجل تأمل صورها ، تلك  
التي ركزت في نص ذي الرمة على  
مظاهر الجفاف الطبيعي ، وتغير

ويضرب لذلك مثلاً بلوحة الحمر  
الوحشية ومسيرها إلى عين الماء وقد  
كمن لها الصائد في قوله:

فغلست وعمود الصبح منصدع  
عنها وسائره بالليل محتجب  
فهذه الصورة عند إحسان عباس ((ترمز  
إلى تفتّح الحياة من حالة كمون))  
(١٤)، لموضوعات عديدة هي :-

كمون الصبح تحت الليل.  
كمون العين تحت الطحلب.  
كمون الجدول بين الأشجار.  
كمون الصائد وراء الأشياء.  
وفجأة تبزغ الحياة من وراء هذا الكمون  
العام خيطاً خيطاً ، ويتم التعبير عنها  
(أي الحياة) ب:

صخب الضفادع.

وثيقة من الوثائق السابقة ، غير أن هذه  
الأبعاد يمكن أن تكفل - معاً - معنى  
عميقاً للنص ، لأن الوعي بها يجلو لنا  
((كيف تكشف هذه الصور الصراع بين  
الريح والنبات ، وكيف تشتد الحياة في  
جانب ، ويقابلها الموت من جانب آخر  
، والشاعر ذو الرمة ، حين يرسم هذا  
الصراع لا ينسى - وهو يؤدي مهمة  
الرسام- أنه شاعر وأنه لا وجود للشعر  
بغير الزمن ، فلذلك تجده يصور ويزيد  
في الحركة الداخلية أثناء تصويره حتى  
لا تقف الصورة جامدة أو باهتة)) (١٢)  
لقد عدّ إحسان عباس القصيدة القديمة ،  
في بعض حالاتها ، مجموعة من  
الصور ((قد تحقق الواحدة منها  
مهمة الصور مجتمعة)) (١٣) ،

مقاربة نصية تحليلية ، تجعل من القصيدة مبتدأها ومنتهاها .

أولاً : جماليات التصوير والبناء الاستعاري

لا شك أنّ الصورة الأدبية هي الطاقة الإبداعية المحركة في النص الشعري ، والشاعر المبدع هو الذي يعتمد على قوة المخيلة في تشكيل الدلالة أكثر من اعتماده على المعاني المعجمية ، ذلك أن الصورة تحمل ( الدلالة والتأثير النفسي ) معاً ، ولا شك أنّ اهتمام النقاد الواضح بالصورة ، واسرافهم في الحديث عنها ، وعن تأثيرها في الخلق الأدبي لدليل بيّن على جوهريتها في الأدب بعامة ، والشعر بخاصة ، ولا حاجة بنا لتفصيل جهود نقدية متميّزة في نقدنا العربي القديم جعلت ( الشعر/ والصورة ) مصطلحين مترادفين إلى حدّ ما ، فهذا هو الجاحظ ( ت ٢٥٥ هـ ) يعرف الشعر بقوله : (( فإنما الشعر صناعة ،

حركة الحيتان.

اندفاع الزهر (الجدول).

اندفاع الهروب.

حركة الهروب.

انقذاح الشرر ... إلخ.

وقد جاءت الدراسات النقدية الحديثة

ذات الاهتمام بتحليل القصيدة العربية

القديمية لتؤكد ضرورة النظر ((إلى

الشعر على أنه وحدة واحدة)) (١٥)،

وهو ما نجح إحسان في إبرازه حين

خلص إلى القول بأن ((ذا الرمة معني

بقصة الصراع الأبدي بين الموت

والحياة في علاقات الحيوانات

والأناسي)) (١٦)

والآن يمكن أن نتلمّس عناصر الشعرية

في قصائد يوسف العظم من خلال

، وإيقاعاته ، (( ومهما قيل في أهمية الصورة الشعرية ، فإن أي قصيدة ليست مجرد صور ، إنها على أحسن الفروض صور في سياق ، صور ذات علاقة ، ليس ببعضها فحسب ، وإنما علاقة بسائر مكونات القصيدة ، وهذا يعني أن دراسة الصورة بمعزل عن دراسة البناء الشعري تعبر عن رؤية جزئية .... صورة ضمن تكوين شامل ، حبراً في بناء ، أو نغمة في لحن هارموني ، أو لوناً ، أو ظلاً ، أو ضوءاً في لوحة)) (١٩) ونحن أمام هذه الحالة نتساءل : كيف كانت صور يوسف العظم ، وما ملامح البناء الاستعاري في إبداعه الشعري ؟

لعلنا لا نبالغ إذ نقول إن التزام يوسف العظم وموقفه الفكري لم يمنعاه من التحليق بمخيلته لإضفاء جماليات خاصة لنص شعري كلاسيكي تختزن الذاكرة العربية جملة من التوقعات تجاه

وضرب من النسج ، وجنس من التصوير)) (١٧) أي التخيل الذي يعيد بناء العلاقات بين الذات والعالم ، أو بين الأشياء نفسها كما يؤكد النقد الحديث من خلال جماعة التصويريين ( Imagists بأن ((الصورة ، وليس اللفظ أو الكلمة التقريرية ، هي اللغة الحقيقية والفعالية للشعر ، بدونها يفقد هويته ويصبح مجرد تعبير مباشر عن معنى محدد ، مثله في ذلك مثل أي نوع آخر من التعبير )) (١٨).

وعلى هذا الأساس ظلّ ينظر إلى الشعر الفقير إلى الصور والأخيلة على أن شعر ضعيف فنياً ، وضعيف في تحريك النفوس وتحفيزها ، في حين يحتل الشعر القائم على عمق المخيلة ، والإبداع التصويري مرتبة عليا في عالم الفن الشعري ، خاصة إذا لمس القاريء إبداعاً متكاملأ ، ليس في صور الشاعر فحسب ، إنما في لغته ، وتراكيبه

وغير ثغر رضيّ في ابتسامته  
قد أصبح اليوم حزناً غير مبتسم  
وصورة لصغير ظلّ يرقبني  
متى أعود؟ وعين الطفل لم تتم  
وطيف ( ناجي ) وإخوان لهم صبروا  
على عذاب حثالات من الأمم  
ناجي يناجي قلوباً بالهدى عمّرت  
القيّد يقات من زندي ومن قدمي  
إلى متى سوط سجّاني يلاحقني  
وقد غدا السوط في جوعي وفي نمي  
يسوقنا بطراً في غير مرحمة  
كأنما نحن قطعان من الغنم  
قد أقسم المسجد المحزون أنّ به  
شوقاً لأحباب يروونه به بدم  
يا ويح مئذنه صمّاء ضارعة  
تعيش في لجة الإرهاب والعدم

بنائه الجمالي ، لذا تأتي الدهشة  
التصويرية لتقدم ما هو جديد وغير  
متوقع في النص الشعري ، ففي قصيدة  
( مع العيد ) نلاحظ هذا التكتيف  
التصويري الذي يمنح النص حركة  
وحوية تثير القارئ لتتبع سير المخيلة  
وعلاقة الصور بالبناء الكلي للقصيدة ،  
يقول :

العيد أقبل والذكرى تؤرقني  
وليس في العيد غير الحزن والسقم  
ما عاد في مقاتي طيف يداعبني  
غير الأحبة في الأقصى وفي الحرم  
وغير أمّ غدت تشتاق والهفي  
لهمة الحب والإلهام ملء فمي  
وغير وجهه أب بالطهر مؤثلق  
لم تطفه عاديّات الشيب والهـرم  
وقلاب أخت جريح ذاب من كمد  
ينوح من شدة التبريح والألم

وصورة المئذنة التي تتضرع إلى الله ،  
وتدعو أحببها وتقبل راحة من يدافع عن  
كرامتها .... وغير ذلك من الصور التي  
تبحث في النص عناصر ( الصوت /  
واللون / والحركة ) لتصنع مشهداً شعرياً  
درامياً تتعدد فيه الأصوات ، ولتعلو  
الزغرة الحوارية بين ( الانسان -  
والأشياء ) دون توجّه مباشر للحوار  
البارد ، وإنما من خلال بناء حوار  
ضمني صاغته المخيلة وانطلقت به  
عبر ثنايا القصيدة .

ولعل صور يوسف العظم في مجملها  
تنم عن مخيلة خصبة تتجه على  
الأغلب نحو بحث عناصر الحيوية  
والحركة في القصيدة ، وتقصد إلى قول  
ما يعجز المعجم العادي في التعبير عنه  
بالطريقة التي تتاح للصورة الشعرية ،

تدعو الأحبة من منكم يعانقني  
ويعتلي قبتي الشماء بالعدم  
وترتجي لهفة تقبيل راحتته  
لأنها بسوى الرشاش لم  
تتمهم (٢٠)  
فيبدو جلياً من هذه الأبيات أن الشاعر  
يحرص على سوق مجموعة من الصور  
تتزامن بها القصيدة أمام القارئ ، وكأنه  
يصنع بناء تصويرياً ، يبدأ بالصورة  
وينتهي بها ، فالعيد الذي أقبل ،  
والطيف الذي يداعب المقل ، وعاديات  
الشيب التي تعجز عن إطفاء وهج الوجه  
، والقلب الذي أخذ يذيبه الكمد ، وينوح  
من شدة الألم ، وسوط السجان الذي  
يلحق الأبرياء بلا رحمة ، ويسوقهم  
كأنهم قطعان غنم لا حول لها ولا قوة ،

إنَّ الصور التي تعكس ما أسميناها ( بالجميل ) تشمل قطاعاً واسعاً من المعطيات يأتي على رأسها وفي مقدمتها صورة الأقصى والمقدسات ، يقول في قصيدة ( الفتية الأبايل ) :

حجارة القدس نيران وسجيل  
وفتية القدس أطيار أبايل  
تكلم الحجر القدسي فانتفضت  
سواعد الصيد وانددت أباطيل  
تلك العروس التي باهى الشهيد بها  
ومهرها من دم الأحرار مظلوم  
قولوا لمن تنادوا في مؤامرة  
ليجهضوا في ساحاتنا قولوا  
لقد مضى زمن التخذيل فانطلقى  
يا قدس ولى زمان فيه  
تخـذيل (٢١)  
فالصور بالإضافة إلى اتكائها على

من حيث ما تتضمنه من دلالة وأثر نفسي في آن معاً .

ولقد حاول العظم أن يبيث في شعره نمطين تصويرين ظلاً يتكرران في معظم أعماله ، وهما :

- نمط الصور الإيجابية التجميلية

- ونمط الصور السلبية التقبيحية

وذلك انسجاماً مع موقفه من قضيته التي التزمها وظهر التزامه بها في عقيدته وموقفه الفكري العام . فالشاعر العظم ينظر إلى العالم من زاويتين : زاوية الجميل والمريح والحبیب إلى القلب ، والذي يجب فداؤه بكل غالٍ ورخيص ، وهو الدين والوطن والشهداء والمقدسات ... وبالمقابل هناك زاوية القبيح والمؤلم ، وهو العدو والخونة والأتباع والأذئاب المتعاونون معه ... وعلى هذا الأساس يمكن دراسة عالم الصورة الفنية عند يوسف العظم.

وأبداع مجالاً في قصائده الوصفية ،  
خاصة تلك التي تقف وقفات تأمل  
طويلة أمام مظاهر قدرة الخالق سبحانه  
في الطبيعة الجميلة ، يقول في قصيدة (   
على شاطئ نيو أورليانس ) :

سبحت بحيرة أورليان في دعة  
وقد أقيم على شطآنها سكاني  
أودع الليل والأكوان خاشعة  
ويمسح الفجر أفجاني فيوقظني  
تواثب الطير في أرجاء روضتها  
وقد أثار حنين الشوق للوطن  
يعانق النور في آفاق مطلعة  
ويرشف الماء منسباً من المزن  
ويلثم الزهر في طير يهم به  
ويرسل اللحن صداحاً على فنن  
تختال فوق عباب اليم أشرعة

النصّ الديني ، وتمثلها فكرته ، فهي  
صور جديدة في بنيتها وتشكلها فالحق  
امرأة حامل يعمل المتآمرون على  
اجهاضها . يقول في قصيدة أخرى  
وإصفاً اتباع محمد عليه الصلاة  
والسلام:

مشاعل تطوي بالهدى عتمة الدجي  
ودوماً بوجه الظلم والزور تقذف  
دروع تصد الشرّ عن خير أمة  
رماح بكف المجد والحق ثقّوا  
مددت يدي للجيل جيل محمد  
لعل يدي من روضة البر تقطف  
(٢٢)

فهؤلاء المؤمنون مشاعل وهم دروع  
ورماح ، وأزهار في حديقة غناء . وإنّ  
الطاقة التصويرية تصبح أكثر حيوية



وعدة وعتاد ) ( والمجاهدون نور )  
فالصور المتلاحقة إذن تعكس طبيعة  
الرؤية والموقف من الموضوع لدى  
الشاعر .

ويظهر جلياً أن صور المجاهد ذات  
صلة بنوع آخر من الصور يتعلق  
بالشهادة والشهيد ، يقول يوسف العظم  
في قصيدة ( شهيد الكرامة ) :

عانق الموت في رحاب الكرامة  
وسقى المجد من دماء النشامة  
يا شهيداً مضمخاً بدماء  
زانك الجرح في جبينك شامة  
ورحاب الأقصى الجريح هـواه  
وتراب القدس الطهور غرامة  
رفض الكأس والمدمام ليرضى  
بفلسطين كأسه ومُدامه

وجدير بالملاحظة أنّ صور الشاعر في  
رسم ملامح المجاهدين تتسم بالحدية  
والقطع ، وتعبّر عن خيال مكثف موجز  
لا مجال فيه للشرح والإسهاب أو  
التطويل ، ذلك أن مفهوم الجهاد وصور  
المجاهدين ليس بالشيء الجديد على  
ثقافة الأمة وقراء القصيدة ، لذا نجد  
تصويرات الشاعر سريعة موجزة ثابتة ،  
تتناسب مع طبيعة المجاهد ، وموقفه  
ووحدة غايته ووضوحها . لذا  
كانت الصور والأخيلة هنا مستتدة إلى  
مرجعيات فنية يعرفها تراثنا الشعري ....  
ولكن الشاعر استثمر هذه المرجعيات  
لطرح صور موضوعه الخاص  
( فالمجاهدون بحر ) ( والمجاهدون  
فجر ) ( وسرايا الجهاد رماح ودروع

الغرام تؤكد ثراء الخيال الشعري عند  
العظم ، وقدرته على التقنن البياني  
والاستعاري ، وهذا دليل على أن (شعر  
الرسالة ) ( وشعر الموقف ) يرقى به  
الشاعر المبدع ، ويرتفع بفنيته وطاقته  
الشعرية بمثل هذا الإبداع التصويري  
الخصب ، فيحميه من السقوط في  
التقريرية والمباشرة وينقله خطوات متقدمة  
في الإطار التعبيري الذي يهتم بما يقول  
، ولكنه في الوقت نفسه ، يهتم أكثر  
بكيف يقول !

هذه نماذج من صور ( الجليل والجميل  
) ، أما صور ( القبيح والبغيض ) فهي  
الصور النقيضة والمغايرة ، وهي  
النصف الآخر من عالم يشاهده الشاعر  
ويحتج عليه .... صور المحتلّين  
الغاصبين ومن والاهم وساندهم ...

والأذان الجريح في الأفق  
الرحب ينادي عراق وشأمه  
كلما أظلم الزمان علينا  
بَدد الجرح بالنجيع ظلامه  
يا فلسطين يا تراث المعالي  
ليس المجد من علاك عمامة (٢٥)  
ففي صورة الشهيد تتحول الشهادة إلى  
نمط من العشق ، وضرب من الغرام ،  
فالمخيلة الشعرية عند يوسف العظم  
تتكىء هنا على تراث الحب عند العرب  
، لتظهر لنا جماليات العناق بين الأحبة  
، وغرام المحبين ، وجمال ( الشامة )  
على خد العروس أو المحبوبة ،  
وغيبوبة العشاق في كؤوس العشق ومدام  
الغرام .... ولا شك أن هذا التحويل  
لصورة الشهيد إلى صورة العاشق صريع

فنحن أمام طاقة تخييلية تسعى لتقبيح  
صورة ما يمارسه هؤلاء الحكام من مسخ  
وتزوير للحقائق ، عبر آلة إعلامية  
ينطق بها لسان المذيع ( أحمد سعيد )  
وكأنه يزرع أشغال الوعود في كل مكان  
ويبذر في الأمة بذوراً جوفاء لا حصيد  
ولا حصاد منها . وفي قصيدة ( اللعوب  
الفرس ) يفضح الشاعر بتصويره أولئك  
القادة والأتباع ودعاة الاستسلام ، يقول  
فيها :

وفلسطين في وشاح حزين  
ذبحوها .... وتاجروا بالسلام !  
عريدات من الطلئ ورؤوس  
غارقات في سكرة الأحلام  
أمة الذل في ظلام الليالي  
ترشف العار من كؤوس مدام

وهي كذلك صور النفاق الاجتماعي ،  
والفساد ، والشّر بكافة أشكاله ...  
يرصدها الشاعر يوسف العظم بمخيلة  
قادرة على تشويه هذه العناصر وتحقيرها  
وتقزيمها ليتخذ المتلقي مواقف مضادة  
لهذا العالم ومكوناته ، ففي إدانته لتخاذل  
الأمة يقول في قصيدة ( أمس واليوم ) :

هجرنا المصحف الطهور وجاروا  
وابن دايمان قاده التلمود  
فأذل العدو منا جبابها  
وتلاشى من راحتينا الحديد  
واستباحت ديارنا لعدو  
وسلاح الحكام فينا وعود  
مسخروا الحق والحقيقة لما  
صار صوت الإعلام فيهم سعيد  
يزرع البحر والهواء وعوداً  
لا يبالي ألا يكون حصيد (٢٦)

سامها الغاصب الدخيل دماراً  
وسبها العود بالأوهام (٢٧)  
فهي صور متلاحقة تعلن قبح الجريمة  
وبشاعتها ، ففلسطين فتاة تذبح كما تذبح  
الشاة ، والسلام بضاعة تباع وتشترى ،  
والأحلام بحر يغرق في لجته  
المستسلمون ، والعار شراب كالخمرة  
ترشفها الأمة الخانعة الذليلة ، وهي أمة  
مؤنثة ، مجموعة من النساء تسبى ، لا  
بمعركة أو حرب ، بل بالأوهام والأحلام  
ف نحن هنا أمام تمثيلات وتخيلات  
تسند بعضها بعضاً ليصنع منها الشاعر  
ناقوس خطر يدّقه ، ويقرع به مسمع  
هؤلاء لعلهم يستفيقون من سكرتهم ،  
فالصورة تؤدي وظيفتها ودورها الفني ،  
وتغيّر في مسار الشعر الملتزم واتجاهه

جمالها ، خاصة أمام تهمة جاهزة يقوم  
النقاد بتعميمها على الشعر الإسلامي  
تحديداً ، حيث يرى مأمون جرار أنّ  
( ( من الظواهر البارزة في الشعر  
الإسلامي وضوح الفكرة في كثير من  
القصائد ، والميل إلى المباشرة في  
التعبير ، وغلبة التقرير على التصوير .  
ولعل من أسباب ذلك أنّ كثيراً من هذا  
الشعر جماهيري ينظم ليلقى ، ويرتبط  
بعضه بمناسبات يكون العقل فيها  
مستيقظاً أكثر من العاطفة والقدرة  
التصويرية لدى الشاعر . ومن ذلك  
أيضاً أن كون الشعر الإسلامي " رسالياً  
" يجعل عدداً من الشعراء يحولون  
القصيدة إلى مقالة منظومة . لكن هذا  
لا ينسحب على الشعر الإسلامي كلّه ،

أوصاف الوحشية والبربرية والتحقير  
يقول في قصيدة بعنوان ( ثورة  
المساجد):

قولوا لمن يبغى العتاب  
لقد مضى زمن العتاب  
فالغاصبون تنكبوا  
درب الشهامة والصاب  
رقصوا على أشلائنا  
وتبادلوا نخب الشراب  
صنع الطغاة لنا السياط  
لكي تذلّ بها الرقاب  
والقييد للشعب الذي  
ذاق المهانة والعذاب  
والمسجد الأقصى تدنس  
باليهود وبالكلاب  
قالوا الصقور

فهنالك من الشعراء الإسلاميين في  
الأردن من يمتلكون قدرات فنية عالية ،  
وهناك لدى الشاعر الواحد تفاوت بين  
قصيدة وأخرى (( (٢٨) ، وهذا  
التخصيص هو الذي أنقذ حكم الناقد ،  
وجعله واقعياً ، ولربما كان يقصد في  
هذا الاستثناء يوسف العظم وأمثاله ممن  
اتسم بشعرهم وخيالهم بالخصوبة والعمق  
من خلال قدرات تصويرية عالية ،  
وإدراك جاد لأهمية الصورة الشعرية  
وأثرها في بناء النص . ولا شك أن  
الصور التالية تظهر مدى غضب  
الشاعر ورفضه للتعامل مع العدو  
الغاصب الذي صورّه بأبشع ما يمكن  
من الصور التي تجرد العدو من أدنى  
صفات الانسانية ، وتقذفه بأبشع

فلسفته الكليّة وأسرار إبداعه الفني ،  
ومن أجل ذلك لا بدّ من قراءة أخرى لما  
سمته البلاغة العربية بجملتي ( الخبر  
والإنشاء ) ، فالجملة الخبرية في تأويلها  
الذهني هي جملة ثبات وتأكيد ، ورضى  
وقبول ، إنها بعبارة أخرى ( بنية  
استقرار ) ، أما جملة الإنشاء بما فيها  
من أمر ، ونهي ، واستفهام ، وتمنٍ ،  
وترجٍ وغير ذلك ، فهي بعبارة ثانية (   
بنية توتر ) والاستفهام بصفته اختياراً  
لغويّاً حركة تقع في مركز هذه البنية  
ويؤثرها ، لذا فهو رؤية وكشف ، وسبيل  
للاغتناء المعرفي ... ولأن السؤال  
بنية مزدوجة ( إرسال / وتلق )  
في أن واحد ، فهو في حالة جدلية ،  
وسيرورة حوارية ، لذا تصفه التناولات  
البلاغية الحديثة بأن (( بنية عميقة  
منتجة للدلالة )) (٣٠) لماله من دور  
في تحريك الموقف وخلخلة الواقع من  
جهة المبدع ، وانتظار المتلقي لإجابة  
ما ، أو الانفتاح على أفق من التوقعات

قـات يجمعهم غـراب  
قـالوا خلاف في السياسة  
قـات كلهم ذئـاب  
قـد برهنوا أن الحضارة  
عندهم ظـفـر وذاب  
ويـأن سلـمهم الـذي  
يـغـون وهـم أو  
سـراب(٢٩)

### المبحث الثاني : بلاغة الاستفهام

لأسلوب الاستفهام وتجلياته المختلفة  
دلالات مهمة في العمل الفني عموماً ،  
والشعري على وجه الخصوص ...  
ويمكن تناول التنويعات التعبيرية لهذا  
الأسلوب انطلاقاً من طبيعة  
الموضوعات التي تقلق الشاعر ،  
وتترسم من خلالها فلسفته الشعرية  
استناداً إلى اللغة ومعطياتها ، فلغة  
الشاعر هي المفتاح الأول للوقوف على

"عطش" فإنه في الإبداع الشعري إعلان صارخ عن هذا كله (٣٢) .

وقد شكّل الاستفهام ظاهرة تستحق الدراسة في شعر يوسف العظم ، وهي اختيار لغوي ذو دلالة وإيحاءات ينبغي تأويلها في الإطار العام والكلي لجوهريّة المشكلات الإنسانيّة والواقعيّة التي يعيشها الشاعر الملتزم بأنه شاعر دائم التساؤل والبحث والقلق ومحاولة الوصول إلى أجوبة للأسئلة المحيرة التي تدفع به لأتون الإبداع ، وفضاءات الألق الشعري المختلف تماماً عن لغة التواصل العاديّة ، ولعل تقسيماً ما لحقول الاستفهام واستراتيجياته عند الشاعر يوسف العظم يضعنا في صورة الإطار الكلي لشعرية الظاهرة المشار إليها ، وهذه الحقول هي:

- ١- الماضي وأسئلة الحزن
- ٢- التحولات ... حيرة الأسئلة
- ٣- الثورة ... تساؤلات لا تنتهي

تسهم في فتح النص نفسه . ولأهمية الاستفهام بهذه الصفة ، فهو يتصدر تركيب الجملة ، بل إنه يحاصرها ، ويلفها ، ( فأداته تقع في بداية الجملة ، وعلامته تغلق نهايتها ) وهنا نصبح أمام منظور جديد للغة ، وفلسفة مغايرة للدلالة تؤديها شعرية الاستفهام ذاته ، وكما يقول موريس بلانشو : ((كأن الوجود عندما يضع نفسه موضع السؤال ، يتخلى عن صخب انبثاقه ، وحسم نفيه ، ليكشف عن نفسه ويفتح ، ويفتح الجملة على آفاق جديدة، بحيث تغدو الجملة بذلك الانفتاح فاقدة لمركزها الذاتي الذي يصبح خارجاً عنها مقيماً في المحايد)) (٣١).

والمحايد هنا ليس بمعنى السلبي - بطبيعة الحال - المحايد هو المختلف ، هو المبتعد ، هو المغاير أيضاً . وإذا كان السؤال " معرفة " و " رغبة في " و

٤- للروح أشواق ... وللنفس

أسئلة

ففي المجال الأول ( الماضي وأسئلة الحزن ) يطالعنا يوسف العظم بشعر كثير في قصيدة ( في ذكرى الشهيد ) يسأل فيه عن تاريخ أضعناه ، ومجد فقدناه من ذلك ، مثلاً ، ما جاء في قصيدة ( في ذكرى شهيد ) :

وفؤاد الأقصى الجريح ينادي

أين عهد اليرموك والقادسية ؟

أين رايات خالدٍ وصلاح

وزحوف لطارق وأممية ؟

وعلي يزجي الصفوف ويعالي

في ذرى المجد راية هاشمية ؟

أين عهد الفاروق وغير ذليل

عف قولاً وطاب فعلاً ونية ؟

وجيوش قد أشرعتها سيوفاً

وقلوب نظيفةً وتقية ؟

ونداء للحائرات ضياعاً

أين خنساؤنا وأين سمية ؟

ورماح في كف خولة تزهو

وسيوف في راحة المازانية ؟ (٣٣)

فهذا التراكم من الأسئلة يستخدمه

الشاعر لتحويل الجملة الخبرية التي

يمكن استخدامها للتعبير عن ماض

مجيد ، وبطولات تاريخية للأمم ، إلى

جمل إنشائية تخلق أجواء من التفاعل

المبدع والمتلقي ، وهو تراكم لغوي يدل

على رفض الشاعر لهذه الحالة من فقد

والضياع لتاريخ نبكي عليه ، ونرغب في

عودته ... وهي أدوات زمنية تثير البعد

التاريخي في تقاطعاته بين أزمنة (

الماضي - والحاضر - والمستقبل )

ركب البحر لا يخاف سفينه  
وصلاح كغرة الصبح يرجو  
أن تعيدوا وتبعثوا حطينه (٣٤)  
ولا شك أن شعرية الأسئلة ، وشحتها  
الانفعالية هي مصدر الجمال في لغة  
الشعر هنا ، ومع ذلك فإن الشاعر يسند  
ذلك كله بنفس قصصي سردي يحيل  
إلى هذه الشخصيات والرموز البطولية ،  
وذلك يحاول إيقاظ تلك الرموز ،  
وصياغة صور تمثيلية تقوم على  
عناصر الحركة والحوار والنفس الدرامي  
البسيط المناسب لهذه السردية الموجزة :  
( وصلاح ... يرجو أن تعيدوا وتبعثوا  
حطينه ) .

ولقد أدرك الشاعر أن استراتيجيات  
الأسئلة تخدم موضوعه وفنه ، لذا لم

كما تثير كلية الحزن وشموليته بسبب  
هذا الخسران الممتد زماناً ومكاناً ،  
وإنساناً أيضاً ، حيث تساءل الشاعر  
عن ( عهد الفاروق ... والأقصى ...  
وأبطال الأمة ذكوراً وإناثاً ) .

وهو في هذا المحور يمرر أسئلته  
وتساؤلاته عبر محطات كثيرة وعديدة  
لأمجاد الأمة ومفاخرها مسجلاً في هذا  
السياق مواقف من البطولة والفداء ،  
تمثل لنا الآن ، في هذه اللحظة  
التاريخية ، مثار دهشة وحيرة ومحاولة  
معرفة ( أين ذهب كل هذا ) ؟! ( ولم  
لم تتواصل المسيرة ) ؟! ونحن اليوم  
بأمس الحاجة إلى هذا التواصل ، يقول  
في قصيدة ( السلام الهزيل ) :

أين سعد وخالد والتمثلي؟  
كلهم بالدماء ينصر دينه ؟  
والسرايا يقودها ابن زياد

فهذا الانتباه لأهمية الأسلوب الاستقهامي في شعر يوسف العظم ، وهذا الاهتمام بعنونة القصائد بأدوات استقهامية متنوعة ، وبكثافة واضحة في نصوص دواوينه الشعرية أمر جدير بالدراسة والتأويل ، ولا سيما حين يبرز هذا الاهتمام بعناوين النصوص ، أو ما يعرف ( بالعتبات ) التي باتت في عرف البحوث النقدية نصاً مهماً في عملية التحليل الأدبي ، (( حيث تجترح تلك العتبات نصاً صادماً للمتلقي ، له وميض التعريف بما يمكن أن تتطوي عليه مجاهيل النص ... وهي أشبه بعتبة النص التي تربط الداخل بالخارج )) (٣٥). وتقود إلى فهم كلي لتجليات الموضوع والأدوات اللغوية المستخدمة كالاستقهام ، والنفي والتوكيد وغيرها ، مما يعده النقاد مصدراً من مصادر الشعرية في النص الأدبي ( الشعري / أو النثري ) على حدّ سواء ، وبسبب من

يقتصر على بثها في ثنايا القصيدة عنده إنما راح يبرزها في عناوين قصائده ، فما هو يسمي بعضها ب :

- ( جواب ... على سؤال )

- و ( أنغني للهوى في مأتّم ؟! )

- و ( أين سيف لا يقَرّ الهوان ؟ )

- و ( ألا يكفه أنّ ماجد ؟ )

- و ( ماذا أحدثت عن عرار )

- و ( متى .. ؟ )

- و ( أين قلبي ؟ )

- و ( كيف نحيا يا قوم من غير قدس ؟ )

- و ( أرايتم كيف تنداح الدوائر ؟ )

- و ( كيف تقسو ؟ )

- و ( هل أضعوني حقاً ؟ )

- و ( مَنْ مبدع الكون ؟ ) .

ولمتابعة المحور الذي بدأناه ، أي ( الماضي ... وأسئلة الحزن ) نجد يوسف العظم في محاولته استعادة ماضي الأمة وتاريخ أمجادها وبطولاتها من خلال الطاقة اللغوية للاستفهام واستراتيجياته ، يقدم محطات مكثفة لصور البطولة ، والتضحية والشهادة والنصر وغير ذلك ، مما يمثل تحفيزاً للمتلقي ، وتحقيقاً للرسالة التي يحملها الشاعر ، والالتزام الذي يعتقده ويرتضيه . وهو ينظر إلى ذلك التاريخ بوصفه مدرسة ينبغي أن نتعلم منها دروساً ينبغي فقهها ، يقول في قصيدة ( جواب ... على سؤال ! ) :

هل نُصرنا ( بالعدِّ ) ياليت شعري  
في ضفاف اليرموك والأسد تزرأ ؟  
أم نُصرنا بسعدة وسلاح  
وسلاح العدو أمضى وأكثر ؟  
أم دحـرنا في القادسية جيشاً

ذلك أعيد الاعتبار إلى ما هو خارج النص من كيانات لغوية يمكن الاشتغال عليها تأويلاً (( كالعنوان التي أخذت تحتل موقعاً هاماً في الدراسات اللسانية والسيمائية والنظريات الشعرية والنصية التي انشغلت بدراسة وظائف العنوان وشعريته )) (٣٦) بوصفه بنية لغوية دالة ، وصياغة خاصة مختمرة بكتافتها ورهافتها في الآن نفسه . فضلاً عن هذا وذاك فإن الدراسات النقدية يهملها دراسة أي ظاهرة لغوية تبرز بوضوح في اختيارات الشاعر ، لما تقدمه من مساعدة في الكشف عن باطن النص وإيجاءاته ، ففي دراسة للباحث بسام المهرة عن ( أسلوب الاستفهام في قصائد رثاء الشيخ الشهيد أحمد ياسين ) أوضح ما لهذا الأسلوب من ( معان بلاغية ) عديدة يخرج لها ، ويُعبّر عنها بأدواته المختلفة (٣٧).

أتطربون لأهاتٍ نصعدها

وينزف الجرح والقطعان تبتسم ؟

إلى متى نرتضي ذلاً يُورقنا ؟

فليطلق السيف وليهتف بنا القلم (٣٩)

فالأسئلة ( لمن أبث ... من ذا ... أتطربون ...

إلى متى ...؟! ) تذيب الذاتي بالموضوعي ،

فتصبح القضية الجمعية قضية فردية حين تعلق

نبرة الحزن والأسى ويبرز الشاعر مدى حزنه وألمه

النابع من حيرة جوهرية يعكسها سؤال في الصميم

(أتطربون لأهاتٍ نصعدها ) ؟ يظهر تحولاً في

منطق الأمور وانكساراً لطبيعة الأشياء ( وينزف

الجرح والقطعان تبتسم ) ولعل هذه الأسئلة الكاشفة

عن مدى الحيرة وحجم الإرباكات الموضوعية التي

يعانيها الشاعر تشير إلى المفارقة الأساسية

الموصلة إلى ( الضحك / والبكاء ) بطريقة ساخرة

تصل حدّ ( الكوميديا السوداء ) ، وهي الكوميديا

بخميس مهاهل مستأجر ؟

أم بجيش شـعاره دون خوف

لا يهابُ الحمام ( الله أكبر ) (٣٨)

## ٢- التحولات ... حيرة السؤال

لقد أربكت التحولات التي غيرت حال

الأمة وشؤونها واهتماماتها و غدت على

مرأى ومسمع من الجميع شاعر

الأقصى ، وأحالت التفاتاته ومشاهداته

إلى تساؤلات مثيرة للحزن والألم ،

ففي ( رسالة ... من القدس ! ) ،

يتساءل :

لمن أبث شكاتي والشفاه غدت

خرساء ليس لها في الحادثات فم ؟

من ذا الذي هدّ منّي ساعداً ويدا

هل ضاع دربي أم زلت بي القدم ؟

لقد جرعنا كؤوس النذلّ مترعة

والقدس في العار والمحراب والحرم .....

العـيد أقبل والذكري تـورقني  
وليس في العيد غير الحزن والسقم  
وصورة لصغير ظلّ يرقبني  
متى أعود؟ وعين الطفل لم تنم  
إلى متى سوط سجّاني يلاحقني؟  
وقد غدا السوط في جوع وفي نهم  
أنرضى العيش في نلّ وفي دعة؟  
لا يرتضيها سوى من نلّ للقم  
وكيف نحيا على سفح الحياة وقد  
بنت سواعدنا الامجاد في القمم؟  
من لي بأجنحة رقت على فنن  
تجود باللحن والتغريد والنغم؟  
تحوم اليوم في الأقصى وصخرته  
تئن وأسفا مقطوعة الرحم. (٤١)  
فنحن هنا أمام استعادة فنية لتراث  
شعري تعامل مع ( العيد ) تعاملًا

النابعة من سبيل من الأسئلة الشعرية التي بدت  
في شعر يوسف العظم لافتات ينبغي الوقوف  
عندها ، ففي قصيدة ( عيد ) :

أقبل العيد ورقّت زكريات  
وتلطّى في الحنايا أمنيات  
أين يـاـفا؟ أين حيفا؟ ولكم  
في ربي الكرمل تحلو السهرات  
أين عكا؟ عن حماها شامخاً  
هزم العدوان وارتدّ الطغاة(٤٠)  
تشير الأبيات إلى مرارة التحول من عيد  
جالب للفرح ، إلى عيد مثير للذكريات ،  
مؤلم ، يشعر بالحسرة والحرقنة بسبب ما  
آلت إليه الأوطان !

وفي قصيدة ( مع العيد ):

سيجيب؟ لذا بدت لغة الحوار منقطعة  
ومنبثّة تماماً ، مما يعزز ( أيضاً ) من  
سيرورة ( الحيرة ) وشموليتها ، وتوالدها  
المتواصل من رحم التحولات البشعة  
والمخيفة التي احتل معها الوطن ،  
وخضعت بها الأمة ، فتاه ( الإنسان  
والزمان والمكان ) ، بل الحيوان أيضاً ،  
وذلك من خلال صورة ( الطير ) الذي  
انعكست عليه هذه التحولات ، فصار  
سؤالاً من الأسئلة الكثيرة التي شحنت بها  
الشاعر النص :

من لي بأجنحة رقت على فنن  
تجود باللحن والتغريد والنعيم  
تحوم اليوم في الأقصى وصخرته  
تنن وأسفاه ! مقطوعة الرحم (٤٢)  
وهنا تبرز إمكانات الشاعر الفنية في  
التوجه بالأسئلة اتجاهات متنوعة ، وعدم  
حصرها في دائرة محددة ، فقد استطاع

تحولياً قدّم صورتين متناقضتين لهذه  
المناسبة الإسلامية ( فالعيد فرح في  
مفهومه العام ) ( لكنه حزن وسقم  
وذكرى مؤرقة في عالم الشاعر ) وهنا  
تظهر ملامح التناص الفني بالاتكاء  
على عيد المتنبّي :

عيد بأيّة حال عدت يا عيد  
بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟  
وإذا كانت قضية المتنبّي ذاتية في  
أصلها ، فإن قضية يوسف العظم  
جماعية موضوعية ، نفذت إلى إحساسه  
الداخلي وعكست حزنه وهمّه العام .

ولا شك أن توظيف ( صورة الطفل ) في  
سياق الاستفهامات الحائرة يزيد في دفق  
الحيرة وشحنتها ، إذ لا يدري الشاعر  
كيف يجيب مثل هذا الطفل ، وبم

أنغمني للهوى في مأتَم  
ولنا من دمننا كأس ودن؟  
وسيوف الحرب لا نصقلها؟  
وسيوف الرقص تسن؟  
أيظنّ الخير فيمن حكموا  
وأذلوا الخير فينا؟ أيظن؟ (٤٣)

### ٣- السؤال وقود الثورة !

استخدم الشاعر يوسف العظم  
استراتيجية الأسئلة ليصنع منها أدوات  
تحفيز وتحريك باتجاه الوظيفة الجوهرية  
للشعر ، بوصفه محرضاً وفاعلاً ،  
وحامل رسالة ، يقول في قصيدة (   
السلام الهزلي):

يا حماة الأقصى الجريح أفيقوا  
أيمن أقصاكم الذي تحموناه؟  
قد ملأتم رحب الفضاء كلاماً  
وأثرتم من الحديث شجوناه

أن يحشد جمعاً من الصور الخاضعة  
للتساؤل والاسـتجواب ، وبأدوات  
استفهامية متعددة ، فنحن أمام أصوات  
متعددة ، وعلامات استفهام وتعجب  
حول ( زمن العودة ، وزمن التخلص من  
سوط السجان ، وعدم فهم هذا الرضى  
بحياة الذل ، وعدم استيعاب القبول  
بالتخلي عن القمم والاكتفاء بالسفوح ،  
والبحث عن منقذ لهذا الطائر الذي فقد  
رحمه وأصحابه حيث حلّ محلهم الشذاذا  
والأغراب ! ) .

وكذلك ينعى الشاعر على قومه نسيانهم  
آلامهم وانهماكهم في لهوهم وطربهم ،  
كما يظهر من قصيدة ( أنغني للهوى  
... في مأتَم !؟ ):

صياغة إجابات عملية وفورية ، يقول  
في أبيات بعنوان : ( همسة ثائرة !! ):

أنا في جوفي نار ولهب  
أنا في صدري حقد وغضب  
فمتى يلفظ جوفي لهبا ؟  
عندما يخجل حكام العرب  
ومتى ينفث صدري غضبا ؟  
عندما يصمت " سحبان " الخطب  
عندها نسحق أعداء الحمى  
ونباري في العلى هام الشهب (٤٥)  
للروح أشواق ... و للنفس أسئلة  
في مواضع سابقة أشارت الدراسة إلى  
أن شعر يوسف العظم لم يكن معزولاً  
عن ذات مبدعه وأشواقها الإنسانية  
الخاصة ، فبرغم إخلاص الشاعر  
ووفائه لقضيته والتزامه بها ، إلا أن

ومضى يتم لمجلس الأمن ضعفاً  
وهواناً وزلّة ترجونه :  
من يدين العدو يالهف نفسي  
كيف نرجو عصاةً أن تدينه ؟.....  
لكأني بمسجد القدس يدعو  
وينادي ، أم سمعتم أنييه ؟ (٤٤)  
ونلاحظ ما يحمله الاستفهام من نبرة  
السخرية والاستهزاء ، مع توظيف  
المفارقة ( حماة الأقصى ) ( أين أقصاكم  
الذي تحمونه ؟ ) ( ومجلس الأمن يدين  
العدو !! ) مع أن مجلس الأمن هو  
ذاته عصاة الغاصبين المستعمرين )  
كيف نرجو عصاةً أن تدينه ؟ ) وإذا  
كانت الأسئلة تفجر فيمن يسمعها نيران  
الثورة ، فإنها تثير فيه رغبة جامحة في

هات يا سيدي ، إليّ يتيمي  
أنا أرضاه و المراضع تشهد  
أتراها ترجو الرخاء لديه ؟  
ويفقر اليتيم تهنا وتسعد ؟  
أم تراها أدركت ما لديه ؟  
ويذكر الحبيب سوف تخلد ؟  
ذاك الهام من جبلّ علاه  
ولله الكون والعوالم تسجد ؟ (٤٦)  
فنحن أمام معان لم نعدها في شعرنا  
الإسلامي الحديث ، حتى في  
شعرنا العربي القديم ، و شعراء  
الدعوة الإسلامية لم يلتفتوا إلى هذه  
الشخصية التاريخية ( حليلة السعدية )  
فجاء يوسف العظم و كاد يرتفع بها إلى  
درجة ( الرمز ) الذي يمكن أن يتضمن  
دلالات أعم و أشمل من شخصية وحيدة

إنسانيته كفرده له طموحه و رغباته  
وأحلامه ظلّت بادية في شعره ، وإن كان  
ذلك كله غير بعيد عن سياق فكره العام  
، وثقافته الكليّة ، و في نص متقرّد  
بفكرته يتساءل الشاعر عن مرضعة  
الرسول ( ص ) السيدة حليلة السعدية :

من تُرى ترضع اليتيم و تسعد  
وتباهي بلثمها لمحمد ؟!  
من لهذا اليتيم يا لهف قلبي  
بحنان ؟! ذراع من يتوسد ؟  
أيّ حضن ترى سيحنو عليه  
أيّ بيت تُرى سيُمجّد ؟  
وتورات خلف الرّجال نساءً  
كل أنثى ترجو الشراء و تتشدّ  
غير أنثى قد أقبالت بحياء  
وخفار وعفّة وتورد

العصور ، و نوراً سرمدياً أبدياً بسبب  
بركة فتى أكرمه الله ( بالنبوة ) و سيكون  
له شأنه لن يكون لغيره من البشر !.

و في قصيدة أخرى بعنوان ( رجمتُ  
إبليس ) يطلق أبو جهاد " شاعر  
الأقصى " أسئلته مستوضحاً عن قيمة  
فنه الشعري قائلاً :

يعيش حسان في قلبي و في قلبي

فهل بلغت بشعري روح حسان ؟

و هل أظلل على عهدي أوثقه

لا أبتغي غير جنات و رضوان ؟

أم أنني ريشة في الريح تحملها

تعلو و تهبط في بيد و كئيبان ؟ (٤٧)

فعندما يستبطن الشاعر مجاهيله الفنية يرى أنه

بحاجة لتلك النماذج العليا من فن الدعوة

الإسلامية ، و هي اعترافات شاعر لا يتورع أن

يقرّ بتلمذته لجيل السلف المبدع من شعراء الأمة

فريدة في تاريخنا الإسلامي ،

إنها رمز ( المحبة ) و (

المحبين ) لمحمد عليه الصلاة و السلام

، و ما أشد حاجة الأمة لهذا الرمز هذه

الأيام ، و ديننا الإسلامي يواجه ما

يواجه من الهجوم و التجني ، و التهم

التي تلقى عليه جزافاً .

دع عنك ما أبدع فيه الشاعر من إبراز

قضية (اليتيم ) في شخص النبي محمد

عليه السلام .. فوجد العظم في العلاقة

الإنسانية المرهفة بين المرضع ( حليلة

السعدية ) و اليتيم ( محمد بن عبدالله

عليه السلام ) مثاراً لأسئلة تسير جوهر

الإنسان في سعيه للرزق ، و رضاه بما

قسم الله ، دون أن يعلم بأن هذه القسمة

المتواضعة ( فتى يتيم لا تطمع في

إرضاعه أي من زميلاتها ) ستكون

سبباً في عظمتها و خلودها على مرّ

غدوت كليباً لليس للقسوس منزع  
أحرم؟! حاشا جودك الغامر الذي  
تباهى به الآفاق و الكون أجمع(٤٨)  
و لعل هذه الأسئلة ، تنقلنا إلى أجواء المتصوفة و  
أشواقهم التي تحملهم إلى عوالم الوجد والمكاشفة  
.. إنها أسئلة السالك ، أو طالب العلم المتعطش  
لكلمة من مولاه تـروى غليله : ( أدعوك  
جهرًا ؟ أم أناجيك خفية ) و لاشك أن التناص  
القرآني المستند إليه هذا التركيب يمنح الاستفهام  
امتداداً دلاليًا مهماً .. يضاف إلى بقية عناصر  
الأداء الاستفهامي ( فمن القلب إلّاك..؟ متى يا  
رب للنور أرجع ؟ و هل أقوى على الصبر ؟  
أحرم ؟ ) و نحن نقرأ هذه الأسئلة نعيش حالة من  
الإننتظار أو أفقاً من التوقع . و هو أفق مفتوح ،  
تفتحه أسئلة الشاعر على جميع الاحتمالات . و  
في سياق آخر ( عتاب ! ) يخاطب الشاعر مَنْ

.. و قد برزت هذه الروح من خلال أدوات  
استفهامية بسيطة ( هل ، فهل ، أم .. ) و  
هي استفهامات تأتي عفواً لكشف أشواق النفس  
الداخلية، و تتبدى أكثر عفوية و تلقائية حينما  
تتعمق المشاعر الإنسانية متأملة متانة صلة الروح  
بخالقها ، و دفء أشواقها لمناجاته ، ففي قصيدة  
( منى القلب ) نستمع إليه يقول :

أناجيك في ليلي و في العين أدمع  
و مالي إلا رحمة منك تشفع  
أدعوك جهرًا ؟ أم أناجيك خفية؟  
و أنت لزحف الظلّ و النمل تسمع  
فؤادي في كفيك ليس يـنالاه  
سواك فمن للقلب إلّاك مرجع ؟  
بذلت قصارى الجهد أرجو مكانة

لديك ، متى يا ربّ للنور أرجع ؟  
صبرتُ ، و هل أقوى على الصبر ؟ بعدما

أتطفئ النورَ في دربي و تخذلني ؟  
و الدرب دربي و النبراس نبراسي(٤٩)  
فهذه الأبيات من أرق ما قيل في العتاب ، و من  
أروع الأبيات التي تبرز ألم الجرح بين الأصدقاء  
.. و مرارة التساؤل عن أسباب ذلك الجرح . و من  
الناحية الفنية يلمس القاريّ بالإضافة إلى قسوة  
هذه الأسئلة التي لا إجابة لها - قسوة الإيقاع  
المتولدة عن صوتي ( السين و الصاد ) لتزيد  
مشاعر الجراح ألماً وحرقة.

تركه في ذهول و تساؤل لا ينقطع : ويحك ! ما  
السبب !؟  
ما ضرّ قلبك لو عاتبت يا قاسي ؟  
و قد أصبت بسهم الظلم إحساسي  
أين الوفاء ؟ وأين الدين يجمعنا ؟  
و أين ودّي و تحناني و إخلاصي ؟  
قل لي بريك : ما سرّ الجفاء ؟ و ما  
سرّ التتكرّر للجراح و الآسي ؟

هوامش البحث :

(١) نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٨٣ .

(٢) انظر هذه الأنواع وأمثلةها لدى أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العراقي ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ج١ ، ص ١٨١-١٩٤ .

(٣) صلاح فضل ، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ ، ص ١٠٠ ، ١٩٨٦ .

(٤) كمال أبو ديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٥

(٥) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ ، ص ١١٧ .

(٦) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء ، ص ١١٩ .

(٧) كمال أبو أديب ، في الشعرية، ص ١٨ .

(٨) ب. مارتين وف . رينهام ، معجم مصطلحات السيموطيقا ، ترجمة : عابد خزندار ، ص ١٤٦ .

(٩) حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ١٧ .

## محور اللغة العربية

- (١٠) إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٠ ، ص ٢١٦ .
- (١١) نفسه ، ص ٢٢٠ ، وانظر : المسافة والزمن في شعر ذي الرمة ، ضمن (من الذي سرق النار) ، ص ٤٠٢ .
- (١٢) إحسان عباس ، فن الشعر ، ص ٢٢٠ .
- (١٣) نفسه ، ص ٢٢٣ .
- (١٤) نفسه ، ص ٢٢٤ .
- (١٥) مصطفى ناصف ، دراسة الأدب العربي ، ص ٢٣٢ .
- (١٦) إحسان عباس ، فن الشعر ، ص ٢٢٤ .
- (١٧) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .
- (١٨) نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، مكتبة لبنان - ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧٩ .
- (١٩) محمد حسن عبد الله ، الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٩ .
- (٢٠) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٣٦ .
- (٢١) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٢٠٥ .
- (٢٢) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٣٦ .
- (٢٣) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٣٥٦ .

## عناصر الشعرية ومقوماتها عند شاعر الأقصى يوسف العظم "دراسة في جماليات النص"

- (٢٤) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٢١٦ .
- (٢٥) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ١٩ .
- (٢٦) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٧٢ .
- (٢٧) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٧٣ .
- (٢٨) مأمون جرّار ، الاتجاه الإسلامي في الشعر في الأردن ، ضمن ( الشعر في الأردن : أوراق ملتقيات عمان الإبداعية ) وزارة الثقافة ، عمان ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٥٥ .
- (٢٩) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٢٢١ .
- (٣٠) محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية : قراءة أخرى ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ٢٩١ .
- (٣١) موريس بلانشو ، السؤال والجواب ، عبد السلام بنعبد العالي ، موقع [www.gocities.com](http://www.gocities.com) .
- (٣٢) كتب صاحب هذه الدراسة بحثاً صغيراً بعنوان ( جماليات الاستفهام في شعر عرار ) مقبول للنشر في مجلة الرافد .
- (٣٣) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ص ٢١
- (٣٤) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٢٩
- (٣٥) معجب العدوانى ، تشكيل المكان وظلال العتبات ، النادي الأدبي ، جدة ، ٢٠٠٢ م ، ص ٧

(٣٦). مفيد نجم ، شعرية العنوانة في تجربة زكريا تامر القصصية ، مجلة الراوي ، عدد ١٧ ، أغسطس ٢٠٠٧ ، ص ٩٣ .

(٣٧). انظر : بسام المهرة ، أسلوب الاستفهام في مراثيات الياسين ، مجلة الجامعة الإسلامية بغثرة ، مج ١٧ ، ع ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٣٩-٣٥٨ .

(٣٨) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٣٠ .

(٣٩) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٣٢ .

(٤٠) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٩٥

(٤١) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٣٦

(٤٢) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ،

(٤٣) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٧١

(٤٤) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٢٨

(٤٥) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٩٥

(٤٦) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٥٩

(٤٧) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٦٠

(٤٨) يوسف العظم ، الأعمال الكاملة ، ص ٦٨

### المصادر والمراجع :

- إبراهيم الكوفحي ، محنة المبدع :دراسات في صياغة اللغة الشعرية ، فصل :  
فلسطين في شعر يوسف العظم ، منشورات أمانة عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٧
- ابن خفاجة ، ديوان ابن خفاجة تحقيق : عبد الله سند ، دار المعرفة ، بيروت  
٢٠٠١
- إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٢
- إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠
- إحسان عباس ، المسافة والزمن في شعر ذي الرمة ، ضمن (من الذي سرق النار)
- إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، الكويت ، فبراير  
١٩٧٨
- أحمد أبو حاقبة الالتزام في الشعر العربي ، ، دار العلم للملايين ، بيروت ،  
١٩٧٩ م.

- أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العراقي ، ط

١٩٨٣ ، ١

- أمل دنقل ، الأعمال الشعرية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٩

- ب. مارتن وف . رينهام ، معجم مصطلحات السيموطيقا ، ترجمة : عابد

خزندار

- بسام المهرة ، أسلوب الاستفهام في مرثيات الياسين ، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة ،

مج ١٧ ، ع ١ ، ٢٠٠٩

- الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٨٣

- جان بول سارتر ، الأدب الملتزم ، ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الأدب ، بيروت

، ط ٢ ، ١٩٦٧ م .

- حازم القرطاجني ، منهج البلغاء ، وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب ابن

الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١

- حسان بن ثابت ، ديوان حسان ، تحقيق وتعليق ، د. وليد عرفات ، مطبعة الجزيرة

، دمشق ، ٢٠٠٢

## عناصر الشعرية ومقوماتها عند شاعر الأقصى يوسف العظم "دراسة في جماليات النص"

- حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ -
- الخطيب التبريزي، شرح المعلقات العشر ، تحقيق: فخر الدين قباوة ، دار الجزيرة ، دمشق ، ١٩٨٩
- دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٧
- رثيف خوري ، الأدب المسؤول ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨ م.
- رجاء عيد ، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ط١ ، ١٩٨٨
- رمضان عمر ، الأرض والإنسان في شعر يوسف العظم ، موقع بيت فلسطين للشعر <http://www.ppbait.org/index>
- زكي الشيخ كئانه ، يوسف العظم شاعر القدس ، دار البشير ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٧
- سامي مكى العاني ، الإسلام والشعر ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ع٦٦ ، ١٩٨٣

- سكيّنة بنت أحمد بن محمد آل هاشم ، شعر يوسف العظم - دراسة في الموضوع والبنية ، كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود - قسم الأدب - سيد قطب ، منهج الفن الإسلامي ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٧ .
- شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٧ ، د.ت
- صلاح فضل ، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦ .
- عبد الرحمن الباشا ، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، جامعة الامام محمد بن سعود ، ١٩٨٥
- عبد الرحمن صالح العمشاوي ، عندما يعزف الرصاص ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٢
- عروة بن الورد، ديوان تحقيق : أسماء أبو بكر محمد، دار التراث ، ٢٠٠٣
- عمرو بن مالك ( الشنفرى ) ، ديوان الشنفرى ، جمع وتحقيق : إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٧

- غالي شكري ، شعرنا الحديث ... إلى أين ؟ دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ،

١٩٧٨

- فؤاد عمر البابلي ، الالتزام في شعر محمد التهامي : دراسة تحليلية ، رسالة

ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠٠٤

- كمال أبو ديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط ١ ،

١٩٨٧

- مأمون جرّار ، الاتجاه الإسلامي في الشعر في الأردن ، ضمن ( الشعر في الأردن

: أوراق ملتقيات عمان الإبداعية ) وزارة الثقافة ، عمان ، ٢٠٠٢

- ماكس إدريث ، أدب الالتزام ، ترجمة : عبد الحميد إبراهيم شيحة مكتبة النهضة

المصرية ، القاهرة ١٩٨٩

- مجلة المجتمع ، الكويت ، ع ٢٣١ ، ٧/٥/١٩٧٥ م .

-محمد برادة وآخرون ( تحولات مفهوم الالتزام في الأدب العربي الحديث ) دار الفكر ،

بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٣

-محمد بن عبد العظيم بنعزوز ، معجم مصطلحات الأدب الإسلامي ، دار النحو

للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٦

-محمد الحميدة ، يوسف العظم شاعراً ، وزارة الثقافة ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٥

- محمد حسن عبد الله ، الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف ، القاهرة

- محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية : قراءة أخرى ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٧

-محمود سامي البارودي ، ديوان البارودي ، تحقيق وضبط وشرح : علي الجارم ومحمد

شفيق معروف ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٨ .

- مصطفى عليان ، طبيعة الالتزام في الشعر الإسلامي ، مجلة الأمة ، قطر ،

ع ٤٢ ، ١٩٨٤ .

- مصطفى ناصف ، دراسة الأدب العربي ، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر ،

القاهرة .

- معجب العدوانى ، تشكيل المكان وظلال العتبات ، النادي الأدبي ، جدة ، ٢٠٠٢

- مفيد نجم ، شعرية العنوانة في تجربة زكريا تامر القصصية ، مجلة الراوي ، عدد

١٧ ، أغسطس ٢٠٠٧ .

## عناصر الشعرية ومقوماتها عند شاعر الأقصى يوسف العظم "دراسة في جماليات النص"

- موريس بلانشو ، السؤال والجواب ، عبد السلام بنعبد العالي ، موقع.

www.gocities.com

-نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط ١ ، ٢٠٠٣

- نجيب الكيلاني ، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، دار ابن حزم ، ط ٢ .

- هزاع البراري ، يوسف العظم شاعر الأقصى ، جريدة الرأي الأردنية

٢٥/٤/٢٠١١.

- يوسف العظم ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ( ديوان في رحاب الأقصى ) دار

الضياء ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م

## المتعلّيات النصية لمؤلفات علي شريعتي

### سيمياء العنوان الرئيس أنموذجا

م.د. محمد مهدي ياسين الخفاجي

مديرية تربية ذي قار - العراق

اولى النقد اهتماما جما بالقارئ على حساب النص ، حتى جاء النقد المعاصر ليشر من ساعديه ويقلب المعادلة ، ويولي اهتماما كبيرا بما يطلق عليه مداخل النص ، أو عتبات الكتابة ، أو المتعلّيات النصية ، أو تسميات كثر غيرها ، سنتطرق لها تباعا في هذه الدراسة .

وقد تمثل عذا الاهتمام في تأثير تلك المداخل واهميتها في حل شفرات النص وتوضيح غاياته والكشف عن مفاتنه ودلالاته الجمالية ، وتعد تلك العتبات من السيميائيات التي لها وظائف كبيرة من خلال الاثر الذي تتركه من انطباعات وتصورات قبلية عند المتلقي ، " بما ان العنوان هو العتبة الاولى المقابلة لزاوية القراءة في أي نص ، فان تقديمه في الدراسة يستجيب لهذا المعطى بأعتبار انه لا يمكن الدخول الى عالم النص دون المرور بالعنوان ، وهذا المرور يتعلق ايضا بمصاحبات العنوان الرئيس كالعناوين الداخلية والتصديرات"<sup>(1)</sup>.

اذ يعد العنوان من اولى العتبات النصية وقد كان لجيرار جينت السيق في تفضيل تلك العتبات في اكثر من اصدار له ، وقد سمي كل من العنوانات الرئيسة والفرعية

فالعنوان هوية تعريفية لكل نص وهو العتبة الاولى التي يقوم القارئ من خلالها بحل رموز ، والبحث عن مفاتيح النص المغلقة ، ويمكن ان نطلق عليه : الدلالة الاولى أو المؤشر الدلالي الاول الذي يحدد طبيعة النص وشكله وهيأته ومبتغاه واهدافه و " يحتل العنوان مركز الصدارة في الصفحة الاولى للغلاف ، مما يعطيه أهمية خاصة رغم الطابع الاختزالي الذي يميزه سواء على مستوى الحرف أ، الدلالة" (٣).

فالعتبات النصية قاعدة بيانية تحيط بالمضمون الكلي وتختصره بجملة أ، كلمة غاية في البيان والتكثيف ، فهي الدعامة الاولى التي يتصدى لها وعي القارئ الذي يسعى الى ادراك واستيعاب المضمون وحيزه الحيوي ، وما يحمله في طياته من مضامين وافكار ورؤى ، اذ " يحتوي العمل الادبي في كليته وعموميته ، بالقدر ذاته الذي يحتوي فيه

والداخيلية ، وكل من المقدمات والملحقات والهوامش ايضا، وقد ادخل معها الاهداءات والملاحيز ، ولم يتوانى عن إضافة كلمات الغلاف والفهرس والمقتبسات أيضا ، وأضاف لها التنبهات والتقديم والتوثيق والصور وعدها جميعا عتباتا نصية وأعطاهها أهمية كبيرة وقد سار من بعده الدارسون وعدها من المؤشرات والدلالات المهمة لأي نص ، ويتم من خلالها الدخول الى الكتاب ككل، اذ " تحتل عتبة العنوان موقع الرأس من النص لذا فهي تحظى بالأهمية الأبرز في سلم ترتيب أهمية عتبات الكتابة ، فمن عتبة العنوان يمكن توقع مدى نجاح العمل في علاقته مع بقية العتبات الأخرى التي تؤلف المنظومة العتباتية في تشكيل النص القصصي ، وربما كانت الأهداف الدلالية لمفهوم العنوان تتحقق بوسائل متنوعة يستخدمها المؤلف" (٢).

ما قراءه لم يكن شيئاً حقيقياً ، وان العنوان ما هو الا سيد مزيف<sup>(٧)</sup>، فان دراسة العتبات واهميتها " تتجلى في ما تحمله من معان وشفرات لها علاقة مباشرة بالنص تختزل جانبا مركزيا من منطق الكتابة<sup>(٨)</sup>.

دائما ما يحصل لبس بين العنوان الرئيس ( الحقيقي ) والعنوان الفرعي ( الثانوي ) والعنوان الداخلي ، فما اسلفنا ذكره يخص العنوان الرئيس ، اما العنوان الداخلي فهو العنوان الذي اعتمد الفصول داخل الكتاب و" نلاحظ ان هذه العناوين الداخلية تلقي سطوة العنوان الرئيسي وتقوم بمحاولة استبعاده جزئيا ليتم الانفتاح على عوالم اكثر خصوصية<sup>(٩)</sup> ، في حين ان العنوان الفرعي ام الثانوي يخالف عن العنوان الداخلي سالف الذكر ، فالعنوان الفرعي الثانوي هو عنوان مصاحب للعنوان الرئيس أو

العمل الادبي عنوانه ، وبقدر ما يعلن عن طبيعة النص ، يعلن عن نوع القراءة الذي يتناسب مع هذه الطبيعة<sup>(٤)</sup>، لان العتبات النصية " علامات دلالية تشرع أبواب النص امام المتلقي ، القارئ وتشحنه بالدفعة الزاخرة بروح الولوج الى اعماقه<sup>(٥)</sup> ، وبالعنوان " يُعرف ، ويفضله يتداول ويشار به اليه ، ويدل به عليه ، ويحمل وسم كتابه<sup>(٦)</sup>.

هنالك الكثير من الشواهد على جذب العنوان للقارئ ونفوره ايضا ، فينصرف القارئ أو يقدم على كتاب ما بحسب قدرة العنوان على جذبته أو تنفيره ، فالعنوان " هو الباث الاول في الدلالة القادمة من المؤلف ، فاذا لم يعثر القارئ على قرائن نصية أو تأويلية تؤكد اقتناعه بأن النص الذي فرغ من قراءته ما كان له ان يُعنون بطريقة اخرى ، فأن القطيعة بينه وبين النص ستحدث حتما وسيقرر القارئ ، دون ريب ، ان

بعد سنوات عجاف يستفيق من غفوته و  
" يتمرد على اهماله لفترات طويلة ،  
وينهض ثانية من رماده ، الذي حجبته  
عن فاعليته ، واقصاه الى ليل النسيان  
" (١٢) .

لقد اختلفت التسميات الاصطلاحية التي  
تناولت العنوان بالدرس وعدت العنوان  
مصطلحا مستقلا سمته " المناصصات  
" (١٣) ، واطلق عليه البعض الاخر  
مصطلح " النص الموازي " واسماه  
البعض الاخر بـ " المحيط الخارجي أو  
المحيط النصي الخارجي " (١٥) ، وتوالت  
بعد ذلك التسميات وتعددت ، ولم يكن  
اخرها " الموازيات " (١٦) ، حتى انتشرت  
وتوسعت وتنوعت وتم اضافة عناصر  
جديدة لها لتتوسع وتكون اكثر شمولاً .

#### قراءة في سيمياء العنوان الرئيس :

ان الرموز والايحاءات التي يقدمها  
العنوان الرئيس والدلالات اللسانية

مكمل له ، وهو في الحقيقة " ترديد  
وتأكيد وتعزيز للعنوان الحقيقي " (١٠) .

ان دراسة المتعاليات النصية ليس علما  
حديثا فقد عرفه الدارسون العرب قديما  
واهتموا به ، وقد تبين تناولهم له بحسب  
نوع الدراسات النقدية التي وصلتنا ،  
ومن ابرز هؤلاء ( ابن قتيبة و الكلاعي  
والصولي وابن الاثير ، وكذلك التهانوي  
، وغيرهم ) ، فقد ذكر الصولي على -  
سبيل المثال - العنونة بوصفها علما  
في كتابه المعروف ( ادب الكتاب ) ،  
وقد ركز على العنوان وفنونه وادوات  
التحبير والترقيش ، وطرق التصدير ن  
وفضاءات الكتابة ، وتناول المقدمات  
والخواتيم " (١١) ، وبعد تلك الدراسات  
المهمة حلت على هذا العلم فترة من  
الاهمال حاله كحال بقية العلوم والفنون  
الى ان جاء النقد المعاصر فأنصف هذا  
الفن وعاد لتسليط الضوء عليه ، فأن  
التطور الحاصل في تأريخ العنوان جعله

استنهاض الامة والسير على نهجه الحق ، وفي اختيار الحقبة الزمنية تلك في العنوان ( من الهجرة حتى الوفاة ) سيمياء للمرحلة العننية من الدعوة الاسلامية أولاً ، و للمعاناة والتضحية وبذل الغالي والنفيس من اجل النهضة والتغيير ، وبالفعل كان العنوان قد اختصر كل مرامي الكاتب ودعواته من خلال رموز سيميائية جعلت من المتأمل يختصر غايات المؤلف ويعرف اهدافه ويتصور دعواته .

وفي عنوان اخر " فاطمة هي فاطمة " (١٨) فقد اراد التأكيد على ان سيدتنا فاطمة ( عليها السلام ) هي امة بذاتها فلم تكن ( عليها السلام ) لكونها بنت الرسول الاكرم ( صلى الله عليه واله ) ، ولا لكونها بنت سيدتنا خديجة الكبرى ( عليها السلام ) ، ولا لانها زوج الامام علي ( عليه افضل الصلاة وأتم التسليم ) ، وايضا ليست لكونها ام الحسنين (

والمعنوية والتأويلية كلها علامات ورموز سيميائية تمهد للقارئ أو تختصر فكرة أو رأي أو ملخص لما سيتناوله المحتوى العام للكتاب.

ففي الاصدار الاول للكاتب علي شريعني نجد عنوان كتابه "محمد (ص) خاتم النبيين من الهجرة حتى الوفاة" (١٧) الذي اراد به فكرا توعوياً حضارياً من خلال نظرة المثقف للتأريخ البعيد عن الخرافة والغلو من خلال دعوته الى التجديد والنهضة واستثمار التأريخ اولاً والاقتراد بسيد المرسلين ( صلى الله عليه واله ) للنهوض بالمجتمع.

وما عنوانه هذا الا خلاصة لمراميه بذكره للرسول الاكرم ( صلى الله عليه واله ) والتركيز على جملة (خاتم النبيين) لا يصال مضمون رسالته التي هدف لها في مجمل اصداراته ان لا نبى بعد الرسول ( صلى الله عليه واله ) ووجوب الاقتداء به قدوة حسنة في

المفاهيم ، فالضمير الانساني الحي يأبى ذلك ، لان الشهادة هي سلك طريق الحق والعدل ، فمن كان مع الحق مات شهيدا بمختلف ألوانه وأشكاله .

اما اختياره لعنوان " ابي .. امي نحن متهمون " (٢٠) فقد اختار توجيه الكلام الى والديه ، فقد تميز العنوان بكثافة ايحائية تجعل من القارئ يفتح على مجموعة من التصورات والرؤى مما يجعل من العنوان مفتوحا على جملة من التفسيرات التي تجعل من الباحث مشدودا الى معرفة كنه هذا العنوان الذي ما انفك يدعو الى البحث والقراءة لفك طلاسمه وشفراته والغازه التي تجول في ذهن المتلقي والبحث عن اجابات عنها للوصول الى حل يناسب الاسئلة الكثيرة المطروحة ، فقد اراد المؤلف بأختياره هذا ان ينقل ذهن القارئ الى الاجيال السابقة ، وما كانت تصبو اليه تلك الاجيال من خلال زرع القيم وتنشئة

عليها السلام ) ، وانما هي ذاتها فاطمة ( عليها السلام ) ، فلم تكن لتتكئ على احد أو تتعزز على غيرها ، فهي اسمى وارفع من ان ترث المجد من غيرها لانها المجد بعينه ، وقد كملت جميع خصالها سموا ورفعة وشأنا ، فقد حمل العنوان في طياته الكثير مما قد يظهره النص صراحة أو يخفيه ، وربما يبرر العنوان بشكله الجلي ما لم يستطع النص ابرازه .

ونجد في عنوان اخر " الشهادة " (١٩) ان التعريف قد اضافه المؤلف للعنوان دعوة منه لعد اقتصار الشهادة على القتال المباشر في ساحات الوغى ، وهو ما معهود عنها في المخيلة الجمعية ، وانما هي اوسع من ذلك بكثير وتشمل ايضا رفض الظلم واحقاق الحق ، والثبات عليه والموت من اجله ، ومقارعة الظالم ونصرة المظلوم ، واعلان كلمة الحق عند سلطان جائر ، وترسيخ هذه

وفي عنوان جديد " الحج .. الفريضة الخامسة"<sup>(٢٢)</sup> فمن خلال هذا العنوان لم يضيف لنا جديد ، ولكن ان تمعنا في نعتة للحج بالفريضة الخامسة اذا اراد المؤلف ان يركز على التسطيح الذي طال هذه الفريضة والتحريف الذي طالها ، فقد سُطحت وقد تم مصادرة محتواها لتصويرها على انها مجموعة ممارسات فيها الكثير من الخلاف كي تستهلك طاقة كل من يلجأ اليها.

وننقل هذا النص من الكتاب لتأكيد ما نراه من هذا العنوان اذ يقول : " فقد صُور الحج كعمل مشوه مناقض للمنطق يقوم به المسلمون كل عام "<sup>(٢٣)</sup>.

وفي عنوان اخر " معرفة الاسلام "<sup>(٢٤)</sup> نلاحظ ان المؤلف سأل جمل جهده لتوعية الناس وارشادهم من خلال تصديه للمفاهيم المغلوطة الشائعة التي يروج لها بعض المسيئين للإسلام عن

المجتمع ، وقد اردفها بأن تلك المفاهيم الحقبة التي زعتموها بداخلنا باتت اليوم تهمة، كناية عن تغيير المفاهيم والاعراف ، وسيادة الدخيل منها ويقصد التحريف والتزوير ، فهو يشكو الحال هنا لمن علمه ورياه وزرع تلك القيم داخله وهما والديه .

وقد اختار عنوانا اخر " دين ضد الدين "<sup>(٢١)</sup> والضدية هنا قد اختارها المؤلف لينبه للتحول الكبير الذي طرأ على الدين ، حيث كان الدين سابقا ضد الكفر ، اما الان وما ان تشبث اتباع الدين بالقشور وقد تركوا الدين الحق فقد بات دينهم اليوم ضد الدين الذي انزله الباري جل جلاله على نبيه الاكرم ( صلى الله عليه واله ) ، ووصل لنا كاملا بعد ان رضاه الله جل وعلا بمحكم كتابه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ( سورة المائدة : ٣ ) .

تمثلت الخليقة منذ نشأتها بما جاء به الامام الحسين ( عليه السلام ) من مبادئ حقّة وثورة واباء ضد الطغاة والخروج على الباطل والتضحية بالمال والعيال والنفس التي هي اقصى غاية الجود من اجل اعلاء راية الحق بوجه كل طاغية مجرم.

لا بد لنا من التنويه الى ما يمكن ان نستشفه واضحا في اختيار المؤلف لعنواناته التي مرت علينا وستمر في هذه الدراسة هو تعمد المؤلف البحث في الماضي التاريخي في اختياراته للعنوانات ، ونرى ان ما يدعوه لذلك " تعرفه فيه على نفسه ، فيقوم بفرز ما يمكن ان يفهم ، وما يمكن ان ينسى ، للحصول على تمثيل واضح خلال الحاضر لأن التأريخ هو التمييز الذي علينا تذكره كي لا ننسى انفسنا"<sup>(٢٦)</sup>.

ونرى في عنوان جديد " الدعوة الى الذات "<sup>(٢٧)</sup> دعوة واضحة وصريحة الى

قصد، ومن تبعهم من الرعاع والناعقين وراء كل ناعق ، فكان هذا العنوان علامة دالة للدعوة الى التمعن في فهم النصوص والروايات التي هي اليوم من ابرز العوامل في فرقة المسلمين وتشتتهم ، وكذلك دعوته الصريحة لدراسة الدين معمقاً والتمعن في علاقته بالاديان والمجتمعات وتصحيح جميع السلوكيات والعادات والشعائر والعبادات التي لا تمت للإسلام بصلة .

اما عنوان " الحسين (ع) وارث ادم "<sup>(٢٥)</sup> فإن اسم الامام الحسين ( عليه السلام ) الذي يزلزل عروش الطغاة والرمز المميز للكبرياء والشموخ والاباء ، قد جعل منه الوريث الشعبي للانسانية الحقّة في هذا العنوان ، فبذكره لأدم ( عليه السلام ) الذي يرمز من خلاله الى نشوء الخليقة الاول ، فقد جعل من الامام الحسين (عليه السلام) تتصهر فيه كل الخليقة منذ نشوئها الاول وقد

والاغلال التي تكبلها ، سواء اكانت تلك الاغلال مادية حقيقية او معنوية .

ونرى في عنوانه " النباهة والاستحمار " (٢٩) انه العنوان الاكثر اثاره ، فهذا العنوان بالذات يمكن ان نعهده ابرز واهم العنوانات التي تنفتح على القارئ وتترك اثرا في ذاكرته ومخيلته ، سيما ان هذا العنوان بوصفه عنصرا جاذبا للمتلقي قد اتبع ثنائية غاية في الضدية ، فقد عطف نقيضان لا يلتقيان ، فالمؤلف دائما ما يعتقد ان قيمة الانسان يمكن ان تحدد في قيمته للاختيار ، وهذه الحرية لا تقتصر على الاختيار بل وحتى الاعتقاد ، وكذلك اتخاذ القرار ، فكانت المفردتان المتناقضتان المعطوفتان بحرف العطف سيمياء عالية في التكتيف لدعوة القارئ الذي هو على مفترق طريقين لا ثالث لهما ، وعليه التمييز بين هذين الطريقين ، وايهما سيسلك .

مراجعة الذات والعودة اليها ، كونها قد طالها الكثير من الشوائب الطارئة فلا بد لها من مراجعات واسعة وفسحة كبيرة من التأمل ورؤية شاملة لتلك المراجعات لفرز الغث من السمين ، والتوبة عن الذنوب والمعاصي والصحوة بعد كل غفلة تصيب الانسان ، وتكون بالدعوة الى الحضارة الاسلامية الحقبة والتراث الاسلامي الصحيح والايديولوجيا الاسلامية والاسلام الواعي الباعث للحرية والكرامة والاباء والشموخ والايمان وأكرام الانسان .

وفي عنوان اخر "بناء الذات الثورية" (٢٨) حيث نجد تعميث الروح الثورية النابعة من اصل واصالة واهداف ، اذ يهب الجوهر الوجودي للذات تكامله وانسانيته من خلال قراءة العنوان ، ويستشف تفعيل الروح الانسانية التي تأبى الهوان والظلم والجور والاضهاد ، ويسعى الى الحرية والتحرر من القيود

المصلحة هي ليست دائما في النقاب الكاذب للجمال كي يدفنه اعداء الحقيقة داخلها، وان لمن يعتنق هذا المذهب أو يدعي انه منه سيكون على عاتقه التأسي بأئتمته الذين رفضوا متاع الدنيا وثاروا بوجهه الباطل برفعهم شعار الممانعة (لا) ، والاقتداء بسيد الشهداء رمز الصمود والاباء والشموخ والرفعة الامام الحسين ( عليه السلام ) حينما رفع ( لا ) عالية مدوية وكان شعاره : ( هيهات منا الذلة ) .

وايضا في عنوانه " الامة والامامة " (٣٢) الذي اختصر به الخلاف القائم اليوم بين المذاهب الاسلامية ، فقد تفرقت الامة بين ( الوصية ) و ( البيعة ) التي نظيرها ( الشورى ) ، وفي حقيقة الامر لا يتناقض المفهومان اجرائيا ، فاراد المؤلف بعنوانه هذا ان يوحد الامة ويعطفها على الامامة التي تجمع المفهومين بمفهوم جامع واحد .

أما عنوانه " منهج التعرف على الاسلام " (٣٠) ففي دعوته في هذا العنوان للتعرف على الاسلام ، فقد اختار المعرفة التي هي نقيض الجهل ، وتكون هذه المعرفة من خلال طريقة منهجية وعلمية سليمة ، وهذه الدعوة بحد ذاتها تحمل مضامين توحى بالثورة على المفاهيم المغلوطة والمناهج المضطربة التي تفسر وتؤول وتشرح وتعلل وتنقل المفاهيم الدينية إلينا اليوم ، وقد كانت ابرز نتائجها الفرقة لا الاجتماع والتوحد ، الاقتتال وجدال وخصومة لا رحمة وتسامح وسلام ، فالمنهج العلمية السليمة تعد خطوات وطرق سليمة وصحيحة للوصول الى اهداف الدين الاسلامي الحنيف وتحقيق كل الاهداف والغايات والاسس الثابتة الواضحة المعالم .

وفي عنوان اخر "التشيع مسؤولية" (٣١) حيث نجد هذا العنوان يلقي على كاهل المتشيع مسؤولية كبيرة ، ويذكر اهله ان

الانسان والتأريخ ، لفك الشفريات المطلوبة من خلال تعريف طرفي العطف وعطف احدهما على الاخر .

وفي عنوان اخر " حسن ومحبوبة " (٣٥) نرى ان هذا العنوان قد قصد به المؤلف ثنائية الرجل والمرأة من خلال استعارة اسم ذكوري وعطف اسم انثوي عليه ، للاستعاضة عن كل طرف من اطراف العطف ، ففي الاعراف تبقى المرأة تابعة للرجل ، تدور في فلكه ، فيما قد جعلها خالقها النصف الاخر للرجل ، مساوية له بالتمام والكمال ، مثلها مثله ، الا ان الاعراف والعادات والتقاليد ابنت الا ان تجعل منها معطوبة تابعة مأمورة .

ونذهب الى عنوان جديد " الحر .. انسان بين خيار الفاجعة والفلاح " (٣٦) اذ نجد فيه صرخة واضحة ودعوة الى الوقوف بوجه الظلم ونصرة المظلوم ، وما ذكر المؤلف لشخصية ( الحر

أما في عنوانه " الانسان والاسلام " (٣٣) ومن خلال عطف الاسلام على الانسان ، فقد اثبت اكرام الاسلام للانسان ، وعزز مكانة الانسان ووجوده بالاسلام ، وعلى الانسان ان يسمو ويرتقي ليكون بمستوى هذا التكريم وتلك الرفعة ، وان يكون متزنا بين الدنيا والاخرة ، يعمل جاهدا على القيام بمسؤولياته الانسانية التي خلقه البارئ من اجلها.

وفي عنوانه " الانسان والتأريخ " (٣٤) ومن خلال سيمياء هذا العنوان وعطف التأريخ على الانسان نستشف الدعوة الصريحة للاستفادة من التأريخ والتجارب والعبر السابقة والاعتبار منها ، لأن الانسان عبارة عن خبرات متراكمة ، وقد جعل من التأريخ عبرة وتجربة سابقة سخرها في حياته وانطلق من خلالها الى الحاضر والمستقبل ، ولعلنا في هذا التأويل قد كان لنا بعض الميل الفلسفي من اجل استكناه وفهم التداخل بين

يتم لهم الاسلام ديننا ويتقبله الباري جل  
وعلا .

فلو نقلنا هذا القوم من داخل الكتاب  
نفسه لأنضحت لنا غاية العنوان المركزة  
الكثفة اذ يقول علي شريعتي : " الانبياء  
، حكام القلوب بلا منازع ، لقد امتطوا  
وحش التأريخ الجامح ، واخذوا بعناية ،  
وجعلوا يسوقونه بسياط خفية لا زال  
صوتها يموج تحت قبة السماء ، وتصيح  
اليه الاسماع ، ويدفعون الى الامام ،  
ركب الانسانية العظيم "(٣٨).

لاحظنا في اختيار العنوانات للدكتور  
علي شريعتي طغيان للبعد الفلسفي في  
استلهاه التأريخ الذي يفتح الابواب  
مشرعة على التاويلات وتعدد القراءات  
لدارسين وإسهاب في إثارة الخيال  
واستثارته " فالخيال الفانتاستيكي الذي  
يستلهم التراث ويعيد انتاجه الدلالي  
وتراثه التخيلي وقدرته الكبيرة على  
استتطاق المسكوت عنه ومحاولة فضح

الرياحي ) التاريخية الايقونية للثبات  
ومقارعة الظالمين ، ومثالا صارخا  
للمواقف السامية الحرة ، واختيار طريق  
الشهادة والخلود ، وترك متاع الدنيا  
الزائلة وكل مغرياتها .

واخيرا عنوان " سيمياء محمد ( ص )  
" (٣٧) ولا بد لمن يقرأ هذا العنوان ان  
يتأمل في الخزين الذي تحمله ذاكرته من  
صفات وسمات لشخصية سيد الكائنات  
، هذه الشخصية العظيمة (صلى الله  
عليه واله ) ، ولا يقتصر التأمل عليه  
وحسب بل وال بيته وصحبه المنتجبين  
الاخيار كي يصل بعد كل هذا التأمل  
الى القرآن الكريم الذي أنزل عليه  
واختياره لتنفيذ الامر الالهي بالتصدي  
للدعوة الاسلامية وتعريف الناس بدينهم  
ودنياهم ، وما عناه الرسول الاكرم  
(صلى الله عليه واله ) وضحي به  
وصبر عليه من اجل اعلاء راية  
الاسلام وينهي مهمته على اتم وجه بأن

وهيأته ، وتصميم الغلاف ، وماهيته  
كلها عناصر لا تقل اهمية عمّا تطرقنا  
له في طيات دراستنا تلك .

فمهما اختلفت العنوانات شكلا وانمازت  
بالتنوع من حيث المطابقة والالفة مع ما  
صدرت منه من نص أو الغرابة  
والغموض والتغريب والبعد عن الايحاء  
الظاهري ، فأنها تعد واحدة مرجعيا  
نسبة الى النصوص التي صدرت منها  
اذا ما اطلنا التأمل والتأويل فيها .

بعض اختلالات الواقع الاجتماعي  
وطبيعة السلطة في علاقتها باليومي  
وتدبير الحياة<sup>(٣٩)</sup> .

وقد امعنا النظر في السمات المعجمية  
والتأويلية والدلالية للعنوان ولكن هنالك  
اهمية اخرى لم يسعنا البحث فيها في  
هذا المقام ، وهي ما يدعم هذا العنوان  
من اشكال الحروف وسماعتها ورقنتها ،  
ومكانها على غلاف الكتاب ولون هذا  
العنوان بالأضافة الى لون الغلاف

الهوامش

- ١- شعرية التناص في الرواية العربية: ١٠٩
- ٢- ينظر : عتبات الكتابة القصصية : ١٧
- ٣- شعرية التناص : ١١٠
- ٤- شعرية النص الروائي : ١٢١
- ٥- عتبات النص : ١٥
- ٦- العنوان وسيموطيقيا الاتصال الادبي : ١٥
- ٧- ينظر: مرويات المنفى : ٢٩
- ٨- عتبات الكتابة : ١٦
- ٩- شعرية التناص : ١١٤
- ١٠- سيمياء العنوان : ٢٧٠
- ١١- ينظر: ادب الكتاب : ١٦٣ - وما بعدها
- ١٢- جمالية العنوان وفلسفة العنونة : ٤
- ١٣- القراءة والتجريب : ٢٠٨
- ١٤- الشعر العربي الحديث : ٧٧
- ١٥- الحكاية والمتخيل : ٨٥
- ١٦- الخطاب المقدماتي : ١٧
- ١٧- محمد خاتم النبیین من الهجرة وحتى الوفاة: علي شريعتي ، ترجمة : ابو علي الموسوي.

- ١٨- فاطمة هي فاطمة : علي شريعتي ، ترجمة : هاجر القحطاني.
- ١٩- الشهادة : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا.
- ٢٠- ابي .. امي .. نحن متهمون : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا.
- ٢١- دين ضد الدين : علي شريعتي ، ترجمة : حيدر مجيد.
- ٢٢- الحج .. الفريضة الخامسة : علي شريعتي ، ترجمة : عباس امير زاده.
- ٢٣- الحج .. لفريضة الخامسة : ٥٥
- ٢٤- معرفة الاسلام : علي شريعتي ، ترجمة : حيدر مجيد.
- ٢٥- الحسين وارث ادم : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا.
- ٢٦- الرواية والايديولوجيا : ٢٧
- ٢٧- العودة الى الذات : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا.
- ٢٨- بناء الذات الثورية: علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا.
- ٢٩- النباهة والاستحمار : علي شريعتي ، ترجمة : هادي السيد ياسين.
- ٣٠- منهج التعرف على الاسلام : علي شريعتي ، ترجمة : عادل كاظم.
- ٣١- التشيع مسؤولية : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا.
- ٣٢- الامة والامامة : علي شريعتي ، ترجمة : حسين علي شعيب.
- ٣٣- الانسان والاسلام : علي شريعتي ، ترجمة : عباس الترجمان.
- ٣٤- الانسان والتاريخ : علي شريعتي ، ترجمة : خليل علي.
- ٣٥- حسن ومحبوبة : علي شريعتي ، ترجمة : موسى قصير.
- ٣٦- الحر .. انسان بين خيار الفاجعة والفلاح: علي شريعتي ، ترجمة : هاشم محسن الامين.

٣٧- سيمياء محمد (ص) : علي شريعتي ، ترجمة : جعفر سامي الدبوني.

٣٨- سيمياء محمد (ص) : ١٦

٣٩- فنية التأويل : ٩٤

## المصادر والمراجع

١- ابي .. امي .. نحن متهمون : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا،

دار الامير للثقافة والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.

٢- ادب الكتاب: ابي بكر محمد بن يحيى الصولي، دار الكتب العلمية ، بيروت -

لبنان ، د.ت.

٣- الامة والامامة : علي شريعتي ، ترجمة : حسين علي شعيب، دار الامير

للثقافة والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.

٤- الانسان والاسلام : علي شريعتي ، ترجمة : عباس الترجمان، دار الامير

للثقافة والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.

٥- الانسان والتاريخ : علي شريعتي ، ترجمة : خليل علي ، دار الامير للثقافة

والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.

٦- بناء الذات الثورية: علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا، دار الامير

للثقافة والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.

- ٧- التشيع مسؤولية : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا، دار الامير  
للثقافة والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ٨- الحج .. الفريضة الخامسة : علي شريعتي ، ترجمة : عباس امير زاده ، دار  
الامير للثقافة والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ٩- الحر.. انسان بين خيار الفاجعة والفلاح: علي شريعتي ، ترجمة : هاشم  
محسن الامين ، دار الامير للثقافة والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ١٠- حسن ومحبوبة : علي شريعتي ، ترجمة : موسى قصير، دار الامير للثقافة  
والعلوم، بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ١١- الحسين وارث ادم : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا ، دار الامير  
للثقافة والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ١٢- الحكاية والمتخيل: فؤاد الزاهي، افريقيا الشرق للنشر ، الدار البيضاء ، ط١-  
١٩٩١م.
- ١٣- دين ضد الدين : علي شريعتي ، ترجمة : حيدر مجيد، دار الامير للثقافة  
والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ١٤- الرواية والايديولوجيا في المغرب العربي: سعيد علوش ، دار الكلمة للنشر ،  
بيروت- لبنان، ط١-١٩٨١م.

- ١٥- سيمياء العنوان : شادية شقرون ، منشورات جامعة بسكرة ، الدار البيضاء  
٢٠٠٠م.
- ١٦- سيمياء محمد (ص) : علي شريعتي ، ترجمة : جعفر سامي الدبوني ، دار  
الامير للثقافة والعلوم، بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ١٧- الشعر العربي الحديث، بنياته وابدالاتها التقليدية: محمد بنيس ، دار توبقال  
للنشر ، الدار البيضاء - المغرب ، ط١-١٩٨٩م.
- ١٨- شعرية التناص في الرواية العربية: سلمية عداوري ، رؤية للنشر والتوزيع ،  
القاهرة ، ط١-٢٠١٢م.
- ١٩- شعرية النص الروائي ،قراءة تناصية في كتاب التجليات: بشير القمري ، شركة  
البيادر للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب ، ط١\_ ١٩٩١م.
- ٢٠- الشهادة : علي شريعتي ، ترجمة : ابراهيم دسوقي شتا ، دار الامير للثقافة  
والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ٢١- عتبات الكتابة ، البنية والدلالة : عبد الفتاح الحجمري، منشورات الرابطة  
البيضاء ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦م.
- ٢٢- عتبات الكتابة القصصية ، دراسة في بلاغة التشكيل والتدليل: جميلة عبد الله  
العبيدي، دار تموز للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١\_٢٠١٢م.

- ٢٣- العنوان وسيموطيقا الاتصال الادبي : فخري الجزار ، سلسلة دراسات ادبية ،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ \_ ١٩٩٨م.
- ٢٤- فاطمة هي فاطمة: علي شريعتي ، ترجمة: هاجر القحطاني، دار الامير للثقافة  
والعلوم، بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ٢٥- فنية التأويل ، في قراءة متخيل الرواية العربية الجديدة: محمد المسعودي، النيا  
للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت \_ لبنان ، ط١ \_ ٢٠١٤م.
- ٢٦- القراءة والتجريب : سعيد يقطين ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ \_  
١٩٨٥م.
- ٢٧- محمد خاتم النبيين من الهجرة وحتى الوفاة: علي شريعتي ، ترجمة : ابو علي  
الموسوي ، دار الامير للثقافة والعلوم، بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.
- ٢٨- مرويات المنفى ، دراسة في الروايات العراقية المعاصرة : صادق ناصر  
السكر، كتاب الصباح الثقافي ، سلسلة تصدر عن جريدة الصباح تعنى بشؤون  
الثقافة والفكر والادب ، عدد٩ - ٢٠٠٨م.
- ٢٩- معرفة الاسلام : علي شريعتي ، ترجمة : حيدر مجيد ، دار الامير للثقافة  
والعلوم،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.

٣٠- منهج التعرف على الاسلام : علي شريعتي ، ترجمة : عادل كاظم ، دار

الامير للثقافة والعلوم، بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.

٣١- النباهة والاستحمار : علي شريعتي ، ترجمة : هادي السيد ياسين ، دار الامير

للثقافة والعلوم ،بيروت - لبنان ن ط٢-٢٠٠٧م.

### الدوريات

٣٢- جمالية العنوان وفلسفة العنوانة: محمد صابر عبيد، مجلة الاسبوع الادبي ،

العدد ٨٣٥، دمشق - سوريا، ٢٠٠٢م.

٣٣- الخطاب المقدماتي في الرواية المغربية: عبد الرحيم العلام ، علامات مغربية

، العدد ٨، ١٩٩٧م.

٣٤- عتبات النص : باسمة درمش ، مجلة علامات ، المجلد ٦، العدد ٦١\_٢٠٠٧م.

## المعطى الأنغلو ساكسوني في الخطاب السيميائي المغاربي

### - سيميائيات "ش.س.بورس" أنموذجا -

د. عبد السلام مرسلي

جامعة سعيدة - الجزائر

#### مهاده نظري:

يشكل المشروع العلامي للعالم الأمريكي والفيلسوف المنطقي "شارل سندرِس بورس" (1839-1914) (Ch. S. Peirce) -في بعده العام- طموحا لا محدودا، وفي طرحه جرأة كبيرة، لما دعا إلى "بناء نظرية عامة للعلامات تستوعب الواقع في كليته، سواء أكان مدركا أم مبنيا، ولا تحظى فيها اللغة بأي أهمية خاصة؛ لاسيما أن علاماتها لا تنتمي إلى نوع مميز ولا حتى إلى جنس قار" (١).

لقد تزامن هذا الطرح -في ضفة أخرى- مع طرح العالم اللساني "فرديناند دوسوسير" (1857-1913) (F. D. Saussure) الداعي إلى تأسيس علم جديد أوسع تشكل اللسانيات جزءا منه، نعتبه بـ "السيميولوجيا" La sémiologie، لم يقتصر بحثه على دراسة اللغة؛ بل تجاوزها إلى نطاق أكبر يشمل دراسة كامل الظواهر التواصلية المختلفة المرتبطة بحياة الإنسان. فبرغم نشأة هذين العالمين في بيئتين مختلفتين (أوربا/أمريكا)، ونهلتهما من مرجعيتين متمايزتين (لغوية/منطقية)، يبقى أن نقول: أن مشروعيهما أحدثا فعلا ثورة علمية كبيرة في مجال العلوم الإنسانية؛ ذلك لأن اشتغال

تتضح للدّارس هذه القناعة في قوله: "الم يكن بوسعي أن أدرس أي شيء سواء تعلق الأمر بالرياضيات أو الأخلاق أو الميتافيزيقا أو الجاذبية أو الديناميكية الحرارية أو علم البصريات أو الكيمياء أو علم التشريح المقارن أو علم الفلك، أو علم النفس أو علم الصوت أو الاقتصاد أو تاريخ العلوم، وكذا الويست (ضرب من لعب الورق) والرجال والنساء والخمرة والميثولوجيا، إلا من زاوية نظر سيميائية" (٣).

لقد أضحى التطبيق السيميائي مهيمنا على منجزات "بورس" البحثية، لشمولية طرحه من ناحية، ونجاعة أدواته في دراسة كل ما يرتبط بحياة الإنسان من ناحية أخرى. هذه الفعالية التي اكتسبتها سيميائيات "بورس" مردّها استناده على طرائق استدلالية منطقية في استخلاص المعنى موضوع بحث السيميائيات. من هذا، عد "بورس" السيميائيات منطلقا على اعتبار أن هذا

كلا العالمين قد انصب على دراسة العلامة، ولو كان ذلك بدرجات متفاوتة بينهما، فإننا نعزو السبب إلى تباين منطلقاتهما المعرفية؛ إذ في الوقت الذي تأثر فيه "سوسير" بالمعطي الفكري لنظرية "إميل دور كايم"، واستقى منه مرجعيته المعرفية في بناء تصوره للسيميولوجيا، نجد "بورس" -ومن منطلق إبستمولوجي مغاير تماما- ينحت "تصورا آخر لهذا العلم سيسميه السيميائيات، والسيميائيات عنده لا تتفصل من جهة عن المنطلق باعتباره القواعد الأساسية للتفكير والحصول على الدلالات المتنوعة، ولا تتفصل من جهة ثانية عن الفينومينولوجيا باعتبارها منطلقا صلبا لتحديد الإدراك وسيرورته ولحظاته" (٢). ومن جهة ثالثة لا ينفصل عن الرياضيات، والأنثروبولوجيا، السلوكية... وغيرها، وغاية "بورس" -من كل هذا- تتجلى في بناء علم علامات قائم بذاته، يتناول بالدراسة كل الظواهر.

الصورة الصوتية والشيء العياني والمرجع (طبيعة العلاقة بين الصورة والشيء)... (٦). هذه الهيكلة في التقسيم اعتمدها كل من فلاسفة اليونان وفلاسفة العصر الحديث على حد سواء، انطلاقاً من أفلاطون ٤٠٠ ق.م ثم "أرسطو" ٣٥٠ ق.م مروراً بالرواقيين والقديس "أوغسطين" (٣٥٤ - ٤٣٠ م) وصولاً إلى "إيمانويل كانط" (١٦٠٠ م) و"هيوم" (١٧١١ - ١٧٧٦) و"هيغل" (مع بعض التحفظ). إذن فإن مصدر المقولات الثلاث، يتجلى في الأفكار التي استقاها "بورس" من الأطروحات الفلسفية التي أشاعها هؤلاء "ولكن بفهم مختلف بعض الشيء، وهذا الفهم الثلاثي لم يتبين العلامة بوصفها موضوعاً دراسياً مستقلاً، وإنما استتبط من تصور فلسفي لطبيعة الوجود، ثلاثي الأبعاد: الإمكان والوجود والقانون، وما هذه الأبعاد إلا تشريح لطبيعة إدراك الأشياء والوعي بها" (٧).

الأخير في مدلوله العام، ما هو إلا تسمية أخرى للسميائيات (٤).

وبناء عليه، فإن "بورس" ما كان ليبلور نظريته في السميائيات لولا انطلاقه من مرجعية فلسفية (المنطق) وأخرى ظاهراتية *La phénoménologie*، توصل -من خلال ذلك- إلى نتيجة مفادها أن أصل كل تفكير ينبنى على العلامات، من هذا فإن السميائيات - من المنظور البورسي- ترتبط بعمليات الإدراك، بحيث يدرك الإنسان العالم الخارجي (المحيط به) من خلال جملة من الوسائط التي هي العلامات، بهذا قدم بورس "تصوره من خلال خطاطة ثلاثية يمكن بواسطتها الكشف عن مجمل مكونات التجربة الإنسانية" (٥). لم تكن طريقة التقسيم الثلاثي التي جاء بها "بورس" عفوية، وإنما استشفها من الكيفية التي صاغها الفلاسفة الذين تأثر بهم. إن هذه الكيفية في التقسيم، يلفيها الدارس "لا تخرج عن ثوابت ثلاثة:

يذهب "بورس" بالقول أن "العلامة أو الصورة Representamen، شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما، بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة، أو ربما علامة أكثر تطوراً، وهذه العلامة التي تخلفها أسميها مفسرة (interpretant) العلامة الأولى. إن العلامة تنوب عن شيء ما، وهذا الشيء هو موضوعتها (objet) وهي لا تنوب عن تلك الموضوعة من كل الجهات، بل تنوب عنها بالرجوع إلى نوع من الفكرة التي سميتها سابقاً ركيضة (ground) المصورة" (١٠).

يلتمس بورس من هذا المسعى، ترسيخ فكرة التوزيع الثلاثي للعلامة، ومن ثمة تعميمه على كافة مفاهيم السيميائيات، من ذلك أضحى كل شيء يتصوره "بورس" إلا ويخضع لمبدأ الثلاثية، إنه "المبدأ الأساس الذي سيشكل عمق السيرورة المنتجة للإدراك والفهم والتواصل الإنساني، سواء تعلق الأمر

تأسيساً على هذا المعطى، وبالاستناد على الظاهرانية (الفينومونولوجية)، سيعمد "بورس" إلى صياغة البروتوكول الرياضي يحدّد من خلاله نسفاً ثلاثياً وثلاثياً فقط هو الأول (وجود الإمكان النوعي الموضوعي) والثاني (وجود الواقعة الفعلية)، والثالث (وجود القانون الذي سيحكم هذه الوقائع استقبالياً). هذا النسق اصطلاح عليه "بورس" بـ"المقولات الفينومينولوجية (Laphanéroscopie) (٨). وهي الأولانية (Priméité)، والثانائية (secondéité)، والثالثائية (tiercéité)، هذه المصطلحات - كما يذهب إلى ذلك بنكراد - لم يعتمدها "بورس" إلا في مرحلة متأخرة (حوالي ١٨٨٥)، حيث كان يصطلح عليها قبل هذه المرحلة في (السبعينيات والنوعيات) على الترتيب بـ "النوعية والواقعية والعلاقة" (٩).

العلامة من منظور "بورس":

عليه السيميز، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها" (١٤). يوضح بنكراد هذه السيرورة السيميائية بالمخطط الموجود في (الملحق الأول) (١٥).

تتشكل السيرورة السيميائية حسب المخطط من ترابط العناصر المشكلة للعلامة فيما بينها، بحيث: "تستدعي الماثول كأداة للتمثيل، وتستدعي الموضوع كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤولا لا يقوم بالربط بين العنصرين؛ أي ما يوفر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل الواقعة الإبلاغية" (١٦). نستشف من هذا الترابط، أن كل عنصر من العلامة البورسية يؤدي دوره داخل هذا المثلث السيميائي انطلاقا من موقعه، لذا يجدر بنا التعريف بهذه العناصر:

١- الماثول: يقابل الدال عند سوسير، "وهو الحالم المادي للعلامة،

بالمقولات أو تعلق بالبناء الداخلي للعلامة، أو تعلق بما يسميه لاحقا التوزيع الثلاثي للعلامة" (١١).

يعتبر "بورس" العلامة وحدة ثلاثية المبنى مكونة من ماثول objet وموضوع représentamen

ومؤول interprétant وهي بهذا غير قابلة للاختزال إلى عنصرين، فبناء العلامة في تصور "بورس" يرتكز على فكرة الامتداد التي تجعل من الكون وحدة لا تتجزأ، على عكس "سوسير" الذي يصر على استبعاد المرجع من مكونات العلامة كونه معطى غير لساني (١٢). إن هذه العناصر المكونة للعلامة البورسية تخضع لمبدأي الثلاثية والإحالة، أي إذا كان الأول يحيل على الثاني عبر الثالث في نظرية المقولات كما سبق ورأينا، فإن الماثول يحيل على موضوع عبر مؤول (١٣). وعليه، "هذه الحركة (سلسلة الإحالات) هي ما يشكل في نظرية بورس ما يطلق

الموضوع الديناميكي، وهو الموضوع الواقعي حيث لا تعبر التجربة، إنما تشير إليه، كي يكشفه المؤول عن طريق التجربة، أما الثاني فهو موضوع مباشر يشكل جزءاً من العلامة وأحد عناصرها (٢٠).

٣- **المؤول**: شبيه بالمؤول السويسري، ويشكل التوسط الالزامي الذي يربط بين الموضوع والمائل، فيستهل بذلك تأويل العلامة (٢١). يستخلص بنكراد أشكال المدلولات (المستويات الدلالية) لدى بورس وهي:

- مستوى دلالي أول: المؤول المباشر (يرتبط بإدراك العلاقة في حد ذاتها).

- مستوى دلالي ثان: المؤول الدينامي (هو الأثر الذي تحدثه العلامة في الذهن).

- مستوى دلالي ثالث: المؤول النهائي (يرمي العملية التأويلية ويحصرها في نسق) (٢٢).

ولا وجود له إلا من خلال تحققه داخل موضوع بواسطة مؤول. كما أنه لا يكون لفظياً بالضرورة (١٧). حسب "بنكراد" يفيدنا هذا التعريف، "أن المائل:

- ليس واقعة لسانية.

- يحل محل شيء آخر.

- أداة للتمثيل.

- لا يوجد إلا من خلال تحيينه داخل موضوع ما.

- لا يستطيع الإحالة على موضوعه إلا من خلال وجود مؤول يمنح للعلامة (توفير شروط التمثيل) (١٨).

٢- **الموضوع**: هو ما يحيل المائل عليه، أي ما يقوم المائل بتمثيله سواء كان هذا الشيء واقعياً أو متخيلاً أو قابلاً للتخيل (مجرد) أو لا يمكن تخيله إطلاقاً (خرافي) (١٩). يناسبه عند سوسير المرجع [...] ويميز بورس بين نوعين من الموضوعات: الأول هو

حسب ما هو موجود في (الملحق الثالث).

سوف يتناول الدارس الفئة الثانية لدواع منهجية، مردها أن العلامة في علاقتها بموضوعها بما تحويه من عناصر، استصاغها الباحثون العرب، وطبقوها على النصوص.

**أقسام العلامة في علاقتها بموضوعها:**

تتضوي علاقة العلامة بموضوعها تحت الثلاثية الثانية التي أشار إليها "بورس" في كتابة هذه الأخيرة، عدّها الباحث سعيد بنكراد من أكثر ثلاثيات "بورس" انتشارا وذيوعا، واستيعابا وتمثيلا للموضوعات الواقعية، وتكاد تكون كل أعماله السيميائية مختصرة في هذه الثلاثية (٢٦). وقبل الشروع في شرح هذه العناصر الثلاثة المكونة للعلامة وفقا للعلاقة القائمة بين هذه الأخيرة وموضوعها، استهل "بورس" حديثه عن إمكانية العلامة بـ"أيقون" (Icône)،

قبل أن نعوج على تفرعات العلامة لدى بورس شدنا تعدد المفاهيم العلامية لدى الباحثين، رغم أن غالبيتهم معولون على نجاعة التوزيع الثلاثي للعلامة. لقد توضح لـ امبرتو ايكو "أن الحس السليم [الشيء الذي يتقاسمه الناس جميعا] ينطق مع التوزيع الثلاثي، ولا يستعمل نفس المفاهيم فالبعض ذهب إلى حد اعتبار/المـدلول/ مرجعاً، واعتبر/المعنى/ ما نطلق عليه نحن المدلول" (٢٣).

أقدم الباحث على هذا الاستنتاج، بعدما رصد هذه المفاهيم (المقولات)، وصنفها وفق التوزيع الثلاثي (٢٤) في شكل المثلث، ونحن سوف نعرضها في شكل جدول حسب ما هو موجود في الجدول (ينظر الملحق الثاني).

كما ذكرنا، أن العلامات عن بورس تخضع لمبدأ الثلاثية فتتوزع على ثلاثة عناصر ثم تتوزع على تسع فئات (٢٥)؛

عطفاً على هذا، يرصد "بنكراد" الأيقونات الثلاثة التي قيدها "بورس" وميز بينها (٣١)، وهي:

- الأيقون/الصورة تقوم العلاقة الأيقونية هنا على وجود تشابه بين الماثول وموضوعه، كالصورة الفوتوغرافية.

- الأيقون/الرسم البياني تقوم العلاقة الأيقونية هنا على وجود تناظر بين العلاقات التي تنظم عناصر الموضوع وعناصر الماثول كالبيانات المستعملة في الاحصاءات.

- الأيقون/الاستعارة تشير العلاقة هنا إلى الطابع التناظري القائم بين الماثول والموضوع من خلال الاحالة على عناصر مشتركة بين الأول والثاني كالصورة شجرة صغيرة وما تعنيه من دلالات.

٢- المؤشر (Index): هي الشاهد، الأمانة، القرينة.

مؤشر (index)، أو رمز (Symbole) (٢٧)، من هذا فإن هذه العناصر الثلاثة المكونة للعلامة إما أن تكون قرينة (Index) أي إشارة، وتقوم على العلاقة العقلية، أو أيقونة (Icône) وتقوم على المشابهة أو الرمز (Symbole)، وتقوم على المواضيع (حسب ما تقوم به) (٢٨).



#### ١- الأيقون (الأيقونة) :Icône

"هو علامة تحيل إلى موضوعها نتيجة اشتراكهما في بعض الخصائص والملامح، وسواء أكان الشيء نوعية أو كائناً أو عرفاً، فإنه يكون أيقوناً لتشبيهه عندما يستخدم علامة له" (٢٩)، فهذه العناصر المشتركة حسب "بورس" تحيل على التشابه القائم بين الماثول والموضوع. وعليه، فإنه "مع العلامة الأيقونية لا نستطيع أن نميز بين الماثول والموضوع: إنهما متطابقان" (٣٠).

عنها عبر العرف، غالباً ما يقترن بالأفكار العامة التي إلى ربط الرمز بموضوعته" (٣٤)، وبما أن هذ العلاقة تستند على الاتفاق، فإنها في جانب مقابل لا تستند على علاقة التجاور والتشابه كما هو الحال مع الأيقون والمؤشر، (ينظر المثال في الملحق الرابع).

ما يمكن أن نستخلصه في الأخير، الفروقات الموجودة بين هذه العناصر الثلاثة المشكلة للعلامة في علاقتها بموضوعها لا تمثل "فرقا في الموقع داخل ترابئية تشبيه، فليس حضور الشبه أو العلية أو غيابهما، ولا التقابل بين الاعتباط والتعليل هي التي تقيم هذه الثلاثية، بل ما يقيمهها هي الهيمنة" (٣٥). ومما سبق ذكره، يسعى الدارس إلى إبراز حضور هذه الثلاثية في المقاربات النقدية المغاربية، منطلقاً من الإشكالية التالية:

هو علامة ترتبط بموضوعها ارتباطاً سببياً أو طبيعياً بحكم التجاور، لا التشابه، من ذلك مثلاً: الدخان يدل على وجود نار؛ رغم انعدام وجود تشابه بين النار والدخان. وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن تأويلها إلا ضمن سياق زمكاني محدد، من ذلك مثلاً: الآثار كـ(خنجر) أو البصمات التي يتركها المجرم وراءه في ساحة الجريمة (٣٢). يحشر بورس في المؤشر: الأغراض كعلامات المرض الظاهرة، والآثار، وأسماء الإشارة، والضمانر وغيرها. وعليه: فإن المؤشر يمثل "الوسيط المحسوس بين الكائنات البشرية وبين الأشياء" (٣٣).

### ٣- الرمز (Symbole):

تقوم العلاقة بين العلامة والموضوع على أساس العرف الاجتماعي المتواضع عليه من طرف أفراد مجتمع ما. وهو ما يجعل الرمز "علامة تشير إلى الموضوعة (الموضوع) التي تعبر

التقليدية الماضوية التي ورثها نقادنا عن أسلافهم، لم تمكنهم من فهم الطرح السيميائي، فحتى الذين تبّنوا أفكار "غريماس" وأشياعه يقرون بعسر استيعاب المعرفة السيميائية، ناهيك عن تطبيقها على نصوص أدبية وغير أدبية. ولعل في اعتراف "رشيد بن مالك" ما يؤكد تلك الصعوبات؛ إذ يقول: "لم نكن نملك المقدرة على تلقي هذه المعرفة الغزيرة ذات الأصول الفكرية المتنوعة من منطق ورياضيات ولسانيات وفيزياء وكيمياء" (٣٧).

يشكل افتقاد الباحث المغربي للخلفيات العلمية والفكرية والفلسفية للسيميائيات من ناحية، وكذا افتقار مكنتاتنا لمؤلفات تتناول الإرث السيميائي - من نشأة وأصول ومواضيع، وغيرها - من ناحية أخرى دافعا قويا لهؤلاء في خوض غمار البحث والنش في مرجعيات هذا العلم رغم ما اعترضهم من اشكاليات تتعلق بالمنهج تارة وبالمصطلح تارة أخرى.

- كيف تعامل الباحث المغربي مع الطرح البورسي تنظيرا وتطبيقا؟.

١- سيميائيات "بورس" وتجلياتها في تنظيرات النقد الأدبي المغربي.

نحاول في هذا العنصر تلمس إسهامات الخطاب النقدي المغربي في نقل الفكر البورسي إلى المشهد النقدي العربي اعتمادا على ترجمة هذا الفكر العلامي وشرح نظرياته وتأصيلها في الثقافة النقدية، فهذه المهمة - على صعوبتها - تكفل بها ثلثة من الباحثين المغاربة، وقدّموا في شأنها دراسات (٣٦) قمينية بالمتابعة. جاء هذا بعدما استشعر الباحث المغربي صعوبة تلقي المعرفة السيميائية في مشهدها النقدي، والسبب في تقديرنا - يتجلى في الأدوات النقدية العتيقة التي أثقلت كاهل نقادنا، وحالت دون مواكبة هذا الأخير للمستجدات التي تروّج لها النظريات النقدية في الغرب. فالمعرفة

المقام، سنقتصر على تناول نموذج كتاب مغاربي واحد، لنبرز جهود صاحبه في ميدان التنظير، وليكن كتاب (السيمائيات والتأويل - مدخل لسيمائيات ش.س.ب.ورس - ٢٠٠٦، لـ"سعيد بنكراد").

يَمّم هذا الأخير وجهته شطر المدرسة الأنجلوساكسونية، ليس تدرك الخصائص المعرفي التي يعاني منه النقد العربي عامة بخصوص فلسفة العلامة، فمنذ أكثر من عقدين من الزمن، يحاول الباحث تناول الفكر العلامي البورسي بالترجمة تارة وبالتأليف تارة أخرى. والناظر في منجزات "بنكراد" ضمن هذا الحقل لسوف يلمس فيها ذلك التحول التدريجي من حدود القراءة الأفقية المنصبة على البحث في موضوع السيمائيات (نشأتها، تحولاتها) أو الشرح المقتضب للعلامة وتفرعاتها أو التعرض لإشكالية مصطلح (السيمولوجيا/السيموطيقا) من

ولنا في هذا نماذج مغاربية كثيرة؛ من ذلك جهود "رشيد بن مالك" المقصورة على الطرح الغريماسي دون سواه، التي ركزت على "التأريخ للحركة السيمائية بوصفها مشروع بحث في طور الإنجاز ضروري لموضوعها في سياقها التأريخي، وضبط معالمها الأساسية والكشف عن النظريات التي مهّدت لظهورها" (٣٨) من جهة، وعلى ضرورة ردّ هذه النظرية إلى أصولها اللسانية والشكلانية من جهة أخرى (٣٩). والناظر في المنجز النقدي لـ"بن مالك"، يجده يفتقد للشمولية والإحاطة بكامل جوانب الإرث السيمائي خاصة ما تعلق منه بالتفكير الفلسفي. وعلى العكس من ذلك، فإننا نلفي الإحاطة الجامعة قد تجلّت في منجزات الباحثين (سعيد بنكراد) و(أحمد يوسف) الذين حاولوا البحث من منظور شمولي في الأصول الفلسفية التي ساهمت في بلورت النظرية السيمائية الحديثة. ونحن هنا في هذا

في سيميولوجيا سوسير، والاتجاه الأمريكي الممثل في سيميائيات "ش.س.بورس"، يتوزع هذا الكتاب على ثمانية فصول ومقدمة (حوالي ١٨٠ صفحة)، خصص الفصل الثالث (٤٣) لسيميائيات "ش.س. بورس"، بحيث عرض فيه تصور "بورس" للسيميائيات موضحة ارتباطها بالمنطق والظاهراتية وكذا نظرية التأويل، متتالاً مفهوم العلامة من منظور "بورس" كوحدة ثلاثية مكونة من ماثول وموضوع ومؤول. يمكننا إدراج هذا الفصل المكون من حوالي ١٦ صفحة؛ أي من الصفحة [٥٧] حتى [٧٤]، والذي تناول فيه الباحث الطرح البورسي حول العلامة ضمن خطابات التأسيس. وما يلاحظ عليه، أنه جاء موجزاً، وهو أمر حال دون وضوح الرؤية، خاصة إذا ما وضعنا في الحسبان أن هذا الكتاب موجه للقارئ كيفما كان نوعه عادياً أم حصيفاً. من أجل هذا، وبغية تدارك

المدرستين الأوربية والأنجلوساكسونية إلى القراءة العمودية التي تروم البحث المعمق في قضايا تتعلق بنظرية المقولات وبفلسفة العلامة من حيث مفهومها ومكوناتها، وكذا أنساقها من ناحية يتشكل السيرة السيميائية المولودة للسيميوز وبكيفية تشكل المعنى من ناحية أخرى. يمكن للدارس ههنا، معاينة هذا التحول بداية من مقالات الباحث التي نشرها تباعاً في مجلة علامات (٤٠) المغربية التي يشرف عليها، أو تلك التي نشرها في مجلات أخرى محلية (٤١) وعربية (٤٢)، بعد ذلك قام بلملمة شتات هذه الأبحاث وطرحها في كتابين اثنين هما: السيميائيات - مفاهيمها وتطبيقاتها -، والسيميائيات والتأويل - مدخل لسيميائيات ش.س. بورس -.

في عام ٢٠٠٣، نشر كتابه الموسوم بـ "السيميائيات - مفاهيمها وتطبيقاتها -" وهو كتاب جامع للاتجاه الأوربي الممثل

لـ"سوسير" رغم أن الفكر اللساني لهذا الأخير لقي رواجاً وسبقاً زمنياً في التداول قبل الفكر البورسي.

تطرق "بنكراد" لأهم القضايا التي أثارها الفكر البورسي بخصوص العلامة معتمداً في ذلك على المصادر الأساسية والتي تعود لـ"بورس" وكتابات "جيرار دولودال" وبعض الباحثين الآخرين والتي منها خاصة:

- Peirce (C.S) : Ecrits sur le signe, Ed seuil, Paris 1978.

- Deledole (Gérard) : la philosophie américaine, éd nouveaux horizons, 1978.

- Deledole (Gérard) : Theorie et pratique du signe, éd Payot 1979.

خصّص الفصل الأول لنظرية المقولات، تطرق فيها للسيرورة الثلاثية ولتعريف المقولات (الأولانية والثانانية والثالثانية)،

النقائص التي طالت الكتاب السابق، أنجز الباحث -في عام ٢٠٠٥- مؤلفاً آخر خصّصه للأنموذج المعرفي لـ"بورس". يشكل هذا الكتاب الموسوم بـ"السيمائيات والتأويل-مدخل لسيمائيات ش.س.بورس" كتاباً تأسيسياً وتنظيرياً بامتياز، وإسهاماً مضافة لخزانة النقد الأدبي المغاربي والعربي عموماً، يتوزع هذا الكتاب على خمسة فصول يتصدرها تمهيد ومقدمة.

عرض في التمهيد الحياة الشخصية والعلمية لمؤسس السيموطيقا الأمريكية "شارل سندررس بورس C.S.Peirce" (١٨٣٩ - ١٩١٤)، موضحاً ما كابده هذا الشخص من صراع يومي مع الفقر من ناحية، ومن فتور علاقاته مع المحيطين به من ناحية أخرى، ولعل هذه واحدة من العوامل التي صرفت اهتمام الباحثين عن متابعة أبحاث هذا الرجل وهو على قيد الحياة ومدارسها والشأن نفسه ربما حدث

مؤولا جديدا، تبقى سيرورة التدليل قائمة على هذا النحو، تتجدد باستمرار ولا تعرف نهاية (٤٦) ولا تتوقف؛ فالماثول يحيل على موضوع عبر مؤول، يتحول هذا المؤول إلى ماثول جديد يحيل على موضوع آخر عبر مؤول جديد، وهكذا إلى ما لا نهاية.

أما الفصل الثالث: فقد وسمه الباحث بـ "التوزيع الثلاثي للعلامة"، وكما يبدو، فإن "بورس" يحتكم في عملية الإجراء العلامي على مبدأ الثلاثية، متخذا نظرية المقولات السند المعرفي الرئيس الذي يرتكز في خلق سلسلة من التفريعات المتعلقة بالعلامة، فهذه الأخيرة، وفق هذا هذا المبدأ تتوزع على ثلاثة عناصر وكل عنصر منها يتوزع بدوره على علامات ثلاث والتي تبدو كما الآتي:

العلامة في ذاتها: (علامة نوعية، علامة

مقدما في كل هذا "تصورا شاملا عن القضايا التي تثيرها نظرية المقولات باعتبارها هي الأساس الذي سينطلق منه بورس لصياغة مجموع تصوراته النظرية الخاصة بالسيميائية" (٤٤).

أما الفصل الثاني الذي وسمه بـ "السيميائيات" فقد تناول فيه العلامة والسيرورة التدليلية، كاشفا عن العناصر الثلاث التي تتبني عليها العلامة، ومحددا موقع كل عنصر داخل عملية إنتاج الدلالة، ذلك لأن مسألة بناء العلامة في التصور السيميائي الذي طرحه "بورس" جعله يحدد -من ناحية- مكونات العلامة، وعلاقة هذه العناصر ببعضها ويناقش بعض قضايا التأويل انطلاقا من مبدأ القصور التمثيلي للعلامة ومبدأ السيميوز اللامتناهية (٤٥)؛ إذ يغدو المؤول -بهذا الشكل- عنصرا في بناء العلامة، كما يصير علامة بحد ذاته يحتاج إلى تمثيل جديد يستدعي خلق علامي جديد يولد

وموقع محفل التلقي في تصورات بورس وحسب الباحث فإن بيرس يصرح -دون موارد- أن التأويل ممكن حتى وإن غاب الشخص المؤول، فالمؤول بهذا الشكل ليس في حاجة إلى شخص يقوم بالتأويل، من هذه الزاوية حاول "بنكراد" أن يربط تأسيسا على مقترحات "أ.إيكو" بين الطابع اللامتناهي للسميوز وبين الطوبيك (ويدل عند "إيكو" على فرضية سابقة للقراءة).

#### خلاصة:

- يعدّ هذا الكتاب مرجعا أساسا في فهم الطرح البورسي للعلامة. يرجع إليه القارئ المتخصص قبل القارئ العادي، لما فيه من وجهة في الطرح، وقدرة في معالجة القضايا التي أثارها سيميائيات "بورس"، فالباحث كان حريصا في نقل سيميائيات المدرسة الأنغلوساكسونية اعتمادا على مصادرها الرئيسية، وتوطينها في مشهدنا النقدي العربي.

- مفردة، علامة عرفية (معيارية).

- العلامة في علاقتها بموضوعها: (أيقونة، مؤشر، رمز).

- العلامة في علاقتها بالمؤول: (خبر، تصديق حجة).

أما الفصل الرابع فقد أثار فيه الباحث مجموعة من القضايا المتعلقة بالتأويل كما تظهر من خلال بعض قضايا التأويل "فعلى عكس القائلين - والقول هنا للباحث- بأن العلامة لا يمكن أن تستقر على حال من خلال سلسلة الإحالات التي يتحدث عنها بورس في مجال التأويل، فاللغة نسق يوضح نفسه بنفسه، والمعنى لا يوجد خارج هذه اللغة، أنه موجود من خلال الإحالات وليس مودعا في محفل متعال لا يدرك سره إلا الله" (٤٧).

وفي الفصل الخامس والأخير، يناقش "بنكراد" من منطلق التأويل وقواعده، قضية القراءة والسميوز،

يكشف عن اضطراب منهجي يشوّش ذهن القارئ، ويخلق فهماً مشوّهاً للتصور السيميائي لـ "بورس" بأكمله.

- يفتقر هذا الكتاب -في تقديرنا-

إلى فصل مستقل، يحدّد فيه الباحث المرتكزات الفلسفية للفكر العلامي البورسي، والمتمثلة في إسهامات أرسطو Arostote و Kant وهيغل Hegel؛ كي يكتمل بناء الخطاب، فالقارئ ههنا، إذا ما طاف ذهاباً وإياباً عبر الفصول سيجد أن (بنكراد) قدم خطاباً غير متماسك، وهذا يعود -في تقديرنا- إلى مهابة الباحث الغوص في الإشكالات الفلسفية والمنطقية لنظرية "بورس" السيميائية؛ لأن "بنكراد" في الأصل ليس فيلسوفاً كي يتسنى له نقل كل القضايا الفلسفية التي أثارها الفكر العلامي البورسي، على عدة أوجه ليناقشها، ومن ثمّ يقابلها بالأراء المناقضة لها حتى يتمكن من بناء تصورات وأفكار متماسكة. وصنّع

وعليه، يمكننا تصنيف هذا المؤلف ضمن الكتب التنظيرية والتأصيلية لنظرية "بورس" في النقدي العربي عامة والخطاب النقدي المغربي على وجه الخصوص.

- يبدو أن فصول هذا الكتاب قد أنجزها الباحث على فترات زمنية متقاربة أحياناً ومتباعدة أحياناً أخرى، نلمس ذلك في كونها جاءت مستقلة بموضوعها ومصادرها، ومن ناحية أخرى نجد أغلبها قد سبق وأن نشرها الباحث في شكل مقالات بمجلات عربية أو محلية متخصصة. كل هذه المعطيات -في تقديرنا- غيبت سمة الانسجام الكامل بين هذه الفصول، حتى الباحث يجوز للقارئ بإمكانية قراءته الفصل الثاني قبل الأول لفهم نظرية بورس، بعدها يمكنه العودة من جديد إلى قراءة الفصل الأول (٤٨). فرغم هذا التنبيه الذي ينم عن إحاطة الباحث بالموضوع، ومراجعتة إياه، فإنه من جانب آخر،

العرض لم يتحقق كفاية؛ إذ غابت عليه  
-نوعا ما- السطحية والانتقائية. وعليه،  
فإن ما يحسب لجهود "بنكراد" في هذا  
الميدان هو سبق التناول، كونه أول من  
مارس التفكير الفلسفي في الخطاب  
النقدي المغاربي من خلال طرقة باب  
سيمائيات "بورس".

#### ١ - سيمائيات "بورس" في المقاربات النقدية المغاربية:

تمثل السيمائيات البورسية  
حضورا فاعلا في الخطاب النقدي  
العربي، وحقلا زاخرا بالمفاهيم الدلالية،  
جعلت الباحث يستعيرها ليسدّ بها  
متطلبات النص، وينتقي منها ما يعضد  
مقارباته النصية والخطابية. فمن  
المفاهيم الأساسية التي أخذت حيزا أكبر  
من اهتمام باحثينا تلك الناتجة من  
علاقة العلامة بموضوعها وهي: الأيقون  
(الأيقونة) Icone، والرمز Symbol،  
والمؤشر (الشاهد، الإشارة) Index.

كهذا، تحاشاه الباحث، من هذا فخطابه  
التنظيري لسيمائية "بورس" لا يعدو أن  
يكون شرحا وتوصيفا لهذا الفكر، غايته  
نقل هذا التصور إلى مشهدنا النقدي،  
دون تجشم عناء وضع هذا التصور في  
ميزان النقد، وكأن هذا الطرح أكبر من  
النقد، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه  
ومن خلفه.

- لقد قرأ "بنكراد" فكر "بورس" من  
خلال كتابات "بورس"، وكذلك من خلال  
كتابات بعض الباحثين الغربيين -هذا ما  
ألفيناه في مكتبة البحث المعتمدة-،  
وصنّيع كهذا- من المفروض- يحقق  
المأمول من هذه الدراسة، وهو محاولة  
"بنكراد" إرساء المبادئ والأسس النظرية  
لسيمائيات "بورس" في خطابنا النقدي،  
والذي يستدعي من الباحث التعمّق  
والغوص في الفلسفة الأنغلوساكسونية  
التي تبلورت مع "بورس" بغية الإحاطة  
بمداخل ومخارج النظرية السيمائية  
البورسية، لكن الذي كنّا نرجوه من هذا

ومحاولته البحث عن وشائع القرى بين التراث العربي والحداثة الغربية.

## ٢-أ- قراءة في كتاب "مباحث في السيميائيات" لـ "عبد المجيد العابد":

إن ما يميز مباحث الكتاب التسعة، هو اشتغال صاحبها على خطابات إبداعية متعددة ومتنوعة ومتباينة لها طبيعتها المختلفة في الاشتغال، ونمطها المخصوص في التدليل (٥١). لم يكن اختبار الباحث لهذه النصوص عشوائياً، وإنما تجسد وفق رؤية واعية محسوبة، يؤمن صاحبها بنجاعة المنهج السيميائي في تفاعله مع هذه الخطابات، هذا ما يلمسه الدارس في الخيط الناظم الذي يشد تلك المباحث بعضها ببعض. والتي يتجلى في طبيعة الموضوع من ناحية، وطبيعة المنهج من ناحية أخرى، فطبيعة الموضوع الواحد، نستشفها من تقاطع هذه الخطابات في نقطة واحدة هي موضوع الصورة والتي تظهر على

لم يكن اهتمام هؤلاء بهذه المفاهيم عرضياً، وإنما ترسخ كقناعة يحاولون من خلالها ربط التراثي بالحداثي؛ بمعنى إيجاد مصوغات الربط بين ما حبل به الموروث البلاغي وما جدّ على ساحة الفكر بالغرب. وبالفعل، فقد وجدوا في تفرعات القدامى للعلامة (الدلالة) اللفظية وغير اللفظية ما يتوافق مع توزيع "بورس" الثلاثي للعلامة في علاقتها بموضوعها (٤٩)؛ بحيث لا نكاد نلمس أي اختلاف في هذه المقارنة "سواء من حيث ذلك التقسيم الثلاثي لها، أو من حيث ما ينطوي عليه كل قسم من تلك الأقسام" (٥٠). ويعزو الدارس هذا التقابل الذي وصل حدّ التطابق إلى الرافد المعرفي الواحد الذي نهل منه العرب القدامى و"بورس" على حدّ سواء والذي يتجلى في المعطى الفلسفي اليوناني (أرسطو) والرواقيين. هذا ما يبرر في تقديرنا - استئناس الباحث العربي بسيميوطيقا "بورس"،

الذي شكّل اللبّات الأولى في إرساء  
سميأة [المفاهيم البصرية] (٥٢).

### طريقة التناول:

استعان الباحث في مقارنته لهذا النص  
الروائي بمجموعة من الآليات السيميائية  
منها: الدلالة الأيقونية، الوصف  
البصري، الكاريكاتير، التمثيل... الخ.  
حيث استهل الباحث بحثه بتنظير  
مقتضب تناول فيه تحولات الشخصية  
وعلاقة هذا التحول بتطور الرواية،  
انطلاقاً من الرواية التقليدية التي تنظر  
إلى الشخصية بوصفها شبه كائن  
(Pareil être) من لحم ودم (٥٣)،  
وانتهاءً إلى الرواية الجديدة التي  
اعتمدت في دراستها للشخصية عدة  
مناهج فضائية (المنهج السيميائي مثلاً)  
والتي نظرت إلى الشخصية من منظور  
آخر، حيث نجد رولان بارت (Roland  
barthes) مثلاً يعبر عنها بوصفها  
"كائن من ورق" (être en papier) لا

امتداد غالبية المباحث كـ (القياس في  
السيميائية البصرية، والصورة الإشهارية  
بين الإنتاج والتلقي، الوصف البصري  
للشخصيات في رواية "البعيدون"، بناء  
الصورة في ألف ليلة وليلة، الصورة  
الساخرة في رواية "السوق الداخلي"،  
الصورة والبيداغوجية...). أما طبيعة  
المنهج، فيتجلى في المقاربة السيميائية  
لهذه الخطابات التي استثمر فيها  
الباحث المفاهيم البصرية المستقاة من  
السيميائيات البصرية التي أرسى معالمها  
الأولى "ش.س. بورس".

سوف نختار المبحث الخامس الموسوم  
بـ "الوصف البصري للشخصيات في  
"رواية البعيدون" لدواع يستدعيها منهج  
الدراسة؛ كون هذا الموضوع يندرج في  
حقل السيميائيات البصرية التي تتكئ  
على بعض المفاهيم البصرية في  
التحليل، وأن هذه المفاهيم ترجع أصولها  
إلى التفكير الفلسفي والمنطقي ابتداءً،  
ثم في تعريف بورس (Peirce) للأيقون

"التي تهتم لنظرية الأيقونونص (Iconotexte) أي التعالق اللفظي البصري في السرد، نظرت إلى الشخصيات من جميع الاستعارات التي استقتها من السيميائيات البصرية خاصة، كالكاريكاتير، والوصف البصري، والدلالة الأيقونية، وغيرها" (٥٦).

فهذه المفاهيم البصرية وغيرها، حاول الباحث تعويمها على النص الروائي "البعيدون" لصاحبه "بهاء الدين الطود"، انطلاقاً من الدلالة الأيقونية، مروراً بالوصف البصري، والموجهات والألوان القيمية، وانتهاءً بالكاريكاتير والتمثيل، أما أولى المفاهيم التي تدارسها هي الدوال الأيقونية المجسدة في شخصيات الرواية.

يستهل الباحث هذا العنصر بمناقشة مفهوم الأيقونة من خلال الطرح البورسي، وإيكو وجماعة "مو" معتمداً في ذلك مؤلفات هؤلاء

وجود له إلا عبر الفضاء النصي الروائي، كما نجد فيليب هامون (Philippe Hamon) ينظر إليها باعتبارها علامة كباقي العلامات الدالة، التي قد تشير إلى معادل موضوعي في العالم الخارجي، وقد لا تحيل إليه، مسترشداً بمفهوم العلامة (signe) عند بورس (Peirce) (٥٤).

لقد غدت الشخصية (Personnage) من منظور بارت (Barthes) وهامون (Hamon) كائناً بلا ملامح، قد تعبر عنها نقطة، أو بياض، أو حرف... كما قد يعبر عن شخصيتين باسم / علامة واحدة (٥٥).

لقد خلقت -حسب الباحث- تحولات الشخصية من كونها شبه كائن إلى شخصية ورقية ضمن الرواية الجديدة (الحدائية) تصوراً جديداً أكثر تطوراً، تجلّى ذلك في مقاربات لوفيل (Louvel) ومونتادان (Montadan)

بالمخطط الموجود في (الملحق الخامس) (٥٨).

إذا كانت العلامة الأيقونية -وفق هذا المخطط- ثلاثية التركيب هي: الدال الأيقوني والنوع والمرجع، و-حسب الباحث- بشكل عنصري (النوع والمرجع) المدلول الأيقوني.

- الدلالة الأيقونية بوصفها إجراء:

استنادا على المكونات الثلاثة للعلامة الأيقونية، تناول الباحث شخصيات النص الروائي بالتحليل؛ إذ حدّد هذه الشخصيات باعتبارها دوال أيقونية تحيل إلى مرجعيات ثقافية خاصة بكل شخصية. تأسيسا على ما ذكر، قام الباحث بتحديد بعض المقاطع السردية من النص الروائي المتعلقة بالشخصيات الرئيسية باعتبارها دوالا أيقونية.

وهي: (Ecrits sur le signe 1978) لـ"س.س. بورس"، و (Le signe , histoire et analyse d'un concept) لـ"إيكو" (Traite d'un signe visuel, pour un rhétorique de l'image) 1992. لجماعة"مو".

ينطلق الباحث من نظرة "بورس" للأيقونة، التي تنفي اعتبارها تمثّل معادلا موضوعيا في العالم الخارجي، ما يعني أنها (أي الأيقونة) تتضمن كذلك ما ليس له معادل موضوعي في الواقع، هذه النظرة يدعّمها "أ.إيكو" معتبرا أن الأيقونة ما هي إلا صورة ذهنية تربط بين علامة وبنية إدراكية، هذه الأخيرة تلعب دور الوسيط بين العلامة والتجربة الواقعية، هذا الأمر أشارت إليه جماعة "مو" من خلال النموذج الثلاثي (دال إيقوني يحيل إلى مرجع عبر نوع) جاء هذا الاقتراح -حسب الباحث- تجاوز مشكل الأيقونية في العلامة (٥٧)، ولتوضيح الفكرة أكثر: استعان الباحث

وموسوعية؛ وعليه فإننا نحيل أيقونيا إلى كون قيمي مخصوص يمثل في الطباع الهولندية، التي تذوب فيها الثقافة الأوربية كاملة (٦٠). يمكن استخلاص المحددات المفهومية لهذه الشخصية وفق المخطط الموجود في (الملحق السابع).

المقطع السردي: [نعم أعلنت... أشهر طويلة]، الرواية، ص: ١٤.

يتعلق هذا المقطع -حسب الباحث- بالبدال الأيقوني "إيستر"، فهذا البديل يحيل إلى مرجع ثقافي مخصوص يخضع لأكوان قيميية تحدد له نمط وجوده، ورؤيته للعالم، إنه كون قيمي انجليزي يهودي تكشف بعد العلاقة الحميمية بين "إيس-تر" و"إدريس" (٦١). يمكن تمثيل ذلك بالترسيمة الموجودة في (الملحق الثامن).

١- المقطع السردي: [في ذلك الزمان الفاصل... كانت تستر عني عواطفها] ص: ٣٨ من الرواية، يبرز هذا المقطع الانتماء الثقافي لـ "بيلار" وكل ما يمت إليه صفات.

فالدال الأيقوني "بيلار" -حسب الباحث- يحيل إلى مرجع ثقافي قد يفيد كما ما هو إسباني، فهذه الفتاة شابة، جامعة لسماوات الجمال والثقافة تحيانا على نسق ثقافي إسباني، يعد ذلك أساس الكون القيمي المدريدي (٥٩)، وعليه يمكن تجسيد هذه المحددات المفهومية بهذه الترسيمة، (ينظر الملحق السادس).

٢- المقطع السردي: [هي تتحدث... في أشهر مجلة أنجلوساكسونية] ص ١٥٦ من الرواية.

يشير الدال الأيقوني "كريستيان آسين" -حسب الباحث- إلى مرجع ثقافي يحيل إلى فتاة عذراء، جميلة ومتفكرة،

بين هذه الشخصيات بسبب تباين الانتماء الثقافي ما أدى إلى بناء أحداث الرواية، ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط الموجود في (الملحق التاسع).

#### قراءة تقويمية للمنجز:

بعد معاينتنا للعلامة الأيقونية ودلالاتها، نجد أن هذه دراسة لا تكاد تخرج من الإطار الذي رسمه "بورس" للعلامة الأيقونية؛ إذ نلّف الباحث ههنا، يتكئ في تحليله على المكاسب التي حققتها سيميائية الصورة، ويعوّل على أدواتها الإجرائية في استجلاء المعنى من هذا الأثر الأدبي. حيث تمكن الباحث من استتّمار هذا المفهوم البصري من منظور طرح "بورس" وجماعة "مو".

- استطاع الباحث مقارنة هذا النص الروائي من منظور السيميائية البصرية، فوجد شخصياتها الرئيسية تحمل دلالات أيقونية تحيل على الانتماء الثقافي وتمفصلاته لكل شخصية.

إن جماع القول الذي خلص إليه الباحث، يتجلى في توافق أو تناقص بين مرجع كل شخصية من الشخصيات الرئيسية باعتبارها دوالاً أيقونية، وهو بالفعل ما وطد الصراع بين تلك الشخصيات الذي ساهم في بناء الحدث الروائي.

هناك توافق بين الدال الأيقوني لـ "بيلار" والدال الأيقوني لـ "ادريس"، فأول يحيل إلى تمفصلات الثقافة العربية الإسلامية، وهي بالتالي، لا تختلف عن الدال الأيقوني "ادريس" الذي يحيل إلى مرجع ثقافي يمثل كل ما هو عربي، ثقافة، رؤية العالم. فهذا التوافق، إذن، حال دون وقوع صراع في تصويرهما للعالم.

يتحقق عدم التوافق بين الدوال الأيقونية لـ "ايستر" و"كريستيان آسين" من جهة، وبين "كريستيان آسين" و"ادريس" من جهة ثانية. وبين "ادريس" و"ايستر" من جهة ثالثة، نتج عن هذا كله، صراعا

السيميائية البصرية مستثمرا -في ذلك- المفاهيم التي حبلت بها السيميائية البصرية، فهذا التوجه الذي ارتكز على العلامة الأيقونية التي وضع "بورس" لبناتها الأولى، وتطورت بعد ذلك على يد "إيكو" وجماعة "مو" قد غفل عن تناوله الباحثين العرب، وتفتن له الباحث "عبد المجيد العابد". وهي التفاتة تبرز كفاءة الباحث المغاربي في مواكبة الجديد بغية معالجة النص من زاوية مغايرة لما هو مطبق في المشهد النقدي العربي بعامة والمغاربي منه بخاصة، واستنادا على ما قدمه الباحث، وعرضه، نستشف سمة الوفاء للفكر العلامي البورسي والمدرسة الأنغلو ساكسونية ككل؛ على اعتبار أن الاتجاه الأمريكي يعدّ رافدا أساسا مساهما -إلى جانب الاتجاه الأوربي- في تشكيل وبلورة خطاب سيميائي مغاربي منفتح على كل التيارات والاتجاهات السيميائية.

- حقق الباحث بالاعتماد على الآليات السيميائية التي أتيح له بعض النتائج، تجلّت في كشف عن بعض الخبايا النصية المتعلقة بالشخص الرئيسة، وقد تمّ ذلك بواسطة التقسيم الثلاثي لمكونات العلامة الأيقونية، التي تتركب من:

العلاقة = الدال الأيقوني + المدلول الأيقوني (نوع + مرجع).

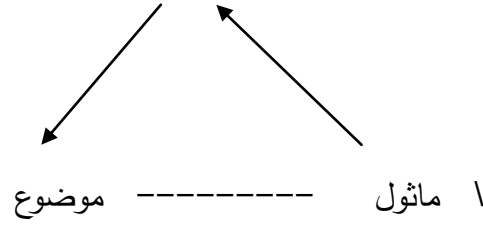
- استطاع الباحث أن ينطلق من فكرة "بورس" للعلامة الأيقونية وفكرة جماعة "مو" وفكرة "إيكو" كذلك، وتمكن من صهر هذه الأفكار وبلورتها برؤية منهجية واعية، لأجل رصد الدلالات الأيقونية للشخص وتحليلها.

يعدّ هذا المبحث إنجازا مهما ومميزا؛ يبرز مع بقية مباحث الكتاب الأخرى استراتيجية الباحث في اشتغاله على موضوع الصورة الذي احتفت به

الملاحق:

الملحق ٠١:

مؤول



علاقة غير مباشرة

الملحق ٠٢:

العنصر الثالث	العنصر الثاني	العنصر الأول	أقسام العلامة	الباحث
موضوع	المؤول - صورة ذهنية	مائلول - علامة		بيرس
	المرجعية	رمز		ريتشارد - أوغدن
ما صدق	التصدية			كارناب

المعنى الأنغلو ساكسوني في الخطاب السيميائي المغربي - سيميائيات "ش.س. بورس" أنموذجاً -

المعنى	المعنى		فريجه
المعنى	المدلول - القيم	حامل العلامة	موريس
	التصور - صورة ذهنية	دال	سوسير
	إيحاء		س - ميل
	المضمون	تعبير	هلمسياف
معنى	حالة وعي		بوينسنس
تقرير			روسل

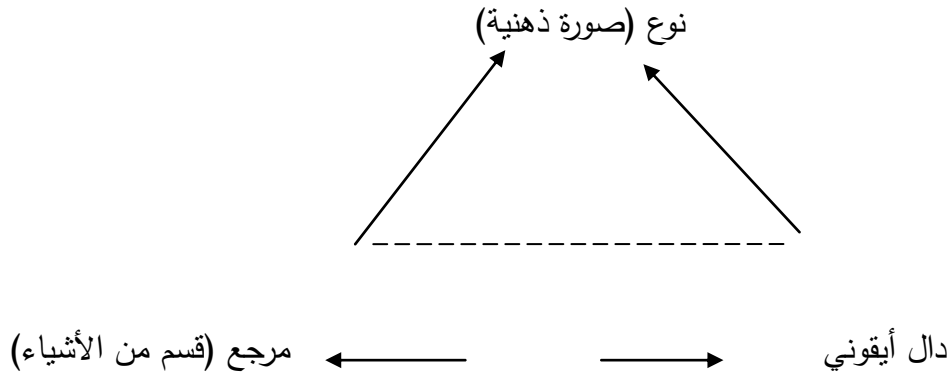
الملحق ٠٣:

العلامة- النمط Légisigne	العلامة- المفرد Sin signe	العلامة-الصفة Quali signe	الممثل Representamen
الرمز Symbole	الإشارة Indice	الأيقون Icône	الموضوع objet
البرهان Argument	الافتراض Decisigne	المسند إليه Rhème	المؤول Intreprétant

الملحق ٠٤:

رمز

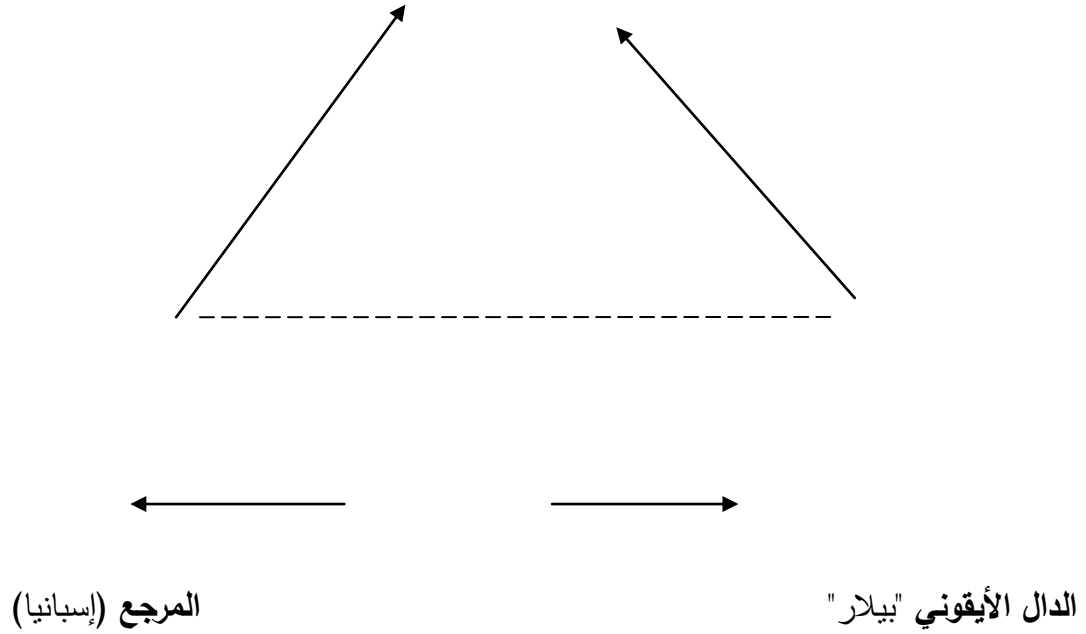
الحمامة البيضاء ← السلام

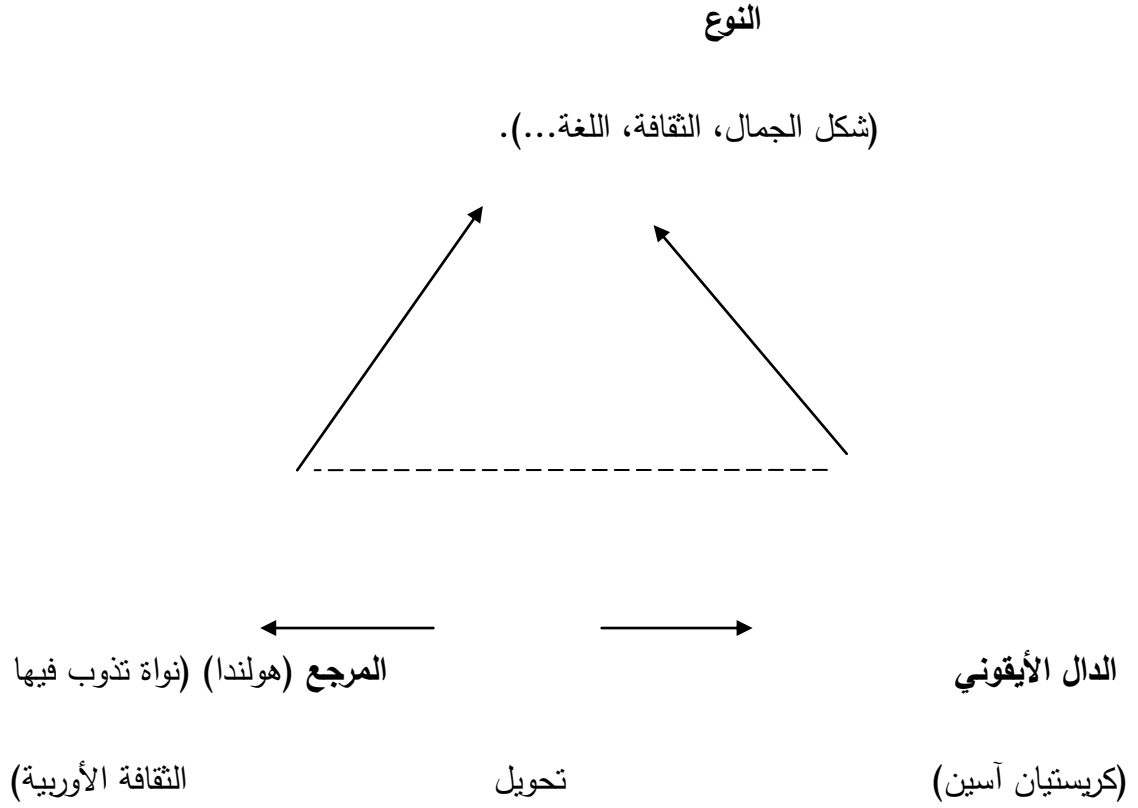


(مجموعة من المثبرات البصرية المنمذجة) تحويل

النوع

(الخصائص الناتجة من علاقة الدال الأيقونية والمرجع والمتمثلة في: لون العيون، الثقافة، معيار الجمال، اللكنة....).

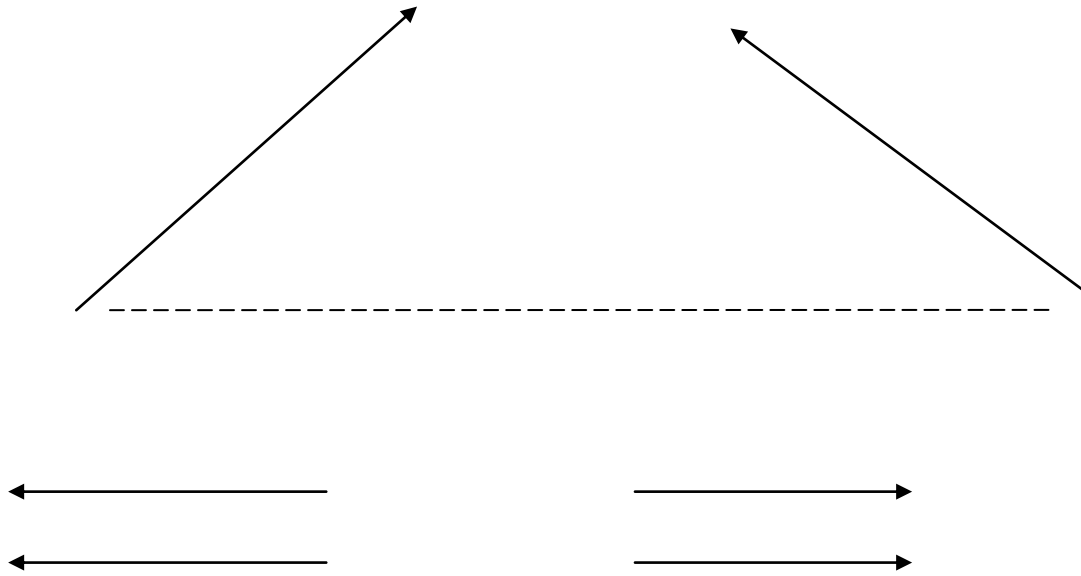




النوع

(تصرفات "ايستر"، إباحيتها، رؤيتها للعالم)

(طباع "ادريس"، ثقافته، رؤيته للعالم...)



المرجع

(انجليزية يهودية)

(مرجع عربي)

تحويل

تحويل

المدال الأيقوني

(ايستر)

(ادريس)

الملحق ٠٩ :

علاقة "ايستر" و"كريستيان آسين" ← علاقة مخالفة.

علاقة "كريستيان آسين" و"الديس" ← علاقة مخالفة (معادلة صحية).

علاقة "الديس" و"ايستر" ← علاقة مناقضة (ثقافة/دين/...).

إحالات البحث:

١- محمد التهامي العماري: حقول سيميائية - السيميائيات الاجتماعية، سيميائيات المسرح، سيميائيات التلقي، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب (فاس)، ٢٠٠٧، ص: ٠٦.

٢ - سعيد بنكراد: السيميائيات - مفاهيمها ومنطلقاتها-، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٣، ص: ٥٨.

Oswald Ducrot, et Tzvetan Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Edition du seuil, 1972,p : 11.

C. S. Peirce : Ecrit sur le signe, éd, seuil, 1978, p : 120.

٤- ينظر:

٥ - سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، مدخل للسيميائيات ش.س. بورس، المركز الثقافي العربي، ص: ٤٢.

٦ - محمد فليح الجبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص.ص: ٤٣-٤٤.

٧ - محمد فليح الجبوري: المرجع نفسه، ص: ٤٤.

٨ - ينظر: سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص.ص: ٤١ - ٥٤.

٩ - ينظر: سعي بنكراد، المرجع نفسه، ص.ص: ٤٦ - ٤٧.

## المعطى الأنغلو ساكسوني في الخطاب السيميائي المغربي - سيميائيات "ش.س.بورس" أنموذجا -

- ١٠ - ش.س. بورس: تصنيف العلامات، تر: فريال جبوري غزول ضمن كتاب: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيموطيقا، إشراف سبيزا قاسم ونصر حامد أبوزيد، ج١، دار إلياس العصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص: ١٣٨.
- ١١ - سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص: ٤٢.
- ١٢ - ينظر: سعيد بنكراد: السيميائيات، -مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص: ٦١.
- ١٣ - ينظر: سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص: ٧٤.
- ١٤ - سعيد بنكراد: السيميائيات -مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص: ٦١.
- ١٥ - ينظر: سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص: ٧٧.
- ١٦ - سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص: ٧٧. وينظر كذلك: سعيد بن كراد: السيميائيات - مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص: ٦٢.
- ١٧ - محمد التهامي العماري: حقول سيميائية، ص: ٥٧.
- ١٨ - سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص: ٧٩.
- ١٩ - ينظر: سعيد بنكراد: السيميائيات -مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص: ٨١. ينظر كذلك: السيميائيات والتأويل، ص: ٦٥ ينظر أيضا: محمد التهامي العماري: حقول سيميائية، ص: ٥٧.
- ٢٠ - ينظر: ج دوليدال - ج.رطوري: التحليل السيميوطريقي للنص الشعري، تر: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص: ٥١.
- ٢١ - ينظر: سعيد بنكراد: السيميائيات -مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص: ٦٧.

## محور اللغة العربية

- ٢٢- ينظر: سعيد بنكراد: سيميائيات بورس مجلة علامات، ع١، المغرب، ربيع ١٩٩٤، ص.ص:
- ١٩- ٢٠. وينظر كذلك: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها-، ص، ص: ٦٧- ٧٣. وأيضاً:
- السيميائيات والتأويل، ص.ص: ٨١-٨٨.
- ٢٣ - أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه-، تر: سعيد بنكراد، ومراجعة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م، ص: ٥٤.
- ٢٤- ينظر: عائدة حوشي: نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ -حسب نظرية بورس- أطروحة دكتوراه علوم، مقدمة بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص: ٧٤-١٢٢. وينظر كذلك: هيام عبد الكريم عبد المجيد علي: دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية -شعر البردوني نموذجاً-، رسالة ماجستير مقدمة بكلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، أيار ٢٠٠١، ص.ص: ٢٢-٢٩.
- ٢٥- جميل حمداوي: الاتجاهات السيموطيقية (التيارات والمدارس في الثقافة العربية)، مؤسسة المثقف العربي، ط١، ٢٠١٥، ص: ١٨.
- ٢٦- ينظر: سعيد بن كراد: السيميائيات والتأويل، ص، ص: ١١٥- ١١٦.
- ٢٧ - ينظر: C.S.Peirce : écrit sur le signe, p : 218.
- ٢٨- ينظر: عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب، مقارنة مع السيميائي الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص: ١٤. وينظر كذلك: عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، ط١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠، ص.ص: ٢٥-٢٧.
- ٢٩ - التهامي العماري: حقول سيميائية، ص: ٠٩.

٣٠ - سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص: ١١٧.

٣١ - ينظر: سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص: ١١٧.

٣٢ - ينظر: سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص.ص: ١١٩ - ١٢٠.

٣٣ - سعيد بنكراد: المرجع نفسه، ص: ١٢٠.

٣٤ - ش.س.بورس: تصنيف العلامات، ترجمة فريال غزول، ضمن "أنظمة العلامات"، ص: ١٤٢.

٣٥ - محمد التهامي العماري: حقول سيميائية، ص: ١٠.

٣٦ - نذكر -في هذا المقام- طائفة من الدراسات النقدية المغربية حول السيميائيات البورسية.

- سعيد بنكراد: -السيميائيات والتأويل- مدخل لسيميائيات ش.س.بورس، ٢٠٠٥ (مرجع

مذكور) // -السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها- ٢٠٠٣ (مرجع مذكور).

- أحمد يوسف: - السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وحبس العلامات، منشورات

الاختلاف، الدار العربية للعلوم، والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥ - ١٤٢٦ هـ. / الدلالات

المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، والمركز

الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥ - ١٤٢٦ هـ. / علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، منشورات

الاختلاف، ومنشورات الضفاف، ودار الأمان، الجزائر، بيروت، الرباط، ٢٠٠٣.

- طائع الحدادي: سيميائيات التأويل، الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي، المغرب،

٢٠٠٦.

- جيرار دولودال: السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمان بوعلي، مطبعة النجاح

الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠.

## محور اللغة العربية

- عبد اللطيف محفوظ: آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي-، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨.
- عبد المجيد العابد: مباحث في السيميائيات، دار القرويين، ط ١، ٢٠٠٨، (مرجع منكور).
- عبد الملك مرتاض: الأصول السيميائية في فكر شارل بييرس، علامات، ج ٤، م ١، ١٩٩٢.
- آمنة بلعلي: سيميائيات تشارل سندرسيورس، قراءة أولية، مجلة الآداب العالمية، دمشق، ع ١٣٨، ٢٠٠٩.
- قوتال فضيلة: العلامة والسيروية الدلالية، مجلة مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، ع ١، خريف ٢٠٠٥.
- ٣٧- ميشال أريفيه وآخرون: السيميائية، أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم: د. عزالدين مناصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٢، ص: ١١.
- ٣٨- رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للنشر، الجزائر ٢٠٠٠، ص: ٠٦.
- ٣٩ - ينظر: رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، ص.ص: ٥-٣٦.
- ٤٠ - ينظر: سعيد بنكراد: المؤول والعلامة والتأويل بصد بورس، مجلة علامات، ع ٩، ١٩٩٨.
- ٤١ - ينظر: سعيد بنكراد: السيروية السيميائية والمقولات، قراءة في فلسفة بورس السيميائية، مجلة مدارات فلسفية، ع ٧، الجمعية المغربية للفلسفة، المغرب، ٢٠٠٢.
- ٤٢ - ينظر: سعيد بنكراد: السيميائيات (النشأة والمفهوم) عالم الفكر، ع ٣، المجلد ٣٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، يناير - مارس ٢٠٠٧.

٤٣ - ينظر: سعيد بنكراد: السيميائيات - مفاهيمها وتطبيقاتها-، الفصل الثالث: "بورس: السيميائيات نظرية تأويلية"، ص، ص: ٥٧-٧٤.

٤٤ - سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل -مدخل لسيميائيات ش.س.بورس-، ص: ٣٦.

٤٥ - ينظر: سعيد بنكراد: المرجع نفسه، ص.ص: ٧١-١٠٥.

٤٦ - ينظر: سعيد بنكراد: المرجع نفسه، ص: ٣٧.

٤٧ - سعيد بنكراد: المرجع نفسه، ص: ٣٨.

٤٨ - ينظر: سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص: ٣٩.

٤٩ - يوضح لنا الباحث "قادة عقاق" في جدولته ذلك التقابل القائم على الترتيب بين تقسيمات الدلالة

(العلامة) في الموروث العربي، والمتمثلة في: (الدلالة الوصفية والعقلية والطبيعية)، وبين تقسيمات

بيرس، المتمثلة في: الرمز (symbole)، الشاهد المؤشر (Index)، الأيقونة (الصورة)

(Icône)، ينظر: قادة عقاق: في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي، ص: ٤٣.

٥٠ - قادة عقاق: في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي، ص: ٤٣.

٥١ - عبد المجيد العابد: مباحث في السيميائيات، ص: ١٢.

٥٢ - ينظر: عبد المجيد العابد، المرجع نفسه، ص: ١٧.

٥٣ - عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص: ٧٧.

٥٤ - عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص: ٧٧.

٥٥ - ينظر: عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص: ٧٧.

٥٦ - عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص.ص: ٧٧-٧٨.

٥٧ - ينظر: عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص: ٧٨.

- ٥٨ - ينظر: عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص: ٧٩.
- ٥٩ - ينظر: عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص: ٧٩.
- ٦٠ - ينظر: عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص: ٨٠.
- ٦١ - ينظر: عبد المجيد العابد: المرجع نفسه، ص: ٨١.

مكتبة البحث:

- ١- أمبرتو إيكو: العلامة -تحليل المفهوم وتاريخه-، تر: سعيد بنكراد، ومراجعة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- ٢- جميل حمداوي: الاتجاهات السيموطيقية (التيارات والمدارس في الثقافة العربية)، مؤسسة المنقف العربي، ط١، ٢٠١٥.
- ٣- ج.دوليدال-ج.رطوري: التحليل السيموطيقي للنص الشعري، تر: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- ٤- رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للنشر، الجزائر. ٢٠٠٠
- ٥- سعيد بنكراد: السيميائيات -مفاهيمها ومنطلقاتها-، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٣.
- ٦- سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، مدخل للسيميائيات ش.س.بـورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥.

٧- سعيد بنكراد: السيرورة السيميائية والمقولات، قراءة في فلسفة بورس السيميائية،

مجلة مدارات فلسفية، ع٧، الجمعية المغربية للفلسفة، المغرب، ٢٠٠٢.

٨- سعيد بنكراد: السيميائيات (النشأة والمفهوم) عالم الفكر، ع٣، المجلد ٣٥، المجلس

الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، يناير - مارس ٢٠٠٧.

٩- سعيد بنكراد: سيميائيات بورس، مجلة علامات، ع١، مكناس-المغرب، ربيع

١٩٩٤.

- سعيد بنكراد: المؤول والعلامة والتأويل بصدد بورس، مجلة علامات، ع٩، ١٩٩٨

١٠- ش.س. بورس: تصنيف العلامات، تر: فريال جبوري غزول ضمن كتاب: أنظمة

العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيموطيقا، إشراف سبيزا قاسم ونصر

حامد أبوزيد، ج١، دار إلياس العصرية، القاهرة، ١٩٨٦.

١١- عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب، مقارنة مع السيميائي الحديثة، دار

الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

١٢- عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت

(لبنان)، ط١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠.

- ١٣- عايذة حوشي: نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ -حسب نظرية بورس- أطروحة دكتوراه علوم، مقدمة بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩.
- ١٤- عبد المجيد العابد: مباحث السيميائيات، دار القرويين، المغرب، ط١، ٢٠٠٨.
- ١٥- عقاق قادة: في السيميائيات العربية -قراءة في المنجز التراثي-، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤.
- ١٦- محمد التهامي العماري: حقول سيميائية -السيميائيات الاجتماعية، سيميائيات المسرح، سيميائيات التلقي-، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب (فاس)، ٢٠٠٧.
- ١٧- محمد فليح جبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، منشورات الضفاف، دار الأمان، الرباط، الجزائر، ط١، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣ م.
- ١٨- ميشال أريفيه وآخرون: السيميائية، أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم: د.عزالدين مناصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٢.

١٩- هيام عبد الكريم عبد المجيد علي: دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية - شعر البردوني نموذجا-، رسالة ماجستير مقدمة بكلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، أيار ٢٠٠١.

Oswald Ducrot, et Tzvetan Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Edition du seuil, 1972

٢١- (C.S) Peirce: Ecrits sur le signe, Ed seuil, Paris 197 .

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

د.حسين عابد الفريجات

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

الإمارات العربية المتحدة

المقدمة

إنّ الحمد لله ، نحمده و نستعينه و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد ...

ترجع العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس الى طبيعة اللغة اذ انها احد مظاهر السلوك الانساني ، فإذا كان علم النفس يعني بدراسة السلوك الانساني عموماً فإن دراسة السلوك اللغوي تعد احد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس وقد رأى بعض العلماء أن الدراسة اللغوية اذا لم تقم على دراسة القوى النفسية الكامنة وراءها فهي غير مكتملة وكذلك الدراسة النفسية عليها ان تستعين بمعطيات علم اللغة و من ثم حدث الامتزاج بين علمي اللغة والنفس مما نتج عنه نشوء علم اللغة النفسي ، لقد اهتمت المدرسة السلوكية بالسلوك اللغوي ، وكان لها اثر كبير في البحث اللغوي الامريكي في النصف الاول من القرن العشرين. ولا بد من الاشارة الى ان هناك فرقاً

اللغوية ، فقد صرف علماء النفس جهودهم الى اكتشاف قوانين عامة تفسر السلوك الانساني ، وركزوا جهودهم على الظواهر العامة مثل التعلم والادراك والقدرات ، ولكنهم لم يهتموا بمحتوى السلوك نفسه. ففي بحث قضية التعلم لم يهتموا بالمادة المنشودة التي تعلم ، بل كان اهتمامهم مركزا على عمليات التعلم بحسابها عملية عقلية ، وفي السنوات الاخيرة حاول بعض الباحثين النظر الى اللغة من الجانبين ، فلم تعد الاستجابات اللغوية تدرس بحسابها ضرباً من الاستجابات فحسب ، بل البنية اللغوية في ذلك ايضاً ... وفي ضوء ما تم ذكره شغل فكر الباحثات عن هذه القضية من خلال البحث حول العلاقة التي تربط بين علم الحالة النفسية والأداء اللغوي ، فقامت الباحثات جاهدات في محاولة الكشف والبحث حول العلاقة بين هذين العلمين من أجل الوصول إلى النتائج ولتحقيق الأهداف

بين بحث اللغويين وبحث علماء النفس في قضايا اللغة ، فعلم اللغة يهتم بالعبارات المنطوقة عند صدورها في الجهاز الصوتي واثاء مرورها في الهواء وعند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها. والعلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي عند المتحدث ليست من مجالات البحث اللغوي ، فاللغويون يهتمون باللغة عند صدورها ولا يهتمون بالعمليات العقلية السابقة على ذلك فهي موضوع من موضوعات البحث في علم النفس وعندما تصل اللغة الى الجهاز السمعي للمتلقي ويقوم بنقلها الى الجهاز العصبي تحدث عمليات عقلية اخرى يبحثها علم النفس ايضاً. أما تلك الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل الى المتلقي في اللغة ،وهي مجال البحث في علم اللغة. وهناك فرقاً اساسي بين منهج اللغويين ومنهج علماء النفس تجاه الظواهر



## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

- ولم يتطرق العرب إلى دراسات متعمقة في العلاقة بين هذين العلمين وأغلب الكتب الموجودة هي عبارة عن كتب مترجمة من لغات أجنبية . وتنبثق مشكلة الدراسة من أهمية دراسة العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي حيث أن هنالك ارتباط وثيق بين هاذين العلمين فالعامل النفسي يسهم بشكل كبير في تكوين اللغة لدى الانسان من خلال البيئة النفسية الجيدة ( الأسرة - المجتمع - المدرسة ) ينتج من خلالها لغة صحيحة خالية من العيوب والعكس صحيح ، حيث قامت الباحثات بعمل استبانة توجه إلى معلمين صعوبات التعلم والأخصائيين بالمدرسة ومعلمين اللغة العربية ،حيث انها تهدف إلى البحث عن العلاقة بين علم النفس وعلم اللغة وتشمل على عدة أسباب تؤثر على اللغة لدى الطالب أو أسباب تعزى إلى المعلم والطالب والبيئة المدرسية .
- أسئلة الدراسة
- ما العلاقة بين علم النفس وعلم اللغة ؟
  - كيف تؤثر العمليات البيولوجية على الأداء اللغوي ؟
  - ما هي طرق اكتساب اللغة ؟
  - كيف يؤثر الجو النفسي الأسري على الأداء اللغوي ؟
  - ما هي الدراسات التي تطرقت الى علم النفس اللغوي ؟
  - ما مدى تأثير اضطرابات الكلام على اللغة ؟
- أهداف الدراسة
- التعرف على العلاقة بين علم النفس وعلم اللغة
  - الكشف عن الطرق الصحيحة في اكتساب اللغة
  - التعرف على العمليات النفسية التي تؤثر على اللغة
  - التعرف تأثير الأسرة والمجتمع على الأداء اللغوي

## محور اللغة العربية

- التعرف على دور المعلمين في تعليم الطالب اللغة
- الدور المدرسي في اكتساب اللغة الصحيحة
- الكشف عن أسباب النفسية في التأخر اللغوي
- الحدود المكانية : مختلف المدارس بمحافظة الظاهرة في سلطنة عمان
- الحدود الزمنية : تتمثل في الفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠١٥ / ٢٠١٦ م .
- أهمية الدراسة
- تأتي أهمية البحث من خلال :
- الكشف عن العلاقة بين الحالات النفسية والأداء اللغوي.
- معرفة مدى تأثير الحالة النفسية على لغة الشخص.
- دور الأسرة في سلامة الأبناء من الناحية اللغوية .
- الكشف عن تأثيرات المعلم على لغة الطالب
- معرفة الأسباب في التأخر اللغوي لدى الطلاب في المدارس
- كيفية السبل الصحيحة نحو اكتساب لغة خالية من العيوب .
- حدود الدراسة
- الحدود البشرية : فئة من المرحلة العمرية ( ٢٠ - ٥٠ )
- الأهمية الدراسة
- الحالة النفسية : هي مجموعة من المشاعر التي تحدث للإنسان من فرح حزن غضب وغيرها ويكون لها تأثير ايجابي وسلبي على الشخص .
- الأداء اللغوي: تلك القدرة الفطرية المختزنة في ذاكرتنا والتي بفضلها نتمكن من أداء اللغة في المواقف

- المختلفة ، هو التجسيد المادي لنظام اللغة في أحداث الكلام .
- علم النفس اللغوي: هو العلم الذي يدرس علاقة اللغة بالعقل. إنه يتطرق إلى اللغة البشرية الطبيعية بوصفها ظاهرة نفسية ذات صلات بفضاءات أخرى في النفس البشرية ، ومن تعريفات هذا العلم الشائعة القول: دراسة اللغة الإنسانية وفهمها وإنتاجها واكتسابها.
- العمليات البيولوجية: هي العمليات الحيوية التي تعمل في جسم الانسان وتكون في الأجهزة المختلفة بالجسم مثل الجهاز العصبي .
- اضطرابات الكلام : هي تلك الاضطرابات اللغوية المتعلقة بالكلام ، وبالطلاقة اللفظية ، وما يرتبط بذلك من مظاهر ترتبط بطريقة تنظيم الكلام ومدته ، وسرعته ، ونغمته وطلاقته .
- ١- مراجعة المصادر العلمية والكتب التي تناولت هذا الموضوع والتعرف على نظرتهم حول الأسباب ، وعرض النتائج .
- ٢- جمع المعلومات حول العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي .
- ٣- لقد قام الباحث بعمل استبانة وتوزيعها على (٥٠) معلم ومعلمة في مختلف المدارس بمحافظة الظاهرة .
- ٤- سوف يقوم الباحث برصد النتائج ومعالجتها إحصائيا .
- ٥- بعد التوصل إلى النتائج في الدراسة يتم عرضها ومناقشتها .
- ٦- صياغة التوصيات والمقترحات في ضوء نتائج الدراسة .
- الفصل الثاني "الإطار النظري للدراسة"
- " المبحث الأول " دراسة نقدية تاريخية في العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي "

أدوات البحث

المقدمة

ومن الناحية النفسية تمثل اللغة أهم مظاهر السلوك الانساني ، لهذا كانت اللغة موضع الدراسات التجريبية بين علماء النفس قديما وحديثا . وقد أشار بعضهم في دراساته إلى أن التحليل النفسي لوظيفة اللغة يؤكد أن عملية التصور هي من العمليات العقلية الضرورية قبل صدور الكلام الذي يتكلم به فرد معين ، وكما أن معرفة اللغة ضرورية لسامع قبل أن تتم عملية التصور والفهم والأدراك لما يسمع والصورة الذهنية الكاملة أو الفكرة ، تتكون من شي أو أشياء ذات عناصر وخصائص متميزة لذلك الجملة المفيدة هي التي تكون صورة ذهنية أو فكرة ولهذا يعتبر علماء النفس أن الجملة هي وحدة اللغة .(١)

ويعد علم اللغة النفسي واحد من أهم فروع علم اللغة التطبيقي الذي يهتم بدراسة اللغة واكتسابها واستعمالها

الإنسان هو أرقى مخلوقات الله خلقه الله في أحسن تقويم وعلمه البيان والحكمة ، ومنحه العقل الراجح واللسان الناطق وهو أقدر المخلوقات على استخدام لغة صوتية تتشكل من مقاطع وكلمات وجمل يستخدمها لتفاهم مع أفراد جنسه والإنسان عندما يستخدم ما يعرف باللغة الإرادية التي يتعلمها ويكتسبها من البيئة التي ينشأ فيها ، وتعتبر من ضرورات المجتمع الذي يعيش فيه ومن الناحية الاجتماعية ، يفترض علماء اجتماع أن اللغة عند بدء نشأتها تمر بمرحلة تفاهم بالإشارات والأصوات التي لا يكون لها معنى في بادئ الأمر ، قبل مرحلة الكلام مع الإنسان وفي نظر علماء الاجتماع يحتاج الإنسان في مراحل نموه الاجتماعي اللغة التي يستخدمها في التفاعل الاجتماعي والتكيف مع أفراد جماعته .

علم اللغة النفسي يعد من العلوم الحديثة؛ التي لم تتضح معالمها ولم تستقل استقلالاً تاماً إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك إثر ظهور الاتجاه المعرفي الفطري في علم اللغة الذي يعد ثمرة الالتقاء الحقيقي بين علم اللغة وعلم النفس؛ إجلالاً للاتجاه العقلاني المعرفي النفسي في النظرة إلى طبيعة اللغة، وأساليب اكتسابها وتعلمها وتعليمها محل الاتجاه السلوكي النفسي المرتبط بعلم اللغة البنوي. (٤)

يتصور الكثيرون أن اللغة كموضوع للدراسة وقف على داسي اللغة وفروعها كالنحو والشعر والأدب والبلاغة فقط . ويرى البعض أنها موضوع خاص بعلم اللغة وعلم اللغة فيما يرى البعض هو الدراسة العلمية للكلام واللسانية أو علم اللغة علم حديث نسبياً نشأ مع فرديناند دي سوسير يعزفه أصحابه بأنه علمي هدف إلى دراسة

وفهمها . وهو من الموضوعات اللغوية المهمة جداً ، ففي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ظهر المصطلح التقليدي لهذه العلاقة المعروف بعلم نفس اللغة عند بعض العلماء. (٢)

وقد بدأ الاهتمام به بشكل كبير - في أمريكا - في الخمسينات عندما أفصح تشومسكي عن آرائه النقدية حول طبيعة اللغة من القرن الماضي؛ ووظيفتها وأساليب اكتسابها ومنهج دراستها وتحليلها في كتابه المشهور: الأبنية النحوية

وكذلك من خلال هجومه العنيف على البنوية والبنويين، والسلوكية والسلوكيين في علم النفس - وخاصة الذين يهتمون بظاهر اللغة لا بعمقها، ويفسرون اكتسابها عالم النفس السلوكي سكينزفسيراً ألياً ولا يهتمون بالجانب الإبداعي الخلاق في اكتسابها واستعمالها (٣)

وتراكيبها عجم والتاريخ وكيفية كتابتها  
إذا كان لها صورة مكتوبة وهي أشياء لا  
تعني عالم النفس كثيرا أما عالم النفس  
فيتعامل مع اللغة

باعتبارها سلوكا يمكن إخضاعه للدراسة  
باستخدام مناهج والأساليب السيكولوجية  
المختلفة. فهو يهتم بالإدراك وكيف  
يختلف الناس في إدراكهم للكلمات أو  
في تحديد ملامحها الدلالية وكيفية  
اكتساب اللغة وتعلمها ودراسة السبل  
التي يتم بها التواصل البشري عن طريق  
اللغة ويضم مجال الدراسات النفسية للغة  
أيضا كيفية تحويل تحدث للاستجابة إلى  
رموز لغوية وهي عملية عقلية تتم عند  
الإنسان وينتج منها إصدار الجهاز  
الصوتي للغة وعندما تصل اللغة إلى  
المستقبل يقوم بفك هذه الرموز اللغوية  
في العقل إلى المعنى المقصود وهي  
عملية عقلية أخرى تدخل في إطار علم  
النفس أيضا. أما تلك الرموز الصوتية

اللغة دراسة موضوعية ووصفية ولما  
كانت اللغة تدخل في أصل معظم العلوم  
الإنسانية إما كعنصر أساسي في ميدان  
البحث وإما كأداة يتحتم استعمالها في  
التعبير عن معطيات هذا العلم أو ذلك  
فقد تداخلت مفاهيم علم اللغة في معظم  
العلوم الإنسانية. ونشأ عن التأثير  
المتبادل بينها تيارات فكرية وعلمية  
حديثية كعلم الاجتماع اللغوي أو علم  
اللغة الاجتماعي وعلم النفس اللغوي أو  
علم اللغة النفسي.

ولما كانت اللغة مظهرا من مظاهر  
السلوك الإنساني وأهمها فقد لقيت عناية  
من اللغويين، وعلماء النفس على حد  
سواء. ومن هنا تتضح نقطة الالتقاء ب  
هذين التخصص أو الفرع من فروع  
عرفة البشرية وهي دراسة (اللغة). ورغم  
هذا فإن عمل اللغوي يختلف عن عمل  
عالم النفس فعالم اللغة يحاول إيجاد  
وصف للغة معينة من حيث صعوبتها

ابتدأ من القرن الثالث قبل الميلاد عدت أسباب هامة دعت علماء اليونان الى الاهتمام بدراسة اللغة ومشكلاتها ، ومن أهم هذه الأسباب امتداد الحكم اليوناني وانتشار الثقافة اليونانية في مناطق كثيرة وأصبحت اليونانية لغة منطوقة بين شعوب تلك البلدان التي تتحدث لغات أخرى غير اليونان ، ونتج عن ذلك فروق لغوية بين نطق اليونانيين للغتهم ونطق تلك الشعوب لذات اللغة . (٦)

وترى الباحثات أن علم اللغة النفسي عند اللغويين العرب القدامى والعلماء لم يكن مجرد إشارات، بل هم من أسسوا هذا العلم وخاضوا غماره وسبروا أغواره، ولقد أصلت كتاباتهم في هذا الميدان وأسست لنظرية لغوية نفسية رائدة، وإن لم تكن مشروحة في كتاب واحد تحت هذا الاسم؛ وإنما تطرقوا إليها كل من جهته، وحسب اختصاصه واهتمامه، فالجاحظ وابن خلدون وابن فارس مثلاً

التي تنتقل من المتحدث عبر الهواء إلى المستقبل فهي مجال البحث في علم اللغة . (٥)

دراسات حول اللغة مع العلماء في القديم

يرى أفلاطون أن اللغة إلهام وموهبة نشأت مع الأنسان ومن ثم ينبغي أن يدور البحث حول الألفاظ الأولى في اللغات المختلفة ، لأنها هي التي تمثل هذه الموهبة الفطرية في أكثر أطوارها بكورا ، ثم يدرك صعوبة المحاولة ويقرر أن السبيل إليها إنما هو معرفة لغات الشعوب الأخرى يمثل أرسطو النزعة الأخرى جين اتجه بالدراسة اللغوية اتجاها مختلفا عن اتجاه أفلاطون حيث يرى أن اللغة إلهاما من الله أو موهبة إنسانية ، بل نظاما لفظيا محددنا نشأ نتيجة اتفاق بين أفراد جماعة بعينها ، ولم يقف أرسطو عند القول بذلك ، بل أخذ في دراسة هذا النظام اللفظي . و

اكتساب اللغة الثانية في وقت متأخر من العمر ويطلق على هذه الظاهرة - في اللغة المرحلية أو الوسطى التحجر وهو أن الكبير لا يستطيع أن يكتسب اللغة الثانية بشكل صحيح مهما حاول ذلك؛ ولهذا تراه يقول: "فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم. ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ولو أقام في عليا تميم، وفي سقلى قيس، وبين عجز هوازن، خمسين عاماً وكذلك النبطي القحّ خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط، لأنّ الن بطني القح يجعل الزاي سينا فإذا أراد أن يقول: زورق قال: سَورق. ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول مُشمعل، قال: مُشمئل. والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول: ناعمة، أو تقول شمس ثلاث مرات متواليات" ويبين الجاحظ السبب في عدم اكتسابه

تحدثوا تقريباً عن معظم مسائل هذا العلم وموضوعاته، وما على العالم إلا أن يدقق النظر فيما يقرأه، وأن يجمع ما كتبه القدماء، ويخرجه إلى النور، ولا ينكر عليهم هذه المعارف، والجهود الأصيلة والقيّمة التي بذلوها في هذا المجال.

١- الجاحظ

حيث يقول: "والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين" فهذان الحرفان هما أول ما ينطقهما الأطفال عند اكتسابهم أصوات اللغة بالإضافة إلى الألف الذي ينطقونه لحظة ولادتهم؛ وأنهما أسهل الحروف عليهم، لكونهما لا يحتاجان إلى فعل اللسان الذي يكون - عادة - ثقيلاً عليهم في النطق في مستهل اكتسابهم للغة. ومن الظواهر الأخرى التي عالجها الجاحظ: ظاهرة

عامّة الناس، ولا يقاس على عدد قليل من المبدعين النابغين ولكن من النادر جداً أن يتعلم الشخص لغة ثانية بعد الشباب بطلاقة تشبه طلاقة أصحاب اللغة الأصليين، وعندما يشاهد الناس مثل هذه الحالة الخاصة، فهم يتحدثون عنها بإعجاب ودهشة كبيرين. فكبير السن الذي يتعلم لغة جديدة إنما تمنعه عاداته الراسخة في التلفظ والقواعد في لغته القديمة من الاعتياد على العادات الجديدة. (٨)

وهذا ما يؤكد برارون بقوله: " إن الدارسين بعد سن البلوغ لا يصلون إلى نطق طبيعي للغة الأجنبية في الأغلب الأعم" (٩)

إن اكتساب اللغة في مرحلة الطفولة أسرع وأفيد للمرء من أن يتعلمها في الكبر، ويضرب لذلك مثلاً بالرجل السندي الذي تعلم اللغة العربية في مرحلة عمرية متأخرة، فهو لا يستطيع

النطق السليم للغة لأنه "متى ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه". فالجاحظ يبين لنا تأثير اللغة الأم في اكتساب وتعلم اللغة الأجنبية أو الثانية في المراحل المتأخرة من العمر عند المتعلمين الأجانب. (٧)

ولقد عالج علم اللغة النفسي الحديث هذه الظاهرة أيضاً من حيث أن التعرض المتأخر للغة قد يكون جيداً، وأن الناس يتعلمونها بشكل سليم، ولكن اعترض بعض الباحثين على هذه النتائج. وقد جاءت بعض الاعتراضات مستندة إلى روايات أو قصص واقعية. فقد يعرف الناس، أو تعرفون أنتم أناساً تعلموا لغة ثانية في كبرهم وأبدعوا فيها (فقد كتب الأديب ذائع الصيت جوزيف كونراد بالإنجليزية بعد أن تعلمها على كبر...، ولكن أصحاب هذه النظرية يردون على ذلك بالقول: إن نظريتهم تدور حول

الأوقات. إن هذه العبارة تشير إلى تلك المسألة المسماة حديثاً بالاكتساب اللغوي. فما معنى اكتساب اللغة؟

إن اكتساب لغة من اللغات ما هو إلا عملية فهم تلك اللغة، ثم القدرة على استخدامها نطقاً وكتابةً فهو عملياً فهم وتعبير ويرتبط بالاكتساب بهما معاً؛ إذ القدرة على تلفظ اللغة يعتبر مهارة أساسية لفهمها، فالذي يفقد القدرة على التحكم في حركة فمه وشفثيه ولسانه نتيجة عطب في مخه يعاني أيضاً من اضطراب في فهم اللغة وإصدارها، والذي يفقد القدرة على التحكم في حركة اليدين نتيجة عطب في المراكز المخية المختصة بهما يفقد القدرة على التعبير بالكتابة.

إننا نجد صدى هذه الفكرة يتردد في عصرنا الحديث؛ إذ نرى بعض العلماء يعول على المحاكاة والتفاعل بين الطفل وبيئته في اكتساب اللغة فيما يعرف

أن ينطق الحروف بشكل صحيح؛ ولو بقي خمسين عاماً بين ظهراي العرب الفصحاء. وهذا ما أكدته الدراسات اللغوية النفسية الحديثة

٢- ابن فارس

ابن فارس حيث يقول عن اكتساب اللغة الأم عند الأطفال بأنها: من المسائل العامة التي طرقها ابن فارس ما يسمى حديثاً بالاكتساب اللغوي، ولقد طرق ابن فارس هذه المسألة في باب سماه بباب القول في مأخذ اللغة حيث قال: "تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر

الأوقات، وتؤخذ تلقناً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُنقَى المظنون" نعود إلى الفقرة الأولى، وهي قوله: تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما فهو يأخذ اللغة عنهم على مر

إن الاكتساب اللغوي لا يتحقق دفعة واحدة، وإنما يأتي بالتدرج وعلى مراحل من حياة الإنسان، وبخاصة السنوات الخمس المبكرة من عمر الطفل التي تنمو فيها قدراته العقلية. إذن نرى أن هناك مرحلة ما قبل كلام الطفل ونطقه، وهي تبدأ بإدراكه المحسوسات، اللمس، ثم الطعم، ثم الرائحة، ثم يدرك المحسوسات؛ فيستطيع أن يميز بين أنواع الأصوات شديداً وضعيفاً، جهيرها، وخفيها، كما يستطيع أن يميز بين نغمات أفراد بيئته التي يعيش فيها أبيه أمه أخيه أخته... إلى آخره. ثم ينمو عقله تدريجياً حتى يستطيع أن يعبر عما يحسه ويدركه من معاني المحسوسات، ثم بعد ذلك يكتسب اللغة في شقها المكتوب حين يتعلم الكتابة، والقراءة، ويحصل العلوم، والمعارف المختلفة في أرقى صورها العقلية، وقد فصل المحدثون من علماء اللغة والنفس والاجتماع، وغيرهم في المراحل التي

بنظرية المحاكاة أو النظرية المعرفية، بينما نجد نظريات حديثة أخرى ترفض هذا، فبعضها يرجع الاكتساب اللغوي إلى وجود تنظيمات موروثية لدى الطفل، وأنه مزود بجهاز فطري يساعد الطفل على اكتساب لغته فيما يعرف بنظرية تحليل المعلومات أو النظرية المعرفية، وبعض النظريات ترى أن المهارة اللغوية ينمو وجودها عن طريق التقليد لكلمات وجمل معينة ينطق بها الطفل في سياقات معينة، ويتم تدعيمها عن طريق المكافأة، فيما يعرف بنظرية التعليم والتشريط، وقد بنى أصحاب كل نظرية وجهة نظرهم على انتقاضهم لأصحاب النظريات الأخرى، ومن الأفضل أن ننظر إلى كل نظرية على أنها مكملية للأخرى وأن ننظر إلى عملية اكتساب اللغة على أنها نتاج كل النظريات مكتملة.

صناعة العربية المكتسبة بالتعلم . وهذا التمييز يقارب إلى حد كبير ما قام به تشومسكي من التفرقة بين " Competence " أي الكفاية ، و " Performance " الأداء ، حيث إن هذه الكفاية اللغوية أو الملكة اللسانية لا تعدو أن تكون أمراً ذهنياً يتولد منه الكلام ، إذ هي معرفة ضمنية بالقواعد التي تنتج الجمل ، أما الأداء الكلامي أو الاستعمال الفعلي فإنما يتمثل تطبيقاً واستعمالاً آلياً لهذه المعرفة الضمنية بالقواعد أثناء عملية توليد الكلام ، وهو يتم عبر قواعد الكفاية اللغوية . وبالموازنة بين مفهوم الملكة اللسانية عند

ابن خلدون

والكفاية اللغوية عند تشومسكي ، نجد أن ابن خلدون في نظرته إلى الملكة اللسانية ، قد اقترب من مفهوم الكفاية اللغوية عند تشومسكي ؛ لأن الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون هي في

تنمو فيها قدرات الطفل العقلية، والتي يستطيع من خلالها اكتساب لغة مجتمعه. (١٠)

٣- ابن خلدون

يقول ابن خلدون في مقدمته : يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظةٍ ومن كل متكلمٍ ، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكةً وصفةً راسخةً، ويكون كأحدهم ، هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال .

ويشير ابن خلدون إلى العلاقة القائمة بين الملكة اللسانية وبين صناعة العربية ، فيقول : ذلك أن صناعة العربية هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ، فهو علم بكيفية وليس نفس كيفية ومن الواضح هنا أن ابن خلدون يميز بين الملكة اللسانية الفطرية وبين

لا حصر لها ؛ لأن ملكة الإبداع تولد ما لا يحصى من الجمل للتعبير عما لا يحصى من الأفكار من خلال القدرة على استخدام النظام التقليدي المعتمد على الكفاءة والمقدرة الذهنية .ويمكن تلخيص عملية اكتساب وتوليد الطفل للغة عند ابن خلدون على النحو التالي :

أولاً : يسمع الطفل مجموعة متجددة من تراكيب اللغة .

ثانياً : يحاول أن يتكلم على نحو إبداعي.

ثالثاً : يمارس هذا التكلم .

رابعاً : تتكرر عملية الممارسة والتكرار ، فيؤدي ذلك بالتالي إلى ملكة اكتساب اللغة وتوليد أنماطها المختلفة . وهكذا يتضح لنا كيفية مقدرة الطفل على توليد لغة بيئته التي يتعرع فيها بالاستناد إلى مقدراته الفطرية ، وأن ابن خلدون قد

نهاية المطاف المقدرة على صناعة العربية ، إذ يكفي اللجوء إلى قوانينها لكي يصوغ العربي الكلام العربي الصحيح ، كما أن الكفاية اللغوية في نظرية تشومسكي هي المقدرة على تكلم اللغة أو كتابتها . ومما لا يصح إغفاله هنا هو أن ابن خلدون يركز على صناعة اللغة أو كتابتها في حين أن النظرية التوليدية لتشومسكي تركز على الأداء الكلامي بصورة عامة.

لقد أدرك ابن خلدون أيضا دور العملية الإبداعية حين أشار إلى أن سماع الطفل يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. تظهر مجالات الإبداع هنا من خلال تنوع الكلام وتجده حتى تُمكن مقدرة الإبداع أو الابتكار الطفل من توليد أنماط اللغة بصورة متجددة، وفي ظروف ومواقف متجددة أيضا عن أفكار

وعلم تام وتشكروه على نعمائه باستعمال كل عضو من أعضائكم فيما خلق له من خير (١٣)

الدراسات النفسية واللغوية

ان الدراسات اللغوية الحديثة وجهت البحث اللغوي النفسي لدراسة إشكالية اللغة وتعقيدات علم النفس ، والعمليات العقلية التي تسبق صدور العبارات اللغوية المنطوقة ، وأيضاً إلى اكتشاف قوانين عامة لتفسير السلوك الانساني من خلال ظواهر عامة مثل التعلم والادراك والقدرات .

فصار اولى اهتمامات هذا العلم دراسة " ما يربط الجهاز العصبي والجهاز النطقي كما يعمل على كيفية تحويل للاستجابة الى رموز لغوية . فهذه العملية العقلية تفرز عنها إصدار الجهاز الصوتي للغة . وبدوره المتلقي يترجم ويحول هذه الرموز في ذهنه إلى المعنى المراد أو المقصود ، وهنا تتم

مهد الطريق أمام المفاهيم اللغوية التي أكدتها الدراسات اللغوية النفسية الحديثة من خلال آراء تشومسكي . (١١)

إن اللغة تكتسب وتتعلم، لا أثر للوراثة فيها: فإن أي طفل يولد من أبوين عربيين مثلاً وينشأ ويتعلم اللغة بعيداً عنهما في بيئة أخرى ولتكن فرنسية مثلاً، أو ألمانية، فإنه حتماً ينطق لغة هاتين البيئتين اللتين نشأ فيهما بطلاقة واضحة وكأنه ولد من أبوين أجنبيين فعلاً. (١٢)

فاكتسب اللغة إذن يأتي بعد الولادة، وكما قال تعالى: "وَلِلَّهِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ". أي أن الله سبحانه وتعالى أخرجكم من أرحام أمهاتكم أطفالاً لا تعلمون شيئاً، وأوجد

فيكم وسائل العلم والإدراك؛ وهي السمع والبصر والقلوب، لتؤمنوا بالله عن يقين

نشعر به، ولكن ليترتب على هذا الكلام  
أثر مقصود يصدر ممن نتحدث معه .

٢- دراسات واطسون

من رواد المدرسة السلوكية جون  
واطسون وقد أشار في دراساته إلى أن  
اللغة والكلام شيء واحد واعتبر اللغة  
هي الكلام المنطوق فعلا ، واعتبر  
التفكير نوع من أنواع الكلام الداخلي  
المنطوق على مستوى الحنجرة فقط .

وإن كانت آراء المدرسة السلوكية  
استمرت فترة من الزمن إلا إنها لم تثبت  
طويلا ، إذ تبينت بالتجربة أن إيقاف  
أعضاء النطق عن طريق التخدير ،  
يوقف كل من القدرة على النطق  
والكلام.

٣- دراسات سكينر

ستمر أثر المدرسة السلوكية في علم  
النفس على الدراسات اللغوية حتى  
الخمسينات ففي أمريكا اشارت تجارب

عملية عقلية أخرى . ومن هذه الدراسات  
:

١- دراسات ثورنديك

أشار ثورنديك أن وظيفة اللغة  
تقوم على التعبير عن أفكار الانسان  
المتكلم أو عواطفه ووجدانه وهذا الرأي  
غير دقيق ، فاللغة لا تستعمل للتعبير  
فقط ولكنها تستعمل أيضا لأثارة أفكار  
ومشاعر السامع ، بل تدفعه للعمل  
والحركة .

والناحية الأهم في اللغة ، ليست هي  
مطابقة الكلمات المنطوقة أو المكتوبة  
للصور والأفكار الذهنية المعبر عنها بل  
ما تحدثه من أثر في السامع أو القارئ  
فالوظيفة الأساسية للغة هي إحدى  
استجابات عند من تحدث إليه ، سواء  
كان هذه الاستجابات هي إثارة أفكار أو  
مشاعر معينة أو تحريك الفرد للعمل  
،لهذا نحن لا نتكلم لمجرد التعبير عم

تتفق في الرأي مع ما نادى به سكينر ومدرسته في أمريكا حيث رأى هؤلاء العلماء أن اللغة تتألف من ردود أفعال أو استجابات للمؤثرات الخارجية بحيث يؤدي الشكل المقبول اجتماعيا منها إلى تكوين عادة لدى الفرد ، وهذه العادة يتم تكوينها وتثبيتها عن طريق الثواب الذي يقدمه المجتمع للفرد سواء تمثل هذا المجتمع في الوالدين في بادئ الأمر ، في الطفولة أو امتد إلى أبعد من ذلك في المراحل المتقدمة من العمر . وعندما يتعلم الطفل اللغة بهذه الطريقة فإنه يتوصل في النهاية إلى حفظ واختزان عدد محدود من نماذج الجمل التي يمكن مدها وتوسيعها أفقيا بطرق مختلفة مع الإبقاء على أساس كل نموذج منها على ما هو عليه ، وعندما يتأثر الفرد بمؤثر خارجي يستجيب له بإحدى هذه النماذج المخزونة عنده .

سكينر إلى أن اللغة عادة مكتسبة مثلها مثل العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان أثناء نموه من الطفولة إلى الرجولة .

ووصف سكينر الطفل بأنه يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تماما وعندما ينجح الطفل في اكتساب عادة اللغة المعقدة التكوينية ، ونتيجة التدريب المتواصل الذي يخضع لنظام وتحكيم فإن ذلك يمكنه من تعلم عادات لغوية أخرى وهكذا .

إضافة إلى ذلك فإن سكينر اعتبر التفكير نوع من السلوك البشري مثل السلوك اللغوي ، وأشار إلى عدم جواز التمييز بينهما على أنهما شيئا مختلفان .

٤- دراسات بافلوف ونيموتسكي ولوريا

وفي الاتحاد السوفيتي كانت الدراسات التي أقامها بافلوف وبعض العلماء هناك

القواعد أو القوانين التي تحكمها، أو عن طريق معرفة البنية أو التركيب الخاص بهيكل هذه اللغة.

ويؤكد منهج " دي سوسير " البنيوي اللغوي verbal structure أي التركيب الداخلي ( الصرف و النحو ) للغة باعتبار أن ذلك أهم مميزاتها، كما يؤكد أهمية اللغة المنطوقة أو لغة الحديث، إذ أنه يعتبرها، المظهر الأول الأساس للغة.

وما يعنينا من الناحية النفسية أن " دي سوسير " اعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية ينبغي دراستها على هذا الأساس، فالعلاقة قوية جدا- في نظره- بين لغة و مجتمع معين، وما يدور في أذهان المتحدثين بتلك اللغة، و بذلك أكد " دي سوسير " العلاقة الوثيقة بين اللغة و الفكر واتبع نفس المنهج الذي استخدمه "سوسير" في البحوث اللغوية، بعض علماء أمريكا المهتمين بدراسة علم

هذه بعض الدراسات اللغوية الأولى ، وهي لا تمثل كل الدراسات التي تمت في التجريب اللغوي

الدراسات النفسية اللغوية الحديثة

١. دراسة تشومسكو

في رأي ( تشومسكي ١٩٥٧ ) أن اللغة عملية عقلية معقدة، و أن الإنسان يولد ولديه قدرة لغوية محدودة تساعده على اكتساب أية لغة يعيش في مجتمعا، و أضاف تشومسكو إلى ذلك، بأن هناك صفة هامة للغاية من صفات اللغة، و هي قدرة المتكلم بلغة معينة على تأليف و ابتكار جمل و تعابير جديدة لم يستخدمها أحد من قبله، أو على الأقل لم يسمعها هو نفسه من قبل.

٢. دراسات دي سوسير

هو من رواد البحث اللغوي في عالمنا المعاصر، و تشير دراساته إلى أفضل منهج لدراسة اللغة يكون عن طريق

كاملة، و لذلك فإن معرفة البشر بهذا العالم وتجاريتهم فيه ونظرتهم إليه و مواقفهم منه، تختلف باختلاف اللغات التي يتكلمونها.

٤. دراسات بلومفيلد

من أهم ما تميزت به الدراسات اللغوية في النصف الأول من القرن الحالي ما يسمى المنهج البنيوي الوصفي و يعتبر " بلومفيلد" ممن قاموا بعرض هذا الأتجاه في أمريكا، و في العالم أجمع، و هذا المنهج من أحدث المناهج في الدراسات اللغوية، و تتميز هذه الدراسات بما يلي:

١. التركيز علي التركيب الشكلي أو البنية الظاهرة للغة، مما ترتب عليه اكتشاف قواعد جديدة لكل لغة من اللغات الأوريبية الحديثة على وجه الخصوص.

٢. تأثر اللغة في هذه الحقبة بالمذهب السلوكي في علم النفس الذي

الأجناس (لأنثرو و بولوجي) أمثال "بوس" "boas" و سابير "sapir" و بلومفيلد "blomfied" و إن كان لهم آراء تختلف آراء " دي سوسير" فإن كانت آراء تشومسكي " ودي سوسير" تعتبر اللغة نظاما مشتركا بين أبناء المجتمع الواحد

٣. دراسات وورف و همبولت و سابير

تشير دراسات وورف و همبولت في أوربا و دراسات سابير في أمريكا إلى أن اللغة لها تأثير كبير على الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة واحدة، و التي تختلف عن طريقة تفكير أفراد مجتمع آخر يتكلمون لغة أخرى. و إن كان هؤلاء لم يوضحوا نوع العلاقة بين اللغة و الفكر، إلا أن " بينامين لي وورف " ذكر أن البنيوي اللغوي أو التركيب اللغوي هو الذي يحدد الفكر و يسيطر عليه سيطرة

لها تأثير عظيم لفهم الطريقة التي يفهم بها الأطفال اللغة، وماهي قدرتهم على استخدام اللغة، كما تدور بعض الأفكار الجدلية في علم النفس التطوري حول نتائج أبحاث تشومسكي.

في عام ١٩٥٩م نشر تشومسكي نقدا مؤثرا لكتاب سكينر "السلوك اللفظي" واعتقد تشومسكي بأن التفسير الوظيفي والذي يتقيد بأسئلة الأداء الوظيفي يتجاهل الأسئلة المهمة، وركز على أسئلة تتعلق بتشغيل وتطوير البنى لتراكيب قابلة لتنظيم إبداعي مترابط وموائم يقوم بجمع الكلمات والجمل في طرح واضح ومفهوم.

نظريته اللغوية:

النظرية التوليدية التحويلية هي في الحقيقة نظريتان متكاملتان، فالنظرية التوليدية عبارة عن مجموعة من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات على توليد عدد غير محدود من الجمل.

كان سائدا في أوروبا و أمريكا، والذي كان يهتم بدراسة ظاهرة السلوك فقط علي أساس أن السلوك مكون من عادات مختلفة، حيث تتكون اللغة عن طريق مثير واستجابة و الثواب و يتكرر الموقف حتى يثبت الصحيح أو المتعارف عليه منها فيستخدم الإنسان هذا السلوك اللغوي في حياته ومعاملاته.(١٤)

الآراء المتقدمة لتشومسكي في اللغة من الناحية النفسية

اما في علم النفس فقد أحدثت إسهامات تشومسكي في مجال اللسانيات تأثيرات عميقة على هذا العلم، وتعد اللسانيات بالنسبة لتشومسكي فرع عن علم النفس المعرفي، فالرؤى الأصلية للسانيات تعبر عن فهم ذهني لجوانب العملية العقلية والطبيعة الإنسانية، وقد اعتُبرت نظريته في النحو الكلي كتحدٍ مباشر للنظريات السلوكية المتبعة والتي كان

الموقعية على عدد محدود من الجمل الصحيحة الأساسية (الجمل النواة أو الإخبارية) للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة، مثل الجمل المنفية أو الاسـتفهامية أو المبنية للمجهول أو المفيدة للحصر والقصر...

٣- النموذج الذهني والإبداع: تبنى تشومسكي مفهوم القدرة اللغوية الفطرية للإنسان أو ما يسمى بالنموذج الذهني، وهو عبارة عن آليات وقدرات لغوية فطرية غريزية تنمو من خلال التفاعل مع البيئة اللغوية أثناء مرحلة الطفولة، وتساعد على تقبل واكتساب المعلومات اللغوية وتخزينها وتكوين قواعد اللغة الأم، على مراحل تصاعدية، حتى تصل لمرحلة الاكتمال والثبات، وعندها يستطيع الطفل صياغة وفهم جمل لا متناهية لم يتكلم أو يسمع بها من قبل، وهذا مفهوم الإبداع، فالإنسان يتمتع ويتميز عن غيره من الكائنات بالتفكير

أما النظرية التحويلية فتُعنى بتطبيق مجموعة من قواعد الحذف والاستبدال والإضافة وتغيير الموقعية على الجمل النواة للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة.

اعتمد تشومسكي في تأسيس نظريته اللغوية على مجموعة من المبادئ والفرضيات التي تم تعديلها وفق مقتضيات التطور النظري وآلياته، من هذه المبادئ ما يلي:

١- اللغة أفضل مرآة تعكس بصورة دقيقة وأمينة آليات التفكير في عقل الإنسان، وهذه نقطة التلاقي بين علم النفس وعلم اللغة، وبناء عليها ذهب بعض اللغويين إلى أن علم اللغة أهم مجال علمي يكشف عن إنسانية الإنسان.

٢- مفهوم التحويل: وهو مفتاح نظرية تشومسكي، وتقوم فكرته على تطبيق مجموعة محددة من قواعد التحويل كالحذف والإضافة والاستبدال وتغيير

الحذف أثناء النطق والذي يشير اذا كان موضوع ما مطلوب دوماً)، ويجادل أصحاب هذا الرأي بأن الوقت التي يتعلم فيه الطفل اللغة سريعاً بنحو غير قابل للتفسير، مالم يملك الأطفال قدرة فطرية لتعلم اللغة، وأنه يحتاج فقط لخصائص معينة ومحدودة من لغته الأم، ويسمى هذا المضمون الفطري للمعرفة اللغوية بالنحو الكلي، كما أن تتبع خطوات مشابهة من قبل الأطفال حول العالم حين يتعلمون اللغة، وحقيقة وقوع الأطفال في أخطاء محددة أثناء تعلمهم لغتهم الأولى، كلها من مؤشرات الفطرية في اكتساب اللغة.

وكان لأفكار تشومسكي تأثير قوي على البحوث المتعلقة باكتساب اللغة عند الأطفال، على الرغم من أن الكثير من الباحثين في هذا المجال عارضوا بشدة نظرياته مثل اليزابيث بيتس ومايكل توماسيلو، حيث بدلاً من ذلك دعوا إلى

واللغة والذكاء، فأغبي الناس يستطيع التكلم بينما أذكى الحيوانات لا يستطيع ذلك أبداً.

لاحظ تشومسكي أن الطفل يختلف عن الكائنات الأخرى بقدرته على التفكير الاستقرائي اذا تعرض للمعطيات اللغوية، حيث يكتسب القدرة على فهم وإنتاج اللغة، في حين أن أي كائن آخر لن يكتسب أيًا منها، وسمى هذه القدرة اللغوية الإنسانية الخاصة بـ"جهاز اكتساب اللغة"، واقترح أن تكون إحدى مهام اللسانيات معرفة هذا الجهاز، وماهي القيود التي يضعها على مجموعة محتملة من اللغات.

كما تقوم مقارنة المبادئ والوسائط في محاضراته عن (الربط العاملي) بجعل المبادئ النحوية التي تحدد اللغة فطريةً وثابتةً، والاختلاف بين لغات العالم من الممكن أن يوصف من خلال وسائط موجودة بالضبط في الدماغ (مثل عامل

يمتلكها أبناء اللغة الذين نشأوا وتربوا عليها، أما الأداء الكلامي فيعني طريقة تنفيذ الفرد واستعماله للغة كهدف للتواصل في المواقف المختلفة، وبمعنى آخر فإن الكفاءة تجسيد كامل لنظام اللغة عند جميع (مجموع) أفراد الجماعة اللغوية، والأداء الكلامي هو مجموعة الجمل التي ينطقها الأفراد تبعاً لظروف الاتصال اليومية.

٦- الكليات اللغوية: وهي أطر هيكلية لبناء القوانين التي تخضع لها قواعد اللغات عامة، وتتضمن الشروط التي يجب توافرها لصياغة قواعد اللغات.

وتتحدى لسانيات تشومسكي اللسانيات البنيوية وتمثل مقدمة للنحو التحويلي، وهذا التوجه يأخذ الكلام باعتباره متميزاً بالنحو الشكلي، وخصوصاً في النحو ذي السياق المستقل الممتد مع قواعد تحويلية، ومساهمته الأكثر تأثيراً في هذا المجال هو فرضية أن نمذجة معرفة

نظريات التوالد أو الاتصالية والتي تقوم على شرح اللغة من خلال عدد من الآليات في الدماغ التي تتفاعل مع البيئة الاجتماعية الواسعة والمعقدة التي تُستخدم فيها اللغة وتُعلم.

٤- البنية السطحية surface structure ، والبنية العميقة : Deep structure

المستوى السطحي هو الذي يحدد شكل الجمل وينظمها كظاهرة مادية، أما البنية العميقة فهي التي تعنى بالدلالة، وتحتوي على عدد من الجمل النواة الأساسية القابلة للتحويل

٥- التمييز بين الكفاءة اللغوية: Competence، والأداء الكلامي: Performance

الكفاءة مصطلح يعني نظام اللغة الكلي في ذهن أبنائها جميعاً، ويتمثله الأفراد جزئياً أو ضمناً، وهي ملكة خاصة

(لينبرج) عام ١٩٦٨م والذي أشارت أبحاثه إلى وجود خصائص بيولوجية تتوافر عند الإنسان بحيث تمكنه من اكتساب اللغة وتتمثل هذه الخصائص في :

١- وجود بعض العلاقات بين اللغة التي يتحدث بها الإنسان والنواحي النفسية والبيولوجية والتشريحية الخاصة بجسم الإنسان

فالسلك اللغوي له عدة علاقات بالخصائص المورفولوجية والوظيفية لجسم الإنسان ومن هذه الوظائف:

- ❖ العلاقة بين اللغة وتركيب جهازي السمع والنطق .
- ❖ العلاقة بين اللغة وبين الدماغ والتخصصات التي اكتشفت في أجزائه المختلفة
- ❖ العلاقة بين اللغة وبين بعض مراكز التنسيق بين حركات العضلات الخاصة بالنطق .

اللغة باستخدام النحو الشكلي محسوبة لصالح إنتاجية وإبداع اللغة، وبعبارة أخرى، فالنحو الشكلي للغة ما يمكن أن يشرح قدرة السامع والمتحدث لإنتاج وتفسير عدد لا حصر له من الحديث - بما في ذلك الحديث الروائي - مع مجموعة محدودة من قواعد اللغة والمصطلحات . (١٥)

" المبحث الثاني "الأداء اللغوي والعمليات البيولوجية "الذهنية" المقدمة

القدرة على اكتساب لغة من اللغات أمر يختص به الإنسان دون سائر المخلوقات واللغة بمفهومها الواقعي أساسها قدرة فطرية تختص بالجنس البشري ولقد أهتم علماء البيولوجيا والأطباء بالبحث عن الظواهر البيولوجية الخاصة بالقدرة الفطرية والتي تمكن الإنسان من اكتساب اللغة ومن أشهر الباحثين في هذا المجال

بعضها مع بعض بحيث تصدر الكلمات التي تعبر عن هذه الأصوات .

❖ لا يتغير النمو اللغوي عند الطفل في حالة حدوث تغييرات كبيرة في النمو الجسمي بكل مظاهره عند الطفل .

٣- صعوبة كبت اللغة أو وقف نموها :فمن الناحية البيولوجية لا يتمكن الإنسان من كبت اللغة أو أن تقف لغته في نموها ذلك لأنه:

❖ ثبت أن قدرة الطفل على اكتساب اللغة من القوة التي تمكنها من النمو والتطور حتى عند أقصى الظروف .فالأطفال الذين فقدوا أبصارهم يكتسبون اللغة كالأطفال الأسوياء عدا بعض المفردات التي لا يستطيعون التعرف عليها إلا عن طريق اللمس .

❖ الأطفال الصم الذين يولدون بدون حاسة السمع تعترضهم صعوبة بالغة بالنسبة لنمو وتطور اللغة الصوتية إلا أنه من الممكن تدريبهم على تعلم اللغة المكتوبة بسهولة .

❖ العلاقة بين اللغة وخاصة السيطرة على التنفس لتمكن الانسان من مواصلة الكلام فترة طويلة

❖ خصائص أخرى تتعلق بالحس والادراك وتعتبر من ضرورات الادراك والفهم اللغوي .

٢- الترتيب الزمني للنمو اللغوي :فمن الناحية البيولوجية في النمو اللغوي عند الطفل يلاحظ ما يأتي :

❖ البدء بالنطق عند الطفل والنمو اللغوي عند الوليد والمراحل التالية في العمر تتبع ترتيبا زمنيا دقيقا ويحدث الترتيب الزمني للنمو اللغوي بين جميع الاطفال مهما اختلفت لغاتهم القومية أو ثقافتهم .

❖ بدء تعلم اللغة عند الطفل يكون على أساس المبادئ الخاصة بتصنيف المفردات إلى مجموعات ولهذا فإن أول ما يتعلمه الطفل لا يختص بمفردات اللغة .

❖ في بادئ الأمر يكتسب الطفل الأسس التي بموجبها يستطيع تركيب الأصوات

من حيث دلالات هذه المفردات كما أن هناك أسسا أخرى مشتركة بين اللغات ففي قدرة أي طفل أو راشد أن يتعلم أية لغة في العالم .

لذلك يمكن الإشارة إلى أن المهارات الأساسية اللازمة لاكتساب اللغات المختلفة واحدة على الرغم من وجود الاختلافات بين أجناس البشر من النواحي الفسيولوجية.

نتائج الدراسات التي توصلوا إليها :

❖ قدرة الإنسان على التفاهم والاتصال ببني جنسه ليس لها ما يماثلها في سائر المخلوقات دون البشر .

❖ بعض أنواع السلوك البشري يمكن أن يكون وراثيا ومرجع هذا الجينات الحاملة للوراثة .

❖ لا تزال الأبحاث جارية على تحديد أسباب العيوب اللغوية الوراثية والبحث عما إذا كان أساس القدرة اللغوية له علاقة بالجينات أي بالوراثة .

❖ الأطفال الذين يولدون لآباء وأمهات صم وبكم لا يستطيعون اكتساب اللغة بشكل عادي وقد يتأخرون بدرجة بسيطة في اكتساب اللغة .

٤- اللغة البشرية يمكن تعليمها لغير البشر :فليست هناك مخلوقات أخرى غير البشر لها القدرة على الاتصال المنظم والقدرة على الابتكار مثل ، الإنسان كما أنه ليس في مقدور سائر الكائنات تعلم لغة البشر . (١٦)

أهم الدراسات في الخصائص البيولوجية لاكتساب اللغة :

تشير دراسات تشومسكي ١٩٥٧، جرينبرج عام ١٩٦٨ وهيلمسأف ١٩٥٣ على أن هناك أسس صوتية ونحوية ودلالية مشتركة بين جميع لغات العالم ففي جميع لغات العالم مفردات تدل على الأشياء والمشاعر والصفات والأفعال والعلاقات المختلفة ومن الناحية البيولوجية ليست هنالك فروق جوهرية

بل يبدأ تكوينها بين سن الثانية والرابعة عشرة فإذا أصيبت المنطقة اليسرى من مخ الطفل بين هذين العمرين بخلل فإنه بإمكان القدرة اللغوية الانتقال إلى المنطقة الأخرى أما إذا حدث ذلك بعد سن الرابعة عشر فإن القدرة اللغوية يمكن أن تتعطل كلياً أو جزئياً حسب شدة الإصابة ولهذا فمن المؤكد أن المنطقة اليسرى من المخ هي المسئولة عن اللغة. (١٧)

٥- تركز الدراسات الحديثة على محاولة الكشف عما إذا كانت جميع العمليات اللازمة للكلام مركزة في المنطقة اليسرى من المخ أم أن بعض منها يمكن أن تقوم به المنطقة الأخرى .

وفي ما يلي ما أمكن التوصل إليه من نتائج في هذا المجال :

❖ هناك منطقة في الجزء الأيسر من المخ تقع أمام الأذن اليسرى مباشرة وعلى بعد قليل منها وهي منطقة مهمة جداً للغة

❖ يعتقد البعض أن القدرة على اكتساب اللغة هو تطور بيولوجي لا علاقة له بالذكاء وقد تبين أنه ليس من الضروري أن يكون التأخر العقلي سبباً وراء تعويق اكتساب اللغة فقد تكون هناك معوقات أخرى.

❖ هناك صفة بيولوجية عصبية خاصة بالإنسان تميزه عن غيره من المخلوقات وتخلق لديه الاستعداد لاكتساب اللغة وهذه الصفة تمكن في سيطرة كل من منطقتي مخ الإنسان على الجانب المعاكس من جسمه في مخ الإنسان تسيطر المنطقة اليمنى على النصف الأيسر من الجسم بينما تسيطر المنطقة اليسرى منه على النصف الأيمن من الجسم كما أن المنطقة اليسرى من المخ في البالغين هي التي تسيطر على اللغة .

هذه الظاهرة الإنسانية لا يتوافر وجودها في الطفل الذي يقل عمره عن السنتين

٢- المظهر الثاني: تطور القدرة اللغوية عند الإنسان ومقارنتها بمظاهر السلوك الأخرى التي لها أساس بيولوجي .

بالنسبة لجهاز التصويت (النطق) عند الانسان فإنه يمتاز بخصائص متفوقه عن نظيره بالنسبة للحيوانات الاخرى .وليس في هذا ما يميز الإنسان ويجعله قادرا على النطق بل إن هذه الخصائص تؤكد أن الإنسان قادرا على استخدام اللغة نتيجة لأن هذه الخصائص تظهر وكأنها تعين الإنسان على الجانب المنطوق من اللغة. (١٩)

الأنماط السلوكية لنواحي البيولوجية في اللغة :

١- تظهر هذه الأنماط السلوكية في الفرد في وقت معين وتختلف هذه الأنماط من فرد إلى آخر وعندما ينشأ الفرد في ظروف طبيعية تظهر هذه الأنماط السلوكية في اللغة التي يستخدمها.

وتسمى منطقة بروكا (نسبة إلى مكتشفها) كما أن هناك منطقة أخرى تسمى فرنيكه وهاتان المنطقتان لهما علاقة بالتخطيط للكلام وفهمه .

❖ هناك منطقة أخرى تمتد في منتصف المخ تقريبا باتجاه رأسي وتسيطر على جميع الحركات الجسمية الارادية ومنها المنطقة المختصة بالنطق بالكلام .

❖ هناك مساحات أكبر من مخ الإنسان تسيطر على الحركات الارادية لليدين والقدم حيث تستخدم اليدين في لغة الاشارات أو تؤدي حركات معينة تصحب الكلام الذي ينطق به الفم . (١٨)

المظاهر الخاصة باللغة والعوامل البيولوجية لهذه المظاهر:

١- المظهر الأول: جهاز التصويت (النطق) عند الإنسان وطبيعة تركيبه واختلافه عن مثيله عند الحيوان .

الوقت الذي يبدأ فيه الطفل بالوقوف منتصباً على قدميه والقيام بخطواته الأولى.

ومن ناحية السن التي يصبح الإنسان فيها غير قادر على اكتساب أية لغة فقد قدرت هذا السن بأربع عشرة سنة وأثبتت الدلائل على ذلك عن طريق :

❖ أن بعض الأطفال الذين كانوا يعيشون في عزلة عن المجتمع ولم تكن لديهم القدرة على الكلام وهم قبل سن الرابعة عشر أصبح بالإمكان تعليمهم لغة معينة وإن كان اكتسابهم لهذه اللغة كان بطيئاً كلما تقدم بهم العمر .

❖ دراسة نمو اللغة عند المتأخرين عقلياً مثل المونجول وهم يتعلمون اللغة بنفس الطريقة التي يتعلم بها الأطفال الأسوياء إلا أنهم أبطأ بكثير ويزيد هذا البطء بدرجة كبيرة عندما يصل هؤلاء الأطفال إلى سن البلوغ ولذلك يبقى هؤلاء

٢- يظهر السلوك الذي تتحكم فيه النواحي البيولوجية قبل الحاجة إلى ظهوره وهذه إحدى الصفات التي تميز نشأة اللغة عند الطفل فهي تبدأ في الظهور قبل أن يحتاج لها الطفل لتمكنه من الاتصال مع الآخرين في الوقت الذي لا يزال فيه متمتعاً بالرعاية التامة من أمه.

٣- هذا النمط من السلوك لا يظهر نتيجة ظروف ومؤثرات خارجية بل يظهر بصورة فطرية وينطبق ذلك على اللغة فليست للطفل إرادة في ظهور اللغة عنده كما أن اللغة تظهر حتى ولو لم يتغير شيء من ظروف الطفل الخارجية. (٢٠)

كذلك أن السلوك التي تتحكم فيه النواحي البيولوجية يتصف بصفة أخرى هامة وهي احتمال وجود فترة حرجة بالنسبة لاكتساب هذا السلوك فقد تبين أن إشارة البدء بالنسبة للغة مرتبطة بنمو الدماغ وحجمه وتتفق في العادة مع

التوقيت الزمني لنمو اللغة

وبالنسبة لنمو اللغة عند الطفل فهناك ما يسمى التوقيت الزمني التفصيلي من حيث بدء الطفل في التصويت ثم المناغاة ثم بدء النطق بالكلمة الواحدة ثم تنعيم الجملة الكاملة ثم بالكلمتين معا ثم بجمل تبدو وكأنها جمل مكسرة وعلاوة على ذلك فقد استطاع علماء اللغة أن يحددوا ترتيب ظهور كل شكل من أشكال جمل الطفل أثناء تطور اللغة ووجدوا أن تلك الأشكال متشابهة من حيث النوع ومتزامنة مع غيره من الأطفال الذين يتكلمون ذات اللغة .

(٢٢)

الأسس البيولوجية

إن الحقيقة القائلة بأن اللغة أسسا بيولوجية أصبحت مقبولة تدريجيا الآن ولغة عدة سمات للسلوك الذي يسيطر على النضج العقلي ولا يمكن لأي عامل خارجي أن يبدأ اللغة أو يسرع درجة

الأطفال متأخرين لغويا عن هم في مثل سنهم من الأطفال الأسوياء.

❖ ان الأطفال المصابين بخلل في الدماغ ناتج عن صدمة أو ضربة يتأخر اكتسابهم للغة اذا ما بلغوا سن الرشد فقد تبين أنه اذا أصيب طفل في المنطقة اليسرى من دماغه وهو أقل من سن الثانية فإن قدرته اللغوية تتطور وتنمو بشكل طبيعي كما أنه كلما زاد عمره عند بدء أصابته صعب اكتسابه للغة فإذا ما وصل إلى سن الرشد فإنه يصعب عليه النطق ويكون اكتسابه للغة عسيرا للغاية .

❖ ليس للتدريب أو لمران المكثف أثر على نمو السلوك الذي تتحكم فيه النواحي البيولوجية كما أن هناك سلسلة من العلامات الواضحة لذلك النمو يمكن أن يكون لها علاقة بعمر الطفل أو بمظاهر أخرى من مظاهر النمو الجسمي . (٢١)

بداية فترة الاكتساب لن تؤثر بشكل كبير على المقدرة اللغوية ولكن بعد بداية هذه الفترة كلما كان عمر الطفل أكبر كلما أصبحت احتمالية إصابة المقدرة اللغوية بعطب دائم نتيجة لإصابة نصف المخ الأيسر أكبر فقد قيل ان اللغة في الحالات المرضية التي أكتشفها داون تتوقف عند التقدم بعد سن البلوغ .  
(٢٣)

#### فكرة تشومسكي

إن أشد المنادين بالمعرفة اللغوية الفطرية المحددة هو تشومسكي وأتباعه على الرغم من أن افكارهم قد تغيرت على مر السنين لقد اقترح تشومسكي عام ١٩٦٥ أن الأطفال ربما كانوا مجهزين بوسيلة فطرية لاكتساب اللغة مؤلفة ضمن عالميات اللغة وموجودة بالإضافة إلى ذلك في آلية تقييم تمكن الأطفال آليا من اختيار القواعد الصحيحة المناسبة .

تطورها بشكل كبير يولد الكلام قبل الحاجة الماسة إليه وتغطي مدة الاكتساب الفترة الزمنية نفسها تقريبا في كل مكان حيث يبدأ الأطفال تجميع كلمات في كل لغات العالم عندما يبلغون العامين تقريبا وعندما يصلون سن الخامسة يمكنهم التكلم بطلاقة وعندما يبلغون العاشرة يكون التطور الفونولوجي النحوي قد أكتمل نهائيا على الرغم من أن اكتساب المفردات المعجمية يستمر طوال الحياة .إلا أن هناك أجماعا أقل حول إذا ما كانت سنوات اكتساب اللغة من الشهر الثامن عشر تقريبا وحتى المراهقة تشكل فترة حساسة أي الفترة الوحيدة التي يمكن من خلالها اكتساب اللغة لقد حاول لينبرغ (١٩٦٧)الذي اقترح هذه النظرية لأول مرة أن يربط هذه الفترة الحساسة بمفهوم التخصص المخي أي تخصص اللغة في النصف الأيسر من المخ وقد ادعى ان الإصابات التي تصيب الطفل قبل

الأخطاء في لغة الأطفال. فعلى سبيل المثال قيل أن العديد من الأخطاء التي يرتكبها الأطفال الإنجليز يمكن أن تعزى إلى اعتقاد الأطفال خطأ أن اللغة الإنجليزية لغة تسمح بالفاعل الغائب وتسقط الضمائر الأولية في اللغة إلا أن هذه الأفكار لا زالت جديدة نسبياً ولم تقيم بشكل كامل ومفصل. (٢٤)

دور الإدراك:

يتقدم تطور اللغة والتطور الإدراكي العام بشكل متواز عند الأطفال العاديين على الرغم من أن العلاقة بينهما غير واضحة حتى الآن وفي بداية السبعينيات ادعت مجموعة من علماء النفس أن التطور الإدراكي هو المرشد الأساسي وراء تعلم اللغة وذلك كردة فعل جزئي ضد النظريات الفطرية التي سادت في الستينيات وقد اتبع البحث عدة طرق إلا أن الهدف العام تمثل في وصل المراحل اللغوية بمراحل

أما في الآونة الأخيرة فقد اتخذت مقترحات تشومسكي شكلاً مختلفاً نوعاً ما لقد أقترح فكرة القواعد الأساسية المزروعة وراثياً وتحتوي هذه القواعد على عدد ثابت من المبادئ بالإضافة إلى عدة نقاط اختيارية أساسية يدركها الناس بشكل غريزي وتتمثل مهمة الأطفال أثناء اكتساب اللغة في اكتشاف أية خيارات قد اختارتها اللغة

التي يتعرضون لها وبهذه الطريقة فأنهم يثبتون متغيرات القواعد العالمية ويشرعون في تعلم لغتهم وفق طرق محددة ولكل خيار صدى متزايد ضمن القواعد ولذلك ربما نتج عن خطأ في تثبيت متغير بمفرده كثير من الأخطاء المختلفة وفي هذه الحالة ربما ارتكب الأطفال خطأ أولياً حول الخيار الذي اختارته لغتهم ويعينونه بطريقة غير صحيحة أيضاً للنموذج الخطأ ويمكن أن يفسر ذلك أو يعلل عدداً من

(عندما أستعمل حدودا مثل ذهن وتمثيل ذهني وحساب ذهني وما شابه ذلك فإنني أكون بصدد الحديث عن التخصيص المجرد لسمات بعض الأوليات الفيزيائية المجهولة ) ويقول كذلك يتعين علينا أن ننظر إلى دراسة الملكات الذهنية كأنها دراسة للجسد وخصوصا الدماغ حيث تتم في مستوى معين من

التجريد وعندما يتحدث تشومسكي عن ملكة اللغة بوصفها عضوا ذهنيا ينبهنا إلى أنها ليست عضوا لأننا نستطيع أن نعددها فيزيائيا ولكي يزداد هذا التصور وضوحا ويشهد بيانه نشير إلى التميز الذي يقيمه تشومسكي بين بنيات الدماغ الفيزيائية وبنيات الذهن المجردة فهو يرى أن معرفة اللغة يمكن أن تخصص مبدئيا في المستوى الملموس أو المستوى المجرد. (٢٦)

بيولوجيا اللغة

سابقة من التطور الإدراكي وقد عرف هذا المفهوم العام بالفرضية الإدراكية وقد لوحظ أن الأطفال يتكلمون عن أشياء متماثلة في مرحلة مبكرة من تطور اللغة وتتكرر المفاهيم نفسها في لغات منفصلة عن بعضها البعض بشكل كبير مثل مفهوم التملك ولذلك حاول عدد من العلماء تحديد ترتيب عالمي لتطور المفاهيم المبكرة واقترحوا انها ربما تؤدي إلى اكتساب اللغة إلا أن هذه المحاولات قد فشلت على أية حال عندما أكتشف أن هناك تنوعا واختلافا كبيرا بين طفل وآخر نتيجة للعوامل المحيطة . (٢٥)

النزعة المعرفية وثنائية الدماغ

يذهب التراث التقليدي الكلاسيكي إلى التسليم بأن الذهن والجسد يمثلان ذاتين من طبيعة مختلفة الذهن كيان غير فيزيائي أو غير مادي والجسد كيان فيزيائي ومادي بينما يقول تشومسكي

لغة جزء من القواعد العالمية المشتركة بين كل البشر هكذا تعتبر ساموليز أن نظام أصوات اللغة نتيجة التفاعل بين القواعد العالمية والنظام الحسي والحركي كالسمع والبصر والحركة البيولوجيا اللغوية هي دراسة اللغة على أنها كائن بيولوجي حي لكن الأجساد الحية تتشكل على ضوء جيناتها فالجينات هي المسؤولة عن توريث الأبناء والأحفاد صفات الآباء والأجداد فالجينات تحتوي على معلومات معينه على أساسها تتكون الأعضاء الجسدية الحية كما أن المعلومات الكامنة في الجينات تحدد تصرفات الفرد البيولوجي وأفكاره وأن الكائنات البيولوجية تتكون على ضوء جيناتها الحاوية على معلومات معينة تتوارثها من جيل إلى آخر فاللغة نظام معلوماتي شبيه بالأنترنت هذا أن اللغة تحتوي على معلومات مستقلة كما أن الجين اللغوي يتكون من سلسلة تتركب من مفاهيم على الأقل مرتبطين بعملية

تدرس عالمة اللغة بريدجت ساموليز علم أصوات اللغة من منطلق بيولوجي فتؤكد على أن نظام اصوات اللغة يتشكل من عمليات بدائية متوارثة بيولوجيا وبما أن البشر يمتلكون بيولوجيا شبيهة بيولوجيا بعض الحيوانات الأخرى تصل ساموليز إلى نتيجة أن القدرات العقلية المسؤولة عن نظام الأصوات اللغوية مشتركة بين البشر وبعض الحيوانات الأخرى وإن تفاوتت في درجة التعقل والإدراك بالنسبة إلى ساموليز أن نظام الأصوات اللغوية بيولوجي في الأساس ويولد في جينات الكائن البيولوجي وتعرف ساموليز نظام الأصوات اللغوية على أنه نظام حسابي رمزي مجرد كامن في جيناتنا وبما أننا نملك الجينات نفسها إذن كل البشر يملكون نظام أصوات واحد على هذا الأساس تستنتج ساموليز أن النظام الصوتي اللغوي عالمي وفطري يولد فينا بمجرد أن نولد وبذلك النظام الصوتي

وهي تتضمن جوانب معرفية وسمعية ، وتعني استقبال وإرسال معلومات . أنها تعني كيف يتم ضبط الهواء من أجل إنتاج الأصوات والتحكم بالعضلات من أجل النطق وفهم الكلام من الطرف الآخر. ومع أن استخدام الكلام واللغة هو المقصود بالتواصل ، إلا ان لدى الإنسان أيضا نماذج مختلفة من التواصل غير اللفظي عن طريق حركات الجسم والإيماءات التي تعبر عما يريد الإنسان إيصاله إلى الآخرين. إن تطور اللغة والكلام يحدث بشكل طبيعي لدى الأفراد الذين لا يعانون من إعاقات ولكن الفضل في إنتاج الأصوات او الكلام الذي له معنى في ثقافة الفرد وتكوين اللغة يعتبر دليلا على اضطرابات التواصل. وعندما يشك في وجود مثل هذا الاضطراب ، فان الحاجة تدعو الى سرعة تشخيصه وبالتالي علاجه. (٢٨)

أسباب تأخر نمو اللغة:

الاشتقاق فمثلا الجين اللغوي السابق يتشكل من سلسلة مركبة من مفهومي هما المنطق والنطق مرتبطين بعمليات اشتقاقية من هذا المنظور الجينات اللغوية تحتوي بالضرورة على عمليات الاشتقاق اللغوي .

" المبحث الثالث "طبيعة اللغة من الناحية النفسية"

اضطرابات اللغة واضطرابات الكلام

يعتبر موضوع اضطرابات الكلام واللغة من الموضوعات الحديثة في مجال اهتمام التربية الخاصة ، حيث نال هذا الموضوع اهتمام العديد من أصحاب الاختصاص مما أثرى هذا الاهتمام إلى ما هو عليه الآن. ويعتبر التواصل من خلال الكلام واللغة عملية معقدة ، ولكنها طبيعية وإنسانية تتطور مع التواصل غير اللغوي للطفل من خلال البكاء ، الابتسامة ، والإيماءات ، وغيرها.. (٢٧)

الأسباب متداخلة ومتفاعلة مع بعضها البعض.<sup>(٢٩)</sup>

ويحاول الأطفال - بعد ميلادهم بفترة قصيرة - التعامل مع البيئة، على الرغم من عدم قدراتهم على نطق الكلمات الحقيقية إلا في سن ١٢-١٥ شهراً . ولذا يعرف تأخرهم بالتعبير عن حاجاتهم بعد هذا السن بتأخر اللغة، وقد يرتبط ذلك التأخر بالحالات المرضية<sup>(٣٠)</sup>.

إنَّ أكثر المشاكل الصحيَّة شيوعاً لتأخُّر النطق الحقيقي هي اضطراب اللغة التعبيري واضطراب اللغة التعبيري الاسـتقبالي المـختلط (أي اضطراب النطق والفهم) واضطراب التصويت أو نطق الكلمات والإعاقة العقلية (التخلف العقلي) وبعض الاضطرابات النمائية الشاذة كمرض التوحُّد ومتلازمة ريت. وهناك متلازمة أسبرجر (وهي من أشكال اضطراب التوحُّد) التي تتميز بتحدُّث الطفل بشكلٍ طبيعي، ممَّا يدلُّ

على الرغم من أن معظم الأطفال لديهم المقدرة على نطق الكلمات أو الجمل البسيطة، إلا أن البعض منهم قد يتأخر عن النطق، وتوضح الدراسات الطبية والنفسية والتربوية أن أسباب تأخر نمو اللغة تختلف حسب الحالات والأعمار والبيئات، ومعظم هذه الأسباب ترجع بشكل عام، إما إلى أسباب عضوية مثل: إصابة أحد أعضاء جهاز الكلام والتنفس والجهاز العصبي .

وهذه بدورها قد ترجع إلى عوامل قبل ولادية أو ولادية أو بعد ولادية، وإما أن تكون الأسباب ذات طابع نفسي تربوي ترجع إلى الأسرة والتربية وعوامل التنشئة الاجتماعية، أو ترجع إلى عوامل نفسية ووجدانية عميقة مثل " : الانفعالات الحادة، والمخاوف، والصدمات النفسية " ، وقد ترجع الواحدة إلى أكثر من سبب أو عامل، وجميع هذه

3- الاضطرابات النفسية:

تؤثر الاضطرابات الانفعالية تأثيراً سلباً على اكتساب اللغة ، فنضج الطفل الانفعالي وثبات انفعاليته نسبياً يسهل عملية تعلم الكلام ، لهذا فإن الحالة النفسية للطفل تؤثر تأثيراً كبيراً في تأخر نمو اللغة ويؤثر ذلك أيضاً على أدائه اللغوي ، فالخوف والقلق يؤديان إلى اضطراب الطفل ، وقد تكون نتيجة لمشكلات انفعالية ؛ كفقدان الشعور بالأمن ، أو الشعور بالنبذ من الأبوين ، أو التوتر بسبب الغيرة بين الإخوة .<sup>(٣٣)</sup>

كما أن الطفل الذي يتمتع بشخصية متكيفة ، يميل للتحدث بشكل أفضل - نوعاً وكماً من الطفل الذي لا يتمتع بتكيف نفسي سليم ، وفي الحقيقة يعتبر الكلام على الأغلب كمشير لصحة الطفل العقلية والنفسية.<sup>(٣٤)</sup>

٤- الحرمان البيئي:

والمقصود بالحرمان البيئي هو غياب البيئة المنبهة للطفل ، والتي تحفز الأداء اللغوي لديه، إن التأخر اللغوي للطفل ينتشر في البيئة التي يضمحل

على أن تأخرَ النطق ليس أحد أعراض طيف التوحّد.<sup>(٣١)</sup>

ومن أبرز أسباب تأخر نمو اللغة:

1- الحرمان الحسي:

يعتمد اكتساب اللغة اعتماداً كبيراً على الحواس، التي بها يستقبل الطفل مفهوم البيئة ؛ بما فيها من نموذج لغوي ، ولذلك من المتوقع أن يسبب النقص الحسي لأي من الحواس تأخراً في اكتساب اللغة.

٢- الاضطرابات العصبية:

يتبين لنا أن الجهاز العصبي المركزي يؤدي دوراً حساساً في التحكم الرمزي للغة ، لذلك فإن أية إصابة له من المتوقع أن تؤدي إلى إما تدهور لمقومات اللغة ثم التمكن منها ، أو تأخر في ظهور هذه القدرات . وتؤدي إصابات وأمراض الجهاز المركزي العصبي إلى مجموعات مختلفة للمتأخرين في اكتساب اللغة ؛ اعتماداً على درجة وانتشار الإصابة .

ولا شك في أن للتأخر العقلي والإصابات الدماغية بأنواعها أثره في تأخر نمو اللغة عند الطفل.<sup>(٣٢)</sup>

في حديثه " كأمه ، أو مرضعته ، أو مربيته" ، فقد يكون هذا النموذج غير كاف ، إما لعدم التحدث معه أصلاً أو لقلة هذا الحديث<sup>(٣٦)</sup>

وهنا يفقد الطفل فرصة المحاكاة اللغوية الصحيحة . وقلة التجارب العامة التي يمر بها الأطفال ، ومن أمثلة ذلك : عدم وجود أطفال آخرين يتحدثون إليهم ويبادلونهم اللغة.

• انشغال الوالدين في ظروف العمل وترك الأطفال لدى مربات لا يستطيعن التكلم بلغة الطفل الأم أو لهجة أخرى ، وهنا يقع الطفل فريسة للتناقض بين ما يسمعه من والديه وما يسمعه من هذه المربية .<sup>(٣٧)</sup>

اضطرابات الكلام حالة من العجز عن مجارة الآخرين في التعبير عن النفس ، بسبب تلف في الدماغ يترتب عليه أعراض نفسية ، أو خلل في أعضاء جهاز النطق ، مما ينجم عنه

فيها المستوى الاقتصادي والثقافي للأسرة ، ويجب أن نضع في الحسبان أن الطفل لا يحتاج اللغة من البيئة فقط، ولكنه يحتاج أيضاً العلاقة العاطفية مع الوالدين.

فإذا كانت العوامل الداخلية للطفل : الحسية ، العصبية ، الفكرية ، الحركية والنفسية" صحيحة ولكن غاب عنها التنبيه البيئي ، فإن اكتساب اللغة لديه سوف يتأخر، ومن المعتاد وجود حالات تأخر في اكتساب اللغة لهذا السبب ، في المستويات المحرومة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعاطفياً .<sup>(٣٥)</sup>

٥- الظروف الاجتماعية غير الملائمة:

لوحظ أن بعض الأطفال الذين لديهم تأخر لغوي أصحاء نفسياً وبدنياً ، ومن هنا كان لا بد من البحث عن سبب آخر لتأخر نمو اللغة عند الأطفال ، ويكمن هذا السبب في عنصر أو أكثر من العناصر الاجتماعية ، والتي يمكن إجمالها بما يلي:

• عدم كفاية النموذج اللغوي أو فقده ، ويقصد بالنموذج اللغوي للفرد ، النموذج الذي يتخذه الطفل نموذجاً له

أما اللعثة فهي اضطراب في الكلام يتميز بوقفات تشنجية أو تردد في النطق وفيما يلي مثال للتمييز بين هذين العرضين .<sup>(٤٠)</sup>

نُطق كلمة « محمد » لجلجة : م م م م محمد (نطق حرف الميم أو الحاء أكثر من مرة).

لعثة : م توقف حمد) نطق حرف الميم مرة واحدة يليه توقف ثم إكمال الكلمة ، توقف محمد) التوقف قبل نطق الكلمة ، ثم نطقها في شكل دفعة واحدة) .<sup>(٤١)</sup>

وبرغم ذلك لا يميز كثير من الباحثين هذين العرضين ويفضلون استخدام اللجلجة كمصطلح عام لوصف هذا الشكل من أشكال الاضطراب. ويرى بعض الباحثين أن من العلامات الواضحة بالنسبة للجلجة أن توجد تقطيعات غير إرادية نتيجة تقلص العضلات المتحكمة في الحديث. ولا تحدث اللجلجة في كل الأوقات بدرجة واحدة. فقد لا يلجج الطفل وهو مع

عدم القدرة على التعبير السليم.<sup>(٣٨)</sup> وما يرتبط بذلك من مظاهر ترتبط بطريقة تنظيم الكلام ومدته ، وسرعته ، ونغمته وطلاقة .<sup>(٣٩)</sup>

وتشمل اضطرابات الكلام المظاهر التالية :

- اللجلجة أو التلعثم :

اللجلجة هي عدم قدرة المتكلم على توظيف اللغة للتعبير عن أفكاره بصورة فصیحة ، وتتمثل في خروج الكلمات من الفم مضطربة ، وتبرز بوضوح عندما يتحدث المصاب إلى أشخاص يهاب منهم ، وهي من أكثر عيوب الكلام انتشاراً بين الناس وغالباً ما ترد إلى عوامل نفسية ، ومن أبرز مظاهرها : القلق والتوتر وعدم الشعور بالطمأنينة منذ الطفولة المبكرة ، لكن في كثير من الحالات فإن المصاب يستطيع أن يتحدث دون لجلجة إذا شعر بالطمأنينة وتوثقت صلته بنفسه .

كلمة "سمير" حيث تلفظ "سميل"، وكذلك كلمة "أمير"، حيث تلفظ "أميل"، وربما، قلبت "الراء" عند بعض الأفراد إلى "ياء"، أو "واو"، أو "غين"، مثل كلمة "ربيع"، حيث تلفظ "بييع" وكلمة "عبير" تلفظ "عييو"، وكلمة "فار" حيث تلفظ "فاغ".<sup>(٤٤)</sup>

أما الصعوبة في لفظ حرف الراء يعود إلى ضعف المهارة في تحريك اللسان عند ارتفاعه إلى أعلى قريبا من سقف الفم، ويعود ضعف تحريك اللسان إما إلى كبر حجم اللسان أو وجود شقوق في سطحه كما في حالات التخلف العقلي، واضطراب هرمون الغدة الدرقية كما أن اللسان المدور لا يستطيع نطق صوت "الراء" و الدغه الرائية تعد من اصعب اللدغات، ولا تصح قبل سن (٧-٨) سنوات.<sup>(٤٥)</sup>

(١) فيصل العفيف، اضطرابات النطق واللغة، ص ٤٦

قرين له أو عندما يكون بمفرده، ولكنه يلجج بشدة إذا كان مع آخرين يمثلون السلطة بالنسبة له.<sup>(٤٢)</sup>

وبناء على ما تقدم، فإنه بالرغم من تعدد النظريات التي حاولت تفسير أسباب حدوث التلعثم في الكلام، فإنه يمكننا القول إن ظاهرة التلعثم في الكلام تحدث نتيجة عوامل متداخلة ومتشابكة هذه العوامل هي عوامل عضوية ونفسية واجتماعية وهي تمثل وحدة دينامية وتعد المسئولة عن حدوث التلعثم وليس عامل بمفرده.<sup>(٤٣)</sup>

- اللدغة أو اللثغة:

هي نطق بعض الأصوات بطريقة خاطئة، أو هي صعوبة لفظ بعض الأصوات الأبجدية، وهناك بعض الأصوات أشد تأثراً من غيرها في عيوب الكلام، ومن أهم اللدغات ما يلي:

- اللدغة الرائية:

واللدغة الرائية من أهم اللدغات، فقد يلفظها بعض الأفراد "لام"، مثل:

وهي من أكثر عيوب النطق انتشاراً ،  
وللثأثة أشكال عدة ، منها إبدال صوت  
" السين " إلى صوت " الثاء " ، فكلمة "  
سمير" تنطق " ثمير" ، ونجد أن سبب  
العلة في هذه الحالات يرجع إلى بروز  
طرف اللسان خارج الفم ، متخذاً طريقه  
بين الأسنان الأمامية ، ويعرف هذا  
النوع من عيوب النطق الثأثة السينية  
الأمامية .<sup>(٤٧)</sup>

كذلك تأخذ عملية الإبدال في حالات  
أخرى شكلاً آخر ، حيث يقلب صوت "  
السين" إلى صوت " الشين " ، مثل  
كلمة سامر تنطق شامر ، ويعرف هذا  
النوع باسم " ثأثة سينية جانبية ، وسبب  
هذه العلة في هذا النوع إنما يرجع إلى  
انتشار تيار الهواء على جانبي اللسان  
، أو لعدم قدرة الفرد على التحكم في  
حركات لسانه ، أو لسبب آخر من  
الأسباب التي ترجع للناحية التشريحية  
في تكوين هذا العضو . وفي حالات  
أخرى يتم إبدال صوت " السين " إلى

- لدغة تحويل مكان الأصوات:

وهي تحويل الأصوات من الخلف إلى  
الأمام، وتظهر في سن(٤) سنوات ،  
حيث هناك أصوات تخرج من آخر  
اللسان، مثل :ك، ج، ق" ، وفي هذه  
اللدغة يتم تحويل هذه الأصوات إلى  
الأمام ، وتصبح كما يلي:

\*صوت " ك، ق" ، حيث تصبح " ت  
"، مثل :كلمة " كتاب"، حيث تصبح "  
تتاب " ، وكلمة " قلم" ، حيث تصبح "  
تلم" .

\* صوت " ج" حيث تصبح " د"، مثل:  
كلمة " جمل" ، حيث تصبح " دمل" .

- لدغة تحويل الأصوات المجهورة إلى  
مهموسة :

حيث يتم تحويل الأصوات المجهورة  
التي لها اهتزاز إلى أصوات مهموسة  
ليس لها اهتزاز ، أو مكتومة ، يجب  
علاجها بعد عمر (٧ سنوات).<sup>(٤٦)</sup>

- الثأثة :

والصغار ، كما يصيب الذكور والإناث ، وتظهر الدراسات إن الإناث أكثر عرضة لظهور قصور الصمام اللهائي البلعومي من الذكور .<sup>(٥٠)</sup>

- التأتأة:

وهي اضطرابات النطق واللغة والصوت واضطرابات الفصاحة ، وتتمثل في عدم مقدرة الطفل على نطق الكلمة بطريقة سوية عادية، فتسمعه يكرر الحرف الأول عدة مرات قيل أن يتمكن من النطق بالكلمة مثل: ت ت ت تلعب - العي :

وهو عجز المتحدث عن الكلام بسبب توتر حاد في العضلات الصوتية، ويرجع غالباً إلى أسباب نفسية، وأحياناً يكون ناتجاً عن أعراض جسدية مثل: اضطرابات الجهاز التنفسي، وجود لحمية بالأنف، وتضخم اللوزتين.<sup>(٥١)</sup>

- الإضافة:

صوت " الدال " ، وهناك نوع من التأتأة يعرف باسم تأتأة سينية بلعومية ، حيث يلفظ صوت السين كأنه خارج من البلعوم .<sup>(٤٨)</sup>

- الخنف :

هو تضخيم بعض الكلمات عند النطق بها يقضي على وضوحها ، أو يكون سبباً في تشويهاها ، ويجد المصاب بالخنف صعوبة في إحداث جميع الأصوات الكلامية المتحرك منها والساكن " فيما عدا صوتي الميم والنون " فيخرجهما بطريقة مشوهة غير مألوفة ، فتبدو الأصوات المتحركة مثلاً كأن فيها غنة . أما الأصوات الساكنة فتأخذ أشكالاً مختلفة متباينة من الشخير أو الخنف أو الإبدال وتصل نسبة الإصابة بالخنف نحو طفل واحد كل ألف طفل .<sup>(٤٩)</sup>

والخنف هو اضطراب من اضطرابات الكلام يحدث بسبب وجود قصور في الصمام اللهائي ، والخنف يصيب الكبار

٥- تقدير حالة المصاب وعدم السخرية منه.

٦- تغيير البيئة المدرسة إذا كانت الحالة تستدعي ذلك.

٧- تدريب المصاب على الاسترخاء أثناء الكلام.

٨- تدريب الطفل على التحدث من خلال التسجيل الصوتي.

٩- البحث عن الأسباب النفسية وتخليص المصاب منها. (٥٣)

وتتفاوت الأساليب العلاجية لاضطرابات الكلام حسب عمر المصاب، لكن لم يثبت حتى الآن الشفاء التام منها، ويقتصر أثر العلاج على وقف تطور الحالة المرضية ..

- تعزيز ثقة المصاب بنفسه بحيث يعمل على تنظيم التنفس قبل النطق

ويتمثل في إضافة الطفل حرفاً آخر لحروف الكلمة الأساسية .

- التحريف أو التشويه:  
وتتمثل في أن تكون الإضافة أو الإبدال

أو الحذف مخرلاً بمعنى الكلمة..(٥٢)  
خطوات علاج اضطرابات الكلام:

١- التأكيد من عدم إصابة المريض بأسباب عضوية ومعالجتها إن وجدت.

٢- تخليص المصاب من الضغوط النفسية والانفعالات الحادة التي قد يتعرض لها، ووضعه في بيئة مريحة.

٣- تنمية ثقته بنفسه ووضع حد لما يشعر به من خوف أو خجل وتعزيز النجاحات التي يحققها.

٤- تفهم الوالدين والمعلمين لحالة الطفل لأسباب الصعوبات التي يعاني منها الطفل ومحاولة تخليصه منها.

والتدليل الزائد وإظهار الاهتمام والقلق المبالغ فيه تجاه الطفل ، وعدم إجبار الطفل الأعسر على الكتابة باليد اليمنى. اجتناب كثرة الانتقادات والتوجيهات ، تدريبه على التعبير عن نفسه بهدوء وتركيز وتعزيز آرائه.

- تدريب المصاب على الكلام السليم تدريجياً ابتداءً بالسهل وانتهاءً بالصعب من الألفاظ.

- إجراء تدريبات رياضية لتقوية الفكين وأجهزة التنفس بإشراف اختصاصيين (٥٥).

وأما الأعراض النفسية فيمكن التغلب عليها بـ:

أ - تعزيز ثقة الطفل بنفسه.

ب - عدم التوقف عند عيب النطق الذي يواجهه الطفل وتجاهل معاناته.

وتخفيف سرعة الكلام. والتحدث ببطء وهدوء دون توتر أو قلق.

يتطلب علاج عيوب النطق التحلي بالكثير من الصبر والمثابرة ورغبة المريض في الشفاء أو التحسن، ويسير العلاج وفق الخطوات الآتية:

- رفع الروح المعنوية لدى المصاب وحث الأمل والتفاؤل في نفسه.

- تعزيز قناعاته وثقته بنفسه. (٥٤)

- إقناع المصاب بأهمية القدرة التعبيرية لدى الفرد.

- علاج التشوهات الخلقية في أجهزة النطق في حال وجودها في اللسان أو الفك أو الحلق .. وسائر أجهزة الجسم.

- علاج مظاهر الضعف العقلي.

- توعية الوالدين بضرورة تحاشي المشاحنات والخلافات وأساليب القمع

بوقت مبكر إذا لوحظ لديه أعراض اضطرابات.

- إشباع حاجات الطفل النفسية إلى الحب والحنان.

- توعية الوالدين والمعلمين بأساليب رعاية هؤلاء الأطفال.

- اجتناب كثرة التوجيهات والانتقادات.

- عدم إجراء مقارنات بين قدرات الطفل المصاب وقدرات الأطفال الذين يتحدثون بطريقة أفضل منه.

- تنظيم ندوات ولقاء لتوعية الوالدين والمعلمين بأساليب التعامل مع الأطفال المصابين.

- تنبيه الأم العاملة إلى ضرورة تعويض الطفل عما ينقصه من رعاية أثناء غيابها.

ج - إعطاء الطفل فرصة كاملة للتعبير عن نفسه ، وتشجيعه ، وعدم توجيه أي نقد إليه ، وإنما تعزيز محاولته للتعبير عن نفسه.

د - معالجة أجهزة النطق العليلية مثل : الزائدة اللحمية في الأنف ، انشقاق الشفة ، عيوب الأسنان واللسان .<sup>(٥٦)</sup>

كذلك يمكن أن تساعد الممارسات الآتية على تحسين أثر الإجراءات العلاجية:

- مخاطبة الطفل بألفاظ سهلة ومفهومة.

- التحدث معه حول أشياء يعرفها، وبأسلوب محبب إليه فيه إثارة وتشويق .<sup>(٥٧)</sup>

- تدريب الطفل على الكلام ، وتنمية قاموسه اللغوي باستمرار.

- توفير الرعاية الصحية له باستمرار، وعرضه على أصحاب الاختصاص

نظرا لحدائثة موضوع هذه الدراسة فإن الباحث يرى أنه لم يتسنى للباحثين الأكاديميين التطرق إلى هذا المضمار بعد ، والسبب يعود لحدائثه ولتوجس الباحثين من غماره ، تحسبا لعدم الوقوع في الأخطاء وإبداء آراء غير مكتملة عن هذا الموضوع ، ولغاية البدء في الدراسة لم يتمكن الباحث من الحصول على أية دراسات تفيد موضوع إلا ما ندر، غير أنه استطاع فيما بعد الحصول على دراسات سابقة لبعض الباحثين الأكاديميين ، حول عوامل ومؤثرات نفسية تساهم في اكتساب اللغة ، قد تكون قريبة من موضوع البحث في هذه الدراسة ، حيث أن العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي لم تحظى بدراسات وافية ولها نصيب قليل جدا من الدراسات الأكاديمية المتخصصة ، ومن هنا تناول الباحث البعض المفيد مما توفر من دراسات تتعلق بهذه الدراسة أو تقترب منها وهي كالتالي :

- اجتناب ازدواجية اللغة أثناء فترة الطفولة المبكرة. (٥٨)

- عدم إجبار الطفل الأعسر على الكتابة بيده اليمنى؛ لأن هذه المسألة تتعلق بتركيبية الدماغ.

- اجتناب التحدث بألفاظ مشوهة أمام الطفل لأنه سريع التقليد.

- توفير عيادة الاختصاص لمتابعة الأطفال الذين يعانون من اضطرابات لغوية.

- النظر بعين العطف لهذه الفئة من

الأطفال ومساعدتهم وعدم السخرية منهم.

- تنظيم برامج تأهيل للمعلمين يتدربون بها على أهمية الاكتشاف المبكر لأعراض اضطرابات الكلام وأساليب التعامل معها. (٥٩)

الفصل الثالث " الدراسات السابقة "

بلا تجارب أو معارف سابقة "ولا يمكن موافقة الدكتور/ خلف الله في كل ما ذهب إليه من الاستبعاد التام لدور الأسرة في اكتساب اللغة ؛ لأن الدراسات النفسية التي قام بها العلماء تؤكد على دور الأسرة في اكتساب اللغة لدى الطفل ، وتبين كيف أن الفوارق اللغوية الموجودة بين الأسر تحدد الفوارق أمام النجاح المدرسي وتثبيت التباينات الاجتماعية ، ففي أسرة ذات قاموس لغوي ضعيف، أو يقل فيها الكلام تكون قدرة الطفل على النمو الفكري والتوليد اللغوي بطيئة ، حيث يمتنع الطفل عن إلقاء الكلمات ، ويعتمد الصمت في بعض الحالات الشيء الذي يؤدي إلى حالات نفسية مقلقة . (٦٠)

دراسة غازي مفلح (٢٠٠٤) م اتجاهات تعلم اللغة من خلال مقارنة بين تعليم اللغة في القديم وتعليمها في الحديث ، وأبرز النظريات الحديثة في تعليم اللغة

دراسة محمد خلف الله (١٩٧٠) م ، تناول مسألة اكتساب اللغة ، وقد أكد على أن من أهم مظاهر المقدرة عند الطفل القدرة على التعبير اللغوي ، واستعمال أجزاء الكلام ، وهو بهذا يكون قد استبعد دور الأسرة في تعليم الطفل لغته القومية ويقتصر دور الأسرة في نظره على تسهيل عملية اكتساب اللغة من خلال عرض نماذج لها دون تلقين منه أو تقليد من الطفل . وهذا يعني الابتكار والتجربة من قبل الطفل من ناحية ، وهو من - ناحية أخرى - يفسر استمرار الأخطاء اللغوية التي تسمع من الطفل في محاولته الدائبة لتنمية ملكته الفطرية خاصة فيما يتصل بالنظام اللغوي ، فكل ذلك يتحقق من خلال المادة اللغوية المسموعة التي يتعرض لها الطفل .

ملخص الدراسة انتهى إلى " أن الطفل يتعلم لغته القومية بسهولة ويسر، وهو

تكتسب من الوسط الخارجي عن طريق حاسة السمع بعد أن يتم تعزيز الاستجابات الصحيحة ، وتميز المدرسة المعرفية بين كل من الكلام ، واللغة ، فاللغة هي الكفاية أو القدرة الداخلية ، في حين أن الكلام مظهر خارجي يعبر عن القدرة الداخلية في صورة وبذلك فإن دراسة اللغة ينبغي أن تركز على القدرة الداخلية ، وليس على الأداء الذي يعكس تلك القدرة إلا إذا كان الهدف من دراسة الأداء استنتاج ما ينطوي عليه من قدرة داخلية. (٦١)

دراسة علي القاسمي (٢٠١١) م  
الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق من خلال فحص مسألة النمو اللغوي لدى الفرد خاصة اكتسابه اللغة ، والوسائل التي يمكن استخدامها لتعزيز اكتساب اللغة العربية الفصحى بحيث يتمكن منها ، ويستخدمها أداة نفاذ إلى مصادر المعلومات مما ييسر إيجاد

وغيرها من النقاط ، حيث قد تأثر علم النفس التعليمي بنظريات اللغة ، فظهر عدد من نظريات تعلم اللغة ، إلا أن هذه النظريات تتدرج ضمن مدرستين اثنتين من مدارس علم النفس التعليمي هما : المدرسة السلوكية ، والمدرسة المعرفية .

### ملخص الدراسة

أن السلوكيون يرون أن ذهن الإنسان خال تماما من اللغة ، وهو أي الإنسان ناتج للتفاعل مع البيئة المحيطة ، وبالتالي يمكن تشكيله من خلال التحكم بشروط البيئة المحيطة ، وبالتالي يمكن التحكم بلغته وتطويرها بناء على هذا التحكم ، فلغته خبرة مكتسبة من تلك البيئة ، تنظر المدرسة المعرفية إلى اللغة على أنها قدرات كامنة عند الإنسان ، تعمل البيئة المحيطة على فتحها وتطويرها ، بعكس المدرسة السلوكية التي ترى أن اللغة عادات

الجنس، حجم الأسرة، المخاوف، الترتيب الميلادي". (٦٣) وقد طبقت بطارية اختبارات القدرات النفسية اللغوية لطفل الروضة على ( ١٠٠ ) طفلاً وطفلة، وتتراوح أعمارهم الزمنية ما بين (٤-٦) سنوات. بعد ذلك تم اختيار أربعة أطفال، الطفل الأول والثاني اللذين حصلوا على أفضل درجة في القدرات النفسية اللغوية، والطفل الثالث والرابع اللذين حصلوا على أدنى درجة في القدرات النفسية اللغوية، وإجراء دراسة الحالة عليهم.

#### ملخص الدراسة

وبعد الانتهاء من الدراسة توصلنا الى أهم نتائج ما يلي:

- كلما انخفض المستوى الثقافي للأسرة ازداد تأخر نمو اللغة لدى الأطفال.
- كلما انخفض المستوى الاقتصادي الاجتماعي ازداد تأخر نمو اللغة لدى الأطفال.

مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية .

ملخص الدراسة اكتساب وتعلم اللغة الذي يحدث أثناء تطور الطفل من أكثر علامات الذكاء الإنساني، ليس فقط لأن استخدام اللغة يمثل أحد الخصائص الإنسانية الفريدة ولكن لأنه يخدم كعنصر أساسي في جميع مراحل الإنجاز الأكاديمي. وتعتبر القدرة على اكتساب واستخدام اللغة واحدة من أكثر الملامح المميزة للإنسان بدون اللغة سوف يكون فهم المعاني المتبادلة والقيم والتقاليد مستحيلا . (٦٢)

دراسة معمّر نواف (٢٠١٢) م دراسة بعض المتغيرات المرتبطة في تأخر نمو اللغة لدى أطفال الروضة هدفت هذه الدراسة إلى معرفة المتغيرات المرتبطة في تأخر نمو اللغة لدى أطفال الروضة، مثل: " المستوى الاقتصادي الاجتماعي الثقافي للأسرة، الذكاء،

الاضداد ومجال المبالغة ، أدى ذلك الى  
تغير بعض دلالات الكلمات على مر  
العصور .

ملخص الدراسة اللغة تتأثر بالاتجاهات  
والعوامل النفسية التي تحدث للإنسان  
فاللغة من أبرز مظاهر السلوك  
الانساني ، لذلك تخضع لجملة من  
العوامل النفسية التي تطرأ على السلوك  
، فاللغة مرآة تعكس مشاعر الإنسان من  
أي شيء نفسياً فإن صدى ذلك يتردد  
في لغته ، لذلك تعد اللغات أصدق  
سجل لحفظ عادات الأمم وتقاليدها  
واتجاهات تفكيرها . فالتطور الثقافي  
والاجتماعي وما ينتاب الإنسان من  
مشاعر عاطفية واتجاهات نفسية كل  
هذه العوامل مجتمعه تنعكس على اللغة  
، تسهم بطريقة أو بأخرى في إحداث  
تغيير فيها . (٦٤)

التعليق على الدراسات والبحوث السابقة

• كلما انخفض المستوى الاقتصادي  
الاجتماعي الثقافي للأسرة ازداد تأخر  
نمو

اللغة لدى الأطفال.

• كلما انخفض الذكاء ازداد تأخر نمو  
اللغة لدى الأطفال.

• كلما ارتفعت المخاوف ازداد تأخر نمو  
اللغة لدى الأطفال.

• تتميز لغة الطفل المتأخر في نمو اللغة  
بالإجابات المقتضية غير المفصلة،  
وقصر

• طول الجملة، وقلة عدد المفردات " قلة  
الحصيلة اللغوية"، وعدم وجود الكفاءة  
التواصلية، وقلة استخدام الأسماء.

دراسة فرهاد عزيز محيي الدين  
(٢٠١٣) م تأثير العامل النفسي في  
دلالات الالفاظ وذلك عن طريق رصد  
الحالة النفسية للإنسان التي انفردت  
بدور مهم في تغير اللغة في مجالات  
اللغة العربية مجال اللامساس ومجال

كبير في تشكيل اللغة لدى هذا الشخص ، وفي أغلب الأحيان قد تكون هذه العوامل نفسية وحتى ولو لم يصرح ذلك بشكل واضح من خلال الدراسات ولكن من خلال بحثنا حول هذا نستطيع استنتاج أن هذه الدراسات اقترنت على تأكيد وإثبات أن هناك علاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي .

#### الفصل الرابع

#### " الإطار التطبيقي للدراسة "

#### منهج الدراسة

هذه الدراسة تتحدث عن "العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي " لدى عينة عشوائية من مختلف الفئات العمرية في سلطنة عمان بولايات محافظة الظاهرة حيث استخدم المنهج الوصفي التحليلي ، وذلك من خلال توزيع استبيان على عينة عشوائية ، و بعمل مقابلة مع عدد من المختصين

لاشك أن للدراسات السابقة أهمية كبيرة لدى كافة الباحثين الأكاديميين ، أو المعاهد والجامعات ومراكز الأبحاث ، أو الشركات والمؤسسات البحثية عند القيام بأي بحث علمي معتمد وورصين ، وقد يستفيد من هذه الدراسات الباحثون والجهات البحثية الأخرى ، إذا كانت تتعلق بمواضيع بحوثهم أو تقترب منها في الإجابة على تساؤلات الدراسة وصياغة فروضها وتحقيق أهدافها ، ومن خلالها يتوصل الباحثون إلى نتائج واستنتاجات ومقترحات قد تسهم في إثراء مواضيعهم البحثية ، والتي من شأنها أن تعوض النقص الحاصل في الدراسات التي سبقتها ، ويلاحظ أن معظم الدراسات السابقة التي اعتمدها الباحث في هذه الدراسة وبالرغم من قلتها ، قد تناولت إلى حد ما بعض الجوانب الأساسية من هذه الدراسة ، من خلال التأثيرات التي تحدث لأنسان في مختلف جوانب الحياة التي قد يكون لها دور

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

- عينه البحث
- تم اختيار العينة بالطريقة العشوائية من مختلف المدارس في محافظة الظاهرة حيث تم توزيع (٥٠) استبانة وأيضاً مقابلات مع معلمين اللغة العربية وصعوبات التعلم والأخصائيين الاجتماعيين .
- إجراءات الدراسة
- بعد تحديد الباحث للمشكلة المراد درستها وتحديدها لكل من الأهداف والفرضيات وأهمية الدراسة ووضع الحدود الزمانية والمكانية والبشرية التي كانت في إطار الدراسة ، قامت الباحثات بعرض نظري للدراسة يشتمل على قراءة نقدية تاريخية في العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي وكذلك الأداء اللغوي والعمليات البيولوجية " الذهنية" وطبيعة اللغة من خلال الحالة النفسية والاطلاع على الدراسات السابقة التي تتناول هذا الموضوع أو تكون قريبة
- في هذا المجال ، وتم طرح عليهم عدد من الأسئلة التي تخص دراستنا.
- أداة الدراسة
- عمل استبانة وتوزيعها على معلمين اللغة العربية وصعوبات التعلم والاختصاصيين الاجتماعيين
  - عمل مقابلة مع أخصائي اجتماعي
  - عمل محاضرة للطالبات وتوزيع منشورات تدور حول الموضوع .
- مجتمع الدراسة
- المحدد الزمني : في العام الدراسي ٢٠١٥ / ٢٠١٦ م
- المحدد المكاني لقد قام الباحث بتطبيق الدراسة في سلطنة عمان - مختلف الولايات في محافظة الظاهرة
- ولقد طبقت الدراسة على (٥٠) معلم لغة عربية وصعوبات التعلم وأخصائي اجتماعي في مختلف المدارس بالمحافظة بنسب متساوية تقريباً .

من خلال المخطط البياني والنسب المئوية نجد الغالبية العظمى قد كانت اجاباتهم أوافق بشدة على أن المعلم له دور كبير في اكتساب لغة سليمة فهو مربى الأجيال لذلك يجب عليه أن يكون قدوة حسنة أمام الطلاب ، واختيار أساليب تدريس صحيحة والشرح باللغة العربية الفصحى وتحفيز الطلاب دائما وعدم توبيخ الطلاب والتعامل الشديد القاسي معهم واستخدام تقنيات التعلم الحديثة في التعليم ، وفتح باب المشاركات للطلاب والمحاورة أثناء الشرح وعدم التركيز على فئة معينة من الطلاب حتى ينمي القدرات اللغوية معهم ، وعدم خلق حاجز بينه وبين الطلاب ويجب عليه أيضا عدم السخرية من الطلاب الذي يعانون من مشاكل في الكلام أو التأخر الدراسي بل يجب عليه مراعاة الفروق الفردية في الملكات الفكرية وتكريم هؤلاء الطلاب في حالة تقدمهم من أجل بذل المزيد من الجهد

من موضوع البحث ولمعالجة المشكلة قامت الباحثة بعمل استبانة وظفت فيها أسئلة تدور حول الأسباب التي يمكن لها تأثير على الأداء اللغوي وقامت للتأكد من صحتها بعرضها على المختصين ثم توزيعها على العينة بمختلف ولايات محافظة الظاهرة وبعد ذلك جمعها وتحليلها واستخراج النتائج .

#### تحليل النتائج

تحليل البيانات والمعلومات التي تم تجميعها للدراسة :

أولا : تحليل الاستبانة التي وزعت على الطالبات :

❖ العوامل المؤثرة في اللغة والتي تعزى للمعلم

تمثيل عدد الإجابات بالرسم البياني:

ملحق ١

تمثيل الإجابات بالنسبة المئوية: ملحق

٢

والوالدين تؤثر بشكل إيجابي على الطفل وعلى لغته التي يكتسبها والمجتمع الذي يتعايش فيه ، وأيضاً خلو الطفل من مشاكل النطق والكلام يكون سبب في التعلم بشكل أكثر وقدراته العقلية السليمة والبيئة الصحيحة تكون دافع أكبر في التعلم كذلك امتلاك الطالب لمهارات تدريسية صحيحة من قبل مختلف المعلمين تكون سبب في لغة صحيحة خالية من العيوب وذلك قد ثبت لنا من خلال هذه الاستبانة .

❖ العوامل المؤثرة في اللغة والتي تعزى للبيئة الصفية

- تمثيل عدد الإجابات بالرسم البياني : ملحق ٥

- تمثيل الإجابات بالنسبة المئوية : ملحق ٦

من خلال عدد الإجابات والمخطط البياني يتضح لنا تباين في الاختيارات ف هناك أراء تدعم أن هناك عوامل

والمساواة بينهم وبين الطلاب الآخرين حتى لا يتولد لديهم مشاعر أنهم أقل مستوى من أقرانهم ويسبب لهم الإحباط ويؤدي كل ذلك إلى مشاكل نفسية قد تكون سبب في التأخر اللغوي .

العوامل المؤثرة في اللغة والتي تعزى للطالب

- تمثيل عدد الإجابات بالرسم البياني : ملحق ٣

- تمثيل الإجابات بالنسبة المئوية : ملحق ٤

من خلال عدد الإجابات والمخطط البياني يتضح لنا تباين في الاختيارات ولكن يلاحظ أغلب الإجابات أنا هناك عوامل من قبل الطالب تؤثر في اكتساب اللغة تكون في الغالب عوامل نفسية من قبل الأسرة ف الجو الأسري الذي يكون فيه مشاكل نفسية تؤثر على نفسية الطفل وفي الأغلب تخلق لديه مشاكل تؤثر عليه لغوياً كذلك ثقافة

- برأيك هل هنالك علاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي ؟  
نعم هناك علاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي حيث أن الحالة النفسية للشخص ترتبط ارتباطا وثيقا بتنفيذ الأداء اللغوي ومهاراته وهي تعبر عن أي شيء يقوم به الشخص من مهارات وقدرات إبداعية ، كلما كانت الحالة النفسية تتمتع بالراحة والاطمئنان كانت هنا قدرات تصل إلى مدى بعيد في إنجاز الأداء اللغوي والمتمثل في القراءة والتعبير وغيرها .

- هل اتقان مهارة القراءة تساعد الطلاب من الناحية اللغوية ؟

اتقان مهارة القراءة شيء ضروري وهي تعبر عن الرفعة العالية التي تميز القارئ المبدع عن غيره فكلما كانت القراءة ابداعية متقنه كان هناك إبداع وتتميز في لغويات القراءة ومحتوياتها ومن خلال تكرار القراءة القدرة على

تؤثر على اللغة وتعزى للبيئة الصفية وأراء لا توافق أن البيئة الصفية تؤثر في اللغة ولكن من خلال الحسابات نجد الأغلب توافق رأي أن البيئة الصفية لها دور من خلال أدوار المعلم في الفصل من خلال التنوع في طرق التعليم والتحفيز والمكافآت تسهم في اكتساب اللغة ، أقران الطالب في الفصل لهم دور في اللغة واكتسابها دور ايجابي وسلبى ، أي أن كل شيء يكون ايجابي في هذا المحيط يكون دافع في التعلم أكثر والعكس صحيح ويؤثر في لغة الطالب .

ثانيا : قام الباحث بتحليل المقابلة كالتالي :

❖ المقابلة الأولى : مع أ / سليمان خليفة الكاباني و أ / ناصر محمد البحري أستاذين للغة العربية بمدرسة فلاح بن محسن النبهاني بولاية عبري

...

وهذا يولد الخوف لديه والقلق وقد يؤدي اضطرابات الكلام .

- ما هي المشكلات التي يمكن أن تحصل لطالب في المدرسة وتكون سبب في مشاكله اللغوية ؟

معلم قاسي أو شديد في التعامل - أقران يفوقونه في المستوى التحصيلي - الخوف الزائد من المدرسة - الخوف من المعلم - التأخير الدراسي - ضعف القراءة والكتابة - الشرود الذهني - الانطواء - مشكلة صحية ( الوضع الصحي والحسي ) - ضعف الشخصية - عدم الثقة بالنفس - سخرية المعلم من التلاميذ - إهمال الطالب وعدم إشراكه في النشاطات المدرسية .

❖ المقابلة الثالثة : مع ولي الأمر / نجاح مسعود الشملية و فاطمة سيف البادية من ولاية ضنك بمحافظة الظاهرة ...

التغلب على المشكلات المتعلقة بالنطق والتعود على نطق الحروف صحيحة.

❖ المقابلة الثانية : مع الأخصائي الاجتماعي أ / فهد العلوي والأخصائية الاجتماعية أ / لطيفة سعيد العلوي بمدرسة المري للتعليم الأساسي بولاية ينقل .

- " الضغوط النفسية تؤدي الى اضطرابات الكلام وتكون سبب في التأخر اللغوي " ما هو تعليقك على هذه العبارة ؟

نعم تؤثر الضغوط النفسية على الطفل من ناحية تأخر الكلام التلعثم التأتأة ، وهي سبب رئيسي في المشكلات التي يواجهها الطفل في المدرسة حيث أنها تؤثر على قابليته في التعليم وتحد من مستواه الدراسي ، وإذا عاش الطفل في جو مملوء بالضغوطات النفسية كالشجارات العائلية أو أب قاسي يؤثر سلبا على نفسية الطفل فيفقد ثقته بنفسه

كيف تساعد ثقافة الوالدين الطفل على اكتساب اللغة ؟

البيئة الغنية بالمشيرات الثقافية ،  
الفقيرة بالمشيرات الثقافية، فالبيئة الأولى  
تلك البيئة الغنية التي تتوفر فيها  
المجلات والجرائد والكتب وأجهزة  
الإعلام والترفيه والمناقشات العلمية  
والثقافية بين أفراد الأسرة، أما البيئة  
الثانية فهي البيئة المحرومة من  
المشيرات، ومما لا شك فيه أن معيشة  
الطفل في بيئة من النوع الأول تسهم  
بدرجة كبيرة في اكتساب اللغة فالأسرة  
المتقنة والغنية بتراتها تساعد على نمو  
مفردات الطفل اللغوية بصورة أفضل من  
البيئة الفقيرة ، كما أن البيئة الغنية  
بتقافتها تجعل طفلها يفهم عددا أكبر من  
الكلمات ويستطيع أن يعبر لغويا عما  
يريد أن يقوم به من أفعال، بينما البيئة  
الفقيرة ثقافيا تزيد لدى الطفل من أفعاله  
وحركاته وتكون كلماته أقل .

الفصل الخامس " النتائج والتوصيات"

كيف يؤثر الجو النفسي للأسرة في  
اكتساب اللغة الجيدة ؟

ان اكتساب اللغة يرتبط ارتباطا وثيقا  
بحجم التفاعل الاجتماعي بين الطفل  
والوالدين، فالأسرة التي تحرص على  
قضاء فترات طويلة مع أطفالها وتبادل  
الآراء والمناقشات معهم وإشراك الطفل  
في تلك المناقشات تساعد على تنمية  
اللغة لديه ، فالأطفال الذين ينتمون إلى  
جو يسوده الود والتسامح والمرونة  
والتفاعل يتحدثون أكثر من الأطفال  
الذين ينتمون إلى جو يسوده التسلط،  
وتؤثر العلاقة بين الطفل وأمه في تطوره  
اللغوي، إذا كانت العلاقة سوية أدت إلى  
تطور سوي وإذا كانت العلاقة مضطربة  
أدت إلى تطوور مضطرب  
، إن الحياة الأسرية وتفاعل الطفل مع  
الوالدين له تأثير في اكتساب الطفل  
اللغة، لأن الطفل في عملية تواصلية  
وتفاعلية مستمرة مع المحيط اللفظي  
الذي يعيش فيه.

- النتائج
- ١- هنالك علاقة كبيرة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي ف الحالة النفسية الجيدة تنعكس بشكل ايجابي على اللغة .
  - ٢- الوالدين هما المؤسس الأول للغة ذلك يجب أن تكون تنشئة صحيحة وابعاد الضغوط النفسية والمشاكل الأسرية عن أبنائهم.
  - ٣- استخدام المعلم للغة فصيحة له دور ايجابي في النمو اللغوي لدى الطلاب داخل البيئة المدرسية .
  - ٤- استخدام العنف في تربية الأبناء مشاكل نفسية ويؤدي إلى التأخر في الأداء اللغوي لدى الأبناء.
  - ٥- علاج اضطرابات الكلام يكون بتخليص المصاب من الضغوطات النفسية والانفعالات الحادة.
  - ٦- المدرسة قد تكون أحيانا سبب في المشاكل النفسية للطالب تؤدي إلى انعزال الطالب عن التعلم وسبب في تأخره لغويا .
  - ٧- إن الصفات البيولوجية العصبية الخاصة بالإنسان تميزه عن غيره من المخلوقات وتخلق لديه الاستعداد لاكتساب اللغة.
  - ٨- المشاكل النفسية للشخص لها دور سلبي في الأداء اللغوي فهي تكون سبب رئيسي في تأخر الفرد لغويا كل ذلك يكون عائق في التعلم .
  - ٩- تطور القدرات اللغوية عند الإنسان مرتبطة بالأساس البيولوجي للإنسان وتؤثر عليه .
  - ١٠- اضطرابات الكلام قد تكون لأسباب نفسية أو أسباب عضوية قد يمكن في بعض الحالات التغلب على هذه المشكلات عند التدخل الطبي .

- ١١- مقارنة قدرات الطفل عن غيره من الأطفال بسبب له مشاكل نفسية .
- التوصيات
- ١- يجب على الأسرة الاهتمام بالنمو المعرفي للطفل لأن ذلك ينعكس ايجابيا على النمو اللغوي لدى الطفل .
- ٢- اعطاء الطالب الفرصة للحوار والمناقشة أثناء شرح المعلم داخل الفصل .
- ٣- استخدام المعلم لغة عربية فصيحة في الفصل من أجل أن يكتسب الطالب لغة جيدة.
- ٤- تخصيص حصة للمكتبة في المدارس من أجل القراءة ذلك يساعد الطالب لغويا .
- ٥- توعية أولياء الأمور بأفضل أساليب التنشئة الاجتماعية وتصحيح مفاهيمهم عن طرق التربية الاجتماعية والنفسية لأن التنشئة الاجتماعية السليمة تؤدي الى نمو اللغة .
- ٦- عدم التوبيخ المستمر لأبنائهم حتى لا يسبب لهم مشاكل نفسية تؤدي الى مشاكل لغوية في المستقبل .
- ٧- يجب على الآباء اذا لاحظوا وجود تأخر نمو اللغة بشكل واضح لدى طفلهم مقارنة بالأطفال الاخرين مراجعة أخصائي التخاطب والكلام حتى تتم مواجهة المشكلة بشكل مبكر .
- ٨- تدريب الطفل من سن صغيرة على الانصات والاستماع و التحدث حتى يتمكنوا من التواصل والتعبير والتفاعل اللفظي بصورة جيدة وسليمة حيث يكون الاستماع أمرا أساسيا لا غنى عنه للنمو المعرفي واللغوي.
- ٩- التحفيز المستمر من قبل ولي الأمر والمعلم والمدرسة كل ذلك يساعد على التغلب على المشاكل النفسية اللغوية.
- أ. عرض الشخص اذا كانت لديه مشاكل لغوية نفسية على المختصين في هذا المجال من أجل العلاج .

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

---

ب. اشباع حاجات الطفل النفسية بالعطف والحنان لأن له الدور الأكبر في خلق نفسية ممتازة لديه .

❖ العوامل المؤثرة في اللغة والتي تعزى للمعلم \_ تمثيل الإجابات بالنسبة المئوية:

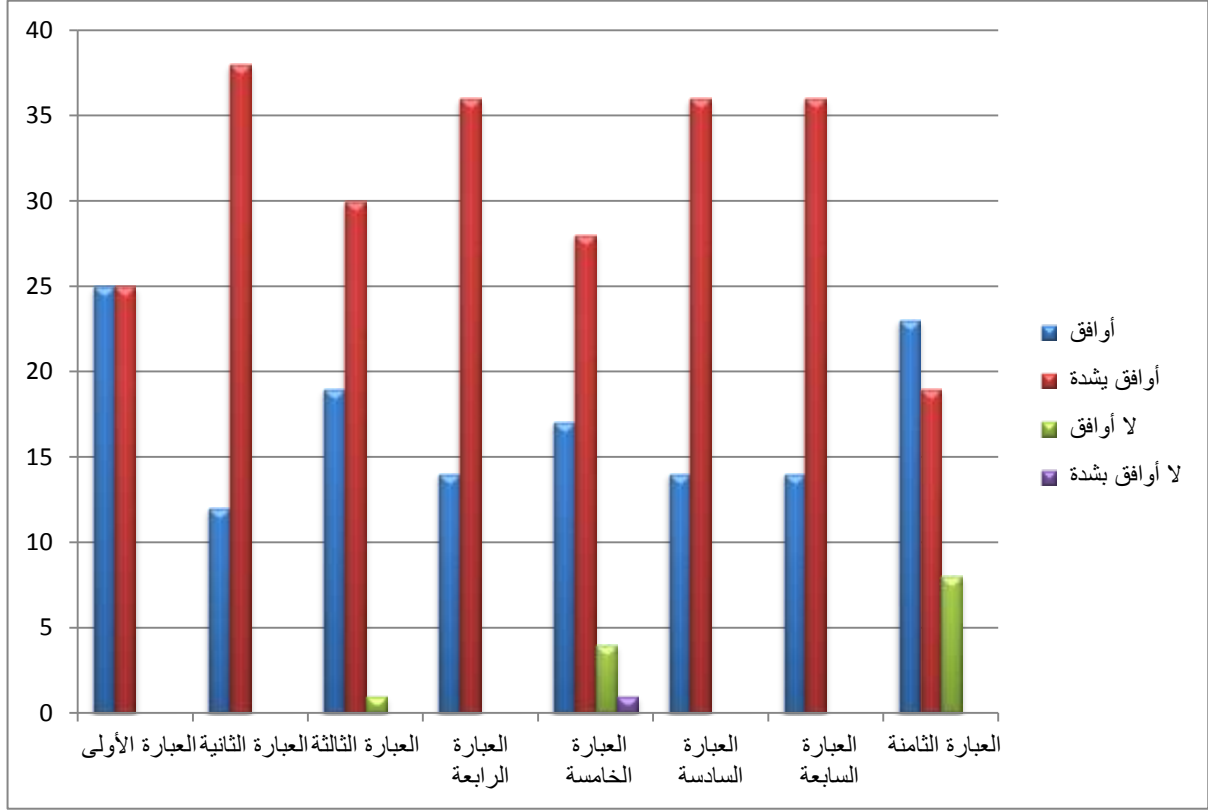
العبارات	أوافق	أوافق بشدة	لا أوافق	لا أوافق بشدة
تعزير المعلم الاتجاهات الإيجابية عند الطلبة لها دور في اكتساب اللغة	%٥٠	%٥٠	٠	٠
اللغة التي يتحدث بها المعلم في الصف يساعد الطالب على اكتساب اللغة بشكل أفضل	%٢٤	%٧٦	٠	٠
التحفيز المستمر للطالب ( الدعم المعنوي والمادي ) يؤثر بشكل ايجابي على لغة سليمة	%٣٨	%٦٠	%٢	٠
اتاحة المعلم الفرصة للطالب للتعبير عما بداخله ينمي القدرات اللغوية	%٢٨	%٧٢	٠	٠
الإحباط المستمر والتوبيخ الدائم	%٣٤	%٥٦	%٨	%٢

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

				للطالب أمام الطلاب يؤثر بشكل سلبي على اكتساب اللغة
•	•	%٧٢	%٢٨	استخدام المعلم اللغة العربية الفصحى أثناء الشرح داخل الفصل يؤدي إلى سلامة اللغة
•	•	%٧٢	%٢٨	اتقان المعلم للغة بصورة صحيحة والتمكن منها بصورة جيدة له دور فاعل في استيعاب الطالب للغة
•	%٦	%٣٨	%٤٦	استخدام المعلم الوسائل التعليمية المحسوسة والبعد عن الوسائل التجريدية

## محور اللغة العربية

تمثيل عدد الإجابات بالرسم البياني:



## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

ملحق رقم (٢)

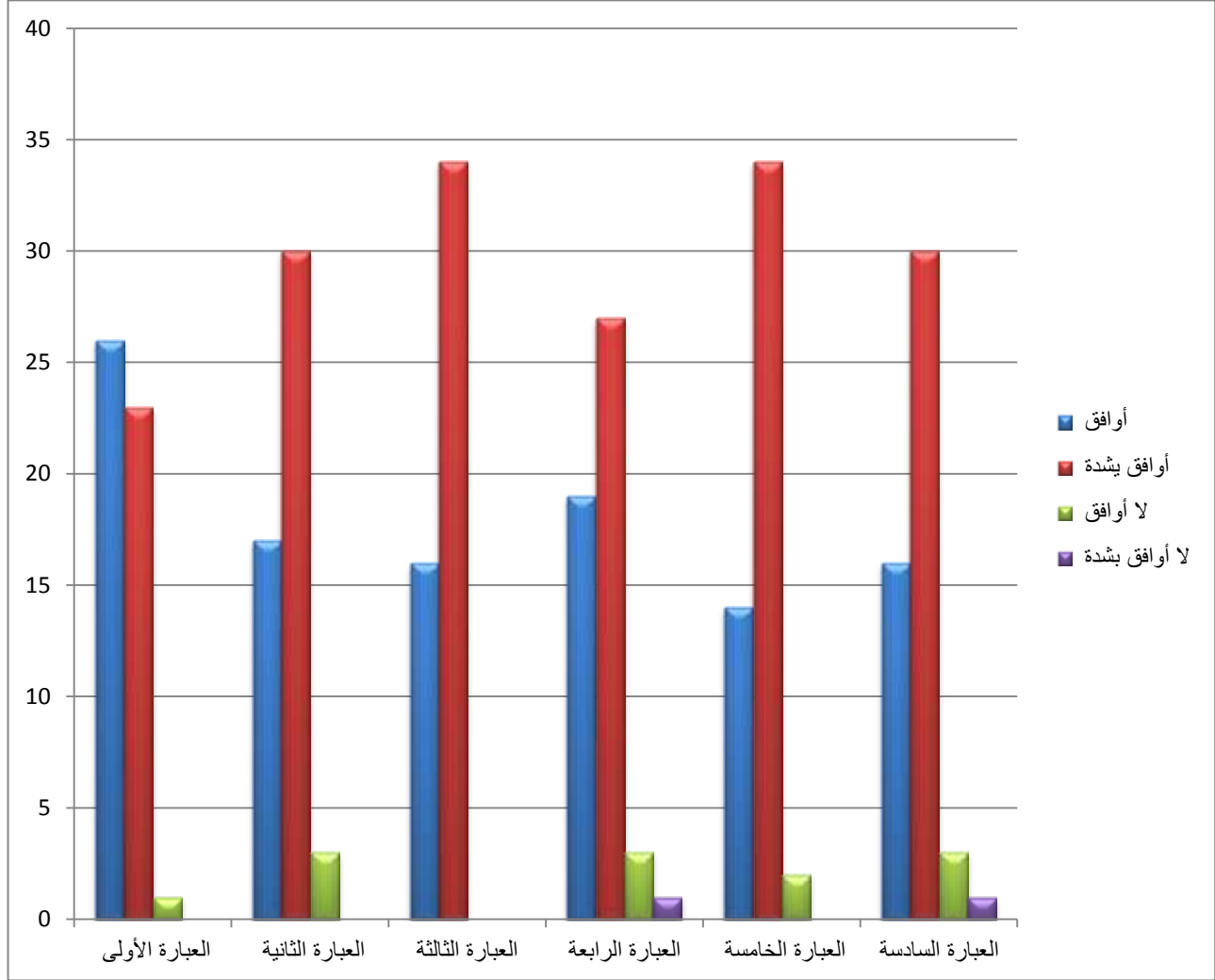
العوامل المؤثرة في اللغة والتي تعزى للطالب

- تمثيل الإجابات بالنسبة المئوية :

العبارات	أوافق	أوافق بشدة	لا	لا أوافق بشدة
امتلاك الطالب لمهارات تدريسية صحيحة تسهم في اكتساب اللغة بشكل صحيح	٥٢%	٤٦%	٢%	٠%
سلامة الطالب من عيوب النطق لها دور فاعل في تعلم اللغة	٣٤%	٦٠%	٦%	٠%
البيئة الصحيحة للتعلم (الأسرة - المجتمع) تؤثر على تعلم اللغة	٣٢%	٦٨%	٠%	٠%
اللهجة المتداولة في المجتمع تسهم في اكتساب اللغة	٣٨%	٥٤%	٦%	٢%
الجو الأسري الملائم يساعد على سهولة تعلم اللغة	٢٨%	٦٨%	٤%	٠%
القدرات العقلية السليمة تؤدي إلى إتقان اللغة في مدة زمنية قصيرة	٣٢%	٦٠%	٦%	٢%

## محور اللغة العربية

- تمثيل عدد الإجابات بالرسم البياني :



## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

ملحق رقم (٣)

❖ العوامل المؤثرة في اللغة والتي تعزى للبيئة الصفية

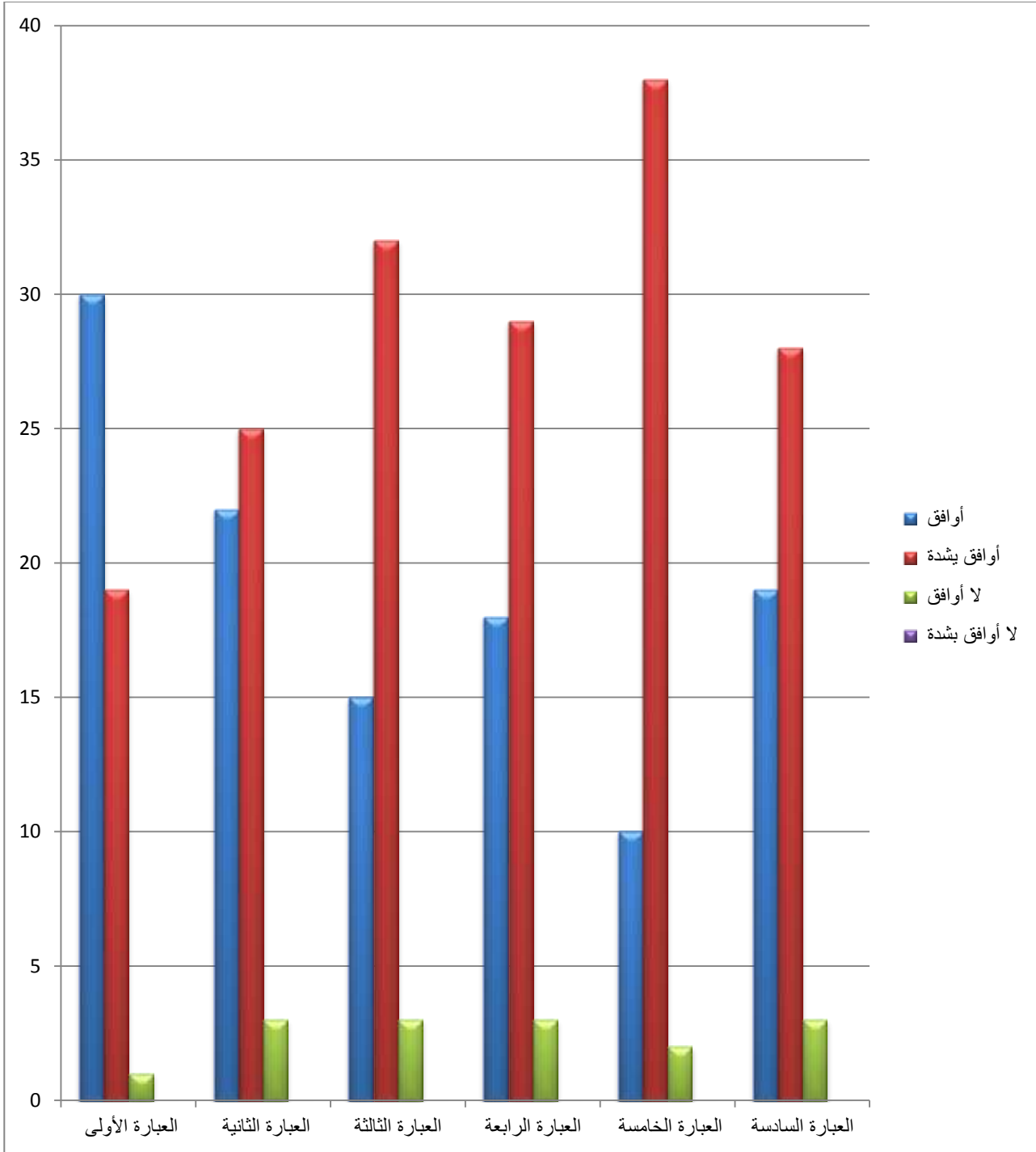
العبارات	أوافق	أوافق بشدة	لا أوافق	لا أوافق بشدة
يساعد المناخ الصفّي الإيجابي على اكتساب اللغة	٦٠%	٣٨%	٢%	٠
البيئة الصفّية ( المادية النفسية) المناسبة تؤدي الى تعلم اللغة الجيد	٤٤%	٥٠%	٦%	٠
التشجيع والتحفيز واستخدام المكافأة بأساليبها المتنوعة تساعد على تعلم اللغة	٣٠%	٦٤%	٦%	٠
الفروق الفردية في المأكات العقلية تؤثر على تعلم اللغة	٣٦%	٥٨%	٦%	٠
التعلم بالممارسة والعمل يؤدي	٢٠%	٧٦%	٤%	٠

## محور اللغة العربية

				إلى تعلم أفضل للغة
٠	%٣	%٥٦	%٣٨	التنوع في أساليب التدريس يساعد على تعلم اللغة بشكل أفضل

- تمثيل عدد الإجابات بالرسم البياني :

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي



الهوامش :

- (١) مجلة الجامعة الإسلامية محمد يعقوب التركساني الصفحة (٥٠٥)
- (٢) علم اللغة النفسي / عبد العزيز بن ابراهيم الرياض جامعة الامام محمد سعود عمادة البحث العلمي الصفحة (٢٥)
- (٣) سيكولوجية اللغة والمرض العقلي / جمعة سيد يوسف الصفحة (١٥-١٧)
- (٤) علم اللغة نشأته وتطوره محمود جاد الرب كلية الآداب - جامعة المنصورة الصفحة (٥-١٠)
- (٥) البيان والتبيين أبو عثمان عمر تحقيق عبد السلام محمد هارون الصفحة (٦٢-٧٠)
- (٦) علم نفس اللغة من منظور معرفي، الحمداني، موفق، الطبعة الثانية، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٧ م الصفحة (٢٠٠)
- (٧) أسس تعلم اللغة وتعليمها، براون، دوجلاس، ترجمة عبده الراجحي وعلي شعبان. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤ م الصفحة (٦٦)
- (٨) البحث اللغوي عند إخوان الصفا / أبو السعود أحمد الفخراني الصفحة (١١٣-١٢٠)
- (٩) <http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=3618> اليوم الثلاثاء ٨ / ٣  
٢٠١٦ م الساعة ٣ ظهرا
- (١٠) علم النفس اللغوي، عطية، نوال محمد، الصفحة (٢٦)

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

- (١١) الموسوعة القرآنية الميسرة الزحيلي وآخرون الصفحة (٢٧٦)
- (١٢) علم اللغة النفسي، منصور، عبد المجيد سيد أحمد، الصفحة (١٣٣-١٣٨)
- (١٣) ينظر علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس جودث جرين ترجمة مصطفى التوني الصفحة (٤٠-٥٥)
- (١٤) العربية وعلم اللغة الحديث الدكتور / محمد داود الصفحة (١٥٣ - ١٥٥)
- (١٥) اللغة والفكر وفلسفة الذهن د / مصطفى الحداد الصفحة (٢٨)
- (١٦) العربية وعلم اللغة الحديث د / محمد داوود الصفحة (١٥٥)
- (١٧) أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن د / نعم تشومسكي الصفحة (٥١٠)
- (١٨) العربية وعلم اللغة الحديث د / محمد داوود الصفحة (١٤٧)
- (١٩) أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن د / نعم تشومسكي الصفحة (٥١٩)
- (٢٠) اللغة والفكر وفلسفة الذهن د / مصطفى الحداد الصفحة (٦٣)
- (٢١) أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن د / نعم تشومسكي الصفحة (٥١٧)
- (٢٢) أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن د / نعم تشومسكي الصفحة (٥٢٠ - ٥٤٠)
- (٢٣) التجريد وعندما يتحدث تشومسكي عن ملكة اللغة بوصفها عضوا ذهنيا ينبهنا إلى أنها ليست عضوا لأننا نستطيع أن نعدّها فيزيائيا ولكي يزداد هذا التصور وضوحا ويشتد بيانه نشير إلى التمييز

## محور اللغة العربية

الذي يقيمه تشومسكي بين بنيات الدماغ الفيزيائية وبنىات الذهن المجردة فهو يرى أن معرفة اللغة يمكن أن تخصص مبدئياً في المستوى الملموس أو المستوى المجرد. (١)

(٢٤) اللغة والفكر وفلسفة الذهن د / مصطفى الحداد الصفحة (٧١)

(٢٥) <https://ar-ar.facebook.com/linguisticskey/posts/638281539534948>

اليوم الأحد ١٠ / ٤ / ٢٠١٦ م الساعة ١٠ مساء

(٢٦) د. معمر تواق الهوارنة ، اضطرابات اللغة والتواصل لدى الأطفال ، ص ٨٥

(٢٧) نادية أمال شرقي ، مقالة اضطرابات الكلام لدى الاطفال ، ١٩. اكتوبر ٢٠١٠

(٢٨) سحر رياض ، تأخر النطق ، مجلة البداية الجديدة ، ١٧/مارس/ ٢٠١٥

(٢٩) د. معمر تواق الهوارنة ، اضطرابات اللغة والتواصل لدى الأطفال ، ص ٨٦

(٣٠) مرجع سابق ، سحر رياض ، تأخر النطق ، مجلة البداية الجديدة ، ١٧/مارس/ ٢٠١٥

(٣١) جمعه سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص ١٥٦

(٣٢) جمعه سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص ١٥٧

(٣٣) د. معمر تواق الهوارنة ، اضطرابات اللغة والتواصل لدى الأطفال ، ص ٦٧

(٣٤) شيماء محمد عطية الجوهري ، رسالة ماجستير فى التربية قسم الإرشاد النفسى بعنوان

"فاعلية التدخل المبكر فى تنمية النمو اللغوى للأطفال ضعاف السمع" ، ٩/ يوليو / ٢٠١٢

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

- (٣٥) مرجع سابق ، جمعه سيد يوسف ،سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص١٥٦
- (٣٦) وهنا يفقد الطفل فرصة المحاكاة اللغوية الصحيحة . وقلة التجارب العامة التي يمر بها الأطفال ، ومن أمثلة ذلك :عدم وجود أطفال آخرين يتحدثون إليهم ويبادلونهم اللغة.
- (٣٧) انشغال الوالدين في ظروف العمل وترك الأطفال لدى مربيات لا يستطعن التكلم بلغة الطفل الأم أو لهجة أخرى ، وهنا يقع الطفل فريسة للتناقض بين ما يسمعه من والديه وما يسمعه من هذه المربية .<sup>(١)</sup>
- (٣٨) جمعه سيد يوسف ،سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص١٥٦
- (٣٩) نادية أمال شرقي ، مقالة اضطرابات الكلام لدى الاطفال ، ١٩. اكتوبر ٢٠١٠
- (٤٠) مرجع سابق ، جمعه سيد يوسف ،سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص١٧٧
- (٤١) خالد توفيق، خميس حسن، صعوبات اللغة والكلام ، ص٧٦
- (٤٢) جمعه سيد يوسف ،سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص١٧٨
- (٤٣) نادية أمال شرقي ، مقالة اضطرابات الكلام لدى الاطفال ، ١٩. اكتوبر ٢٠١٠
- (٤٤) د. معمر تواق الهوارنة ، اضطرابات اللغة والتواصل لدى الأطفال ، ص١٧٧
- (٤٥) فيصل العفيف ، اضطرابات النطق واللغة ، ص٤٦
- (٤٦) فيصل العفيف ، اضطرابات النطق واللغة ، ص٤٦

## محور اللغة العربية

- (٤٧) د. معمر تواق الهوارنة ، اضطرابات اللغة والتواصل لدى الأطفال ، ص ١٨٤
- (٤٨) جمعه سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص ١٨٥
- (٤٩) جمعه سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، ص ١٥٦
- (٥٠) د. معمر تواق الهوارنة ، اضطرابات اللغة والتواصل لدى الأطفال ، ص ١٨٤
- (٥١) نادية أمال شرقي ، مقالة اضطرابات الكلام لدى الاطفال ، ١٩. اكتوبر ٢٠١٠
- (٥٢) فيصل العفيف ، اضطرابات النطق واللغة ، ص ٤٦
- (٥٣) معمر تواق الهوارنة ، دراسة بعض المتغيرات المرتبطة في تأخر نمو اللغة لدى اطفال الروضة ، ص ٦٧
- (٥٤) خالد توفيق ، خميس حسن ، صعوبات اللغة والكلام ، ص ٧٨
- (٥٥) خالد توفيق ، خميس حسن ، صعوبات اللغة والكلام ، ص ٧٩
- (٥٦) سحر رياض ، تأخر النطق ، مجلة البداية الجديدة ، ١٧/مارس/ ٢٠١٥
- (٥٧) د. معمر تواق الهوارنة ، اضطرابات اللغة ولتواصل الظاهرة والعلاج ، ص ١٧٦
- (٥٨) د. معمر تواق الهوارنة ، اضطرابات اللغة ولتواصل الظاهرة والعلاج ، ص ١٧٧
- (٥٩) حامد أحمد سعد الشنبري ، لغة الطفل ، ص ٤٥

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

٦٠ http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=3618 اليــــوم الســــبــــت ١٩ / ٣ /

٢٠١٦م

٦١ بحث بعنوان اتجاهات تعلم اللغة غازي مفلح جامعة أم القرى الكلية الجامعية بالقفزة  
الصفحة ( ٥٠ - ٧٢ )

٦٢ بحث بعنوان الممارسات اللغوية علي القاسمي جامعة مولود معمري تيزي وزو العدد الرابع  
٢٠١١م الصفحة ( ٢٢٧ - ٢٣٧ )

٦٣ مجلة جامعة دمشق / معمر نواف الهوارنة / المجلد ٢٨ العدد الثالث ٢٠١٢م / الصفحة

a. ( ٧٢ - ٢٠٥ )

٦٤ بحث بعنوان أثر العامل النفسي في تغيير دلالات الألفاظ فرهاد عزيز مجلة جامعة كركوك  
للدراسات الانسانية / العدد / ١ المجلد ٨ / ٢٠١٣م الصفحة ( ١ - ٢٠ )

المراجع والمصادر

الكتب المطبوعة والإلكترونية

١. أبو السعود أحمد الفخراني ، البحث اللغوي عند إخوان الصفا ، مطبعة الأمانة  
، الطبعة الأولى، الصفحة ، ١٩٩١م

٢. أبو عثمان عمر تحقيق عبد السلام محمد هارون ، البيان والتبيين ، مكتبة  
الخانجي الطبعة السابعة القاهرة الصفحة ، ١٩٩٨م

## محور اللغة العربية

٣. الحمداني، موفق، علم نفس اللغة من منظور معرفي، الطبعة الثانية، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٧ م
٤. الزحيلي وأخرون ، الموسوعة القرآنية الميسرة، الطبعة الثالثة دمشق دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٤ م
٥. براون، دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها ، ترجمة عبده الراجحي وعلي شعبان ، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤ م
٦. جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة الكويت ١٩٧٨م.
٧. جودث جرين علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس ، ترجمة مصطفى التوني ، كلية التربية جامعة عين شمس الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م
٨. حامد أحمد سعد الشنبري ، لغة الطفل ، الكويت ، عالم المعرفة ، ط٢ ، ٢٠٠٧م
٩. عبد العزيز بن ابراهيم ، علم اللغة النفسي ، الرياض جامعة الامام محمد سعود عمادة البحث العلمي الطبعة ١ ، ٢٠٠٦م.
١٠. علي القاسمي ، الممارسات اللغوية جامعة مولود معمري تيزي وزو العدد الرابع ٢٠١١ م .

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

١١. عبد المجيد سيد أحمد ، علم اللغة النفسي ، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك

سعود .

١٢. عطية، نوال محمد، علم النفس اللغوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧٥ م

١٣. غازي مفلح، اتجاهات تعلم اللغة، جامعة أم القرى الكلية الجامعية بالقفزة.

١٤. علي القاسمي، الممارسات اللغوية ، جامعة مولود معمري تيزي وزو العدد الرابع

٢٠١١ م .

١٥. محمد محمد داوود ، العربية و علم اللغة ، الحديث دار غريب للنشر، ط١

٢٠٠١م،

١٦. محمود جاد الرب ، علم اللغة نشأته وتطوره ، كلية الآداب - جامعة المنصورة ،

دار المعارف ، ط١ ، ١٩٨٥م.

١٧. مروة لاشين ، تأخر نمو اللغة ، أخصائي تخاطب بجمعية كيان ، ٢٠٠٨

١٨. مصطفى الحداد ، اللغة والفكر وفلسفة الذهن ، منشورات جمعية الاعمال والثقافة

لكلية الآداب بتطوان سلسلة دراسات ، د.ت الصفحة ( ٢٨ ) .

١٩. معمر نواف الهوارنة ، اضطرابات اللغة والتواصل لدى الأطفال الظاهرة والعلاج،

، وزارة الثقافة ، دمشق الهيئة العامة السورية للكتاب ، ٢٠١٠م

## محور اللغة العربية

٢٠. منصور، عبد المجيد سيد أحمد، علم اللغة النفسي، الصفحة (١٣٣-١٣٨)
٢١. مورتيمير هانا، ترجمة خالد توفيق، خميس حسن، صعوبات اللغة والكلام، الجيزة، هلا للنشر والتوزيع، ط(1)، ٢٠٠٤م
٢٢. فرهاد عزيز، أثر العامل النفسي في تغيير دلالات الألفاظ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية / العدد / ١ / المجلد ٨ / ٢٠١٣ م .
٢٣. فيصل العفيف، اضطرابات النطق واللغة، ص٤٦.
٢٤. نادية أمال شرقي، مقالة اضطرابات الكلام لدى الاطفال، ١٩. اكتوبر ٢٠١٠
٢٥. نعوم تشومسكي، أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، الصفحة (٥١٧)
- المجلات والجرائد والمقالات
٢٦. سحر رياض، تأخر النطق، مجلة البداية الجديدة، ١٧/ مارس / ٢٠١٥م
- المجلات والجرائد والمقالات
٢٧. شيماء عوض، مجلة البداية الجديدة، ٢٨ - ابريل ٢٠١٥ م، العدد ٧٩
٢٨. مجلة الجامعة الإسلامية محمد يعقوب التركستاني العدد ١٥٤ د / تالصفحة (٥٠٥).

## العلاقة بين الحالة النفسية والأداء اللغوي

٢٩. مجلة العربية للناطقين بغيرها / علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب  
جاسم علي العدد ٧ السنة السادسة ٢٠٠٩م، الصفحة (٢٩-٣٠).

٣٠. مجلة جامعة دمشق ، معمر نواف الهوارنة، المجلد ٢٨ ، العدد الثالث ٢٠١٢ م

٣١.نادية أمال شرقي ، مقالة اضطرابات الكلام لدى الاطفال ، ١٩. اكتوبر ٢٠١٠م

البحوث ورسائل الماجستير

٣٢. بحث بعنوان اتجاهات تعلم اللغة غازي مفلح جامعة أم القرى الكلية الجامعية  
بالقنفذة بحث بعنوان الممارسات اللغوية علي القاسمي جامعة مولود معمري تيزي وزو  
العدد الرابع ٢٠١١م

٣٣. بحث بعنوان أثر العامل النفسي في تغيير دلالات الألفاظ فرهاد عزيز مجلة  
جامعة كركوك للدراسات الانسانية العدد / ١ المجلد الثامن

٣٤. شيماء محمد عطية الجوهري ، رسالة ماجستير في التربية قسم الإرشاد النفسي  
بعنوان "فاعلية التدخل المبكر في تنمية النمو اللغوي للأطفال ضعاف السمع" ، ٩/  
يوليو / ٢٠١٢م

المواقع الإلكترونية

<http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=3618>

اليوم السبت ١٩ / ٣ / ٢٠١٦م

<https://arar.facebook.com/linguisticskey/posts/6382>

اليوم الأحد ٢٠١٦ م الساعة ١٠ مساء

<http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=361>

اليوم الثلاثاء ٨ / ٣ / ٢٠١٦ م الساعة ٣ ظهرا

## دور الدراما التلفزيونية

### في التغير الثقافي للعائلة العراقية

أ.م.د. محمد حمود إبراهيم السهر

جامعة ذي قار-العراق

الفصل الأول

طبيعة الثقافة وماهيتها

تعني الثقافة في نظر علماء الاجتماع جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة. ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل، وتمثل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع. وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مضمرة غير عيانية مثل: المعتقدات، والآراء، والقيم التي تشكل المضمون الجوهرية للثقافة، ومن جوانب عيانية ملموسة مثل: الأشياء والرموز أو التقانة التي تجسد هذا المضمون. (١) وتتميز المجتمعات بصفات مشتركة منها أن ثمة بنية من العلاقات الاجتماعية تنظم أعضائها وتنظمهم وفقاً لتوجهات ثقافة فريدة ومتميزة. ولا يمكن أن توجد ثقافات من دون مجتمع، كذلك لا يمكن أن توجد مجتمعات بدون ثقافات. فالثقافة وحدها هي التي تحولنا إلى بشر وترتقي بنا إلى المستوى الإنساني، وبغير

بصفة أولية.ومن خلال هذه النظرة في العلم الاجتماعي المعاصر، فالثقافة هي المجال المتبقي بعد إزالة كل أشكال السلوك الإنساني الذي يمكن إخضاعه للملاحظة، لأنها تكون الجوانب الداخلية وغير المرئية في الحياة الفكرية للبشر، إنها نوع من الإحساس الجمعي الذي يصعب تخيله كما هو بالنسبة لفكرة الهدف الجمعي أو نوعاً من القيم المشتركة والحقائق المتداخلة بصفة شخصية. لقد ورثت عن ماركس فكرة إن الثقافة هي إحدى مظاهر البناء الفوقي وإنها انفصلت عن العناصر الموضوعية التي تؤلف البناء التحتي الاجتماعي، إلا وهي وسائل الإنتاج والعلاقات الاجتماعية. أما من وجهة النظر الفيبرية

الثقافة، لن تكون لنا لغة نعبر بها عن أنفسنا، ولا إحساس بالوعي الذاتي، كما أن قدرتنا على التفكير والتحليل ستكون محدودة وشبه معطلة. (٢) إن التعقد والتشعب والتنوع يفرض على الباحثين إتباع المناهج والمداخل المتعددة الأبعاد في التحليل الثقافي، وهذا يتطلب بدوره اتساع أفق الباحث أو المدارس ومخيلته، لأن التحليل الثقافي يستلزم تناول موضوعات متنوعة أشد التنوع مثل اللغة والهوية والتاريخ والفن والإعلام والأدب والموسيقى، بل والنظم السياسية والاقتصادية والفلسفة والإيديولوجيات المختلفة وغيرها من المجالات. (٣)

إن الثقافة تتكون من الأفكار والحالات الذهنية والمشاعر والمعتقدات والقيم

نظري يأخذ بعين الاعتبار عمليات الاتصال التي تؤدي إلى الإجماع على القيم، ويأمل أن تعيد القيم إلى ميدان البحث العلمي الاجتماعي ليس كأهداف يمكن الحكم عليها بالإشارة إلى الحقيقة المطلقة ولكن كأهداف يمكن أن تختبر فيها عملية التفاوض. ويدرك هابرماس ومثله في ذلك فيبر أشكال التفاهم الذاتية المتبادلة المشتركة بين الناس في تفاعلهم مع بعضهم بعضاً، ففي رأي فيبر أن وجود هذا الفهم أو الاتفاقات الضمنية كان هو السبب في التأكيد على الفهم التعاطفي العميق بين العالم الاجتماعي والأشخاص موضوع الملاحظة. لقد اهتم هابرماس بشكل قاطع بعمليات الاتصال

فإن الثقافة تعتبر إحدى موضوعات الأخلاق أو الروح وإنما تختلف بذلك عن الأوضاع الاجتماعية المحسوسة والملموسة، التي تتضمن الطبقات الاجتماعية والدولة والتكنولوجيا. وعن طريق دوركايم تطورت فكرة إن الثقافة هي مجموعة المعتقدات المشتركة. ثم يأتي بارسونز ليعين أنه يجب الفصل بين النسق الثقافي والنسق الاجتماعي على اعتبار أن النسق الثقافي يبدو أنه لا يتألف من أكثر مما يؤكد العلماء الاجتماعيون عن القيم الجمعية، بينما يمثل النسق الاجتماعي النظام العقلي لعالم التفاعل الاجتماعي. (٤)

لكن عالم الاجتماع الألماني المعاصر يورجين هابرماس يرغب في بناء منظور

الاتصالي. إن الفعل الاتصالي تحكّمه قواعد ضمنية تتحكم في تفاصيل النزاع من خلال رؤى العالم أو أنماط الفكر وعن طريق نظرة الأفراد والجماعات إلى ذواتهم، وهذه هي المادة الأولية التي تؤلف الثقافة في المحل الأول.

ويحدد هابرماس الثقافة بأنها منظومة من المعاني الذاتية التي يعتنقها الأفراد عن أنفسهم وعن العالم المحيط بهم. ولكي يمكن فهم المعاني التي يلحها الأفراد بالأشياء والأحداث فإن الشخص الذي يقوم بالتحليل يتعين عليه أن يُعيد بناء المُدركات الذاتية في مواقف محددة، ويكتشف المفاهيم السائدة والمشاركة بين الأفراد في ذلك الموقف والتي يأخذها هؤلاء الأفراد كأمر مسلم

التي تعطي المحتوى السيكولوجي لهذه المفاهيم الضمنية المطلقة. (٥)

ويرى هابرماس إن مفتاح التقدم إلى ما وراء قيود الفعل الهادف ألقصدي العقلاني هو التركيز على الاتصال، وفي رأيه فإن شبكة العلاقات الذاتية القائمة بين الناس هي التي تساعد على قيام الحرية والاعتماد المتبادل، وهذه الشبكة من العلاقات تتدخل بالضرورة في توزيع منتجات العمل وفي توفير الأساس الذي تستمد منه القيم وجودها واستيعابها من الناس، وكذلك توفير الشروط الضرورية للوصول إلى اتفاق حول الأهداف الجماعية، وهذا الاهتمام بالاتصال والأساس الذي يقوم على التمييز بين الفعل الهادف العقلاني والفعل

المجال بحيث يحكم عليه بأنه ذو معنى  
وبأنه مؤثر بقدر ما يمثل الحقيقة الواقعية  
تمثيلاً صادقاً.

٢- عالم المجتمع الذي يشمل  
النظام المألوف الخاص بالعلاقات بين  
الأشخاص والنظم والعادات والقيم التي  
يربطها العلماء الاجتماعيون عامة بفكرة  
المجتمع، ويمكن للفاعل أن يدرك هذا كله  
كأشياء خارجية أو ببساطة يُسلم بها  
جدلاً كلاماً للحياة تدخل في منظور  
الفاعل، وتتكون كل حالة من معايير  
موجودة مسبقاً أو أنماط رمزية للأشياء  
التي تولدت خلال عمليات التفاعل  
والمماثلة الاجتماعية (على سبيل المثال  
مفهوم الدولة، قيمة الحرية، مشاعر الحب)

بها، وهذه أمور ليست صعبة فحسب  
ولكنها أيضاً غير تراكمية بالضرورة نظراً  
لاختلاف المواقف إحداها عن الأخرى.  
إن المعاني والقواعد التي يتم بناء  
المعاني بمقتضاها تختلف من موقف  
لآخر، إذا يستحيل إقامة قوانين عامة  
تصف تكوين المعاني. (٦) كما ويميز  
هابرماس بين أربعة أنماط من الشروط  
المؤثرة في فعالية الاتصال وكل منها  
يمثل ميداناً متميزاً للحقيقة والواقع:-

١- عالم الطبيعة الخارجية الذي  
يتألف من كل الأشياء الحية وغير الحية  
التي يسهل الوصول إليها عن طريق  
الإدراك الحسي، وهذا الميدان يكون عالم  
الأشياء التي يمكن أن نتناولها، ويتأتى أي  
فعل للاتصال بعلاقته الرمزية بهذا

ما هو مهم ومُحبذ ومرغوب في المجتمع. وهذه الأفكار المجردة أو القيم هي التي تضيف معنى محددًا، وتعطي مؤشرات إرشادية لتوجيه تفاعل البشر مع العالم الاجتماعي. أما المعايير فهي قواعد السلوك التي تعكس أو تجسد القيم في ثقافة ما، وتعمل القيم والمعايير سوية على تشكيل الأسلوب الذي يتصرف به أفراد ثقافة ما إزاء ما يحيط بهم. وتتفاوت القيم والمعايير وتختلف اختلافًا بيناً من ثقافة إلى أخرى. بل إن القيم قد تتناقض في المجتمع أو الجماعة الواحدة. وكثيراً ما تتغير القيم والمعايير بمرور الزمن. (٨)

إن من شأن المعايير والقيم الثقافية أن تتوطن وترسخ في نفوس الناس، فكثيراً من تصرفاتنا وعاداتنا اليومية تستظل

والحقيقة أن أي فعل للاتصال يأخذ مكاناً في العلاقة لهذا المجال.

٣- العالم الداخلي للشخص الذي يقوم بعملية الاتصال الذاتية، ويشمل هذا المجال المشاعر والرغبات والمقاصد والنوايا.

٤- مجال الاتصال داخل اللغة، ونتيجة لذلك فإن فاعليته تعتمد إلى حد ما، على اللغة كوسيط للقدر الذي يجعل الفعل الاتصالي مطابقاً للقواعد النحوية ودلالات الألفاظ والإعراب للغة التي يتم التعبير بها. (٧)

القيم والمعايير:

من العناصر الجوهرية في جميع الثقافات هي منظومة الأفكار التي تحدد

والتغيير. إن الثقافات الفرعية والثقافات المضادة التي ترفض القيم والمعايير السائدة في المجتمع قد تشجع ظهور الآراء والاتجاهات التي تطرح بدائل للثقافة المهيمنة. والحركات الاجتماعية والجماعات التي تشترك في المواقف أو في أسلوب الحياة تمثل قوة فاعلة مؤثرة دافعة للتغيير في المجتمعات. وعلى هذا الأساس، فإن الثقافات الفرعية تتيح للناس الحرية للتعبير عن آرائهم والسعي إلى تحقيق ما يحملونه من تطلعات ومعتقدات. (١٠)

التنشئة الاجتماعية:

تتجسد الثقافة في الجوانب الاجتماعية المتعلمة غير الموروثة. ويطلق مصطلح التنشئة الاجتماعية على العملية التي

وتستهدى بمعايير ثقافية، وذلك ما نلاحظه في سياق التفاعل الاجتماعي الذي نقوم به في حياتنا اليومية حيث تتأثر الحركات والإيماءات والتعبيرات بعوامل ثقافية. ولا يقتصر الاختلاف بين الثقافات على المعتقدات الثقافية، إذ تُظهر المجتمعات البشرية درجات مشهودة من التنوع في الممارسات وأنماط السلوك، كما تتباين أشكال السلوك بشكل واسع بين ثقافة وأخرى. وتمثل الخصائص السلوكية المختلفة جانباً من الفروق الثقافية الواسعة التي يمتاز بها مجتمع ما عن آخر. (٩)

تلعب الثقافة دوراً مهماً في الحفاظ على القيم والمعايير في المجتمع، غير أنها تفسح المجال كذلك للابتكار

والطفولة، وتعتبر هذه هي الفترة التي يصل فيها التعلم الثقافي أقصى درجات الكثافة. إذ إن الأطفال يتعلمون فيها اللغة وأنماط السلوك الأساسية التي تشكل الأساس لمراحل التعليم والتعلم اللاحقة. وتكون العائلة هي الفاعل المؤثر الأبرز والأكثر أهمية في هذه الفترة. أما التنشئة الثانوية، فتحدث في فترة لاحقة من الطفولة، وتستمر حتى سن البلوغ. وتدخل الساحة في هذه المرحلة عوامل فاعلة أخرى تتولى بعض الأدوار والمسؤوليات التي كانت تقوم بها العائلة. ومن جملة هذه العوامل المدارس وجماعات الأقران والمؤسسات ووسائل الاتصال و الإعلام إلى أن تنتهي بمواقع العمل. وفي هذه السياقات كلها، تُسهم

يتعلم بها الأطفال أو الأعضاء المستجدون في المجتمع أساليب الحياة في مجتمعهم. وتعد التنشئة الاجتماعية هي الوسط الأول والقناة الأساسية التي يجري فيها نقل الثقافة وانتقالها على مدى الأجيال. والتنشئة الاجتماعية هي التي تصل الأجيال بعضها ببعض. (١١)

كثيراً ما يتحدث علماء الاجتماع عن التنشئة الاجتماعية باعتبارها تمر بمرحلتين عريضتين، وتشمل عدداً من العوامل الفاعلة المؤثرة في التنشئة. وتشتمل هذه العوامل الفاعلة على الجماعات أو السياقات الاجتماعية التي تجري فيها عمليات التنشئة المهمة. وتجري التنشئة الاجتماعية الأولية في مرحلتها الرضاعة

تحفظ سجل الأحداث الماضية وتدرك أن لها تاريخاً وذاكرة جمعية. (١٣)  
المؤثرات الثقافية:

تعتبر العلوم من جملة العوامل الثقافية الرئيسية التي أثرت في عملية التغيير الاجتماعي في المرحلة الحديثة، فلقـد أسهم تطور العلوم وعلمنة الفكر في تنمية النظرة النقدية الابتكارية في عالمنا الحديث. إذ إننا لم نعد نفترض أننا سنقبل بالعادات والتقاليد لمجرد أنها قد تحدرت أو نُقلت إلينا عن طريق التقاليد المتوارثة عن السلطة. إن تصوراتنا المثالية عن الحياة الفضلى، والحرية والمسـاواة والمشاركة الديمقراطية هي كلها من نتاج القرنين أو الثلاثة الماضية. (١٤) وهكذا فإن مفهوم الثقافة يعتبر من أهم الأفكار

التفاعلات الاجتماعية في تعليم الفرد منظومات القيم والمعايير والمعتقدات التي تشكل الأنماط والعناصر الأساسية في الثقافة. (١٢)

عوامل التغيير الاجتماعي

العوامل الثقافية:

قد يكون الدين قوة محافظة أو حافزاً على الابتكار في الحياة الاجتماعية. وقد قامت بعض أشكال العقائد والممارسات الدينية بدور كابح للتغيير بتأكيداتها في المقام الأول على ضرورة التمسك بالقيم والشعائر التقليدية. وتُعتبر طبيعة نظم الاتصالات من العوامل الثقافية المهمة الأخرى التي تؤثر في طبيعة التغيير وسرعته، فالشعوب التي تعرف الكتابة

والجماعات فإنها لا بد أن تتعرض للتغيير والتغير مع مرور الوقت. وتنتسج المعقّدات والممارسات الثقافية بدرجة عالية من التنوع. ويدل مفهوم التمركز الاثنوي على نزوع الفرد أو الجماعة إلى الحكم على الثقافات الأخرى بمقارنتها مع ثقافته الخاصة. ويميل علماء الاجتماع إلى انتهاج النسبية الثقافية بدراسة كل ثقافة على أساس شروطها الخاصة وما تنطوي عليه بحد ذاتها من معانٍ وقيم. إن البشر يتعلمون خصائص الثقافة ومدلولاتها عبر عملية التنشئة الاجتماعية. والعوامل الفاعلة في مجال التنشئة الاجتماعية تتمثل في المجموعات والسياقات الاجتماعية التي تجري فيها عمليات التنشئة

والموضوعات التي يتناولها علم الاجتماع. فالثقافة تعني أساليب الحياة التي يعيشها أفراد مجتمع ما أو جماعات محددة في هذا المجتمع. فهي تشمل الآداب والفنون واللباس والعادات والتقاليد وأنماط العمل والمعتقدات والشعائر الدينية.

إن القيم هي أفكار مجردة تحدد ما يُعتبر مهم ومحبذ ومرغوب في ثقافة معينة. بينما المعايير هي قواعد السلوك التي تعبر عن القيم الثقافية. فالقيم والمعايير تعلمان سويًا على تشكيل أنماط السلوك للأفراد في المجتمع، والتي يتعين عليهم انتهاجها إزاء ما يحيط بهم على العموم. ومع أن القيم والمعايير تترسخ في أعماق شخصيات الأفراد

والجدة بنسبة كبيرة في العديد من عائلات المجتمع العراقي، لكن مع غياب واضمحلال مستمر لأشكال العائلة القديمة المتمثلة بالمعقدة Complex والممتدة Extended، فالعائلة النووية هو الشكل الذي بدأ يفرض نفسه في المجتمع العراقي منذ العقود الثلاثة الماضية، مع حجم متوسط يتراوح بين ٦-٧ أفراد للعائلة الواحدة.

ومع غياب تام أو شبه تام لوجود السينما والمسرح خلال الثلاثة عشرة عاماً الماضية في المحافظات العراقية كافة، ما عدا محافظات إقليم كردستان، (\*) فإن التلفزيون أصبح ومنذ بدأ دخول البث الفضائي للعراق بعد العام ٢٠٠٣، أصبح النافذة الرئيسية للعائلة العراقية للإطلاع

المهمة. وتنشئة الطفل هي التي يصبح فيها الطفل عاجز-تدريجياً ومن خلال اتصاله بالآخرين كائناً بشرياً مُدركاً لذاته وعارفاً ومُلماً بالأساليب وأنماط السلوك المتبعة في ثقافة ما. (١٥)

## الفصل الثاني

تأثير الدراما التلفزيونية في العائلة العراقية

يُمكن تعريف الدراما التلفزيونية بأنها عملية تحويل القصص والروايات الواقعية منها والمتخيلة إلى أحداث مُجسدة تلفزيونياً بالصوت والصورة. أما تعريف العائلة العراقية فهي المجموعة التي تتكون بصورة رئيسة في الوقت الحاضر من الأب والأم والأطفال، مع وجود الجد

أولاً- مراحل تطور مشاهدة التلفزيون في العراق: يمكننا تتبع مراحل تطور مشاهدة التلفزيون في العراق كالآتي:-

١- يُعد التلفزيون العراقي من أقدم المؤسسات التلفزيونية في المنطقة العربية، حيث تأسس في العام ١٩٥٦، وبذلك فقد سبق التلفزيون المصري بأربعة أعوام، إذ لم يتأسس هذا الأخير إلا في العام ١٩٦٠، كذلك فقد سبق تلفزيون العراق لتلفزيونات الأقطار العربية كافة دون استثناء.

٢- يُعد تأسيس التلفزيون العراقي في العام ١٩٥٦ دليلاً واضحاً على دخول العراق معترك الثقافة والمعرفة المعاصرة التي كانت سائدة في أوربا وأمريكا. وقد جاء تأسيس التلفزيون العراقي في وقت

على الأحداث السياسية والاقتصادية والرياضية، وكذلك فهو النافذة الوحيدة للتسلية وقضاء الساعات الطويلة خصوصاً في ظل الوضع الأمني الذي كان متأزماً بدرجة ما خلال السنوات المنصرمة ٢٠٠٣-٢٠١٥. ومما لا شك فيه أن أجيالاً من الفتيان والفتيات من مواليد الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي قد تأثروا وهم في أعمار الطفولة المتأخرة والصبا والشباب، تأثروا كثيراً بالدراما التركية والهندية المدبلجة بالدرجة الأساس والسورية والمصرية والخليجية بالدرجة الثانية، تأثراً إيجابياً وسلبياً، لكن النوع الثاني منه هو الظاهر للعيان والذي سوف نناقشه في هذا البحث.

التدريجي طوال العقد الثاني ١٩٦٦-  
١٩٧٦، حتى صار يزحف نحو القرى  
والأرياف بشكل ملحوظ بعد تحسن  
الاقتصاد العراقي بشكل كبير في  
النصف الثاني من عقد السبعينات من  
القرن الماضي نتيجة تأمين النفط، لكن  
وبعد العام ١٩٧٦ صار التلفزيون النافذة  
الأولى والمهمة بيد الدولة العراقية لأدلجة  
الوعي الشعبي العراقي بأفكار حزب  
البعث الذي كان يقود العراق، ثم بترسيخ  
وتكريس صورة الزعيم الكرزمي الذي  
تمثل بشخصية الرئيس العراقي السابق  
صدام حسين عندما كان نائباً للرئيس. وقد  
قام هذا الزعيم بنفسه في العام ١٩٧٨  
بعملية توزيع أجهزة التلفزيون اليابانية نوع  
توشيبا ١٨ عقدة مجاناً على سكان القرى

سابق على دول عربية متقدمة في  
المعرفة كمصر وسوريا ولبنان نتيجة  
البحبوحة المالية التي كان قد بدأ العراق  
بجنيها من النفط بعد اتفائه مع شركات  
النفط الكبرى، والذي تمخض عن  
حصوله على نسبة ٥١% من عائدات  
النفط العراقي، الأمر الذي أسهم في  
تأسيس مجلس الإعمار وانتشار  
المؤسسات الثقافية الحديثة الرسمي منها  
بصورة خاصة كمؤسسات التربية والتعليم  
وكذلك الإعلام الذي كان إعلماً مملوكاً  
للدولة وممنهجاً ليتلائم مع سياسة الدولة  
وبرامجها السياسية.

٣- ظل التلفزيون يمثل جهاز النخبة  
من العائلات العراقية طوال عقد كامل  
١٩٥٦-١٩٦٦، ثم بدأ بالانتشار

للجميع، وبرامج فنية مثل برنامج عدسة الفن، كذلك يضم فترات غنائية لمطربين عراقيين وعرب، وينتهي البث بمادة السهرة التي تكون عبارة عن مادة درامية عربية تتمثل بالمسلسلات والأفلام، وأجنبية تتمثل بفيلم أجنبي. وكانت مواعيد هذه المواد تبث بشكل رتيب أسبوعياً، فمثلاً مادة الأفلام العربية كانت تبث في مساء الخميس وما بعد ظهيرة الجمعة، والفيلم الأجنبي يُبث في مساء الأحد.

٥- نتيجة لسياسة الدولة التي كانت تقوم على عقيدة الحزب الواحد وعسكرة الشعب، فأن المجتمع العراقي لم يعيش حياة استهلاكية شبيهة بحياة المواطن في دول الخليج، على الرغم من أنه بلد يعتمد الريع النفطي مثل البلدان المشار

في أقصى الأهور العراقية بعد عملية إيصال الكهرباء إليها، كذلك قامت الدولة العراقية في نفس العام بتوزيع أجهزة تلفزيون ملونة ٢١ عقدة مجاناً على كافة المقاهي في النواحي والأقضية ومراكز المحافظات العراقية. ومنذ العام ١٩٨٠ أصبح جهاز التلفزيون أحد أهم مفردات ومقتنيات البيت العراقي.

٤- كانت برامج التلفزيون العراقي محددة وفق برنامج واضح يبدأ من السادسة مساءً وينتهي بحدود الواحدة بعد منتصف الليل، يتضمن نشرة إخبارية رئيسية في الثامنة مساءً، بالإضافة إلى برامج رياضية كالرياضة في أسبوع ونقل بعض المباريات المحلية والعالمية المهمة، وبرنامج علمية كبرنامج العلم

تتخللها أحاديث وخطب وبشكل يومي تقريباً، وكذلك أخبار الحرب ونتائج المعارك التي كانت دائرة داخل الأراضي الإيرانية حتى ربيع ١٩٨٢.

٧- كانت الحرب تقدم دراما حقيقية للمشاهد العراقي، فبرنامج صور من المعركة كان ينقل صور حقيقية من أرض المعركة حيث جثث القتلى المتعفنة على شواطئ الأنهار، أو الجنود المكسرين على بعضهم وهم في داخل حافلة عسكرية وبكافة معداتهم الحربية مما يشير إلى تعرضهم إلى هجوم كيميائي جعلهم يموتون بهذه الطريقة. وكان صوت المعلق الفلسطيني أديب ناصر يرافق هذه الصور وهو يقول (هذه جثثهم). ولقد أسهم عرض الصور

إليها، وقد أدى ذلك إلى تأخر انتشار أجهزة التلفزيون الملونة على المستوى الشعبي حتى العام ١٩٨٠، ففي ذلك العام وبعد اندلاع الحرب مع إيران مباشرة أغرق السوق العراقي بأحدث أجهزة التلفزيون الملونة ذات الماركات العالمية الرصينة وبالأخص اليابانية منها.

٦- مع بداية الحرب تمددت ساعات البث التلفزيوني لتصل إلى ١٢ ساعة يومياً بدلاً من سبعة ساعات، كذلك فقد ازدادت فترات البرامج السياسية التي كانت تشتمل بالدرجة الأساس على أخبار الزعيم وتنقلاته في المدن والقرى العراقية أو زيارته الميدانية للقطعات العسكرية أو اجتماعاته التي كانت

التعبوية وتمجيد الزعيم القائد والحزب الواحد. وقد ازدادت ساعات البث التلفزيوني مع زيادة في نسبة عرض المواد الدرامية، فمثلاً أصبح عرض المسلسل العربي الذي هو مصري في العادة ويتكون في الغالب من ثلاثة عشر حلقة، مدة الحلقة الواحدة خمسة وأربعون دقيقة دون قطع بمادة إعلانية، أصبح عرض مثل هذه المسلسلات يتم في أسبوعين بمعدل عرض حلقة واحدة في كل يوم بدلاً من قضاء ثلاثة عشر أسبوع في متابعة أحداثه عندما كان يعرض على شكل حلقة واحدة في كل أسبوع.

٩- سيطرت موضوعات الحرب والجنس والخيانة والجريمة على طبيعة

المأساوي هذا في نشوء ثقافة جديدة في المجتمع العراقي هي ثقافة الموت والاستهانة بالحياة في ظل شعارات حزبية وحكومية تكرر هذه الحالة مثل: بالروح بالدم نفديك يا صدام، وكلنا مشاريع استشهادية، وكل الشعب رهن إشارة القائد، ونموت نموت ويحيى الزعيم، وغير ذلك.

٨- وللتغطية على آثار الحرب الطويلة التي بدأت تصوغ حياة أكثر سوداوية نتيجة ازدياد أعداد القتلى والجرحى والأسرى والمفقودين، يقابله ازدياد مضطرب في أعداد الأيتام والأرامل وظهور حالات التفكك الأسري بشكل واضح وكبير، استخدمت الدولة جهاز التلفزيون كأداة مهمة في تمرير سياساتها

مريرة تمثلت بحربين طاحنتين وحصار لا تعرف له نهاية. وهكذا تم تبرئة الدولة من مسؤولية هذه الأحداث الجسيمة، وبدأت عملية تنقيف جديدة تقوم على أن ما جرى في العراق منذ أيلول ١٩٨٠، إنما هو أمرٌ من الله وفق مبدأ سياسي قديم كانت تستخدمه الدولة العربية الإسلامية في العصور الوسيطة هو مبدأ الجبر الإلهي، هذا المبدأ الذي التجأت إليه الدولة العراقية بعد أن نزعت عنها عباءة التقدم التي كانت ترتديها والتي كانت تعتبر بموجبها كل من المؤسسات الدينية والعشائرية مؤسسات رجعية تقف في طريق التقدم الذي يقوده الحزب القائد. وهكذا بدأ المواطن العراقي يتعود على حالة النقشف في الدراما بالتزامن

هذه المواد المعروضة، العربي منها بشكل أساس والمتمثل بالأفلام والمسلسلات المصرية، والأجنبي المتمثل بالأفلام الأجنبية. وقد تناغمت واندمجت الأفكار التي كانت تصل عبر هذه المواد الدرامية مع ما كان يعيشه المجتمع العراقي من تغيرات في النظام القيمي نتيجة إفرزات الحرب الطويلة التي لم يكن يلوح في الأفق أية نهاية لها.

١٠- وفي عقد التسعينات استبدلت حالة الحرب الطويلة بحالة الحصار الطويل، وتحول الزعيم من قائد النصر والسلام إلى قائد الحملة الإيمانية التي كانت تهدف إلى إشاعة ثقافة الخضوع والاستسلام لإرادة السماء التي قضت بتعرض الشعب العراقي العظيم لتجارب

استفاد التلفزيون المشار إليه من عملية البث الفضائي الذي بدأ بالانتشار في الشرق الأوسط بعد انتهاء حرب الخليج الثانية، وكان هذا التلفزيون يستنسخ البرامج الدرامية التي تبث في القنوات الفضائية العربية ثم يعيد عرضها على الجمهور العراقي بعد أن يضع علامته في أعلى الشاشة. وهكذا صارت وفرة في عرض أحدث المواد الدرامية الأجنبية منها كالأفلام العالمية والمسلسلات المدبلجة، والعربية التي ظلت مصر هي المورد الرئيس لها سواء أكان ذلك في الأفلام أو المسلسلات أو المسرحيات، بالإضافة إلى عرض مسلسلات مكسيكية ومن أمريكا الجنوبية تجاوزت بعضها المائة حلقة، وكانت هذه

مع حالة التقشف المريرة التي كانت تعيشها الأغلبية الساحقة من هذا المجتمع. لكن تغيراً سرعان ما طرأ من خلال قيام النجل الأكبر للزعيم بإنشاء محطة تلفزيونية كسرت التقليد المتبع في هذا البلد من خلال الجرأة في عرض المواد الدرامية الحديثة من أفلام ومسلسلات وأغاني، مع ظهور لقطات جنسية واضحة ومؤثرة. وأصبح هذا التلفزيون الذي سُمي بتلفزيون الشباب مصدر تسلية رئيسة للعائلة العراقي.

١١- مع بداية تلفزيون الشباب الذي لم يكن يلتقي مع القناة الرسمية للدولة إلا في نشرات الأخبار وعرض نشاطات القائد والقيادة، ازدادت ساعات البث التلفزيوني لتصل إلى عشرين ساعة. وقد

مصادرها، وقد أصبح قادراً على الاختيار من بين ما يرغبه من هذه المواد ومنها المواد الدرامية موضوع بحثنا.

١٣- بدأت في العقد الماضي ظاهرة انتشار المواد الدرامية من غير مصدرها الرئيس الذي كانت تحتكره مصر، وهكذا تعرف المشاهد العراقي على ثقافة ولهجات أقطار عربية غير مصر مثل سوريا والخليج. ثم لحقتها ظاهرة انتشار المسلسلات التركية المدبلجة باللهجة السورية، تلا ذلك انتشار المسلسلات الهندية المدبلجة باللهجات الخليجية، بينما ظل الإنتاج العراقي دون الطموح في ظل المنافسة القوية جداً بين هذا التنوع في الإنتاج التلفزيوني الذي كان يبلغ ذروته في شهر رمضان من كل عام.

المسلسلات تبث بشكل يومي وتعالج قضايا حميمة وخطيرة جداً تتعلق بالجنس والجريمة بشكل رئيس.

١٢- ظل البث الفضائي ممنوعاً في العراق حتى مجيء الاحتلال الأمريكي وسقوط النظام الديكتاتوري في ٩ نيسان ٢٠٠٣. بعد ذلك اجتاحت السوق العراقي أجهزة وأطباق نقل القنوات الفضائية، وهكذا تمكن المواطن العراقي في داخل الوطن ولأول مرة منذ عقود أن يشاهد وهو جالس في منزله برامج متنوعة سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية ورياضية لم يكن لدولته يد في صياغتها. وطوال الثلاثة عشر عاماً الماضية شاهد المواطن العراقي مئات المواد والبرامج على مختلف

المشاهد وتتجسد في شعوره ولا شعوره، ثم العمل على تمثيلها لاحقاً في السلوك الفردي والاجتماعي الحقيقي الذي بدأ ينتشر في العراق والأقطار العربية بصورة ملحوظة.

١٥- مع انتشار وسائل الميديا المتنوعة في العراق والأقطار العربية المختلفة في العقد الأخير مثل الإنترنت والموبايل ودورهما الكبير في تغيير بعض جوانب النظام القيمي، إلا أن التلفزيون يبقى الوسيلة الأكثر تأثيراً في الوقت الحاضر في المجتمع العراقي بصورة عامة والعائلة العراقية بصورة خاصة، وذلك في ظل محدودية الخيارات الأخرى المتوفرة حالياً والتي لو كانت

١٤- تناولت الأعمال الدرامية التي بدأت العائلة العراقية بمشاهدتها بعد العام ٢٠٠٣، موضوعات جريئة لم يكن من المتوقع مشاهدتها، مثل العلاقات الجنسية غير الشرعية، والاعتصام الجنسي، والعلاقات المحرمة بين الأقارب، وأدق تفاصيل العلاقات الحميمة بين الأزواج، والعلاقات الجنسية بين الخطيبين قبل أتمام مراسم الزفاف، والخيانة الزوجية ليس فقط من قبل الزوج وإنما كذلك من قبل الزوجة، وتفاصيل القتل بمختلف أدوات العنف كالذبح وإطلاق النار والشنق والرمي من سطوح البنايات والدهس بالسيارات، وغير ذلك من المشاهد التي صارت تترسخ في وعي ولا وعي

تخلف عندما يعجز الجانب المعنوي عن مسايرة الجانب المادي، فالثاني (المعنوي) يسير بسرعة متباطئة لا تتناسب مع سرعة الأول (المادي)، وذلك بسبب صلابة وقوة ورصانة أنظمة الأفكار والقيم والعادات القديمة لدى المجتمعات المتخلفة بصورة عامة، بينما تستطيع هذه المجتمعات الحصول على آخر المنتجات المادية المتطورة التي تنتجها مجتمعات أخرى. وهكذا نرى كيف أن المجتمعات العربية لا زالت متعلقة ومشدودة بالماضي فيما يخص الجانب المعنوي من الحضارة في الوقت الذي تستخدم فيه أحدث منتجات التكنولوجيا.

وفي المجتمع العراقي الذي تعرض لمجموعة من النكبات الكبيرة تمثلت

خيارات كثيرة لساهمت في الحد من ساعات المشاهدة اليومية.

ثانياً- أهم الجوانب الثقافية التي تأثرت بالدراما التلفزيونية:

تناولنا الثقافة على أنها المجموعة المعقدة والمركبة من العادات والتقاليد والأفكار والقيم والمعتقدات والفنون التي تميز مجتمع من المجتمعات دون سواه، وتجعل له هوية مميزة وواضحة المعالم، وتعتبر نظرية التخلف الحضاري Cultural Leg لعالم الاجتماع

الأمريكي وليم أوكرن مثال واضح يمكن تطبيقه على المجتمع العراقي بصورة خاصة والمجتمعات العربية بصورة عامة، فالحضارة التي تُبنى على جانبيين أحدهما مادي والآخر معنوي يحدث فيها

- بأكثر من ثلاثة عقود من الحروب والحصار والعنف المسلح وعدم الاستقرار وحالة الطوارئ الطويلة جداً، فإن هذا المجتمع قد عانى من نتائج هذه النكبات التي تمثلت بمشكلات معقدة وخطيرة ناتجة عن الأعداد الكبيرة من الأرمال والأيتام، والفقر والبطالة والامية وانتشار ظواهر جديدة معقدة تشمل الجريمة المنظمة والإرهاب والفساد المالي والإداري. لكن ما يهمننا في هذا البحث هو الكيفية التي أثرت فيها الدراما التلفزيونية التي يشاهدها أفراد العائلة العراقية طوال عقد كامل، على ثقافة هذه العائلة. ويمكننا أن نناقش هنا بعض جوانب هذه التغييرات:-
- ١- ساهمت الدراما التلفزيونية في عقدي السبعينات والثمانينات في تشكيل ثقافة جديدة لدى شريحة الشباب والمراهقين، لكن هذه الثقافة كانت فرعية ومجزئة، فهؤلاء الشباب كانوا يقاومون من قبل مجتمعاتهم بالثقافة التقليدية، هذه الثقافة التي بدت في نهاية عقد السبعينات في العراق وكأنها تسير نحو النهاية، وأن هناك ثقافة عصرية تتناغم مع التقدم الذي كان يحصل في المجتمعات الغربية بدأت تبرز وتظهر بقوة.
- ٢- لكن ذلك التقدم الذي رافقه تحسن في المستوى المعاشي وزيادة في الدخل الفردي وتحسن واضح ومضطرد في مجالات الصحة والتعليم، حيث كانت

أسهمت في كسر جدار الثقافة التقليدية التي كانت تسيطر على القطاعات الأوسع من المجتمع العراقي، حيث صارت هذه الحرب تقضم موازنات الدولة بل وتثقل كاهلها بديون كبيرة نتيجة مشتريات الأسلحة والمعدات الحربية التي سرعان ما كانت تلتهمها الحرب بنيرانها المستعرة طوال السنوات الثمانية.

٤- خلال هذه الأعوام الثمانية تم تجنيد معظم المعلمين والمدرسين وقسم كبير من الطلبة الذين كانوا يكملون المرحلة الإعدادية، وتم الاستعاضة عن الكوادر التعليمية العراقية بكوادر مصرية غير مؤهلة في معظمها تأهلاً يجعلها قادرة على تحقيق الأهداف المتوخاة من

الخدمات في هاذين المجالين الحيويين يقدمان بشكل مجاني من قبل الدولة، كما كانت أسعار المواد الغذائية الرئيسة مدعومة من الدولة أيضاً، الأمر الذي أسهم إلى حد كبير في الحد من الفقر، كما ساهمت برامج محو الأمية في إشاعة القراءة والكتابة بين نسبة كبيرة من السكان الذين كانوا يعانون من الأمية، حتى أن العراق حصل على مرتبة متقدمة جداً من قبل منظمة اليونسكو نتيجة جهوده في هذا المضمار. لكن هذا التقدم توقف فجأة مع بداية الحرب العراقية-الإيرانية التي بدأت في أيلول ١٩٨٠ ولم تنتهي إلا في ٨ آب ١٩٨٨.

٣- توقفت أو تكلأت معظم برامج الدولة العراقية وخططها التي كانت قد

الجنس والجريمة والانحراف والفساد  
المالي والإداري.

٦- كانت المدة المحصورة بين آب  
١٩٨٨ و آب ١٩٩٠، معاناة للدولة  
العراقية التي وجدت نفسها شبه مفلسة  
ومتقلبة بديون كبيرة تجعلها غير قادرة  
على تلبية متطلبات التنمية، بل وعن سد  
الحاجات الأساسية لمجتمعها، وقد أضاف  
تدني الأسعار العالمية للنفط إلى زيادة  
هذه المعاناة، الأمر الذي جعل الدولة  
ممثلةً برأسها تفكر بتعويض خسائر  
الحرب السابقة بحرب جديدة، وقد كان  
قراراً خاطئاً بل وكارثياً أدخل البلد بمرحلة  
خطيرة جديدة.

٧- دخل العراق بعد انتهاء حرب  
الخليج الثانية، بالإضافة إلى أنواع

وراء برامج تربوية وتعليمية رصينة كما  
كان الأمر عليه في عقد السبعينات.

٥- أنتجت الحرب ظواهر جديدة  
مثل الترميل واليتيم والإعاقة والأسر  
والفقدان، وظهرت نتيجة لذلك ظواهر  
جديدة معقدة أخرى مثل التفكك العائلي  
وانحراف الأحداث والصدارة والسطو  
المسلح وعمليات قطع الطرق والسلب  
والنهب والجريمة المنظمة وغير  
ذلك. وكانت عملية التقليد والمحاكاة  
للدراما التلفزيونية المعروضة من على  
شاشة التلفزيون العراقي الرسمي تؤثر  
بشكل كبير وواضح في تكريس ثقافات  
جديدة بدأت تنتشر في المجتمع العراقي  
خصوصاً ما تعلق منها بموضوعات

الخسائر البشرية والمادية الجسيمة التي تكبدها، دخل في نفق الحصار الاقتصادي، لكن الدولة العراقية وبدلاً من مداواة جراح شعبها والتعامل مع ما تبقى لديها من موارد، قامت بتصنيف هذا الشعب تصنيفات جديدة تعتمد الطائفة والقومية والمنطقة. وقد قامت نتيجة لذلك بمعاينة سكان جنوب العراق من خلال تجفيف الأهوار العراقية وقطع الموارد المائية المتمثلة بنهري دجلة والفرات عن هذه المناطق، الأمر الذي أسهم بتفاقم معاناة السكان في هذه المناطق وانتشار ظواهر الفقر والمجاعة والأمية والمرض، وكان العراق قد عاد للعيش في قرون ماضية.

٨- وبالنسبة لتأثيرات التلفزيون في الأطفال فقد كاد اهتمام الدراسات العالمية أن ينحصر في مضامين البرامج التي يشاهدها الأطفال دون سواها. وقد قام علماء الاجتماع والباحثون بإجراء تجارب باللغة الصعبة في تعقدها ومهارتها لتقرير ما إذا كانت مشاهدة برامج العنف تجعل سلوك الأطفال أكثر عدوانية، أم أن مشاهدة البرامج النموذجية، على العكس، تشجع السلوك الاجتماعي الإيجابي للأطفال. لكن تبقى هذه الدراسات تجري في مجتمعات غير مجتمعاتنا وتبقى نحن مجرد ناقلين لنظريات وقوانين صيغت في بيئات ثقافية تختلف عن بيئاتنا، وبالتالي فلا يمكن الأخذ بهذه الدراسات بصورة كاملة

مشاهد الجريمة والحب والجنس، فلو أخذنا مثلاً المسلسل التركي (سنوات الضياع) الذي عُرض في قنوات عدة وكان يروي قصة حب بين بطلين تعرضا لمشكلات نتيجة علاقةتهما وقد أحب المشاهدين هاتين الشخصيتين بل أصبح الفتيان والفتيات يتمثلانهما ويرسمان صورتيهما في أحلامهم الغرامية. لكن هذا المسلسل يعرض لقضية جيدة تتعارض مع المنظومة القيمية السائدة في الثقافة العراقية بصورة خاصة (موضوع البحث) والعربية بصورة عامة، فالبطلة حملت من البطل دون أن تربطهما علاقة زواج شرعي ولم يحدث لهما مكروه بل أن عائلة البطلة رعت البطلة وطفلها. هذا المثال ضربته لكي أشير إلى رسم ثقافة

وتطبيقها على مجتمعنا. لقد بدأ تأثير الدراما التلفزيونية واضحاً على الطفل العراقي طوال العقود الأربعة الماضية، فالعائلة العراقية تجلس مجتمعة لتشاهد مختلف البرامج التي تبثها الفضائيات خصوصاً المواد الدرامية التي تعرض من قنوات محددة وبذلك فليس هناك فرق في تلقي المادة حسب الفئة العمرية فالأطفال والشباب والبالغين يشاهدون نفس المادة كما أن وجود العائلة مع بعضها أثناء المشاهدة يجعل الطفل يتفحص في وجوه الكبار سواء من الأخوة والأخوات والآباء والأمهات ليبنى عليها تفسيراته لتفاعل هؤلاء مع المشهد. ومن المشاهد التي أصبحت تجعل الطفل يتلقى ثقافة جديدة هي

الدرامية التي تشاهدها العائلة العراقية في تغيير ثقافتها التقليدية حول بعض جوانب الحياة وهذا ربما انعكس في انتشار العلاقات غير الشرعية من جهة وجرائم القتل والسرقة والسطو المسلح والتي صار يقوم بها أطفال وشباب صغار وهم يقلدون شخصيات (وادي الذئاب) مثلا وقد مرت عشرات حالات الانتحار شنقا بين المراهقين أو قيام آخرين بحرق زملائهم أو مناسيهم لأتفه الأسباب وبدم بارد بعد أن أصابوا يتقمصون شخصيات هذا المسلسل أو ذلك.

٩- يشاهد المرء التلفزيون باستمرار، وإلى وقت قريب وقبل انتشار الانترنت، يفضل مشاهدته على أي تجربة أخرى. ذلك أن آليات فسيولوجية

جديدة أسهمت إلى حد ما بقبول فكرة إقامة علاقة جنسية بين حبيين دون وجود رابط الزواج، بينما الشائع في البيئة العراقية خصوصا الريفية منها أن المرأة التي تتعرض لنفس تجربة البطلة في المسلسل التركي يتم معاقبتها بأقصى العقوبات والتي تصل إلى إنهاء حياتها. مثال آخر ربما نضربه هنا في المسلسل التركي الآخر الذي حمل عنوان (العشق الممنوع) حيث يقيم البطل وهو شخصية محبوبة بسبب وسامته ومغامراته العاطفية يقيم علاقة جنسية مع زوجة عمه، في الوقت الذي يعتبر هذا الأمر معيبا اجتماعيا ومحرمًا دينيا في الثقافة المحلية العراقية. هاذين المثليين ضربتهما فقط لأبين كيف تساهم الماد

مفردة بين مشاهدي التلفزيون في أمريكا، تلك الشريحة التي تقضي أكبر عدد من الساعات وأوفر حصة من وقت يقظتها في مشاهدة التلفزيون بالمقارنة مع أي مجموعة عمرية أخرى. وطبقا لما ورد في تقرير نيلسن لعام Nielsen Report ١٩٩٣ يمضي أطفال المجموعة العمرية الذين هم بين سنتين وخمس سنوات ٢٢،٩ ساعة في المتوسط أسبوعياً في مشاهدة التلفزيون، بينما يمضي أطفال المجموعة العمرية ٦ - ١١ سنة متوسط مشاهدة يصل إلى ٢٠،٤ ساعة. بل إن دراسات مسحية أخرى تبين أن هناك أوقات مشاهدة أطول تصل إلى ٥٤ ساعة أسبوعياً، لمشاهدين لم يصلوا إلى السن المدرسية

معينة في العينين، والأذنين والدماغ تستجيب للمثيرات المنبعثة من شاشة التلفزيون بصرف النظر عن المضمون المعرفي للبرامج. إنه عمل ذو اتجاه واحد يستلزم تلقي مادة حسية خاصة بطريقة معينة، مهما كانت تلك المادة. والواقع أنه ليس هناك تجربة أخرى في حياة الطفل تسمح بمثل هذا القدر الكبير من المشاهدة في حين تقتضي القليل جدا من التدفق الخارجي. وعليه فإن المادة التلفزيونية تأخذ طريقها سريعاً إلى مدارك الطفل وتصبح جزءاً من ذاكرته الغضة والتي تكون في أفضل حالات الاستقبال والخرن.

١٠- يشكل الأطفال الذين لم يبلغوا سن الدخول إلى المدرسة أوسع شريحة

التلفزيون في طرق تربية الآباء  
لأطفالهم؟ هل أن تطبيق سياسات جديدة  
لتنشئة الأطفال وطرح سياسات قديمة  
جانباً لأن إتاحة جهاز التلفزيون صارت  
عوناً وراحة للآباء؟ هل أن مادة  
المشاهدة هي المشكلة، حيث تغير بصورة  
عميقة إدراك الطفل للواقع نتيجة للتعرض  
المستمر للمواد التلفزيونية غير الواقعية؟  
كيف تؤثر مشاهدة التلفزيون لعدة  
ساعات يوميا في قدرات الطفل على  
تكوين علاقات إنسانية؟ ما الذي يحدث  
للحياة الأسرية من جراء اندماج أفراد  
الأسرة مع التلفزيون؟ كل هذه الأسئلة  
تجعلنا نبحث عن أجوبة لها من خلال  
ما نشاهده على أرض الواقع فعلى الرغم  
من اعتماد بحثنا هذا على عينات محددة

بعد. وحتى أشد التقديرات حذراً تدل على  
أن أطفال ما قبل المدرسة في أمريكا  
يمضون أكثر من ثلاث ساعات يقظتهم  
في مشاهدة التلفزيون. لكن في الوقت  
الحاضر نرى أن عدد الساعات التي  
يقضيها أطفالنا في العراق أمام شاشات  
التلفزيون تفوق تلك الأرقام التي أخذت  
للمجتمع الأمريكي في عقد التسعينات  
من القرن الماضي.

١١- لكن ما تأثيرات مثل هذه الحصة  
الكبيرة من الساعات يوميا على الكائن  
البشري النامي الحساس المنشغل بهذه  
التجربة الخاصة؟ كيف تؤثر التجربة  
التلفزيونية في تنمية لغة الطفل، على  
سبيل المثال؟ كيف تؤثر في تطور  
الخيال، أو الإبداع؟ كيف يؤثر وجود

تفعله التجربة التلفزيونية هو أنها تقلص هذه الفرص. يحتاج الأطفال الصغار إلى تنمية طاقتهم على التوجيه الذاتي حتى يحرروا أنفسهم من التبعية. لكن التجربة التلفزيونية تساعد على استمرار هذه التبعية دوماً.

١٣- يحتاج الأطفال إلى اكتساب مهارات الاتصال الأساسية في تعلم القراءة والكتابة والتعبير عن الذات بمرونة ووضوح حتى يؤدون وظائفهم كمخلوقات اجتماعية. أن التجربة التلفزيونية تعزز النمو اللفظي في أغلب الأحيان خصوصاً لدى الأطفال الصغار الذين يقومون بإعادة تمثيل أدوار المسلسلات التي يشاهدونها .

لكن عين الباحث تجعله يشاهد الآثار الواضحة على الأطفال بصورة خاصة، لكن يجب عم الانجرار وراء أن كل الآثار لذلك هي سلبية فالتلفزيون أصبح يسهم في تحسن لغة الأطفال ويطور في إمكاناتهم في الأداء كما أنه يسهم في زرع روح المبادرة والإقدام وتقليل حالات التردد والخجل، وقد حرص الباحث على التأكد من ذلك من خلال سؤاله لعينات مختلفة من المجتمع لهم علاقة مباشرة بالأطفال كالمعلمين والآباء والأمهات وناشطين في مجال الطفولة.

١٢- إن حاجات الأطفال الصغار مختلفة تماماً. فنمو الأطفال يتطلب فرصاً لتحقيق علاقات أسرية أساسية، وبذلك يمكنهم فهم أنفسهم، لكن كل ما

والى أبعد حد تمكنهم تعلم الأداء اليدوي،  
واللمس، والفعل، وليس مجرد المشاهدة  
السلبية. وأخيرا لا بد من دراسة التجربة  
التلفزيونية بالنظر إلى حاجة الأطفال  
إلى تنمية مهارات أسرية حتى يصبحوا  
هم أنفسهم آباء ناجحين ذات يوم.

١٦- إشاعة العنف: وبما أن العنف لا  
يورث لأنه سلوك مكتسب يتعلمه الفرد  
خلال حياته مع الآخرين فإن تعرض  
الفرد للعنف في صغره بصورة مستمرة قد  
يعكس ذلك مستقبلاً على سلوكه ويكون  
ميلاً للعنف، ففي الولايات المتحدة  
الأمريكية إذ يعد التلفزيون أغزر  
تلفزيونات العالم عرضاً لمشاهد العنف  
أكد المعهد الوطني للصحة العقلية  
وأكاديمية طب الأطفال الأمريكية أن

١٤- يحتاج الأطفال إلى اكتشاف  
نواحي القوة والضعف الخاصة من أجل  
تحقيق رغباتهم كراشدين في العمل  
واللعب على حد سواء. لكن المشاهدة  
التلفزيونية لا تقضي إلى اكتشافات  
كهذه. فهي، في الواقع تحد من اندماج  
الأطفال في تلك الأنشطة الواقعية التي  
قد تتيح لقدراتهم فرصة حقيقية للاختبار.  
إن إشباع حاجة الأطفال الصغار إلى  
الخيال يتحقق بصورة أفضل للغاية عن  
طريق ضروب النشاط الإيهامي الذاتي  
لا عن طريق القصص الخيالية التي  
يعدها الكبار ويقدمونها لهم في  
التلفزيون.

١٥- إن تلبية حاجة الأطفال الصغار  
إلى التنبه العقلي تتحقق بصورة أفضل

يتسم بسمة الأداء الفردي أو الأداء الجماعي، الأداء المؤسس على ردة فعل أو على مبادهة المؤسس على انسياق أو على اختيار، وهو في كل حالة تجربة نفسية- اجتماعية من تجارب إيذاء الآخر، ولكنها تجربة لا تتفصل عن تغيرات المجتمع وثقافته السياسية. (١٦) أما العدوان فإنه: فعل عدائي أو هجومي ، يأخذ أي شكل ، قد يشمل الاعتداء البدني من ناحية ، أو النقد اللغوي البسيط من ناحية أخرى ، وقد يوجه هذا النوع من السلوك إلى شيء ما أو شخص ما أو حتى الذات. (١٧) ويمكن تصنيف العنف إلى مادي ومعنوي تارة، وإلى فطري ومكتسب تارة أخرى، كما يمكن تصنيفه إلى رسمي (تقوم به الدولة)

العنف ألتفازي يؤكد العدوانية لدى الأطفال ، وجاء في الدراسة انه بين عامي (١٩٨١-١٩٩٠) ازداد معدل توقيف القاصرين في أمريكا بنسبة (٦٠%) مقابل (٥%) لمن تجاوز سن الثامنة عشر. (١) ويندرج العنف وهو الإيذاء باليد أو باللسان، بالفعل أو بالكلمة ، في الحقل التصادمي مع الآخر ، انه بالدرجة الأولى حالة تدرس بذاتها ، ولكن ليس مستقلة عن موجباتها ومبرراتها ومساراتها التاريخية، وهو بالدرجة الثانية حالة مركبة من حيث ظهورها وأدائها وترابطاتها ، حالة ذاتية لها موضوعها (أنا في مواجهة الآخر) حالة وضعية لا تقبل الانخفاض ولا التبسيط السطحي، وهو بالدرجة الثالثة

والإناث ،حسب القانون العراقي.إن عدد الدراسات التي تناولت تأثير وسيلة اتصالية واحدة وهي (التلفزيون) كان قد بلغ حتى نهاية القرن العشرين أكثر من (٣٤٥٠) دراسة باللغة الانكليزية فقط.(١٨) وقد تم في معظم هذه الدراسات إجراء عمليات تحليل عديدة. ففي عام (١٩٩١) مثلاً تم إجراء تحليل شمل (٢٨) دراسة للأطفال والمراهقين الذين شاهدوا العنف في وسائل الاتصال وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة بين مشاهدة العنف وبين السلوك العدواني تجاه الأصدقاء والزملاء والغريباء ، كما اجري تحليل آخر عام (١٩٩٤) درس (١٢٧) دراسة نشرت منذ الخمسينيات وحتى بداية التسعينيات حول تأثير عنف

وغير رسمي،والى عنف موجه نحو الآخرين من جهة وعنف موجه للذات من جهة أخرى.كما هناك تصنيف آخر يجعل منه عنف دفاعي مرة وعنف هجومي مرة أخرى،وأخيراً فإن هناك عنف فردي يقوم به فرد،وعنف جماعي تقوم به جماعة.

١٧-هناك علاقة وثيقة بين مشاهدة العنف في برامج التلفزيون وبين انتشار ظواهر جنوح الأحداث،فالجنوح (Delinquent) : هو خرق القواعد القانونية النافذة في المجتمع من خلال سلوك غير مقبول اجتماعياً أو قانونياً.و مفهوم الأحداث ((Juvenile: هو كل شخص اجتاز مرحلة الطفولة و لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره من الذكور

## دور الدراما التلفزيونية في التغيير الثقافي للعائلة العراقية

وسائل الاتصال على السلوك العدواني، التحليل وجود علاقة ارتباطيه بين  
إذ كانت (٨٥%) من عينات تلك مشاهدة العنف في وسائل الاتصال  
الدراسات بين (٦-١٢) سنة ، واستنتج والسلوك العدواني.(١٩)

الهوامش

- (١) أنتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم الدكتور فايز الصياغ، الطبعة الرابعة، بيروت: المنظمة العربية للترجمة مع مؤسسة ترجمان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥، ص ٨٣.
- (٢) المصدر نفسه، ص ٧٩.
- (٣) ميشيل فوكو، يورجين هابرماس، بيتر ل. بيرجر، ماري دوجلاس، التحليل الثقافي، تحرير إيديث كرزويل و آخرون، ترجمة فاروق احمد مصطفى وآخرون، مراجعة وتقديم أحمد أبو زيد، الطبعة الأولى، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨، ص ١٢.
- (٤) فوكو وآخرين، التحليل الثقافي، المصدر السابق، ص ١٨-١٩.
- (٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.
- (٦) فوكو وآخرون، التحليل الثقافي، مصدر سابق، ص ٥٠-٥١.
- (٧) المصدر نفسه، ص ٥٤.
- (٨) فوكو وآخرون، التحليل الثقافي، المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩.
- (٩) غدنز، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص ٨٣.
- (١٠) غدنز، علم الاجتماع، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥.

## دور الدراما التلفزيونية في التغيير الثقافي للعائلة العراقية

- (١١) المصدر نفسه، ص ٨٦.
- (١٢) المصدر نفسه، ص ٨٧-٨٨.
- (١٣) أنتوني غدنز، علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
- (١٥) غدنز، مصدر سابق، ص ١١٠. (\*) حتى في إقليم كردستان لا توجد سوى صالة سينما واحدة في محافظة السليمانية في مصيف سرجنار وصالتين صغيرتين تتكون كل واحدة منهما من ١٠٠ مقعد موجودتان في سوقين (مول) من أسواق محافظة أربيل.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ١١١-١١٢.
- (١٧) جليل وديع شكور ، العنف والجريمة ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، ١٩٩٤ ، ص ٨١
- (١٨) خليل إبراهيم احمد ، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ، بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٨ .
- (١٩) B . wolman ، Dictionary of behavioral science ، New York ، Van . hostrand Reinhold company ، 1973 ، P- 15
- (٢٠) محمد عرفة ، التأثير السلوكي لوسائل الإعلام ، حولية كلية الإنسانيات والعلم الاجتماعي ، جامعة قطر العدد الخامس عشر ، ١٩٩٢ ، ص ١٦٢ .

World report on violence and Health 2002 , world Health organization (٢١)  
.,Geneva ,2002 ,P. 39 -40

### المصادر

١ - أنتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم الدكتور فايز الصياغ، الطبعة الرابعة، بيروت: المنظمة العربية للترجمة مع مؤسسة ترجمان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥، ص ٨٣.

٢ - ميشيل فوكو، يورجين هابرماس، بيتر ل. بيرجر، ماري دوجلاس، التحليل الثقافي، تحرير إيدث كريزويل و آخرون، ترجمة فاروق احمد مصطفى وآخرون، مراجعة وتقديم أحمد أبو زيد، الطبعة الأولى، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨، ص ١٢.

٣ - جليل وديع شكور ، العنف والجريمة ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، ١٩٩٤ ، ص ٨١ .

٤ - خليل إبراهيم احمد ، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ، بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٨ .

٥ - B . wolman , Dictionary of behavioral science , New York , Van  
(hostrand Reinhold company , 1973 , P- 15

## دور الدراما التلفزيونية في التغيير الثقافي للعائلة العراقية

---

٦ - محمد عرفة ، التأثير السلوكي لوسائل الإعلام ،حولية كلية الإنسانيات والعلوم

الاجتماعية ،جامعة قطر العدد الخامس عشر ، ١٩٩٢ ،ص ١٦٢ .

٧ World report on violence and Health 2002 , world Health

.organization ,Geneva- ,2002 ,P. 39 -40

## سلطة السيطرة على الشعور الإنساني من خلال سيميائية الصورة الإشهارية من منظور الناقد السيميائي "سعيد بن كراد"

أ.د حاكم عمارية

جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة

الجزائر

تمهيد :

في ضوء هذا البحث؛ وبعد قراءتنا لكثير من مؤلفات الناقد السيميائي «سعيد بن كراد»، نستخلص أن معظم أبحاثه ومؤلفاته وترجماته لا تخرج عن إطار الرمز والتأويل انطلاقا من معرفته بهوية الإنسان وفهمه العميق لعلم السيمياء و جعله يغوص في أعماق النفس البشرية، وخاصة النفس العربية، والمغربية على الخصوص لأنه ابن بيئته.

وتمثل دراسات الناقد رصيذا وإرثا عظيما لكل الباحثين السيميائيين لأنها تمنحهم فرصة لفهم الواقع بكل تأويلاته المتعددة التي يحددها الأنساق الثقافية بالدرجة الأولى بحيث إن المعرفة لحقائق النفس والمجتمع والتاريخ والسياسة والأخلاق والدين والحاضر والماضي هي التي تولد السلطة، أو ما يسمى بسلطة المعرفة التي أصبح يعيشها العالم.

وإذا جاز لنا تصنيف وترتيب علوم نظريات التواصل منذ وجد الإنسان فإن علم السيمياء هو أول علم عرفه الإنسان في تواصله مع الطبيعة وفي تواصله مع بني

على المشاعر، إما سلبا أو إيجابا، ولعل أول ميدان لاستعمال الصورة هو الدعاية والإشهار خاصة في المجال الاقتصادي والتجاري والمجال السياسي في فترة الانتخابات، والغاية من الدعاية والإشهار هي تحقيق كل ما سخرت له حيث يستغل الإنسان كوسيلة للبيع والشراء وترويج السلع.

لقد سعى الناقد السيميائي المغربي «سعيد بن كراد»، إلى دراسة الصورة الإشهارية دراسة سيميائية يوضح فيها أن غرضه من هذه الدراسة ليس الحديث عن الدور الاقتصادي للإشهار ولا عن موقعه ضمن آليات التسويق وآثاره في الاستهلاك، ولكن غرضه الأساس هو أنه يتناول القضايا التي تعد الواجهة غير المرئية لعمليات الإنتاج والتسويق والاستهلاك، وهي كما يقول الوجه الخفي لعمليات التكييف الفردي

جنسه، وإن كان هذا العلم قد عرف فتورا بعد ظهور النظريات التي تهتم باللغة كونها أفضل وأنجع أداة للتواصل الشفاهي والكتابي؛ لأنها تتطرق وتكتب وتترجم وتسوق إبداعا وابتكارا، غير أن تطور العلوم قد جعل العودة إلى السيميائية أمرا ضروريا ولكن بتطوير هذا الحقل لاستثماره في حقول الحياة المتنوعة والمختلفة، على أساس الاهتمام ومع تطور وسائل التكنولوجيات الحديثة أو بظهور العولمة ومجتمع المعرفة فقد تم استثمار السيميائيات في محاولة للسيطرة للتأثير على كل المشاعر الإنسانية؛ من أجل تحقيق أغراض مختلفة، معرفية وسياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية في الرتبة الأولى.

وبناء على السلطة التي اكتسبتها السيميائيات؛ فقد أصبحت الصورة بلا منازع هي المنفذ الذي يسمح بالسيطرة

وأبحاث علمية نظرية و تطبيقية متنوعة.<sup>٢</sup>

ولقد ترجم الناقد السيميائي «سعيد بن كراد»، كتاب «الإشهار والصورة لدافيد فكتوروف Victorov David» هذا الكتاب الذي يشمل أحد أبرز الدراسات التي اهتمت بموضوع الإشهار، تعريفا وتاريخا بناء على المكانة التي أصبح يحظى بها الإشهار في المجتمعات المعاصرة، ولقد سعى المؤلف إلى التعريف باستراتيجيات الإقناع وآليات اشتغاله التي يستعان بها في ظل توظيفه للصورة وجعلها مرتكزا ينبغي الاعتماد عليه....<sup>٣</sup>

وعلى حد تعبير ما جاء في كتاب ( سيميائية الصورة المسرحية) فإن الصورة في مفهومها العام تمثيل للواقع المرئي ذهنيا أو بصريا، أو إدراكا مباشرا للعالم الخارجي الموضوعي تجسيدا وحسا ورؤية، حيث يهتم هذا التمثيل من جهة

والجماعي التي تقود إلى الشراء ثم المزيد من الشراء.<sup>١</sup>

ويدهي أن الغرض الأساس من الصورة الإشهارية هو الريح -كما سبق الذكر- ولقد ارتبطت الصورة الإشهارية بالمطبعة منذ اختراعها عام 1436م؛ حيث ظهرت في شكل إعلانات ونصائح وإرشادات، و لعل هذا هو الأمر الذي أدى مع التطور الرقمي الحاصل إلى أن يصبح للإعلان والإشهار مؤسسات وشركات تقوم على سياسية الاحتكار والتقنن في أساليب الإعلان ودراسة السوق الاستهلاكية والترويج للمنتجات، حتى إنه قد أصبح الإشهار مادة تدريسية في المعاهد والجامعات باسم التسويق أو marketing، والمؤسسات التعليمية العامة والخاصة، خاصة كليات التجارة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والإنسانية، فحضعت الصورة الإشهارية لدراسة

والاجتماع والثقافة، كما عرض وظائف الإشهار وموقعه في سياق انتشار الصورة التي تضمن كتلة من الانفعالات تحت المستهلك على الشراء، بعد التأثير فيه والتعبير عن حاجياته ورغباته المكبوتة، وإيهامه بإمكانية تحقيقها من خلال المنتج الذي تروج له الصورة الإشهارية<sup>٥</sup>.

وبناء على سلطة الصورة في التأثير على المستهلك؛ تعددت المقاربات التي تتناول وتعالج مدلولات ومقاصد الصورة الإشهارية، حيث رفضت المقاربات القديمة التي كانت تعلي من شأن الإرساليات اللسانية، التي طانت تنظر إلى الصورة على أنها مجرد وسيلة إضافية من وسائل الإيضاح لا غير، أما المقاربات الجديدة (السيميائية، الحجاجية والتأويلية....)، فقد دعت إلى إعادة النظر في قراءة الصورة الإشهارية، حيث إنها لم تعد تكفي بمجرد الإبلاغ، بل

بالتكثيف والاختزال والاختصار والتخييل والتحويل، ومن جهة أخرى يتميز بالتضخيم والتحويل والتكبير والمبالغة، ومن ثم تكوين علاقة الصورة بالواقع التمثيلي علاقة محاكاة مباشرة، أو علاقة انعكاس جدلي، أو علاقة تماثل أو علاقة مفارقة صارخة، وتكون الصورة لغوية تارة وبصرية مرئية تارة أخرى، وقد تجمع بين اللفظي والمرئي، وبإمكان الصورة اختزال ونقل العالم الموضوعي وتكثيفه في عدد قليل من الوحدات البصرية؛ فالصورة خير من ألف كلمة، كما جاء على لسان الحكيم الصيني «كونفوشيوس»<sup>٤</sup>.

وفي ضوء ترجمة سعيد بن كراد لكتاب «الإشهار والصورة»، فإنه قد حدد موضوع الكتاب، فحصره في ذاكرتي الإشهار البعيدة والقريبة المدى، من حيث أصوله الأولى وتاريخه في الحاضر، ورهاناته في السياسة والاقتصاد

وتحولها إلى حامل لقيم المسرة والمحبة  
والتصالح والطمأنينة والذكاء»<sup>٧</sup>.

ومن خلال تتبعنا لما ورد في مؤلف  
الناقد السيمائي «سعيد بن كراد»؛ أدركنا  
أن ما يهيمه في دراسة الصورة الإشهارية  
ومقاربتها سيميائيا ليس هو ما تحققه من  
ترويج وأرباح، بل إن ما جلب اهتمامه  
هو فعل الشراء، من حيث هو فعل ثقافي  
في المقام الأول؛ أي إن الأمر يتعلق  
بالبحث في الفعل الفردي، أي في الدوافع  
المحددة للسلوك الشرائي الجمعي، وهو  
الذي يطلق عليه اللاشعور الثقافي، حيث  
إنه يعتبر كفرا أو خروجا عن القيم التي  
تحدد هوية الفرد الحضارية وتشده إلى  
مجتمعه وثقافته، بل تشده إلى ما هو  
أبعد من ذلك، فهي تشير إلى ماض  
نفسى موغل في القدم، حيث إن سلوك  
الإنسان ليس دائما فرديا، فالسلوك قد  
يكون جزء من خطاطة ثقافة عامة  
اعتبرها «فرويد» بقايا مهجورة.<sup>٨</sup>

إنها قد أصبحت تمتلك لغة خاصة  
ومستقلة، إذ غدت تستميل متلقيها وتداهم  
وجدانه، وتوجهه وتؤثر في لا شعوره،  
لأنها لا تمثل خطة للتأمل العقلي، بقدر  
ما تعكس «اندفاعا حسيا» نحو فعل  
الشراء الذي يمثل الغاية والمسعى  
والمنتهى من أي وصلة إشهارية.<sup>٦</sup>

وفي ضوء البعد السيكولوجي وعلاقته  
بالصورة والتقنيات التي يستعين بها  
الإشهار ووظائفه وغاياته «فكما أن  
المنتج ليس كيانا ماديا مفصولا عن  
العالم الإنساني فإن المعنى لا يوجد في  
الواقع ولا يسكن الكائنات والأشياء، إن  
المعنى في عين الرائي، وعين الرائي هي  
التي تخلص المنتج من نفعيته ووظيفته  
لتحوله إلى حلم وجمال ورؤى سحرية،  
والإرسالية الإشهارية تساعده على فعل  
ذلك، فهي تحول الأشياء الإشهارية  
النفعية إلى أدوات للفرجة والابتهاج، إنها  
تخلص الأشياء من بعدها النفعي

ومن هنا فإن الحديث عن «مستهلك ثقافي»، يشغل كمنوذج وجداني؛ واستنادا إلى الحاجات الاستهلاكية الفردية، يجب على المؤسسات البحث في «الشعور الجمعي»، أي بمعنى البحث عن الانفعالات المبهمة عن الأفراد.

وعلى هذا الأساس؛ فإن الإشهار يملك أسرارها الخاصة وله آلياته في مخاطبة الفرد المستهلك واستدراجه إلى فعل الشراء الذي لا ينتهي، فالإشهار لا يمثل الإقناع بالمفهوم المنطقي؛ وإنما يسعى إلى التأثير في وجدانية المستهلك والسيطرة على مشاعره الدفينة، وهذا الذي يسميه بعض المتخصصين بالإقناع السري.<sup>١١</sup>

يمكننا القول من منظور «بنكراد» إن الإشهار الإقناع السري يمثل قرصنة تمثل رد فعل انفعال يتم في غياب آليات التفكير الفعلي، حيث تستمد ردود

وعن ارتباط فعل الشراء بالبعد السيكولوجي وعلاقته بالصورة الإشهارية، يورد بن كراد مثالا عن الجبنة الفرنسية «الكامومبير» «Comember»، التي كلما ازدادت خميرتها ازدادت قيمتها، حيث ينظر الفرنسيون إلى «الجبنة» باعتبارها كائنا حيا، ولها قيمة عاطفية كبيرة، وهناك الكثير من الوصلات الإشهارية (..) التي تؤكد الروابط الموجودة بين الجبنة واللذة والحب العائلي والصدقة وحب الوطن<sup>٩</sup>، بينما عند الأمريكيين يجب أن تعقم الجبنة وأن تلف في غطاء وتوضع في الثلجة وتستهلك بعد ذلك، وذلك أنهم ينظرون إلى الجبنة كما ينظرون إلى أية جثة تودع في مستودع الأموات، وكل حملة دعائية وكل منتج لا يحترم هذه المعايير مآلها الفشل<sup>١٠</sup>. واعتمادا على التناقض الحاصل في معاملة «الجبنة» بين الفرنسيين والأمريكيين لم تجد الجبنة الفرنسية قدما لها في السوق الأمريكية

التي كتبت حول الصورة<sup>١٣</sup> ويكفي أن الناقد السيميائي «سعيد بن كراد» الذي ترجم لعديد من الباحثين السيميولوجيين الغربيين؛ قد كفانا عناء البحث إذ إن معظم بحوثه تكاد تلخص معظم الدراسات، وجدير بالذكر أن الناقد «سعيد بن كراد» قد ترجم وقدم وعلق على كتاب «سميات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس» كما ترجم كتاب «الإشهار والصورة، صورة الإشهار» للمؤلف فيكتوروف، «اعترافات روائي ناشئ» لأمبيرتو إيكو، «الإشهار والمجتمع» بيرنار كاتولا، «الصورة؛ المكونات والتأويل» غي غوثي، «دروس في الأخلاق» امبرتو إيكو، «آليات الكتابة السردية» أومبير إيكو، «العلامة تحليل المفهوم وتاريخه» لأومبير إيكو، «تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي» ميشال فوكو، «ست نزهات في غابة السرد» أمبير إيكو، «التأويل بين السيميائيات والتفكيكية»

الأفعال مضامينها الحقيقية من اللاشعور في قدرته على تجاوز الحدود التي ترسمها «الأنسا» الواعية بنفسها وأفعالها، إذ يعمل الإقناع السري على تعطيل أدولت المراقبة لتحرير الفعل من قيوده.<sup>١٢</sup>

### حجاجية وتدولية الصورة الاشهارية:

تمثل الصورة لغة العصر الناهضة بوظائف تواصلية وتأثيرية لا تقل قيمة وتنوعا عما تنهض به اللغات الطبيعية، ولقد أخذت كثير من الدول الغربية على عاتقها مهمة تكوين التلميذ في مجال الصورة وفق برامج مضبوطة؛ تتدرج به من تفكيك الصورة وفهمها إلى معالجتها ومن ثم إنشاؤها مستفيدة في ذلك من دراسات تناول فيها أصحابها الصورة من زوايا مختلفة؛ كحجاجية الصورة، أو سيميائية الصورة، وبنية الصورة، وتداولية الصورة، والتعليم عن طريق الصورة وهكذا، ولا يمكننا الإحاطة بكل الدراسات

ذلك يعود إلى مدى اكتسابه من خبرة أساتذته الغربيين، وإلى تأثره بأبحاثهم التي قام بترجمتها وإسقاطها على أحداث العالم العربي.

ولأننا في عصر الصورة، فقد شغل سؤال المعنى فيها بشكل عام، والصورة بشكل خاص تفكيراً عديداً من الباحثين، ومن هؤلاء الباحثين الغربيين البارزين «رولان بارث» الذي كتب عن «بلاغة الصورة»، إلا أنه من خلال دراسته للصورة لم يطمئن إلى عبارة «حضارة الصورة» التي شاعت منذ الستينات من القرن العشرين واتخذت عنواناً لأكثر من مؤلف، فلقطة «صورة لا تحيل على معنى بعينه، إذ هي حيناً الأثر الناجم عن الإدراك الفيزيائي، وهي طوراً ضرب من التمثيل الذهني، وتارة أخرى في لون من التخيل، ووسم القرن العشرين بـ«حضارة الصورة» فيه جناية على الحضارات السابقة، وافترض ضمنياً بأن التواصل

أومبير إيكو، «سميولوجية الشخصيات الروائية» فيليب هامون، بالإضافة إلى كتبه التي هي من تأليفه ونتاجه، ونذكر منها ما جاء في السيميائيات كتاب «السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش.س. بـورس)»، «سيميائيات الصورة الإشهارية؛ (الإشهار والتمثيلات الثقافية)»، «وهج المعاني (سيميائيات الأنساق الثقافية)»، «بين اللفظ والصورة؛ (تعددية الحقائق وفرجة الممكن)»، بالإضافة إلى عديد من المقالات والأبحاث المنشورة في المجالات المحكمة، وكذلك الحوارات التي أجريت معه بخصوص مؤلفاته وما يمكن أن تقدمه للدارس وللباحث وللمجتمع العربي عامة، والمغربي خاصة.

لقد أسهم بن كراد إسهما جليلاً في حقل الدراسات السيميائية في السرد وفي الإشهار وفي الخطاب السياسي؛ ولعل

الصورة التعيينية d'inotée ،l'image  
 وثالثها الصورة الإيحائية l'image  
 counotée، ولقد تعرض «بارث» إلى  
 نقد بعض الدارسين الذين أنكروا انغلاق  
 الصورة واستقلالها بذاتها في المعنى  
 والفهم، وذلك أن فريق الرافضين لوجهة  
 نظره، لا يعتبرون عالم المرئيات غريبا  
 عن عالم الكلمات، ولا ينكر وجود تقاطع  
 بين الصورة واللغة إن في الخصائص أو  
 في الوظائف، كما أن قيام الصورة على  
 مبدأ المماثلة لا يبطل اشتراكها واللغة في  
 صفة الموصفة ولا يجرد المماثلة من  
 فكرة النظام.<sup>١٥</sup>

وعلى أساس مبدأ المماثلة عنون «سعيد  
 بن كراد» أحد مباحثه، «بالصورة ومدارج  
 المعنى» يقول فيه: «إن للصورة مداخلها  
 ومخارجها؛ لها أنماطها في الوجود،  
 وأنماط في التدليل، إنها نص، وككل  
 النصوص تتحدد باعتبارها تنظيما خاصا  
 بوحدات دلالية متجلية من خلال أشياء

الأيقوني (Communication  
 iconique) حكر على الإنسان  
 المعاصر، والحال أن حياة الإنسان القديم  
 وأشياءه كانت تزخر بالصور، إلا أن  
 عبارة «حضارة الصورة» تعني هيمنة  
 وسلطة وسيطرة الصورة على الأذهان  
 والعقول، وكذا هيمنتها على اندثار  
 المكتوب.<sup>١٤</sup>

إن ما يجب فعله في عصرنا هو المقارنة  
 بين التواصل الأيقوني المحض،  
 والتواصل المختلط (Communication  
 mixte)، حيث تقتضي هذه المقارنة  
 من الباحث أن يعدل بوجهة موضوعه  
 عن الصورة مفردة إلى الصورة مشفوعة  
 باللغة، حيث بحث «بارث» عن الكيفية  
 التي يتولد بها المعنى في الصورة  
 الإشهارية، وتوصل إلى نتيجة وهي أن  
 هناك ثلاثة أنواع من الرسائل للصورة  
 الإشهارية، أولها الإرسالية اللغوي، Le  
 message linguistique، وثانيها

تختلف عن الكتاب، فالكتاب يوحى  
بالجدية أما الجريدة فهي لتزجية  
الوقت»<sup>١٧</sup>.

إن الحديث عن سيميائيات الصورة  
الإشهارية عن «بارث»، و«إيكو»، أو  
عند الناقد سعيد بن كراد لا يمكن  
تلخيصه ولا تقديمه في بحث قصير،  
لأنه موضوع في غاية الأهمية؛ ولأنه  
يكاد يلخص كل ما يحدث في  
المجتمعات الغربية والعربية، وإن كانت  
هناك بعض الاختلافات فهي راجعة إلى  
السياق والثقافة والعقائد وحتى إلى المواقع  
الجغرافية، وإلى طريقة التفكير والتمثيل  
بالصورة للواقع المعيش.

وفي كتابه «سيميائيات الصورة  
الإشهارية- الإشهار والتمثيلات الثقافية»  
عرض الناقد المؤلف بعد المقدمة إلى  
تقديم موضوعه إلى سبعة فصول: نذكرها  
مرتبة للإحاطة بكل ما جاء في الكتاب،  
وهذه الفصول هي: الإرسالية الإشهارية

أو سلوكيات أو كائنات في أوضاع  
متنوعة، إنَّ التفاعل بين هذه العناصر  
بأشكال حضورها في الفضاء وفي الزمان  
يحدّد العوالم الدلالية التي تحيل عليها  
الوصلات البصرية، فالصور، خلافاً  
للنص الذي يتوسل باللّغة، لا تستند في  
إنتاج دلالتها إلى عناصر أولية مالكة  
لمعاني سابقة (الكلمات مثلاً)، وإنما  
تستند إلى تنظيم يستحضر الأسنن التي  
تحكم هذه الأشياء في بنيتها الأصلية،  
ويقدم «بارث» في هذا المجال مثالا بالغ  
الدلالة؛ فمن صورة تمثل لرجل مستلقي  
على أريكة يقرأ جريدته تحت ضوء  
خافت، يستخرج المدلول التالي: لحظة  
استرخاء»<sup>١٦</sup>.

ويشرح «بن كراد» مثال «بارث» بقوله:  
«فالأريكة لا تشبه الكرسي، فالكرسي  
للعمل، أما الأريكة فللراحة، والضوء  
الخافت، على عكس الضوء الساطع  
يريح الأعصاب، ويهدّئها، والجريدة

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حيث إن أساس كل تلك الأغراض هو الريح والمنفعة واللذة والمتعة.

وانطلاقاً من اللذة والمتعة فقد تم استغلال صورة جسد المرأة في معظم الإشهارات خاصة إشهارات التجميل والطبخ، الألبسة وعالم السيارات..وما إلى ذلك من استثمار كل عضو مثير في جسد المرأة، لذلك عمد الناقد «سعيد بن كراد» إلى الاهتمام بموضوع الصورة الإشهارية التي أصبحت تهيمن على القلوب والأذهان وفي حوار مع هيئة تحرير مجلة «البلاغة وتحليل الخطاب»، يقول «سعيد بن كراد» عن كتابه الذي نحن بصدد دراسته «لقد حاولت في الكتابين معا (وفي الثاني بشكل خاص) التركيز على الطريقة التي تنتج بها الصورة الإشهارية معانيها، كان همي الأساس هو البحث في ما وراء الانفعال الظاهر، والصورة تتحكم في الانفعالات أكثر

بين التوليد والتأويل، الصورة الإشهارية بين المرجعية والجمالية والمدلول الايديولوجي، الصورة الإشهارية وتمثلات الساخن والبارد، والنجم إذا علا استراتيجية التواصل وبناء الهوية، نساؤهم ونساؤنا تمثلات المرأة في الإشهار المغربي، (ماجدور) "النار والذوبان واللذة" وأخيراً؛ (ولا يكف الحصان عن الصهيل قراءة في المميز السيميائي للبنك الشعبي المغربي.

يمثل كتاب «سيميائيات الصورة الإشهارية» بالنسبة للناقد «سعيد بن كراد» طفرة في عالم السيميائيات المعاصرة إن جاز لنا القول المعاصرة، لأنه حتى لو كان للصورة وجود منذ وجد الإنسان، إلا أنها لم تحظ بالأهمية والعناية كما هي عليه الآن إذا تم استثمارها في معظم مجالات الحياة، لكن سلطتها تظهر بشكل مميز في الإشهار والدعاية لما تحققه من أغراض مختلفة

منتوج يمتزج بقيم لكي يصبح «صالحا»  
للاستهلاك».<sup>١٩</sup>

و انطلاقا من القيم، ومن تلقي المشاهد  
للصورة الإشهارية يقول بن كراد في  
مبحث العين والصبخ البصري: «النظرة  
في العين لاحقة على الإبصار فيها،  
فهي ليست من الرؤية، وليست تلك  
وظيفة الأولى، إنها جزء من «الحجم  
الإنساني» كما تبلور ضمن سيرورات  
الترميز المتتالي في الذاكرة الإنسانية،  
لذلك لا نلتف عادة إلى الكائنات  
والأشياء الموضوعية للرؤية، بل نحتمي  
"بتجربة النظرة" داخلها وما يمكن أن  
تضيفه إلى الشيء الممثل في الصورة،  
وذلك هو الأصل في تداول العالم من  
خلال أفعال بصرية تصنف الموضوعات  
المدركة ضمن اللحم والحدج والتحديق  
والشوق والزنو والترمييق، وهي جميعها  
تنويعات على أصل ثابت هو "فعل  
الإبصار" قبل أن يتحول إلى «نظرة» لا

من تحكمها في المفاهيم)، من المعاني  
التي يجب أن تكون سبيلا نحو الدفع  
بالمستهلك إلى الشراء، فالتشخيص في  
ذاته (وضع المنتج ضمن وظيفة إنسانية  
(بعد مدخلا مركزيا إلى الإقناع، ذلك أن  
المفاهيم تقدم مضامين صريحة، أما  
التمثيل فيخفي نواياه في التفاصيل، وما  
لا تلتفت له العين بشكل واع، وهو ما  
يعني أن الاستهلاك (فعل ثقافي) قبل  
أن يكون إشباعا حقيقيا لحاجات نفعية<sup>١٨</sup>  
على عوالم الصورة إذا لم يتم استيعاب  
ذلك ضمن استراتيجية تحليلية لا تصف  
السيرورات، بل تؤول وتكشف عما تخفيه  
التشابهاة والأشكال الإشهارية المتعددة،  
وتلك هي الغاية من كل تعبير استعاري،  
إنه رابط غير مرئي بين الغامض في  
هوى النفس، وبين تجربة العقل... ولذلك  
فإن الفن هو تفكير بالصورة، وذاك هو  
مصدر الطاقة التي تمتلكها الصورة  
الإشهارية من أجل توجيه المتلقي إلى

واقف لا يورث عند المستهلك سوى  
التفاهة والروتين والممارسات المكرورة،  
واستبداله بعوالم رمزية هي أصل الرغبات  
والدافع إلى الشراء، ففي ما هو أبعد من  
الحاجة الاستهلاكية المباشرة، هناك  
«شاعر يرقد» في سراديب الذات الراغبة  
«جاك سيغيلا». <sup>٢١</sup>

وبناء على مقولة «جاك سيغيلا» إنه  
بوجدان كل إنسان «شاعر يرقد» فعلى  
الإشهاري إيقاظه على حساب مدخلات  
العقل ومخرجاته، فالنائم في الوجدان  
ليس سوى رغبات بسيطة تحولت مع  
الزمن إلى «شغف» جارف أو «هوى»  
يبحث عن إشباع لا يمكن أن يتحقق إلا  
ضمن ما توحى به الوصلة الإشهارية،  
لذلك يقدم الإشهار منتجاته في ملمح  
يعبر عن السياقات الثقافية التي  
تحتضنها». <sup>٢٢</sup>

ويهدف الخطاب الإشهاري من خلال  
استثماره للقوة إلى استمالة المتلقي من

ثرى، وإنما تدرك الكون استنادا إلى  
المضاف الثقافي الطارئ». <sup>٢٠</sup>

أما عن الإشهار الذي يمثل وصفة  
السعادة على حد تعبير «بن كراد» فإنه  
يوضح حقيقتين للإشهار، أو دالتين، إذ  
يقول: «الثابت في الإشهار أنه تجاري»  
إنه يمدح ويعلي من شأن المنتجات  
والخدمات و«لوك» السياسيين والنجوم  
في كل المجالات، لذلك لا يشكل  
«المضمون الخبري» داخله سوى حيز  
بسيط يوجه في الغالب من الحالات  
لإشباع ما يصنف ضمن الانتظارات  
العقلية عند المستهلك، ما يشكل تبريرا  
بعديا لفعل استهلاكي أساسه اللاشعور  
والرغبات الدفينة، وهو ما يعني أن  
الإشهار لا يُخبر، بل يسرب من خلال  
المنتج وفضائله المحتملة، عوالم  
«مخيلية» تحتفي بالافتراضي وحده في  
النفس والوجدان، لذلك لا يتردد أغلب  
الإشهاريين في التصريح بتساميهم على

الصخب الصوتي على عوالم الرؤية والنطق، هناك انغماس مطلق في الصورة، كما لو أننا ننتظر لنقوم سوى بالإنصات لأنغام موسيقى مسترسلة، أو الخضوع لضجيج بلا نهاية، لقد استطاع الصوت وهو الذي كان سائدا في الفضاء العمومي، استيعاب كل إمكانات البصري وضمه إلى إحساس خالص بالوجود، هو الدليل على أننا موجودون في العالم»<sup>٢٣</sup>.

إن ما يميز الصورة الإشهارية هو أنها تتجاوز نفسها، لتحصيل تأويلات متعددة ومختلفة حسب السياق، وحسب ثقافة بيئة كل مستهلك أو كل متلق، «وذلك أن الصورة، شأنها في ذلك شأن الكلمة لا تدل من خلال إمكاناتها الذاتية، بل تقوم بذلك استنادا إلى محيط مباشر أرضي يستعيد بالتناظر والإيحاء وضعيات إنسانية سابقة، أو يسقط من خلال السيرورة ذاتها، ما يمكن أن تتخيله الذاكرة كاستيهايم أو كإمكان للتحقق)....

أجل إقناعه بإنجاز فعل الاقتناء لمنتوج معين، فالإشهار يستثمر من أجل بلوغ مقاصد كثيرة لا تتحقق إلا بتفعيل استراتيجيات متعددة ومتنوعة، إذ يتجه الإشهار مرة نحو التأويل المنطقي العقلاني وتارة نحو اللاشعور والرغبات والأحلام وغيرها من آليات الإقناع، حيث يستثمر المتلفظ النصوص الغائبة في المرجعية الثقافية، لصياغة نموذج ثقافي يجد له مصدرا في المرجعية الثقافية المشتركة بين الأفراد، حيث سيمثل هذا النموذج لبناء الرسالة الإشهارية التي تقدمها الصورة وآلية الإقناع المتلقي للقيم التي تدعو إليها.

### سلطة الصوت والصورة :

استنادا على مخرجات العقل والوجدان، يسعى أصحاب المؤسسات وكل من يريد تحقيق أغراض معينة إلى السيطرة على لاشعور الإنسان حيث من ميزات العصر البصري الذي يتحكم في نظرتنا «هيمنة

الصورة وتوجهها وجهة الغرض المنشود؛ بحيث تزرع كل الصور المبتوثة على الشاشات وكل وسائط التكنولوجيات الحديثة الشك في نفوس المشاهدين، إذ يصبح لكل حدث دلالات متنوعة من خلال الوضع الرمزي للواجهة الأمامية].

وعلى هذا الاعتبار إن ما في الصورة دال على حضور رمزي، وليس نسخا حرفيا لوجود واقعي، فالنظرة والوضعة والموقع وطريقة التنقل في الفضاء المباشر لا قيمة له، فالإرهاب ليس انفجارات تدوي؛ إنما هو معيارية في الملبس وطريقة في التعاطي مع الحياة ذاتها.<sup>٢٥</sup>

**الفهم العميق للناقد بن كراد للحدثات وعلاقته بالصورة الإشهارية:**

يسمي «بن كراد» كل مظاهر العصر الذي نعيشه «الحدثات الكسيحة» لذلك فهو يقول: «والمحصلة بلوغ عينة من الكائنات الغريبة التي تستقبل الحياة في

( إن الصورة الإشهارية تتخلى عن هذه الوظيفة [وظيفة الإخبار] وتتحول إلى قوة رمزية تشير بالضرورة ومنطق المعنى الإيحائي نفسه نحو التعميم وتجاوز الحدث الفريد والخاص، فكل صورة من هذه الصور ليست سوى تمثيل لكل حالات «السلم» أو «الثورة» أو «الفاجعة» التي لا يمكن تصور مثيل لها؛ إن المدرك المباشر سوى ممر عابر نحو القابل للتمثل من خلال واجهات متعددة».<sup>٢٤</sup>

ومن منظور الناقد السيميائي سعيد بن كراد للصورة الإشهارية، أن أهميتها تكمن في انزياحها عن وظيفة التمثيل الإخباري، إذ إن ما تقوله الصورة ظاهريا لا يعكس رأيا، ولا يروي قصة معلومة، بل إن كثيرا من الصور تقودك من أجل تغيير الحقيقة خاصة في الخطاب السياسي، إذ تختفي العناصر التقريرية لمصلحة قوى رمزية تتسلل إلى

ولأن الصورة الإشهارية من آليات الإقناع واستراتيجيات التأثير، ولأنها تنتمي «للحضارة الحديثة»، وبناء على وظيفتها في تحقيق الأغراض المنشودة في القطاع السياسي والاقتصادي، فإن ما تخفيه هو التأثير الوجداني والاجتماعي على العالم كله، خاصة العالم العربي الذكوري «جسد المرأة»، والمقصود بذلك من منظور سعيد بن كراد أن مجمل العوالم المجردة والمحسوسة التي تحيل عليها المرأة عبر فعلها وجسدها، وكذا كل اللغات التي تعبر عنها ومن خلالها عن نوع خاص من الانتماء الثقافي والاجتماعي والحضاري، فالمرأة في كل هذه الصور تحضر عارضة أو مستهلكة أو ذريعة، وتحضر باعتبارها رمزا من رموز التبادل الاجتماعي والثقافي، «إن المنتجات التي يلقي بها للتداول تأتي إلى الناظر في أغلب هذه الوصلات ممزوجة بكل ما يحيل عليه المتخيل الإنساني حول المرأة وملكوته الخاص والعام».<sup>٢٧</sup>

شكل أحكام مطلقة في الدين والقيم وتدبير الوجدان وتصرف أمور الشأن اليومي؛ استنادا إلى منتجات الحضارة الحديثة بكل أنواعها، إنها كائنات هجينة تتوزعها انتماءات لا حصر لها ولا عد، فهي مشدودة إلى ما في العلاقات وفي الذاكرة، ولكنها تتحرك في فضاء تزينه منتجات حضارة تجدد نفسها باستمرار، إن اللحظة لا تعاش باعتبار مضمونها الزمني المباشر كما هي في ذاتها، إنها حاضنة لكل الأزمنة؛ إنها ممتدة في كل الاتجاهات، فقد تحيل على زمن الأساطير، وسلطة الجن وكائنات لا ترى، وقد تشير إلى زمن الافتراض الذي يستثير الآتي من مكانه عبر إسقاط «مشاهد فعلية»، من العالم المتخيل أو القابل للتخييل فقط؛ ثورات تصنع الآن في الفضائيات لا يربطها في أغلب الأحيان أي شيء بثورات الشارع».<sup>٢٦</sup>

ضوابط الاجتماعي وإكراهاته، وقد تكون تلك هويته الأصلية التي نسيها أو دفعوه إلى نسيانها... [إننا] نلج عوالم الرمزي حيث يتحرر الجسد داخلها من الوظائف العتيقة ؛ لكي يفجر طاقاته التعبيرية في كل الاتجاهات... فالعين من أكثر المناطق قدرة على تنويع حضورها في شكلها وفي دلالات منظراتها، فهي باب شارع على عوالم فيها الأحاسيس والانفعالات والمواقف ومقومات القوة، إنها عين كل شيء الفعل والقلب والصواب والميزان».<sup>٢٨</sup>

واعتمادا على سلطان العين؛ استثمرت الصورة الإشهارية في معظم المنتوجات؛ وخاصة ما تعلق بجسد المرأة -في المطعم، أو المطبخ، أو التجميل، أو اللباس، أو أشياء أخرى مثيرة لإيقاظ أهواء الرجل أو كما أن «للمعرفة» سلطة، فللصورة الإشهارية سلطة ؛ إذ كلاهما غرضه التأثير والسيطرة والإقناع،

وفي مقاله «حديث العين» في مجلة علامات ع 46، التي هو مديرها؛ يبدو أن الناقد السيميائي قد خص البحث في مكونات وماهية الصورة الإشهارية وبالتحديد «عضو العين»، يقول في بحثه: «تبصر العين وستظل تفعل إلى أن تنطفئ جذوة الحياة في الجسد الذي يحمله، فتلك وظيفتها الأصلية، وذاك مآلها، لذلك لن ترى سوى ما يأتيها من الإبصار ذاته، إنها من خلال هذه الوظيفة الأولية لا تقوم سوى بأداء دور بيولوجي مشترك بين كل الكائنات الحية، ولكنها حين «تغمز» تتزاح عن هذا الدور لكي تنتج شحنة دلالية تحتاج إلى «معرفة» جديدة لا علاقة لها بفعل البصر، فهي من المضاف الثقافي وحده، إذ بالعين نستطيع قول أشياء كثيرا، وتحقيق أغراض متعددة،و إذ بها نستطيع أن نقول الحقيقة، وبين هذا وذاك عودة بالجسد إلى أصله الناطق في «المتعة» وحدها، فهي التي تقود إلى الخروج عن

تقع في البيت حافظة لفرجها وحافظة للعرض والشرف.<sup>٢٩</sup>

وفي إطار استغلال الجسد، ينتقل إلى نموذج آخر، وهو كذلك له علاقة بالجسد «جينة ماجدور» (النار والذوبان واللذة)، حيث يتم عرض هذا المنتج عبر مجموعة من اللقطات المتنوعة، وكل لقطة تعبر عن موقف أو عن (لحظة سردية) معينة، فالإشهار يعرض رجلا يتصيب عرقا بجانب فرن ويحمل في يده خبزا طريا يضع به قطعة من جينة «ماجدور» وبجانبه ثلاث فتيات بلباس صيفي مليئ بالألوان الجميلة الجذابة كاشفات عن أجساد طرية، وفجأة تفاجئه زوجته وهو متلبس بالرغبة الجنسية ومغازلة الفتيات الجميلات، وهذا الإشهار يؤسس لحكاية تروي قصة من خلال البناء العام للصورة، ويختم «بن كراد» مؤلفة «سيميائيات الصورة الإشهارية (الإشهار والتمثلات) بمبحث

حيث لا تتحقق هذه السلطة إلا بلامسة الأوتار الحساسة في العقل والقلب معا؛ فالإنسان يتأثر إما بعقله وإما بقلبه وإما بكليهما.

ولقد أورد الناقد السيميائي بن كراد؛ نماذج عديدة للصورة الإشهارية في التلفزة المغربية؛ كمقارنة «المحلي» و«الوافد» في مبحث (نساؤنا ونساؤهم) ويقصد بالمحلي؛ المرأة التي تمثل الأم والجدة، والقيم القديمة، و الوافد؛ المرأة التي تمثل حضارة الغرب بلباسها وماكياجها وتسريحة شعرها، فالمرأة الأولى تمثل الواقع والثانية تمثل الإغراء والرغبة والمتعة التي لا تعترف بأي قيد، ويصوغ لنا مثالا عن «الكليبات» التي تقدمها فضائيات الخليج: مطرب بعباءة بيضاء يتغنى بقيم الصحراء والقبيلة والخيام، وعلى أنغامه ترقص غادة شقراء من وراء البحار أما «أم العيال» المتدثرة برداء أسود، فلا تدركها الأبصار، إنها

إلى وجدان المستهلك يشترط معرفة دقيقة وعميقة لكل تفاصيل حياته؛ نفسية ووضعه الاجتماعي وسننه وانتماءه المهني، وهذه المعرفة شرط أولي في كيفية صياغة الوصلة أو الإرسالية الإشهارية

تمثل دراسات بن كراد فهما عميقا لكل مظاهر الحياة، وإذا كانت اللغة تستطيع من بعض زواياها تفسير وتأييل الواقع، فلقد استطاعت السيميائيات أن تغوص في أعماق الواقع بكل مظاهره، لذلك استثمرها الأذكىاء كسلطة للتأثير على وجدان الإنسان الذي يسعى دائما إلى تغيير سبل عيشه، وكما يقال؛ فإن شعار الماركات والجودة صنعه الأذكىاء وأمن به الأغنياء ولكن الفقراء هم الذين يشترطون لاقتادهم أن امتلاكهم لشيء غال يعني أنهم ينافسون الأغنياء، وبهذا تم استغلال العالم، فخلقت فجوة كبيرة بين الأذكىاء وبين عامة الناس. ولذلك

صهيل الحصان الذي يمثل شعار البنك الشعبي المغربي؛ حيث تم اعتماد صورة الحصان لجعلها شعارا من العمق الثقافي وعلاقته بأصالة الحصان، إذ هو الحيوان الأصيل الذي يرمز إلى الوفاء والإخلاص وإلى الخير على أساس أن (الخيال على نواصيها الخير)».

ومن منظور الناقد «بن كراد» فالشعار (le logo) لا يمثل مجرد هوية بصرية محايدة، كما أنه ليس مجرد أداة تعرف هشة، إنه سلسلة من الحكايات والأوضاع والقيم، إنه تمييز ثقافي يقود إلى الفصل والتدقيق والتصنيف، إن الصورة/الرمز على خلاف التسمية، هي إطار مفتوح على كل الاحتمالات.

وفي نهاية مؤلفه، يصل الناقد «بن كراد» إلى نتائج متعددة أهمها أن الإشهار فعل ثقافي، وليس مجرد وسيط محايد، حيث إنه لا يستطيع التخلص من السياقات الثقافية والتاريخية والايديولوجية، فالسبيل

فإن سلطة المعرفة هي التي أصبحت  
تسيطر على العالم من خلال الدعاية  
والإشهار.

- <sup>١</sup> ينظر: سعيد بن كراد: سيميائيات ا لصورة الإشهارية (الإشهار والتمثلات الثقافية)، منشورات الاختلاف (الضفاف- دار الأمل)، الجزائر، الرباط، لبنان، ط1: 2016: ص 09.
- <sup>٢</sup> ينظر مقال سمير الزنجي، سيميولوجيا الصورة الإشهارية
- <sup>٣</sup> ينظر سعيد العماري: قراءة في كتاب «الإشهار والصورة» (صورة الإشهار) لدافيد فيكتوروف، بترجمة سعيد بن كراد، 2016/05/01.
- <sup>٤</sup> جميل حمداوي: ط سيميائية الصورة المسرحية (دراسة في المسرح)، دار النشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص 92.
- <sup>٥</sup> ينظر: سعيد العماري، قراءة في كتاب «الإشهار والصورة»، لدافيد فيكتوروف- ترجمة «سعيد بن كراد».
- <sup>٦</sup> ينظر: المرجع السابق، سعيد العماري.
- <sup>٧</sup> سعيد بن كراد، مرجع سابق، سيميائيات الصورة الإشهارية، ص 11.
- <sup>٨</sup> المرجع السابق ص 12.
- <sup>٩</sup>
- <sup>١٠</sup> المرجع الأجنبي السابق- نقلا عن سعيد بن كراد- ص 13.
- <sup>١١</sup> ينظر سعيد بن كراد: المرجع نفسه، ص 13.
- <sup>١٢</sup> ينظر: المرجع نفسه- ص 13-14.
- <sup>١٣</sup> ينظر حاتم عبيد: في تحليل الخطاب- دار ورد الأردنية- الأردن- ط01- 2013، ص 201-202-203.
- <sup>١٤</sup>: ينظر، حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، ص204.

<sup>1٥</sup>: ينظر، حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، ص215.

<sup>1٦</sup>: سعيد بن كراد، سيميائيات الصورة الإشهارية، ص31.

: 3المصدر نفسه، ص ن

<sup>1٨</sup> سعيد بن كراد: السيميائيات ورحلة البحث الأبدي عن المعنى (حوار) مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ع3/٢٠١٣/ بني

ملال- المغرب- مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص١٣٧.

<sup>1٩</sup> سعيد بن كراد: حوار مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع3/٢٠١٣، ص١٣٧.

<sup>٢٠</sup> سعيد بن كراد: بين اللفظ والصورة الواقعية (تعددية الحقائق وفرجة الممكن) -المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء-

المغرب - ط٢٠١٧، ص١١٧.

<sup>٢١</sup> سعيد بن كراد: بين اللفظ والصورة الواقعية، ص١٧١.

<sup>٢٢</sup> المرجع نفسه، ص١٧٤/١٧٥.

<sup>٢٣</sup> نقلا عن سعيد بن كراد: بين اللفظ والصورة.

<sup>٢٤</sup> سعيد بن كراد: وهج المعاني (سيميائيات الاتساق والثقافة)، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب- ط 01-

2013- ص 97-98.

<sup>٢٥</sup> ينظر: سعيد بن كراد: وهج المعاني، ص 105.

<sup>٢٦</sup> سعيد بن كراد: وهج المعاني- ص 237—236.

<sup>٢٧</sup> سعيد بن كراد: سيميائيات الصورة الإشهارية، ص 123.

<sup>٢٨</sup> سعيد بن كراد: حديث العين- مقال منشور بمجلة علامات ع 2016/46- وزارة الثقافة- المغرب- ص37-38.

قائمة المصادر والمراجع:

١. جميل حمداوي: سيميائية الصورة المسرحية (دراسة في المسرح)، دار النشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠١٣.
  ٢. حاتم عبيد: في تحليل الخطاب- دار ورد الأردنية- الأردن- ط١- ٢٠١٣.
  ٣. سعيد العمري: قراءة في كتاب «الإشهار والصورة» (صورة الإشهار) لدافيد فيكتوروف، بترجمة سعيد بن كراد، ٢٠١٦/٠٥/٠١.
  ٤. سعيد بن كراد: السيميائيات ورحلة البحث الأبدي عن المعنى (حوار) مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ع٣/٢٠١٣/ بني ملال- المغرب- مطبعة النجاح، الدار البيضاء.
  ٥. سعيد بن كراد: بين اللفظ والصورة الواقعية (تعددية الحقائق وفرجة الممكن) -المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب - ط٢٠١٧.
  ٦. سعيد بن كراد: حديث العين- مقال منشور بمجلة علامات ع٤٦/٢٠١٦- وزارة الثقافة- المغرب.
  ٧. سعيد بن كراد: حوار مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع٣/٢٠١٣.
  ٨. سعيد بن كراد: سيميائيات الصورة الإشهارية (الإشهار والتمثلات الثقافية)، منشورات الاختلاف (الضفاف- دار الأمل)، الجزائر، الرباط، لبنان، ط١: ٢٠١٦.
  ٩. سعيد بن كراد: وهج المعاني (سيميائيات الاتساق والثقافة)، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب- ط١- ٢٠١٣.
  ١٠. مقال سمير الزنجي، سيميولوجيا الصورة الإشهارية.
- <sup>٢٩</sup> سعيد بن كراد: سيميائيات الصورة الإشهارية، ص141.

## الذاكرة ورهان الكتابة رواية "أخايد الأسوار" أنموذجا"

الباحث : خالد قدروز

جامعة ابن طفيل القنيطرة.المغرب.

تقديم:

يرصد البحث تجليات الذاكرة في رواية "أخايد الأسوار" للكاتبة المغربية الزهرة رميج" بغية كشف وتعريية الواقع، لأن المتلقي لـ "أخايد الأسوار" يجدها تعابن الواقع المغربي في فترة من فتراته(سنوات الجمر والرصاص)، "بلغة شعرية ممزوجة بالأناشيد والأهازيج والمرددات المغربية المحفورة في الذاكرة الشعبية، هكذا تكون رواية الذاكرة جبارة في كونها تحفظ وقائع الماضي وأحداثه وتخرجه من غياهب النسيان والتلاشي، لتقربنا من تجربة كونية قبل أن تكون تجربة محلية وذاتية، إنها تجربة السجن أو الاعتقال السياسي في فترة السبعينيات، هذه التجربة التي قاسمتها مع المسرود له بطريقة فنية رائعة يمتزج فيها الخيال بالواقع، وتتقاطع فيها الأبعاد الثورية، الرمزية، الرومانسية والشعرية التي تتميز بها جل أعمال الزهرة رميج، وكيف لا تكتب بلغة شعرية رقيقة والكاتبة شاعرة أيضا؟!، ولعل خصوصية اللغة من أهم ما مميزات السرد النسائي.

### 1.الذاكرة والكتابة أية علاقة؟

لا يختلف اثنان في أن فعل الكتابة لا يتم إلا عبر الذاكرة التي تربط بين الماضي والحاضر، وكذا المستقبل من خلال مجموعة من التقنيات: كالاسترجاع، الاستباق، الحذف، الانتقاء وغيرها...، فهي قيمة معرفية وتراكم فكري وذهني لمسيرة المبدع انطلاقا من بنية حياتية

من قبيل: هل يُؤلّد الإبداع من "الذاكرة" بمعنى هل الذاكرة نتاج للإبداع أم مجرد شرط من شروطه؟ وهل يعتمد الكاتب أثناء تجربة الحكي والتأريخ الذاتي والكتابة عموماً على ذاكرته كمصير مطلق ومقدس لا يقبل الشك وبالتالي تمارس سلطتها عليه؟ أم أن الكاتب هو من يمارس سلطته على الذاكرة من خلال إخضاعها للتسنيين الجمالي والإستيتقي؟ وما هي حدود الواقعي والخيالي في فعل التذكر المنجز داخل جنس تعبيرى ما؟.

لا بد في البداية، من الانطلاق من فكرة أساسية مفادها أن الكتابة تستدعي بالضرورة الذاكرة، فبدون ذاكرة ليست هناك كتابة. وحينما نتحدث عن الذاكرة لا بد أن نقابلها مباشرة أيضاً بالقراءة؛ لأن القراءة آلية من آليات اختزال المعرفة في الذاكرة "فبدون هذه العناصر الثلاثة منفصلة أو متصلة، وما يتولد عنها من تراكم معرفي، لا تستقيم الكتابة"<sup>٢</sup> ، وهذا

ونفسية وسياسية واجتماعية، تمكنه من تخزين وحفظ ما لا حصر له من المعلومات التي تتم استعادتها في قالب سردي أو شعري فني وجمالي متميز، فهي بمثابة العصا السحرية كما يسميها "أمير تاج السر" إذ يقول: "أعتقد أن من أهم الأشياء التي ينبغي على الكاتب أن يمتلكها، وهو يمضي في سكة الكتابة، خاصة من احترف كتابة الأعمال الواقعية، أو الرواية المزوجة بالسيرة الذاتية بشكل أو بآخر: ذاكرته، تلك العصا السحرية التي تمكنه من نبش الماضي بسهولة واستخراج ما يصلح لكتابته وما لا يصلح أيضاً من أجل تعديله وتقنيته وإدراجه في النصوص التي ينتجها"<sup>1</sup>.

ومن هنا، فإن الحديث عن الذاكرة في علاقتها بالكتابة عموماً والسرد على وجه الخصوص يدفعنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة المهمة التي توطر لهذا المقال

- إنتاج الدلالة الاجتماعية والسياسية

- اعتماد حركية الذاكرة، من الحاضر إلى الماضي

يقول "محمد عز الدين التازي": "إن خصوصية كل ذاكرة، ومرجعيتها الواقعية، هي ما يوضع هذا الماضي في زمن واقعي أو مجرد، وهو ما يعطيه أهمية الدلالة على المستوى الاجتماعي والسياسي، مع أن هذه الذاكرة في إطار الكتابة، تبقى ذاكرة متحركة، تستطيع أن تتخيل صيرورتها، وأن تبدأ نقطة الحاضر، لكي تتراجع...".<sup>٥</sup>

يضاف إلى ما سلف، أن إعادة إنتاج الماضي أو التمثيل للذاكرة يسعى إلى إنتاج معنى معين وإلى إيقاظ الوعي، مع إمكانية تجزيء لحظات الذاكرة، حيث نجد أن ما يدون لا يدون في كائنه وشموليته بل منه ما يمحي ويطمس

ليس معناه أن الكتابة تتحول لاجترار لهذا الموروث الذي استجمعه عن طريق القراءة والحفظ والترسيخ، بل ينبغي أن تتحول للإبداع والخلق والابتكار، وهنا نستحضر مقولة الشاعر "أبي نواس" الذي كان من أكبر شعراء العرب حين قال: "ما قُلْتُ الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب (...)"<sup>٣</sup>.

جاء على لسان "نور الدين صدوق" أن "محمد عز الدين التازي" يؤكد أن الإبداع يولد أساساً من الذاكرة، حيث يتحقق فعل تلمس أو ملامسة الأشياء وإقامة علاقة معها، ذلك أن الذاكرة بما هي الماضي الملتصق والمصاحب للذات، يعاد النظر فيه وفق ترتيب وتركيب أحداثه وقضاياه في سياق أزمنة أخرى<sup>٤</sup>، وأشار إلى أن خصوصية تمثل الذاكرة تكمن في:

- إحلال موضوعة الماضي في الزمن الواقعي أو المجرد

الرابطة بين ما تحكيه الذاكرة وتستحضره<sup>٧</sup>، لأن "العبة الذاكرة هذه التي هي جزء من تكونها وطبيعتها، فرضت على كتاب الرواية والسير الذاتية مراجعة طريقة التعامل مع المحكيات، ووضع صدقية الذاكرة موضع تساؤل. والقسط الكبير من التنويع والتجديد في كتابة السيرة الذاتية يرجع إلى هذا الوعي لحقيقة الذاكرة ولما تقدمه لعبتها من إمكانات في تنويع السرد وتفريعه وتشبيك أزمته وفضاءاته...<sup>٨</sup>."

فإذا كان النص الأدبي السردى يتكون من عدة عناصر كالزمن والمكان واللغة والمعرفة والذاكرة وغيرها من المكونات، فإن الذاكرة بما هي عليه (استراتيجية دينامية غير ثابتة، متحركة، انتقائية، تقريبية، محوِّلة للمعيش...) تحتل المركز من هذه العناصر المكونة للنص الأدبي، وكأنها الوسيط الكميائي الذي يسهل التمازج وإعادة تركيب الوجوه والأشياء

معالمه، وهنا تعمل الذاكرة عملها فتقوم بانتقاء وتسليط الضوء على الضروري والهام، يقول عز الدين التازي: "المعنى هو الدلالة، هو الوعي، والوعي يستطيع أن يعيد تجزيء لحظات الذاكرة أو طمس بعضها أو تسليط الضوء على بعضها الآخر، وهذا ما يمكن أن يتم في الرواية والسيرة الذاتية معا"<sup>٦</sup>.

فذاكرة الإنسان، كما ذهب إلى ذلك محمد برادة، هي ذاكرة متجانسة ومستمرة إلا أنها في طريقة عملها واشتغالها تستند وتلجأ إلى الانتقاء والتجزؤ، وتخضع للمحفزات، لأنها عبارة عن حقل واسع تسكن وتتعايش بداخله أزمنة مختلفة ومتعددة، وما ينطبق على ذاكرة الإنسان ينطبق أيضا على ذاكرة السارد حيث يقول: "وعند السرد، لا مناص من بنائه على كثير من المسكوت عنه، إذ لا يستطيع السارد أن يأتي على ذكر جميع التفاصيل، ولا أن يقيم العلاقات السببية

الموصفات الشعرية المجردة التي  
ستمحه أدبتيه "١٠".

بمعنى أن الذاكرة ليست مطابقة للواقع أو  
معادلة للماضي ككل، إنها تمثل معبرا  
لازما وضروريا بين الواقعي والتخييلي،  
إن لم تكن ذلك المرجع الوحيد الذي  
تحيل عليه الكتابة، والمتبقي من ذلك  
الكيان المنفصل والمتدفق والمتلاشي الذي  
يسمى (الواقع)، ذلك أن الذاكرة "مهمة  
توثقت صلتها بالذات والحياة ومارت  
بالحقائق، لا بد أن تستغرقها قوة محايدة  
تمحو أصولها أو تعتمها، وتتأى بها عن  
الحميمية والدقة والكلية نحو مدارات  
الغياب والفقدان، وتستبدل النكوص  
بالاستشراف والتكريس بالتأسيس" ١١.  
وفي هذا السياق يقول رولان بارت:  
"الكتابة قضاء على كل صوت، وعلى  
كل أصل. الكتابة هي الحياد، هذا الحياد  
الذي تنتيه فيه ذاتيتنا الفاعلة. إنها  
السواد-البياض الذي تضيع فيه كل

والأحداث والتجارب التي نعيشها. وهذا  
ما دفع "محمد برادة" إلى القول في  
موضع آخر "إن الكتابة الإبداعية هي  
في عمقها 'كتابة الذاكرة'، أن نكتب  
ذاكرتنا، معناه أن نتخلى عن وهم محاكاة  
'الواقع' و نحرر اللغة من ترجمة المرئي،  
ونرتاد فوضى التخيل المنفتح على أكثر  
من سجلّ والمكتسب شرعيته من ما  
يرتديه من غلاثل إستتيقية" ٩.

وبهذا فإن الحديث عن الذاكرة في نطاق  
الممارسة الأدبية عموما والكتابة السردية  
على وجه الخصوص، قد يبدو ضربا من  
تحصيل الحاصل؛ إذا ما اعتبرنا أنها  
تعيين لمفاهيم من قبيل: الواقع والحياة  
والذات والمعيش واليومي والماضي  
والتاريخي... إلخ، من هنا فلا أحد يجادل  
في أن الذاكرة "هي منطلق أي عمل  
أدبي، ومعينه الأساس في بنية اقتصاده  
الدلالي والشكلي وتشبيد عوالمه المتخيلة،  
وكذا معينه في امتزاج وتفعيل مختلف

من الأمور المألوفة في الروايات الكلاسيكية أو الجديدة وجود حدث معين، على منواله تتبلور الوقائع السردية، ممثلة بذلك فعل الكتابة الروائية وإحدى غايتها، وهذا الحدث غالبا ما يتم الإعلان والكشف عنه منذ الاستهلال في بداية الرواية، لأنه يمثل العمود الفقري لمجمل المعطيات الزمانية والمكانية والشخصية والحوارية واللغوية والسردية المكونة للنص الروائي.

إلا أن المتأمل في رواية "أخايد الأسوار" (\*) يعي أنها لا تبدأ بأي تلميح للحدث الرئيس أو الواقعة الأساس، إلا في بداية الفصل الرابع حيث يبدأ الحدث في التشكل والمتمثل في زهاب الساردة لمدينة الرباط بدافع تقليب صفحات الماضي حيث تقول: "لقد ذهب ذلك اليوم إلى العاصمة - لا لأحضر لك الدواء كما عهدت- بل لأقلب صفحات الماضي المؤلم الذي كنت تريد نسيانه

هوية، ابتداء من هوية الجسد الذي يكتب" ١٢، وبعبارة أخرى فإن إخضاع الذاكرة لمسار الدوال وتقنيات السرد ومقتضيات الخطاب والكتابة، من شأنه أن يدفع الكاتب إلى "البحث عن معادل لغوي لحياته الشخصية مما يزيل عن الأحداث والأحاسيس المستعادة الخصوصية أو الفرادة التي تميزت بها وقت وقوعها، ويضفي عليها شيئا من التعميم والمفهمة كي تكتسب وجودها المجرد، وتستمد إبلاغيته" ١٣.

وبهذا تنقل الذاكرة، وتخرقها الانزياحات والانحرافات ويتم إعادة تركيبها وترتيبها زمانيا ودلاليا وفق ما يستدعيه مطبخ التخيل.

II. تجليات الذاكرة في "أخايد الأسوار" من خلال:

١. ذاكرة الأحداث

فحاولت الساردة أن تقدم طلب التعويض على بعض ما ناله من قهر وحرمان داخل الأسوار وانتقاما له منهم، لكن المسرود له لم يوافق على ذلك لأنه لا شيء في هذا الكون يمكن أن يعوضه الجراح والأخايد العميقة التي رسخها السجن في ذاكرته وجسده وروحه.

وفي الفصل الثامن نجد ما يفيد على أن الساردة قدمت فعلا ذلك الطلب بالتعويض حيث تقول: "مذ قدمت ذلك الطلب وأنا أدمن السجن" ١٦، وتكرارها لزيارته ورؤية أطلاله المتآكلة التي أيقظت فيها تلك الذاكرة الجريحة والنشب في دواخلها وأعماقها. ومن نفس الفصل نستشف أن الساردة حصلت على شهادة تقرر فعلا بإقامة زوجها في السجن وتؤكد أنه من معتقلي الرأي، ومن ثمة فهو ممن له الحق في التعويض عن الاعتقال السياسي خلال سنوات الجمر والرصاص، وممن يجب ألا يسقط اسمه

بأي ثمن...حتى لو كان هذا الثمن حياتك نفسها. ذلك الماضي الذي كان بداية انهيار جدرانك قبل الأوان.. ١٤. من خلال هذا الحدث يبدأ التشويق والتساؤل عن أي ماض هذا الذي يريد المسرود له نسيانه وتجاوزه والذي ساهم في انهياره ومرضه؟.

تقول الساردة في الفصل السادس: "عندما أردت أن أنتقم لك بتقديمي ذلك الطلب المهين -كما كنت تسميه- لم أكن أدري أنني سأفتح أبواب الجراح كلها، لتتلف دفعة واحدة؟...طلب مني إحضار الإثبات الذي يؤكد أنك كنت من النزلاء المحظوظين في الفضلاء المأسوي... ١٥. يظهر إذن أنا المسرود له كان يعاني من مرض أثقل كاهله وجسده، وأنه من ضحايا أيام السواد أو ضحايا المعتقلات السرية، الذي ألقى به في غياهب السجن لأمر تتعلق بنضالاته وقناعاته الفكرية والعاطفية،

زمن الطغاة والاستبداد، ونصادف الحدث نفسه في الفصل العشرون مع تقديم تفسيرات دقيقة متصلة بهذا الانقطاع.

وفي نهاية الفصل ما قبل الأخير يظهر أن الساردة التي لا طالما استحضرت ذكرى زوجها واستتجت به، أثناء اعتقاله، ومرضه، وموته، تمكنت نسبياً من الانتقال من عالم الوهم (الحلم والخيال) إلى عالم الصحراء الرهيبة (الواقع/الحقيقة) والاستمرار في الحياة ومواصلة الطريق من دونه "١٨.

استناداً إلى هذه المعطيات جميعها واستناداً إلى مجموعة من الاستطرادات المتشعبة والتساؤلات المتتالية بين صفحات الرواية، يمكن القول إن الحدث الرئيس في رواية "أخاديد الأسوار" يتمثل في فعل "الاعتقال السياسي" وأن سيرورة تطور الحدث تتكون من جملة متغيرات يمكن ترتيبها حسب زمن الحكاية على الشكل الآتي:

من سجلهم التاريخي ويظل محفوراً في ذاكرتهم.

أما الفصل الثاني عشر تقدم الساردة معطيات متعلقة بحادث نضالات المسرود له و التحاقه بأحد خلايا الحزب بمدينة فاس "وتذوقه مرارة الخيانة من لدن من كان يُعدهم من الأوفياء والمخلصين" ١٧.

وفي الفصل الرابع عشر نستشف أن السجن الذي كان الزوج محبوساً بين أسواره وجدرانها يتموقع بجانب المقبرة والبحر، وهي مفارقة غريبة بالنسبة للساردة، إذ يمثل البحر الثورة والرغبة في التحرر وتحطيم القيود وتخطيها، بينما تمثل المقبرة رمزاً للألم مُعدٍ وقاتل.

إلا أن الفصل الخامس عشر نصادف حدث انسحاب الزوج من الساحة السياسية أو بالأحرى من الحزب الذي كان ينتمي إليه نظراً لعدة اعتبارات منها كون السياسة والأخلاق لا يلتقيان في

يمثل المكان مكونا أساسيا من مكونات الفضاء الروائي بمعناه الفني الشاسع، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون فضاء مكاني، فلا وجود لأحداث خارجه، فهو ليس مكانا جامدا صامتا تقع عليه أحداث الحكاية، بل يحمل دلالات وأبعاد وخصوصيات متعددة.

وقد حظي عنصر المكان في الرواية باهتمام كثير من الدارسين، مما نتج عنه مجموعة من المصطلحات الخاصة بدراسة هذا العنصر، مثل المكان الروائي، والفضاء، والفضاء الجغرافي، والفضاء الدلالي، والفضاء النصي، والفضاء بوصفه منظورا" ١٩.

كما أثير المشغلون بدراسة عنصر المكان في الرواية استخدام مصطلح الفضاء الروائي عن مصطلح المكان الروائي، حيث وجدوا في الأول شمولية أوسع، لكونه يشمل المكان. فالمكان الروائي، مكان بعينه تجري فيه أحداث

انضمام الزوج إلى أحد الأحزاب السياسية

اعتقال الزوج

خروج الزوج من السجن

الإصابة بمرض خبيث

موت الزوج

الحصول على تعويض مقابل معاناة الزوج

محاولة الزوجة التحرر النسبي والتخلص من ذكريات الماضي

إن عرض هذه الأحداث وهذه الذكريات الماضية واستحضارها بكل تفاصيلها وجزئياتها، جعل ذاكرة الساردة تشغل بقوة وتطلق عنانها في شبه ذهاب وإياب خلال فترة زمنية قدرت بربع قرن من الزمن.

٢. ذاكرة الفضاء

هذا النص يوضح المعنى الواسع والشمولي الذي يحتويه الفضاء، والذي تحضر فيه جميع الأمكنة الواقعية المرجعية والتخييلية التي تؤثت النص، مما يعني كذلك أنه فضاء تعاش فيه كل الأحاسيس والصور الذهنية كالحلم والذاكرة والموت والحياة وغيرها.

ووفق هذا السياق سنبرز مكونات الفضاء في رواية "أخايد الأسوار" في علاقته بالذاكرة باعتبارها الخزان الحافظ لكل الأمكنة الراسخة في مخيلة الساردة.

يتأثت عالم نص "أخايد الأسوار" من فضاءات متنوعة ومتعددة تقيم فيها الساردة مساحة جمالية بين الفضاء الواقعي والفضاء المتخيل، لتضفي على نصها بعدا فنيا استيطيقيا، وقد انبثق الفضاء المتخيل "من كيان الساردة، كما انبثق منه البطل/زوجها. فهو امتداد لنا وملحق بوعياها، هو فضاءات عامة ومنفصلة في نفس الآن، فضاءات

الرواية، بينما يشير الفضاء الروائي إلى المسرح الروائي بأكمله، ويكون المكان داخله جزءا منه.

وهذا ما يؤكد حميد الحمداني بقوله: "إن الفضاء في الرواية يضم أمكنتها جميعا، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء. وما دامت الأمكنة في الرواية غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة، فإن خفايا الرواية هو الذي يلفها جميع إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل، أو الشارع، أو الساحة كل واحدا منها يعتبر مكانا محددًا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها جميعها تشكل فضاء الرواية. إن الفضاء، -وفق هذا التحديد- شمولي- إنه يشير إلى المسرح الروائي بكامله. والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقًا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي" ٢٠.

وتفتت الأنفس. يتعالى الصراخ والأنين.  
يتعالى هدير الأسواط وهي تجلد الأجساد  
الفتية العارية"٢٢. فالسجن هو التعذيب  
هو القبر هو الموت، الذي "يحتضر فيه  
الإنسان بأيادي عزرائيل السوداء العملاقة  
ذات الأظافر المسننة"٢٣.

لذلك فالسجن والمقبرة سيان بالنسبة  
للبطل، لأنه بمثابة قاعة انتظار للدخول  
إلى المقبرة، بل إن السجين ميت داخله  
كما يؤكد الزوج المفقود: " هل تعتقدين  
أنني حي؟ (...). سرعان ما اقتنصوني  
وقصوا أجنحتي ووضعوني في القفص  
الذي أكرهه كراهية عمياء. ولم يطلقوني  
إلا بعدما كوووا جذور أجنحتي حتى لا  
تتبت من جديد. هل تعتقدين أنني أحياء  
منذ ذلك الوقت؟ حياتي وأحلامي كلها  
وهم في وهم. إنك تعشين مع ميت.  
تتامين بجانب جثة تتحلل باستمرار دون  
ان تعي ذلك...٢٤. فأثر السجن ظل  
ملتصقا وموشوما في ذاكرة الزوج -وهو

تنغمس في عواطف وكوابيس وأحلام  
وآلام الذات الساردة ورؤاها"٢١.

ورغم تعدد وشاسعة هذه الفضاعات في  
النص فيمكن اختزالها في فضائين  
رئيسيين يتحددان برؤية الساردة هما:

(أ) - فضاعات الظلم والقهر والموت  
الراسخة في الذاكرة:

تتشكل من مؤسسة السجن والمقبرة أو  
ما تسميها الساردة بالجزيرة السوداء،  
فالسجن (سجن لعلو بالرباط)، هو فضاء  
مغلق مظلم شديد العنف والغضب،  
والظلام والدمار، فضاء القهر والكبت  
والاختناق والعزلة، تتحرر الرطوبة جدرانها،  
وهذه تتحرر عظام المعتقلين، أقبيته  
مظلمة، عوالمه مفعمة بالمعاناة والألم  
تقول: "يشدني السجن إلى جدرانها  
المتآكلة... إلى أقبيته المظلمة... إلى  
عوالمه المفعمة بالمعاناة والألم... يعزف  
أحانه الجنازيرة التي تصك الأذان

فالجبل في الرواية فضاء مستمد من ذاكرة التاريخ المغربي باعتباره فضاء التمرد والثورة والمقاومة والجهاد ضد المستعمر الغربي، تقول الساردة: "قدماك تضربان الأرض بتلك الطريقة التي تثير شغبي الطفولي... يتداخل صوتها بأقدام المقاومين وهم يتسلقون جبال الريف ويختفون في تضاريسها الوعرة. تتربص نظراتهم الحادة في العدو في كل مكان... تلك الجبال التي طفت بها - وطفنا معك - هذه الجبال كلها ساحات للجهاد المقدس. تراب هذه الأرض مروى بدماء الشهداء الأبرار" ٢٥. فجبال الريف بأسرها ك: (التسول والبرانس و أكنول وأجدير ويسلي وتيزي...) تمثل رمزا للقوة والمقاومة والجهاد، كما تمثل فضاء الانتماء والهوية بالنسبة للبطل إذ نشأ وترعرع حرا طليقا بين غابتها وتضاريسها "ألست ابن الجبال الشامخة والغابات العذراء؟ ألم تكن تطير مع الطيور - حسب تعبيرك - تسابق الذئاب والخنازير

خارجه - طوال حياته إلى أن انتزعه من الحياة وسلمه لجارته المقبرة في تلك الجزيرة السوداء، الرمادية، الرهيبة الصمت.

ورغم مأسوية فضاء السجن وما خلفه من آثار قاتلة على نفسية الساردة لأنه السبب في موت زوجها وفقدانه، فإنها وجدت فيه من الود والحميمية ما يروي عطشها في استحضار المحبوب ولقائه، حيث كان أول مكان حرك مشاعر ذات الساردة العاطفية منذ زيارتها للسجين أيام الجامعة، لتنشأ بينهما علاقة حب رائعة انتهت بزواج دام ربع قرن من الزمن.

(ب) - فضاءات ذات بعد حميمي مرتبطة بالحب والحياة والحرية:

مقابل فضاء السجن والمقبرة المنغلق، يقع فضاء الطبيعة المفتوح المتمثل في البحر والجبل، كلاهما فضاءان للحرية، للحياة، للانطلاق، للحلم، لممارسة الحياة الكريمة.

"ليس هو ألم المقبرة. ألم البحر يولد الثورة والغضب والرغبة في التحرر والانطلاق وتحطيم الأسوار وتخطيها. أما ألم المقبرة، فهو ألم معد وقاتل" ٢٧.

فالبحر هو الحياة النابضة، هو الرغبة في التحرر، هو العمق، وحين تلتقي قوة البحر بالجبل في الإنسان، تلتقي تلك القيم الإنسانية الخالدة الماجدة، ف قمة الجبل وعمق البحر "سوى وجهين لعملة واحدة" ٢٨. فضاء ان استتبطت منهما الساردة عمقها القيمي، "ليشكل رؤية تغييرية للواقع، رؤية مستقبلية، رؤية مناقضة للرؤية السجنية" ٢٩. ومن المفارقة المدهشة هي أن فضاء السجن أيضا كان بجوار البحر "ما الذي كنت تحلمه بداخلك؟ هدير البحر وضجيج أم سكون المقبرة وعويلها المكتوم؟ كنت أراك موزعا بين البحر والسجن، فإذا بصراعك وتمزقك كان أدهى وأمر. لقد كنت بين البحر والمقبرة وما السجن سوى

البرية وتصعد قمم الجبال وتمطي صحوة الريح في البراري تحرسك عين الشمس في كبد السماء؟" ٢٦. فكل هذه القيم الايجابية القوية التي يحملها الجبل من سمو وأنفة وشموخ ظلت مرسخة في كيان البطل وانتقلت عبره إلى الساردة، فسكنتها كقيم ومبادئ وأحلام ورؤية.

وإلى جانب فضاء الجبل تستحضر الساردة فضاء البحر بشاسعته الخارقة، وسمائه الصافية وأمواجه المتدرجة، وزرقة مياهه النقية، هو فضاء لتطهير الذاكرة الجريحة من كل تلك الألم، إنه يبعث على الأمل والتأمل في الحياة والمستقبل "يشدني البحر إلى آفاقه الرحبة وعوالمه المغرية. تتاديني أمواجه لأركبها وأخوض غمار المجهول. تنشدني ألحان الحب والجمال. وتشرع أمامي أبواب المستقبل تحفها الأزهار والأنهار...". فهو فضاء يزرع الأمل في الإنسان، حتى إذا ألمك البحر، فألمه

والذكريات الحميمية التي تجمعها بزوجها من أسرار وأحلام وهوس جنون ورغبة جنسية، إنه فضاء الدفء والحنان والعشق، "تختزن ذاكرته مسيرة ربع قرن من حياتنا بكل تفاصيلها وجزئياتها الصغيرة. بكل مسراتها وأحزانها" ٣٤، "في هذا الفضاء الضيق والشاسع في الآن نفسه... ٣٥، فضاء ضيق ومغلق على الحميمية الخاصة والأسرار الدافئة الجميلة ذات قدسية متميزة، وفضاء شاسع أيضا لأنه منفتح على دفء الشمس (حبيبة الساردة) وصفاء السماء وجمال أزهار الشرفة وزقزقات الطيور، فضاء منفتح بسعة الذكريات وشاسعة الحلم، فضاء ذاتي تصبغ عليه الذكريات وقوة التخيل الجميل لبعض خصائص الجنة، لأنه حينما يلتقي هذا الفضاء المقدس بالشمس والبحر حينئذ ينتعش الخيال والحلم فتتحقق الجنة المطلقة ولقاء المحبوب.

الأرجوحة التي كنت تتأرجح فيها بينهما" ٣٠ هو إذن صراع بين الحرية والغضب، بين الحياة والموت/ الحضور والغياب.

وتستحضر الساردة فضاء البيت -الغرفة الخاصة بالزوجين، السرير، المخدة...- باعتباره فضاء للحب والقداسة واللحظات الحميمية الخاصة بين الزوجين المحنطة والمدفونة في ثنايا ذاكرة الساردة، تستحضر في كل مرة زوجها المفقود من تلك الجزيرة السوداء إلى هذا (المعبد السحري المقدس)، في إطار جدلية الحضور والغياب والبوح والمنولوج الداخلي، إنه فضاء الدفء المشترك، فضاء المتعة، والنوم الجميل، "فلاطفئ هذا النور ولأغص في سريرنا، محرابنا، حيث تبحث قدمي الملتهبان عم قدميك المثلجتين لتلفهما بالدفء وتدغدغ باطنيهما إلى أن تستسلم للنوم... ٣١. هذا المحراب مرآة تعكس كل اللحظات

الأحداث والأيام والسنوات. فكيف توزع الزمان في رواية "أخايد الأسوار"؟. وكيف اشغلت الذاكرة من خلال تقنيات السرد والتذكر؟.

### ٣. ذاكرة الزمان

يبدو أن زمان الرواية هو زمن "السبعينيات" أو ما يعرف تاريخيا بسنوات الجمر والرصاص، التي عرفها المغرب أنداك، وما خلفته هذه السنوات السوداء من معاناة وآثار نفسية وجسدية جسيمة على حياة المعتقلين إثر اختيارات سياسية وفكرية لم تجن عليهم سوى السجن والاعتداء البشع بجميع أشكاله. تقول الساردة عن الآثار والندب التي خلفها هذا الزمن: "في الحفل، صادفت بقايا وجوه، "السبعينيات"، وجوه مكتوية بالنار... نـ...دويها ظاهرة...سـ...حنتها داكنة...كلمتها حارقة...أحلامها منكسرة...أعماقها منخورة...٣٦". و تقول أيضا في مقام آخر مخاطبة

إلى جانب هذه الفضاءات، استحضرت الساردة فضاءات أخرى لها دلالتها ورمزيتها في الذاكرة الجماعية التاريخية مثل: اسبانيا وأمريكا وهما رمزان للعنف والاستبداد والاستيلاء خاصة أمريكا وما تقيمه من عنف وهجوم على العرب - العراق-، كما استحضرت فضاء مدينة الدار البيضاء فهي فضاء للهشاشة والاعتراب والتلوث. هذا إلى جانب فضاءات أخرى هامشية مثل: المقهى والشارع وغيرهما.

يمثل الفضاء إذن مكونا أساسيا في بنية السرد وتأثير عالم النص، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان وزمان معين. و الزمان باعتباره رديف للذاكرة نستطيع من خلاله تحديد وقوع الحوادث وتأريخها كي لا يغمرها النسيان، ومن خلاله أيضا نستطيع بناء الخطاب الحكائي بالاعتماد على تقنيات وأساليب مختلفة للتذكر واسترجاع ما مضى من

الساردة المنتصق بذاكرتها، والحاضر في مخيلتها باعتبارها جزء من تاريخها الشخصي وكذا الجماعي، لذلك حاولت أن تحتفي بكل تفاصيله وجزئياته، وأحلامه وآماله وألمه وأوجاعه الماضية، وفي الآن ذاته إخباره وإطلاعها عن التحولات والتغيرات التي عرفها الواقع - بعد رحيله - بكل تناقضاته وإشكالاته.

مما يفيد إذن أن الزمن في الرواية يتوزع بين ثنائية (الحضور والغياب/ الماضي والحاضر/ الحياة والموت)، وبين هذه الثنائيات تشتعل ذاكرة الساردة بوعي محكم في تذكر وسرد تلك التفاصيل باعتمادها على مجموعة من التقنيات السردية كالاسترجاع والتداعي الحر والاستشراق... وغيرها من التقنيات التي تعد من آليات السرد والتذكر.

#### أ) - الاسترجاع

يشير الاسترجاع حسب "جيرار جنيت" إلى كل حركة سردية تقوم على حدث

المسرود له/ الزوج بسؤال استتاري: "تذكر طبعاً، ضحايا الأيام السوداء... ضحايا السجون والمعقلات السرية... ألسنت واحد منهم؟" ٣٧.

هكذا فإن زمن الرواية له ارتباط وثيق بحياة الساردة - الساردة لتفاصيل حياة زوجها المعتقل - خاصة، وبحياة الإنسان المغربي عامة، كيف لا وهذا الزمن خزان لمجموعة من الأحداث والوقائع التاريخية والسياسية الراسخة في ذاكرته الفردية و الجماعية، التي تذكرنا بالزمن الماضي الجميل "الزمن البهي، زمن الأحلام الكبرى، وجنون التغيير، والجنوح إلى عالم المثل..."، وفي الوقت ذاته، تذكرنا "بالزمن الملعون، المستهتر، المنذفع، الطويبيسي، الصبياني... ٣٨"، إنه الماضي الأليم المرير الذي ذهب ضحيته عدد من المناضلين الشرفاء المحبين لوطنهم والمدافعين عنه بكل ما يحملونه من قوة وشجاعة، من بينهم زوج

عملية انتقال من الحاضر/ الذي يتم فيه سرد الأحداث، إلى الماضي الذي تم فيه الحدث المسرود" ٤٠. فعندما تتم عملية سرد الأحداث الماضية، فإن الماضي الذي تتم الإحالة إليه لا يتحدد إلا في علاقته بفعل الكتابة أو الكلام الذي يحقق وجوده، وهنا يتم الاحتفاء بالذاكرة بوصفها الملكة الحاضرة أو الحافظة لاحتواء الماضي في الحاضر ٤١"، إذ يكون هناك إخلال للماضي عبر فعل التذكر والحكي في ذات الوقت.

ويمثل الاسترجاع أكثر التقنيات في "أخاديد الأسوار" فمن خلاله تحاول "الكاتبة" استعادة الماضي الحاضر دائما في ذاكرتها، ولكي تشكل هذه المحاولات قابليتها على التجديد والحيوية، فإنها تعمل على إسقاط ذاكرتها على شخصياتها (الساردة والمسرود له المنبثق من كيان الساردة والذي تسلمه أحيانا

سابق للحظة السرد" ٣٩، بمعنى أنه يقوم على استدعاء الماضي بأحداثه وتأملاته وذكرياتة في اللحظة الراهنة، بحيث يشكل السرد اللحظة الآنية عند مرور بدء الأحداث، وتمارس هذه التقنية وظيفتها عبر المرور من منطقة الذاكرة المفقودة أو المستعادة عبر إقامة صلة ثنائية الموقع بين الماضي والحاضر، حيث التبادل والتناوب من أبرز سماتها، فالزمن الماضي يتلاشى أمام سطوة الحاضر، ويختفي ولا يبرز إلا من خلال هذه التقنية، لأن الزمن الماضي لا يمكن استعادته إلا عن طريق الذاكرة، وهو مرتبط بالحاضر وليس منفصلا عنه، إذ ينطلق من الحاضر ليعود إلى الماضي. لذلك فإن الاسترجاع في أبسط مفهومه هو "الارتداء إلى الماضي أو العودة إليه في لحظة توقف سردي يقطع سرد الحدث ليعود السارد بذاكرته إلى ما اختزنه من الماضي في صورة أقوال أو أفعال، بمعنى أن الماضي هنا ما هو إلا

تمر لتوها واضعة الماضي إلى جانب الحاضر، تستعيد ذكرى أول مرة التقت وتعرفت فيها على رفيق دربها في إحدى الزيارات الطلابية رفقة صديقاتها إلى السجن وهو مقيد خلف القضبان يعاني في صمت رهيب تقول: "كان ذلك أول لقاء تعرفت فيه عليك. تواصلت زيارة لجننتنا الطلابية إلى المعتقلين... عندما التقينا مجددا في سجن أكبر... عرفت هول المعاناة التي عانيتها هناك والآلام النفسية المبرحة التي تركت ظلالها على نظراتك وآثارها على جسدك الذي أنهكته في عز الشباب" ٤٣، فكلما حاولت الساردة إلغاء جزء من هذا الماضي، تجده يطفو من جديد على سطح الذاكرة، فكل شيء يذكرها بهذا الماضي خاصة جدران السجن العالية المتآكلة تقاوم ذاكرة النسيان، تقول: "الجدران العالية الرطبة نفسها لا تزال منتصبة كأنما تقاوم الزمان، لتظل شاهدة على أمس تحاول الذاكرة جاهدة نسيانه" ٤٤، وكيف يمكنها

خييط السرد)، لتفتح لها المجال لتمارس دورها في تشغيل ذاكرتها المخزونة.

تعمل ذاكرة الساردة على استرجاع واستنكار أحداث ذات المدى الطويل والمرتبطة بالماضي البعيد وكذا ذات المدى القصير المتعلقة بالماضي القريب. فمن تجليات النوع الأول قول الساردة منذ بداية صفحات الرواية: "لقد كنت دائما تعيب عليّ التشبث بالذكريات. يجب إلغاء الماضي بسرعة من الذاكرة". هكذا كنت تقول. هل تتذكر ردي على ملاحظتك؟. "لا أستطيع. عيبي المستعصي هو الوفاء!". هل أستطيع إلغاء ماض بشاسعة ربع قرن من الذاكرة الآن؟" ٤٢.

تعمل الذاكرة إذن على استرجاع وإعادة إنتاج ماضي ربع قرن من الزمن الذي تحتفي به "الأننا" الساردة، وعبر هذا الماضي تتسع ذاكرتها وتستدعي وتستحضر الماضي الطفولي، وكأنها

متناثرة بين طياتها منها: قول الساردة:  
"هل يمكن تعويض ما فات؟ وبأي  
مقياس تقاس الألم والمعاناة؟... الأحلام  
التي صارعنا من أجلها هل كانت  
تستحق كل تلك المعاناة؟... ألا نحطم  
الرقم القياسي في التعدد الحزبي؟ ألسنا  
بهذا المفهوم البلد الأكثر ديمقراطية في  
العالم؟" ٤٦ .

والى جانب هذه القضايا التي ترتبط  
بـ زمن الذاكرة الموشومة بالأعطاب  
والفساد، تتابع الساردة هذه اللعبة مع  
الذاكرة فتستحضر أحداثا ذات المدى  
القصير أو أحداثا أكثر قريبا من زمن  
انطلاق السرد الأصلي، بل مستمرة في  
زمننا الحاضر كاسترجاع أحداث يوم  
السادس عشر مايو الإرهابية بالدار  
البيضاء، الذي راح ضحيته مجموعة من  
الأبرياء الذين سُفكت دماءهم في ذلك  
اليوم المشؤوم، هذا الحدث جعل ذاكرة  
الساردة تسترسل وتستدعي حدثا آخر

نسيان هذا الفضاء المأسوي المظلم، وهو  
السبب في رحيل زوجها إلى العالم الآخر  
"الجزيرة السوداء" نتيجة ما خلفه من  
ندوب وآثار عميقة في نفسيته و جسده.

هذا الفراق الذي خلف بدوره جراحا  
موشومة في ذاكرة الساردة تستعصي  
نسيانها، مما أوجع شوقها وحنينها لهذا  
"الأنت" فتحاول استحضاره وإشراكه في  
كل لحظة تعيشها في حياتها اليومية،  
خاصة في ظل واقع مؤلم، متعفن،  
موبوء، حيث تستحضره موجهة إليه  
السؤال التالي: "هل تعتقد أن بإمكانني أن  
أخرج إلى الحياة وأستمتع بتفاصيلها  
الصغيرة وأنتشي وأفرح في ظل هذه  
الأجواء الموبوءة؟ في ظل اندحار الحب  
وسيادة الكراهية العمياء؟" ٤٥ . هذا الوفاء  
هو مرض أصاب كيان المجتمع واستمر  
فيه ردحا من الزمن بحيث يصعب محوه  
وتجاوزه، وقد تعدد أشكاله بين صفحات  
الرواية والتي وردت عبارة عن أسئلة

المجتمع من محسوبة وانتهازية ونهب واستيلاء على المال العام وخزائن الدولة وغيرها من القيم السلبية، تقول الساردة: "استحضرت نقاشاتنا... استحضرت تنبؤاتك ونظرتك النافذة في أعماق الواقع... استحضرت مأخذك على الأحزاب وعلى الدولة فيما تتعرض له الفئات الواسعة من التهميش... استحضرت رعبك الشديد وأنت تراقب تزايد الفقر والجهل والجرائم وتراجع القيم... استحضرت كل ذلك بتزايد وتيرة الاختلاسات المادية وركود المشاريع التنموية والاجتماعية التي تمر عليها عشرات السنين دون أن يحرك أحد ساكناً!... لقد كانت هذه الوضعية والصمت المتواطئ ما جعلك تنفض يدك من العمل الحزبي، لأنك أصبحت مقتنعا، من خلال التجارب العديدة، أن الأحزاب لا تظهر إلا في فترة الانتخابات، ولكن ما إن تحتل الكراسي حتى تغض أعينها وتغمض آذانها" ٤٨.

وقع في الماضي البعيد أريق فيه الدماء، لكنه دماء الفخر والاعتزاز بالمقاومة والنضال ضد المستعمر، تقول الساردة: "استحضرتك ذلك اليوم، وأنا أشاهد - عبر شاشة التلفزيون - أشلاء الأبرياء متأثرة في كل مكان والدماء تسيل أنهاراً... تذكرت حينها أغنية ظل سكان واد زم يردونها معتزين بمقاومتهم وصمودهم في وجه المستعمر الفرنسي: 'الزناقي في واد الزم... كلها تجري بالدم'. وهؤلاء، من كانوا يحاربون؟ هل يستطيعون ذات يوم، التغني ببشاعة ما قاموا به في حق الأبرياء؟" ٤٧. يمثل هذا الحدث إذن زمنا يحيل إلى الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال أيام الاستعمار الفرنسي والاسباني.

إن الساردة تستحضر زوجها الغائب/الحاضر بكل حملاته السياسية والفكرية ونقاشاته وحواراته حول الأوضاع المزمنة والواقع المر الذي عرفه

بعض الأحيان، "فما لم يتم قيام الحدث بالفعل فليس هناك ما يؤكد حصوله. وهذا ما يجعل الاستشراف شكلا من أشكال الانتظار أو التطلع" ٤٩. فإذا كان الاسترجاع هو ارتداء إلى الماضي، فإن الاستشراف هو الترقب أو القفز إلى الأمام.

وعلى المستوى الاستعمال الكمي في السرد، يرى "جيرار جنيت" بأن الاستشرافات أقل تواترا من الاستنكرات في التقاليد الحكائي الكلاسيكي، وأن الرواية بضمير المتكلم هي الأنسب لقيام التطلعات لأنها تسمح للراوي بالتلميح إلى المستقبل والاشارة إلى الحاضر ٥٠، وهذا ما يتماشى مع "أخاديد الأسوار" التي جاءت بضمير المتكلم "الأنسا الساردة"، الغنية بالتطلعات السانحة لإطلاق العنان في تشغيل الذاكرة والخيال والحلم.

ويمكننا أن نوضح ذلك من خلال بعض الأمثلة الواردة في الرواية، مثل ما جاء

فالساردة إذن، في استرجاعها وتذكرها تضع الماضي إلى جانب الحاضر، تستعيد صور الماضي وتفاصيله في الحاضر بنوع من القلق و التساؤل، تستحضر الماضي بكل ألامه وأوجاعه وهي تساءله، وتخبره عن الحاضر وما آلت إليه الأوضاع المحلية والكونية من مآسي إنسانية سياسية واجتماعية واقتصادية وهي تُسأله. إنها تملك حسا نقديا حادا ووعيا محكما في استرجاع أحداث وذكريات الماضي وربطها بأحداث ووقائع الحاضر ومسائلته ونقده، متطلعة حاملة في غد مشرق.

#### ب) - الاستشراف

ويسمى الاستتباق أيضا، ويعنى به أن يقوم الراوي بسرد أحداث أو الإشارة إليها قبل وقوعها، بمعنى أنه نوع من التنبؤ أو التكهّن بما سيحدث، أي استتباق لأحداث لاحقة، إلا أن المعلومات التي يقدمها السرد الاستشرافي لا تتصف باليقينية في

للأمل والقوة والخروج من سجنها الحميمي ومن ذكرياتها الماضية، فإن بقيت الشمس في غيومها ستبقى الساردة حبيسة همومها.

ومن أمثلة الاستشراف الواردة في النص أيضا قول الساردة: "سأختطفك هذه الليلة. بأي وسيلة كانت سأختطفك. أفكر بسرعة البرق... كيف الوصول إليك؟... سألبس طاقية الإخفاء. سأنتعل أحذية الجن. سأستعير أجنحة البراق...". فقد استغلت الساردة وضعية الانتظار التي توجد فيها فراحت تتخيل وتبحث عن الطرق والوسائل التي تساعدها في الوصول إليه، وقد تمكنت من ذلك إذ تقول: "ما يهمني أنني هربتك... أنني أحضرتك... أنني أجالسك الآن...".<sup>٥٣</sup> فهذا المقطع بمثابة جواب على التطلع السابق.

إن صعوبة الحياة وقسوتها على نفسية الساردة واشتعال عاطفة الشوق والحنين

في الفصل الرابع والعشرون، حيث ستمر في ذهن الساردة صورة استشرافية حول تحسين أحوال الجو الممطر والمضطرب في فصل الصيف، تقول الساردة: "أطل خبير الأرصاد الجوية من الشاشة وقال مطمئنا: بعد خمسة عشر يوما، سيرحل الغيم نهائيا!... ستتوقف الأمطار الطوفانية... ستزين الشمس سماءنا وستنعم بحرارة الصيف وجوه البديع!...".<sup>٥١</sup> وهذا توقع صريحا نوعا ما لما سيأتي، وبالفعل ففي الفصل الموالي سيحصل ما تنبأ به خبير الأرصاد الجوية، إلا أن هذا الاستشراف ليس يقنيا المائة بالمائة كما ورد على لسان الخبير بل نسبيا وجزئيا، حيث لم ينعموا إلا بالقليل من صحوه الجو، تقول الساردة: "بالأمس فقط، وبعد مرور خمسة عشر يوما على تنبؤات خبير الأرصاد الجوية، ومسيرة الأطفال وابتهاالاتهم، أطلت الشمس قليلا، من بين الغيوم"<sup>٥٢</sup>. فالشمس بالنسبة للساردة رمز

يظهر من هذا النص أن الذاكرة تشغل بقوة لدى الساردة من خلال هذا المقطع التخيلي الجميل في وصف الجنة، فذكر الجنة في هذا السياق وتكرار قصة آدم وحواء ما هو إلا سعيها المتكرر للقائي رفيق دربها، فالساردة هنا هي حواء، والزوج المفقود هو آدم، عبر "الحلم والرؤيا تمتعا بالجمال المطلق في تلك الجنة المتخيلة الفسيحة. هو تصور خاص، حين تتحقق الحياة الإنسانية والحب بين الناس والحريّة وقيم الخير تتحقق الجنة" ٥٥.

وإلى جانب هذه الاستشرافات هناك استشرافات أخرى يمتزج فيها الواقع والحقيقة بالخيال والحلم باعتبار أن التخيل والحلم هما الوسيلة المتاحة للساردة للتخفيف من معاناتها وتجاوز حالة القلق الناتجة عن وضعية الانتظار العبثي أي انتظار المفقود وعودته من

إلى زوجها المفقود الذي لا طالما تنتظر قدومه إليها لينقذها من وحدتها القاسية المنغمسة داخلها، جعلها تنتجاً إلى الحلم والرؤيا من خلال مخيلتها الفذة التي تكسر كل المستحيلات، لتجد نفسها في جنة الفردوس إلى جانب زوجها، حيث تقول: "...أسرعت بالخروج، فإذا بي في الجنة!...كنت عارية تماماً إلا من ورقة التوت. وإلى جانب آدم عار أيضاً إلا من ورقة التوت. كنا نقف معا مستندين إلى جذع شجرة التفاح. العالم من حولنا فسيح جداً...جميل جداً...وديان لبنية...أنهار عسلية...أشجار وأزهار لم تراهها عين مخلوق من قبل...فواكه بمذاقات مختلفة...مذاقات بطعم القبل. قبل الجنة لا قبل الأرض...فجأة وجدت جسدي يكتسي ريشا كريش الطاووس وإن كانت ألوانه مختلفة وعاصية على الوصف. رحت أرقص رقصة الطاووس نافشة ريشي. نظرت إلى آدم. الريش نفسه يكسو جسده..." ٥٤.

والترجمة، والسيرة الذاتية، مما خالف تنوعا وتراكما متهما في مسيرتها الإبداعية.

ففي مجال القصة كانت "أنين الماء"، أول مجموعة قصصية للزهرة رميج صدرت سنة ٢٠٠٣، ثم تلتها "نجمة الصباح" ٢٠٠٦، و "عندما يومض البرق"، ٢٠٠٨ و "أريج الليل"، ٢٠١٣، و "الشبرق"، ٢٠١٤، و "سخرة سزيف" ٢٠١٥.

أما في مجال الرواية فقد كانت رواية "أخايد الأسوار" التي صدرت ٢٠٠٧ نقطة انطلاق الكاتبة للخوض في عالم الرواية وعوالمها وشخصياتها ومشاكلها وقضاياها، و تلتها رواية "عزوزة"، صدرت ٢٠١٠، ثم "الناجون"، صدرت ٢٠١٢، وأخيرا صدرت لها رواية "الغول الذي يلتهم نفسه" سنة ٢٠١٤.

هذا إلى جانب إنتاجات أخرى في مجالات مختلفة، فمثلا صدر لها في الترجمة، "تمارين في التماسيح" لعبد

الجزيرة السوداء إلى الحياة مكسوا بكل مزياء.

**ملاحظة :** هذه بطاقة تعريف بالكاتبة " التي اشتغلت على متنها المعنون ب" أخايد الأسوار"

ولدت "الزهرة رميج" بمدينة خريبكة المغرب سنة ١٩٥٢، و تخرجت من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد بن عبد الله بفاس عام ١٩٧٣، حيث حصلت على شهادة الكفاءة التربوية بالمدرسة العليا للأساتذة من نفس السنة. قامت بترجمة بعض قصصها إلى لغات عديدة كالفرنسية والإسبانية، والبرتغالية، والإنجليزية

أثبتت الزهرة رميج بالفعل مكانتها وقدراتها الأدبية، وذلك من خلال سلسلة الأعمال الإبداعية التي أنتجتها خاصة في السنوات الأخيرة، وهي أعمال لم تبقى مقيدة داخل جنس أدبي واحد بل وجدناها تنفتح على القصة والرواية

"الذاكرة المنسية"، عن دار فضاءات  
النشر بالأردن ٢٠١٧.

وهكذا شملت أعمال الزهرة رميج حلقة  
مضيئة ومنيرة تتضاف إلى خزان ذاكرة  
الساحة الأدبية المغربية والعربية.

اللطف اللعبي، "تساء في الصمت"  
رواية لنفيسة السباعي، "[حكايات](#)  
[الحرب](#)"، رواية للكاتب  
الياباني [أكيوكينوزاكا](#)، وغيرها الكثير.  
كما صدرت لها مؤخرًا سيرة ذاتية بعنوان

## الهوامش و المراجع

<sup>١</sup> - تاج السر (أمير)، "ضغط الكتابة وسكرها، كتابات في الثقافة والحياة"، الطبعة الأولى، دار العين للنشر الإسكندرية ٢٠١٤، ص: ١٥٥.

<sup>٢</sup> - بوطيب (عبد العالي)، "مقال الكتابة الحقيقية"، ضمن ندوة الذاكرة الثقافية وسلطة التأويل بتونس القيروان، نشر ١٧/٠٤/٢٠١٤، ص: ٨٩.

<sup>٣</sup> - أبو الفرج (الأصفهاني)، ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس)، تحقيق علي مهنا وسامر جاب، دار الفكر للطباعة والنشر لبنان، ص: ٤٠.

<sup>٤</sup> - نفسه، ص: ٤٠-٤١

<sup>٥</sup> - برادة (محمد)، "فضاءات روائية"، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة، الرباط ٢٠٠٣، ص: ٢٦٧.

<sup>٦</sup> - نفسه.

<sup>٧</sup> - برادة (محمد)، "الرواية ذاكرة مفتوحة"، الطبعة الأولى، سوسن بشير للنشر ٢٠٠٨، ص: ٧.

<sup>٨</sup> العلوي (هشام)، "تنصيب الذاكرة في التجربة الأدبية" ضمن كتاب: النص الأدبي بين الواقعي والمتخيل، إشراف حميد لحداني، الطبعة الأولى، مطبعة أنفو - برانت فاس ٢٠٠٣، ص: ٦٥.

<sup>٩</sup> - نفسه، ص: ٦٧.

<sup>١٠</sup> - رولان (بارت)، "درس السيميولوجيا"، ترجمة بنعبد العالي (عبد السلام)، الطبعة الثانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ١٩٨٦، ص: ٨١.

<sup>١١</sup> - العلوي هشام، مرجع سابق، ص: ٦٨.

١٢- رميح (الزهرة)، رواية "أخايد الأسوار"، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، الدار البيضاء ٢٠٠٧، ص: ٢١.

١٣- نفسه، ص: ٣١-٣٢.

(\*) - يتألف عنوان الرواية من لفظتين "أخايد" و "الأسوار"، و من الناحية التركيبية يتكون من مركب إضافي فلفظة "أخايد" خبر مرفوع لمبتدأ محذوف تقديره: "هذه أخايد" وهو مضاف و "الأسوار" مضاف إليه مجرور بالإضافة و في اللغة نجد أن كلمة "أخايد" جمع لأخود، فنقول أخايد الوجه أي تجاعيده وعضونه، أما من الناحية الدلالية وانطلاقاً من النص توحى إلى شقوق أو حفر، فهي بمثابة شروخ أو آثار لندوب لا تمحى متصلة بأعطاب الذات المتولدة عن الاعتقال والتي ظلت محنطة في الذاكرة. بينما تدل "الأسوار" على مكان مغلق بالأسوار يعني أسوار السجن. لذلك يمكن القول إن العلاقة بين اللفظتين هي علاقة ترابط لأن تلك الآثار مخلفة من جراء أسوار السجن، أو بالأحرى علاقة سببية، الثانية-الأسوار- سبب في وجود الأولى -أخايد-.

١٤- نفسه، ص: ٣٩.

١٥- مؤلف جماعي، "ضد الصمت والنسيان-قراءات في رواية أخايد الأسوار" للزهرة رميح- الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ٢٠١٠، ص: ٥١.

١٦- الرواية، ص: ١٥٣.

١٧- لحميداني (حميد)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق، ص: ٦٢.

١٨- نفسه، ص ٦٣.

١٩- مؤلف جماعي، ضد الصمت والنسيان، مرجع سابق، ص: ٢٦.

٢٠- الرواية، ص: ٤٠.

٢١- الرواية، ص، ٣٢.

- ٢٢- الرواية، ص: ٧٥.
- ٢٣- الرواية، ص: ١٢-١٣.
- ٢٤- الرواية، ص: ٣٤.
- ٢٥- الرواية، ص: ٨.
- ٢٦- الرواية، ص: ٣٦.
- ٢٧- مؤلف جماعي، ضد الصمت والنسيان، مرجع سابق، ص: ٣٢.
- ٢٨- الرواية، ص: ٨٠.
- ٢٩- الرواية، ص: ١٦.
- ٣٠- الرواية، ص: ٦٣.
- ٣١- الرواية، ص: ٦٠.
- ٣٢- الرواية، ص: ١١٤.
- ٣٣- الرواية، ص: ٢٢.
- ٣٤- الرواية، ص: ١١٤.
- ٣٥- جيرار (جنيت)، "خطاب الحكاية" - بحث في المنهج، - ترجمة: محمد معتصم عبد الجليل الأزدي وعمر حلي، الطبعة الثانية، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٩٧، ص: ٥١.
- ٣٦- صابر (محمد) و البياتي (سوسن)، "المتخيل الروائي - سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا"، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص: ١٥١-١٥٢.

٣٧- يقطين (سعيد)، "تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التثوير)"، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي للطباعة الدار البيضاء ١٩٩٧، ص: ٦٥.

٣٨- الرواية، ص: ١٨.

٣٩- الرواية، ص: ٣٣.

٤٠- الرواية ص: ٣٢.

٤١- الرواية، ص: ١٠٣.

٤٢- الرواية، ص: ٢٢-٧٩-٩٠.

٤٣- الرواية، ص: ١٢٠-١٢١.

٤٤- الرواية، ص: ١٢١.

٤٥- بحرأوي (حسن)، "بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)"، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ١٩٩٠، ص: ١٣٣.

٤٦- نفس المرجع، ص: ١٣٢.

٤٧- الرواية، ص: ١٣٩.

٤٨- الرواية، ص: ١٤٤.

٤٩- الرواية، ص: ١٢-١١.

٥٠- الرواية، ص: ١٥١.

٥١- مؤلف جماعي، "ضد الصمت والنسيان"، مرجع سابق، ص: ٣٤.

٥٢- الرواية، ص: ١٣٩.

## الذاكرة ورهان الكتابة رواية "أخاديد الأسوار" أنموذجاً"

---

٥٣- الرواية، ص: ١٤٤.

٥٤- الرواية، ص: ١٥١.

٥٥- مؤلف جماعي، "ضد الصمت والنسيان"، مرجع سابق، ص: ٣٤.

## تنميطات التداخل بين الليل والنهار في القرآن الكريم

م.م. ميثاق حسن عبدالواحد

جامعة البصرة- العراق

التقديم: ( مفهوم التداخل ودور مفردتي الليل والنهار في فاعليته )

بسم الله خير الأسماء ، والحمد لله ربّ النّعماء والآلاء ، أحمده وأشكره حمداً دائماً وشكراً نامياً ، وصلى الله تعالى على السيّد العربيّ الهمام والنّبيّ الأميّ الإمام محمّد بن عبد الله وآله الطيبين خير الأنام وصحبه النجباء الكرام .. وبعد فإنّ التداخل تفاعل من (دخل)، وهو التواشح والتمازج الحاصل بين الكونيين في النصّ القرآني. فالليل والنهار يتداخلان في أثناء حلول كل منهما، فتتمازج ساحتا الأثر الوضعي بينهما. إنّ الدراسة الموسومة بـ ( تنميطات التداخل بين الليل والنهار في القرآن الكريم ) تعمل على الكشف عن القيم الدلاليّة التي تمثل حالة من التداخل بين الموجودين العظيمين ، والبحث عن آليّة ذلك التداخل من خلال الرجوع إلى المصادر اللغويّة ؛ للوقوف على مضامين تلك الأنماط والمستويات ، ومن ثمّ بحثها في سياقاتها القرآنيّة ، كما ستعمد الدراسة - كلّما سنحت الفرصة - إلى خلق حالة من التحوار بين معطيات التحليل المستخلصة من خلال عرض بعضها على البعض الآخر ؛ إيماناً بحتمية التفاعل بين عناصر الوحدة العضويّة ، زيادة على الاستعانة ببعض الدلالات التي تشترك ومستويات البحث في إطارها الموضوعيّ ، بوصفها إضاءات معنويّة تفيد التحليل ، وتعضد التوجيه وتثريه .

والملاحظ على تلك الأنماط أنّها تتمثل في خمسة عناوين : الإيلاج ، السّلخ ، الإغشاء ، التجلي ، والتكوير ، ويبدو أنّها في إفادتها مضمونيّة التداخل بين الكونيين توحى بما يمكن عدّه نوعاً من التدرج في حدوث الظاهرة من ابتداء حصولها إلى التمام والاكتمال ، وتبعاً لهذا المفهوم سيتم ترتيب تلك الأنماط في صفحات البحث . ومن الله العون والسّداد .

أولاً : مستوى الإيلاج

الولوج : الدُّخول ، والإيلاج : الإدخال ، يُقال : ولج في الكهف والدار والمنزل ، أي : دخل فيه .  
ورجلٌ خَزَجَةٌ وُلَجَةٌ : كثير الخروج والولوج (١) .  
والوليجة : ما يتَّخذُه الإنسان من الخاصَّة والبطانة ويعتمد عليه وهو ليس من أهله إنساناً كان أو غيره ، يُقال : فلانٌ وليجة في القوم ، أي : مُعتمدٌ مخصوص (٢) . والولَجَة : كهفٌ يُستتر فيه عن مطر ونحوه (٣) .

يبدو أنَّ النَّصَّ القرآنيَّ الكريم يُسائر اللسان العربي في استعمال مادة (الإيلاج) أو (الولوج) لإفادة معنى الإدخال على نحوٍ مخصوص ، وأنَّ هذا الاختصاص لا يقتصر على الصِّيغة المزيدة من الثلاثي (أولج) بل ويشمل كذلك الصِّيغة الثلاثية المجرَّدة (ولج) .. أي أنَّ معاني الضيق والصعوبة ملحوظة في استعمال المادَّة قرآنيّاً . فقوله تعالى : (( إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ )) (٤) . فهو تعبيرٌ ينطوي

على معاني الاستهزاء ، والسخرية ، والتَّهكم بسفاهة عقول المخصوصين بالخطاب ؛ لأنَّه إدخالٌ مستحيل التَّحقيق ، ومن ههنا تتأتَّى خصوصيَّة توظيفه . أمَّا قوله تعالى : (( يَعْلمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ )) (٥) فهو دخولٌ على نحوٍ مخصوصٍ كذلك ، أسندت فاعليَّته إلى مخلوقٍ حيٍّ له القدرة على اختراق الأرض والدُّخول فيها بكيفيَّة وآليَّة يستعصي - إلا على الله تعالى - فهُمها والعلم بها ، بمعنى أنَّ خصوصيَّته تكمن في فاعليَّته وتتمحور في كفيَّة إحدائه . وهو الأمر نفسه المكنون في قوله تعالى : (( هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ )) (٦) .

وقد تمثلت مادة الإيلاج مستوى حركيًّا تداخليًّا بين الليل والنهار في خمسة موارد : فالمورد الأول قوله تعالى : (( ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

الليل وضوء النَّهَار يتَّخِذَان شكل الأشياء التي يسقطان عليها (٩) فَإِنَّ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ حِينَ تَقَع عَلَى الْأَرْضِ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَانْحِسَارِ ضَوْءِ النَّهَارِ يُصْبِحُ فَوْقَ تِلْكَ النِّقْطَةِ الْمَسْتَوِيَةِ أَفْقًا كُرُوبًا مَظْلَمًا ، كَأَنَّ الظَّلامَ أَوْلَجَ فِي ذَلِكَ التَّجْوِيفِ الْمَتَّصِرِ ، فَأَصْبَحَ مَظْلَمًا بَعْدَمَا كَانَ أَفْقًا لِلنَّهَارِ مِضَاءً بِهِ . وهكذا يتجدد الحدث العظيم عند بزوغ الفجر واضمحلال الظلام ، ليولج النهار المضيء في جوف الليل المظلم (١٠) . إِنَّ فِي إِسْنَادِ فِعْلِ الْإِيْلَاجِ بِالصِّيغَةِ الْحَرْكِيَّةِ الْمَتَّجِدَّةِ إِلَى الضَّمِيرِ الْعَائِدِ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ إِحْيَاءً بِخُصُوصِيَّةٍ مُضَافَةٍ تَتَنَاسَبُ وَعِظْمَةٌ الذَّاتِ الْفَاعِلَةِ وَقَدْرَتَهَا ، وَأَنَّ جَرَسَ بِنِيَّةِ الْإِيْلَاجِ وَظَرْفِيَّةِ الْحَرْفِ (فِي) تَتَنَاسَبُ وَمَعَانِي الْبَطْءِ وَالتَّدرِّجِ الْمَصَاحِبَةِ لِذَلِكَ الْحَدِثِ عِنْدَمَا يَمْتَرِجُ ظِلْمُ اللَّيْلِ بِضَوْءِ النَّهَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى بَدَايَةِ حُدُوثِ الظَّاهِرَةِ الْكُونِيَّةِ .

وربما أشار اتِّسَاقُ مِضمُونِيَّةِ الْإِيْلَاجِ فِي مَوْقِعِ الْمَسْنَدِ الْخَبْرِيِّ لِجُمْلَةِ النَّاسِخِ الْحَرْفِيِّ السَّبَبِيَّةِ إِلَى اعْتِلاقِهِ وَدَلَالَاتِ مَا وُعد بِهِ الْمُنْقُونِ السَّابِقَةَ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ يُفِيدُ تَأْكِيدَ تَحَقُّقِ التَّعَهَّدِ الْإِلَهِيِّ فِيهَا ، وَيُظْهِرُهُ وَاقِعًا حَادِثًا كَحُدُوثِيَّةِ التَّدَاخُلِ الْعَظِيمِ بِصِفَةِ دَوْرِيَّةِ

بَصِيرٌ )) (٧) الْآيَةِ الْمَبَارَكَةِ فِي سِيَاقِ تَعْلِيلِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي سَيَنْصُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا عِبَادَهُ الْمَتَّقِينَ وَيَجَازِيهِمْ جِزَاءً حَسَنًا . وَالْإِيْلَاجُ : الْإِدْخَالُ ، وَوَضَحٌ أَنَّهُ يَنْطَوِي عَلَى دَلَالَةِ الْإِخْتِصَاصِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا آفَقًا ، وَهُوَ بِوَصْفِهِ إِدْخَالًا مَخْصُوصًا يَسْتَلْزِمُ مُدْخَلًا ( مُؤَلَّجًا ) وَمُدْخَلًا بِهِ ( مُؤَلَّجًا بِهِ ) ، عَلَيْهِ فَإِنَّ تَوْضِيحَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي هَذَا السِّيَاقِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كِلَا مِنْهُمَا يَمْتَلِكُ خَاصِيَّةَ النَّهْوضِ بِوَضِيفَةِ ذَيْنِكَ الْمَسْتَلْزِمِينَ . زِيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الْإِيْلَاجَ حَدِثٌ يَخْتَصُّ بِمَا هُوَ مَادِيٌّ مَلْمُوسٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ، وَأَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مَوْجُودَانِ مَعْنَوِيَّانِ وَهُوَ أَمْرٌ يُثِيرُ اِحْتِمَالِيَّةَ جَزِيَانِ التَّعْبِيرِ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْ الْمَجَازِ أَوْ عَلَيْهِمَا مَعًا .

وَأَنَّ اِهْتِمَامَ الدَّرَاسَةِ هُنَا يَنْصَبُ حَوْلَ مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ : كَيْفَ يُوَلِّجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ أَوْ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ؟ لَقَدْ أَكَّدَ عُلَمَاءُ الْأَرْضِ وَالْجُغْرَافِيَا كُرُوبِيَّةَ شَكْلِ الْأَرْضِ (٨) ، وَأَصْبَحَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ مِنْ مُسَلِّمَاتِ الْوُجُودِ ، هَذَا يَعْنِي أَنَّ أَيَّةَ نِقْطَةٍ مِنَ الْأَرْضِ تَمَثَّلُ - فِي الظَّاهِرِ - سَطْحًا مُسْتَقِيمًا مُسْتَوِيًا ، وَتَشْكَلُ مَعَ الْأَفْقِ الَّذِي فَوْقَهَا نِصْفَ كُرَّةٍ دَائِرِيًّا مَجُوفًا يَسْمَحُ بِالْإِيْلَاجِ فِيهِ ، وَلَمَّا كَانَ ظِلْمُ

مستمرة . ويبدو أيضاً أنّ خصوصية إدخال الإيلاج تتناسب ومزية الجزء الحسن المرضي من جهة ، وتنسجم وما تستبطنه الفاصلة (( وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ )) من مراعاة سعي المؤمنين على نحو تفصيلي ومجازاتهم عليه بالحسن والرضا من جهة ثانية .

أما الموضع الثاني : فتجسد في سياق قوله تعالى : (( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ )) (١١) الخطاب المبارك يستحث المتلقي على التفكير والتدبر والرؤية ، فيوظف الأدلة والعلامات المتمثلة بتسخير المسخرات وإيلاج المولجات لإثبات ألوهية الذات العلية وتقرير قدرتها وقوتها في الخلق والإيجاد والتدبير (١٢) .. والإدخال المخصوص واحد من تجليات القدرة العظيمة شأنه شأن خلق الناس أولاً وبعثهم آخراً ، وهو ما لا يتصور تحققه إلا من الذات المتصفة بالعزة والحكمة والغنى والسمع والبصر وغيرها من صفات الكينونة السامية المصرح بها قبلاً . كما أنّ آلية الإيلاج وحركية التسخير لحقيقة واقعية

تستدعي النظر والتأمل ؛ استخلاصاً للحقائق والبراهين ، لتضمينها في ميدان السلوك العملي بما يجعله سويّاً مستقيماً ، وهو ما افتتحت الآية باستدعائه والحث عليه .

وقد تمثل المورد الثالث في سياق قوله تعالى : (( يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ )) (١٣) السياق الكريم لا يختلف عن سابقه في الغرض المتمثل بالاستدلال بالموجودات العظيمة على عظمة الموجد وقدرته ، وتوظيف ذلك لتدعيم الأفكار السابقة وتأكيدتها (١٤) . إنّ إدخال كل من المخلوقين في الآخر تدبير عظيم وإيجاد مبدع يُقرر ألوهية الجهة التي تقف وراء خلق الإنسان ، ويعزز مضامين تصرفها الحكيم وإبداعها الدقيق في إيجاد البحرين المتمايزين ، ومن ثم فهو تفصيل لكل ما يناسب مقام الربوبية المطلقة الملكية المشار إليها في (( ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ )) . وهو أمر لا يبعد عما في قوله تعالى : (( يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ

الضدية وإن اشتركا وإياه في المبنى والغرض ؛  
لأنه حدث كوني عظيم يختص بوجودين  
عظيمين يتجسد بصفة دورية متكررة ، وربما دل  
ذلك على كونه محور الدلالة الكلية المقصودة  
ونقطة الارتكاز فيها .

إنّ توظيف مادة الإيلاج لإفادة خصوصية  
الإدخال هنا يؤسس لقيمة دلالية متقدمة ، تنماز  
عن وظيفتها الدلالية في السياقات الأربعة السابقة  
؛ فهي في تشكلها بالصيغة الحركية المسندة إلى  
ضمير المخاطب تفصح عن مستوى خطابي  
صادر عن اعتقاد منطقي بعظمة حدث الإيلاج  
وما ينطوي عليه وإيمان بقدره محدثه وقوته ،  
الأمر الذي يقود إلى أنّ حامل هذا الاعتقاد - في  
توجيهه الخطاب معززاً بالأدلة المنطقية - إنّما  
يمارس ما يفرضه عليه إيمانه المستند إلى  
البراهين والإثباتات . وما الاعتقاد بتدبير الكون  
على هذا النحو من الدقة والإتقان إلا إثباتاً لملكية  
الخالق المدبر على جهة الحقيقة والإطلاق ،  
وإقرار بعزته وألوهيته وتفردّه . كما أنّ قوله تعالى  
: (( بيدك الخير )) يوحي بتوحي معاني الرحمة

النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ )) (١٥)  
. والذي يمثل المورد الرابع .

أمّا المورد الخامس فقد تجسّد في سياق قوله تعالى  
: (( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ  
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ  
تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُؤَلِّجُ  
اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ  
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ  
مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ )) (١٦) للبحث عن  
مضمونية الإيلاج واستخلاص قيمته الدلالية في  
هذا السياق المبارك لابد من الإشارة إلى أمور :  
الأول : هو أنّه جاء في إطار القول الموجّه به  
إرشادياً في أول الآية ، والثاني مجيؤه عقب زوجي  
المقابلة الضدية الحديثة (إيتاء الملك ونزعه) و  
(الإعزاز والإذلال) ، وبعد مفهوم الملكية الحقيقية  
المطلقة المُصرّح به في (مالك الملك) والإشارة إلى  
مضمون شمولية القدرة الذي تنطوي عليه الفاصلة  
(إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) ولعلّ في ذلك إشارة  
إلى أنّ حديثية الإيلاج تأكيداً لملكية المالك المدبر  
ومصدقاً للقدرة الكلية المطلقة ، عليه يكون دوره  
في هذا السياق أبلغ وأعمق من زوجي المقابلة

والخير من وراء إحداث مضامين السّياق ، وهذا يكرّس أهليّة المحدث بالرّئويّة وأحقّيته بالعبوديّة .

ثانياً / مستوى السّلخ

السّلخ : التّمييز ، يُقال : انسلخ فلان ، أي : تميّز (٢٠) . والسّلخ : نزعُ جلد الحيوان، يُقال : سلخ الرّجل شاته وجلد جزوره ، إذا نزع عنها جلدها (٢١) . وسلخته فانسلخ ، أي : نزعته فنزع ، وسلخت درعه : نزعته ، ونخلة مسلاخ : ينتثر بُسرُها الأخضر (٢٢) . وسلخ الشاة : كشط جلدها ، والمسلوخة : الذبيحة التي سلخ جلدها . ومن المجاز سلخنا الشهر ، وانسلخ من سنته ، وانسلخ الرجل من ثيابه والحيّة من قشرها (٢٣) .

وظّف الخطاب المبارك مادّة (سَلَخ) تجسيدا للحالة الحادثة بين الليل والنهار في موضع قرآنيّ واحد قوله جلّ وعلا : (( وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ )) (٢٤) يعرض السياق الكريم للآيات والدلائل الرّبانيّة ، فيستحثّ من خلالها التّفكير ، ويستدعي الإصغاء والانتباه وُصولاً إلى الاستدلال .. والملحوظ على دلالة المستوى المبحوث أنّها تمثّلت تمثلاً فنياً جمالياً

يبدو ممّا سبق أنّ توظيف الإيلاج تعبيراً عن الحالة الحاصلة بين الليل والنهار وسوقه بوصفه بعداً حديثاً يختزن طاقة استثنائية قابلة للاستدلال والبرهنة قد تمّ بلحاظ ما فيه من معاني الضيق والصعوبة في الإدخال ، وهذا ما لاحظته الرّاعب الأصفهانيّ (٤٢٥هـ) بقوله : (( الولوج : الدخول في مضيق )) (١٨) . غير أنّ العلامة المصطفويّ يحاول إيجاد علاقة بين الولوج والورود قائمة على مساواة (يلج فيه أو يولج فيه) ب (يرده) ؛ ولكيلا يغفل ظرفيّة (في) ذهب إلى أنّ الولوج هو الورد ملحوظة فيه معاني الاتصال والالتصاق والارتباط ، وأنّ إيلاج الليل بالنهار أو العكس ما هو إلّا إشارة إلى ضعف أحدهما وانكساره لصالح تقوية الآخر وتكوّنه على نحوٍ تدريجيّ ، منتهياً إلى أنّ حمل التعبير على هذا المعنى أطف من حمله على معنى الدّخول (١٩) . والواقع أنّ عدّه محمولاً على الإدخال أعمق أثراً وأكثر مناسبة في وصف عظمة القدرة المنشئة

الليل بصورة إزالة الجلد عن جثة الذبيحة بجامع فكّ اتّصال المتّصلين ونزع التصاقهما هنا وكشط جلد الذبيحة وإزالته عن جثتها هناك ، واشتق من السّخ الصّيغة الحركيّة المتجددة (نسلخ) على سبيل الاستعارة المكنيّة التبعيّة ، ما استلزم خلع جسميّة جثة الذبيحة على الليل وجسميّة جلدها على النّهار ، ليظهر المعنويّان بمظهرٍ ماديٍّ ملموس .

فتلمّس القيمة الدلاليّة التي يتضمّنها هذا المستوى يتطلّب تحليل عناصر التّعبيرين الفنيّ والوضعيّ وإخضاعها للتحليل ؛ للكشف عن أبعاد التّناسب والافتراق بينهما وصولاً إلى معرفة مدى تلاؤم المضمون التعبيري والغرض الموظّف لأجله . فإظهار الليل بصورة المسلوخ منه جلده يجعله أصلاً ثابتاً كأصالة المستوحى منه (٢٦) ، كما أنّ إبراز النّهار بهيأة المزال المنزوع يجعله عرّضاً ثانويّاً ، وهذا يُخالف الرّأي القائل إنّ تقديم تكوير الليل على تكوير النّهار - ضمن المستوى الذي سيُدْرَس لاحقاً - إنّما كان ؛ لأنّ النّور هو الأصل الثابت والظلمة عارضٌ ثانويّ (٢٧) . إنّ صورة السّخ الحقيقيّة تتّسم بحيويّة جزئيّة مُستمدّة من

لإفادة مضمون خارجٍ عن دائرة نطاقها الدلاليّ الوضعيّ ، فالسّخ لجلد الذبيحة شاةٌ كانت أو غيرها وذلك بعد جزرها (٢٥) ، فهو بذلك أثرٌ ماديٌّ يستلزم أطرافاً ثلاثة : فاعلٌ يباشر السّخ ومفعولٌ به مسلوخ (جلد الذبيحة) ومفعولٌ منه (الذبيحة) ، وهذا الحدث - في واقعه المعيش - طبيعيٌّ لا يثير اهتماماً ولا يستدعي تفكّراً وتأمّلاً ؛ فحيثيّاته معلومة والغرض منه واضح .

إنّ التّعبير بالسّخ على وفق البناء الحركيّ المتجدد مع ما به من خصائص الإسناد الفاعليّ العظيم والتّفيد المفعوليّ المفارق يؤثّر غرضاً دلاليّاً جديداً ، يمتاز عن أغراض الاستعمال الوضعيّ بصورة كليّة . فالسّخ - هنا - فكّ اتصال المخلوقين العظيمين وتجريد أحدهما عن الآخر ، لينكشف المجرد منه ويتبدّى بفصل المجرد وإزالته ونزعه ، والسّخ هو جهة الفاعليّة الوجوديّة الحقيقيّة المطلقة ، أمّا المسلوخ والمسلوخ منه فهما النّهار والليل على التّوالي ، وهما مخلوقان عظيمان معنويّان .. وهكذا يتجسّد السّخ القرآني قيمة فنيّة بارعة صوّر فيها معنى ما يحدث عند الغروب من إذهاب ضوء النّهار وكشفه عن ظلام

ثالثاً / مستويا الإغشاء والتجلى

الإغشاء : (( التغطية ، يُقال : غشيت الشيء  
تغشيه ، إذا غطيته . وعلى بصره وقلبه غشوا  
وغشوا وغشوا وغشوا وغشوا وغشوا وغشوا  
وغشوا ، أي : غطاء )) (٢٩) والغاشية : ما  
تغشي ، أي : تجل (٣٠). والإغشاء : الإغماء ،  
يُقال : غشي على الصبي من البكاء ، أي :  
أغمي عليه (٣١) . وغشيان الشيء : إتيانه  
ومباشرته ، وبه كني عن الجماع (٣٢) . وغشية  
الحمي : لمتها ، وغشيت الموت : سكراته (٣)  
والغاشية : السؤال ، وغاشية الرجل : ضيوفه  
وأصدقاؤه ، وغاشية السرج : غطاؤه والتغشية :  
القصد ، وغشيان الليل : إظلامه (٣٤) .

أما التجلي : فالانكشاف والتبدي والظهور ، يُقال  
: انجلي الأمر وتجلي ، إذا بان حقيقته ووضوح  
الغرض منه (٣٥) . (( والجلو : الكشف الظاهر  
، يُقال : أجليت القوم عن منازلهم فجلا عنها ،  
أي : أبرزتهم عنها .. ومنه جلا لي خبر ،  
وجلوت العروس جلوة ، والسيف جلاء ، والسماء

حركية السالغ حصراً ، مع جواز عجزه وقصوره  
عن إتمام ما اتسم به بالموت ونحوه ، زيادة على  
سمته الطبيعية والبدئية في حين أن الصورة  
المجسدة تموج - تبعاً للمنظور القرآني العام -  
بالحيوية الدافقة المطلقة المستمدة من حيوية خالق  
الوجود ومحركه ومدبره ، أضف إلى ذلك حركية  
المفعولين المعنويين المجسدين التي تتكشف عن  
معاني العسوسة والسجوى والسريان والوسق والإدبار  
والتنفس (٢٨) زيادة على كونيته ، وهكذا ينسلخ (   
السلخ ) عن محيط مضمونه الوضعي ، فيمتاز  
عنه بالحيوية الدائبة الدائمة ، ليرتقي محيطاً أرفع  
ومدلولاً أوسع ملؤه القدرة والقوة والعظمة .

ويلاحظ على التعبير بفعلية السلخ عن جانب من  
جانبي حدوث الظاهرة الكونية إبحاؤه بمعاني شدة  
التصاق ضوء النهار بظلمة الليل وقوة التحامهما ،  
تماماً مثل اتصال جلد الذبيحة بجنتها وتماسكه ،  
وربما أوحى جرس فعل السلخ بظلال البطاء  
والتدرج في حدوث تلك المضامين القوية الشديدة ،  
وهو ما يؤشر المطابقة الحاصلة بين طرفي  
الصياغة القرآنية المعجزة في تجسيدهما تلك  
الظلال والإحياءات على أرض الواقع .

الاثنتين إشارة إلى سرعة التّعاقب بينهما من دون أن يكون هناك فاصل (٣٩) وربما كان استشفاف معنى التّغطية النّهارية في مستوى السّلم السّابق دليلاً على إغشائية النهار المعنوية . أو أن يكون تعبيراً عن إذهاب ضوء النهار بظلام الليل وحجبه وستره ، أي أنّ الليل هو أداة التّغطية وإليه تتصرف فاعلية الإغشاء المعنوية وحركية الطلب الحثيث ، وهذا ما تبناه الرّأي الآخر (٤٠) . ولعلّ التّعبير المبارك ( يطلبه حثيثاً ) المحمول على الحاليّة من الفاعل أو المفعول هو أساس التّفاوت بين الرّأيين ، فقد يكون مضموناً للحركة السّريعة الدّوية التي تنطبع بها فاعلية الليل في السّتر والحجب والإغشاء ، أو فاعلية النهار في اللّحاق والإدراك (٤١) .

يُلاحظ أنّ النّظم القرآنيّ درج على إكساب الليل صفة التّغطية على نحو الإغشاء - كما سيأتي - وعلى نحو الإلباس والموارة كما في قوله تعالى : (( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا )) (٤٢) و (( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا )) (٤٣) وهذا دليلٌ كافٍ على انحصار فاعلية الإغشاء المعنوية في الليل دون النهار ؛

جَلَاء ، أي : مُصِحَّة ، ورجلٌ أجلي : انكشف بعض رأسه عن الشّعر )) (٣٦) .

وُظفت مادّة ( غشي ) تعبيراً عن الحالة بين الليل والنهار في موضعين قرآنيين : قال تعالى : (( إِنَّ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ )) (٣٧) الخطاب المبارك يستدلّ بعرض المعجزات الوجودية على عظمة الموجد وقدرته وإثبات ربوبيته ، فإسناد الإغشاء بالصيغة الحركية المتجددة إلى الضمير العائد على لفظ الرّبوبيّة وتقييدها بلفظتي الليل والنّهار يُشير إلى أنّ ظاهرة حجب ظلام الليل ضوء النّهار وإذهاب نوره على نحو دوريّ متجدّد أثرٌ كونيّ عظيم ، يُثبت عظمة المؤثّر ويُحقق معنى الرّبوبيّة في الذات المبدعة (٣٨) . وقد تباينت الآراء التّفسيرية في شأن إسنادية الإغشاء والمدلول الذي ينطوي عليه ، فرأى ذهب إلى أنّه تعبيرٌ عن معنى إلحاق كلّ منهما بالآخر ، بمعنى أنّه وصفٌ لليل والنّهار على السّواء ، ليكون ( يطلبه حثيثاً ) حالاً من

المصرح بها ، ما يجعله في تعاقب دلالي ومكونات السياق الأخرى ؛ لتسهم جميعها في تكوين شبكة مفهومية من العلامات الحائثة على التفكير والنظر والتدبر (٤٦) ، وهذا يتناسب تمام التناسب والفاصلة القرآنية التي ذلت بها الآية . إنَّ توظيف ( غشي ) بصيغة الحدث الحركي المتجدد يتكشّف عن مضامين ثانوية لا تقف عند حدود التغطية المادية وربما فسرت ماهية الغشو وكيفية حدوثه ، فأغشاء الليل إمّا مادي حقيقي بتغطيته جميع الموجودات حيّة كانت أو غير حيّة وسترها ، أو معنوي مجازي يختصّ بالموجودات الحيّة المدركة وذلك ببسط نفوذه عليها وبتّ خصائص السكون والهدوء والطمأنينة فيها (( فالقُ الإصباحَ وجعلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ )) (٤٧) ، لينتهي بإخضاعها لقانون السبات الطبيعي (( وجعلنا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا )) (٤٨)

فالتغشية صفة ليل جليّة ، قال تعالى : (( وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى )) (٤٩) يوظف الخطاب المبارك التشكل الفعلي لمادة الغشو في سياقٍ قسيميّ متعدّد المضامين ؛ لتقرير معنى التباين في تصرفات

لقوة الإسناد المصرح به وضعف الإسناد المستشف . ولما منح الليل حركيّة الإغشاء وأكسبت الشمس والقمر والنجوم حيويّة التسخير حسن حمل الطلب الحثيث على الحالية الفاعلية في النهار ؛ ليسهم في تعزيز الدلالة الإثباتية الإيضاحية للسياق ككل ويرفع من كفاءته التعبيرية . وهذا يتناسب وحركيّة السُلخ المتجددة الموحية بعرضيّة المسلوخ وسرعة حلوله وتكوّنه ، في قبال جوهرية المسلوخ منه وأصليته ، ومن ثمّ ينسجم ومعنى تفوّقه في السبق وفاعليته المفهومة من قوله تعالى : (( لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )) (٤٤) .

أمّا الموضع الثاني ففي قوله تعالى : (( وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ )) (٤٥) يشترك الخطاب وسابقه في موضوع الاستدلال ، والملاحظ عليه أنّه مبنيّ على عقد مزاجية حركية كونية بين الليل والنهار قائمة على أساس استعمال الليل استعمالاً واقعياً ينسجم وصفته المعنوية

أما التَجَلَّى فقد تمثل صفة حركية للنهار في موضعين قرآنيين : الأول قوله تعالى : (( وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى )) (٥٣) الآية في سياق القسم الهادف إلى تقرير معنى التباين والاختلاف في سلوك البشر وسعيهم في الحياة الدنيا وبيان الموقف القرآني منها ، ويبدو أن في جرس بناء التَّفْعُل الذي بنيت عليه صفة التَجَلَّى الكونية بتضعيفه وإطلاقه إيحاءً بمعاني قوة الكشف وفاعلية الإزاحة ، التي تجسد مضامين الجمال والصفاء لتمثل المنتهى في الظهور والغاية في النُصوع . وقد سبق الموضوع الآخر : في سياق قوله تعالى : (( وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا )) (٥٤) والخطاب على سبيل القسم أيضا ، وقد احتل النهار فيه وظيفة المسند إليه بوصفه المجليّ أما المقيد الذي يتجسد به المضمون فهو الضمير العائد على الشمس بوصفه المُجَلَّى ، والشمس مصدر النور والضياء ومن ثمّ فهي مصدر ما في النهار من خصائص ، عليه فقد ينصرف مضمون القسم بالنهار إلى كونه ميداناً لسطوعها ومسرحاً لتمثلها وظرفاً زمانياً يحتويها وإن استمدّ سماته منها .

البشر (٥٠) ، وربما كانت في توظيف حركية الغشو الليلي وتجذده على نحو الإطلاق مناسبة لمعنى اختلاف سعي الناس وتعدده . أما قوله تعالى : (( وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا )) (٥١) فقسم يُقَيَّد غشو الليل بمصدر النور والضياء ، فيحجبه ويستره ويُغْطيه (٥٢) ، وليس بخفي علو نبرة الخطاب وقوته المضمونية . ويبدو أن في تخصيص صيغة الغشو الحركية بالاستعمال دلالة على أن الليل يمارس وظيفته الوجودية بفاعلية متجددة وربما متناوبة ؛ لنتناسب وطبقات المغشي عليهم في مراحل إغشائهم ، ولعلّ في ثنائية المقطع الصوتي ( يغ ، شى ) في سياق الفاعلية المطلقة محاكاةً لذلك ، مثلما أوحى ثلاثية المقطع ( يغ ، شا ، ها ) في سياق الفاعلية المقيدة بالشمس بصعوبة معالجة الوهج الساطع والنور الفيّاض والضوء المنتشر ، إلى درجة العجز عن التأثير فيه بصورة كلية ، لتبقى علائمه مرتسمة على الأجرام في أفق الظلام .. وفي ذلك دلالة على مجازية إطلاق صفة الغشو أو الإغشاء على فاعلية الليل وجزئيتها .

الدلاليّ لكلٍ منهما وتعزيزه - بأنّ فعلية الصفة الحركية بما فيها من خصائص أمر متوحى في القسم ، وأنّ تلك المفارقة البنائية مقصودة .

رابعاً / مستوى التكوير

الكور : الرّحل ، والجمع أكوار وكيران . والكور أيضاً : كور العمامة ، والكور من الإبل : الكثيرة (٥٥) . وتكوير الشيء : تدويره وتجميعه وضمّ بعضه إلى بعض ، يُقال : كَارَ يَكُورُ ، أي : دارَ يدور . وكُورُ العمامة : دورها . والكورة : البقعة التي تجتمع فيها قرى ومحال (٥٦) والتكوير : إلقاء الشيء مجتمعاً ، يُقال : طعنه فكوره وجوره ، أي : صرعه وقضى عليه (٥٧) والنحل في أكواره ، أي : في خليته . وكورتُ المتاع : وضعتُ بعضه على بعض . وحمل على ظهره كارةً من ثياب . ومنه : تكور الجبل : إذا سقط (٥٨) .

عبر بمادة (الكور) عن واحدة من حالات التداخل بين الليل والنهار في موضع قرآني واحد هو قوله تعالى : (( خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ

إنّ توظيف فنية التقابل بين صفتي الغشو والتجلي في القولين المباركين : (( وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى )) في سورة الليل ، و (( وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا )) في سورة الشمس ، يؤشر في طبيّاته لونا من التداخل بين الصفتين الحركيتين ، فغشوّ الليل النهار معنى مصرّح به قرآنيّاً كما مرّ ، أمّا مضمون ما يؤدّيه النهار في الليل سواء عند تجلّيه أو عند تجليته الشمس فضمنيّ غير ملفوظ به ؛ لأنّ تحقق مدلول التعبير بالتجلي على نحو الإطلاق أو التقييد يستلزم إزالة أسباب السّتر والحجب وإزاحتها وإخفائها وهنا يكمن التداخل . ثمة ملاحظة جديرة بالإشارة إليها وهي مجيء صفة النهار بالصيغة الماضوية في قبّال حركية صفة الليل وتجدها وهذا يسجل مفارقة دلالية أخرى ، ربّما تتمثّل في الإيحاء بعظم وظيفة التغطية عند تقييدها بمصدر النور والضياء على وجه الخصوص يقابلها قوة وظيفة الكشف والإظهار المستمدة من الشمس ، أضف إلى ذلك فإنّ النسق الصوتي المتكوّن عند مقابلة ( يغشى ) ب ( تجلى ) و ( جلاها ) ب ( يغشاها ) يوحي - إضافة إلى ترسيخ الأثر

مظلماً أو مضاءً بصفة كليّة تامّة ، وهذا يعني أنّ التكوير ينماز عن المستويات السابقة ، فهو أعلاها ؛ لإيحائه بمعنى حدوث الظاهرة بصفة كليّة تامّة لا تدريجيّة بطيئة ، يُعزز ذلك دلالة الاستعلاء في المكوّن الحرفيّ ( على ) .

خاتمة البحث

لقد خلصت الدّراسة بحمد الله سبحانه وتعالى إلى ما يأتي من نتائج :

- وظفت مستويات حركة التداخل بين الليل والنهار بوصفها مضامين وجوديّة عالية ، يستدلُّ بها على عظمة الموجد وقوته وقدرته ، ويحتكم إليها في إثبات ربوبيّته وتقرير ألوهيّته .

- تختزن مستويات التداخل شحنة فكرية استثنائية ، تدعو للنظر والتأمل والتدبّر وصولاً إلى الاستنتاج ، وهو الدافع إلى توظيفها في أغلب المواضع .

- يقرّر النصّ القرآنيّ دور الصّيغة الفعلية ولاسيما الحركية منها ، من خلال بناء أغلب مستويات التداخل على وفقها ، الأمر الذي يؤشر دقة في

العَرَبِيُّ الْعَفَّارُ )) (٥٩) يُلاحظ على المادة مدار البحث انتظامها في سياق يُورد أحداثاً كونيةً عظيمة ؛ استدلالاً بها على عظمة المحدث وتفوّده في الإحداث ، إنّ تكوير ( تقويس ) ظلمة الليل على ضوء النهار أو العكس يستلزم أن يكون كلّ منهما في ظرفه الأرضيّ مقوّساً ومحدّباً ومكوّراً ؛ لأنّ الظلمة والضوء يتخذان شكل الجسم الواقعين عليه ، فحركة الجرم الكرويّ توجب العروض والانحراف بين النور والظلام ، وتبعاً لهذه الحركة تحدث حالة التفاف ودوران كونيةً بين الليل والنهار وهكذا يتكوّر كلّ منهما على الآخر ، وفي ذلك سبق قرآنيّ معجز في الإشارة لكروية شكل الأرض (٦٠) .

وربّما أوحى بناء فعل التكوير وتواشج علاماته الصوتية المتمثلة بانضمام الشفتين عند نطق صوت الواو القصير ، وسرعة إعاقة الهواء المصاحب لصوت الكاف الانفجاريّ عند النطق بصوت الواو الطويل المشدّد بمعاني القوّة والقدرة والتّمكّن في وقوع الحدث وعظمة الذات التي تقف وراءه ، زيادة على إيحائه بمعنى تمام حدوث الظاهرة واكتمال وقوعها ، عندما يُمسي الأفق

- مثل الإغشاء واحداً من مستويات الدراسة ، وقد تشكل في أربعة مواضع : اثنان منهما على سبيل المفعوليّة الآليّة في سياق إثبات الفاعليّة المطلقة وتمكنها ، أمّا الموضعان الآخران فقد سيقا على سبيل الفاعليّة المجازيّة في الليل وهنا وُظفا تقابلياً ومستوى التجلي النهاريّ ، على نحوٍ يُعزز الأثر الدلاليّ المقصود ، ويزيده قوة ورسوخاً .

- ثمة مغايرة بنائية لوحظت في سياق مقابلة الغشو بالتجلي ، تمثلت في مجيء الأول بالصيغة المضارعيّة المتجددة والثاني بالصيغة الماضويّة ، وقد تبين أنّها تتطوي على مفارقة دلاليّة مقصودة.

- جاء مستوى التكوير في موضع قرآنيّ واحد ، وقد عبّر - بخصائصه الصوتية والاعتلاقيّة - عن حالة التداخل الكلي التام بين المتكوّرين ، ما جعله يُفيد بحدوث الظاهرة من زاوية أخرى ، تتباين عن دلالة الزاوية الأخرى التي جسّدت باقي المستويات .

التوظيف تتناسب وحدوثيّة الظاهرة الكونيّة المجسّدة .

- تعبّر مستويات الدراسة عن ظاهرة ( الليل والنهار ) من زاويتين رئيسيّتين : تدرّجيّة بطيئة مثلتها مستويات ( الإيلاج والسّلخ والإغشاء ) ، وكميّة تامّة مثلها مستوى ( التكوير ) .

- تمثل مستوى الإيلاج في خمسة مواضع قرآنيّة ، سيقّت أربعة منها على سبيل الاستدلال والإثبات والبرهنة ، وقد ارتكز هذا التمثل إلى ما اتسمت به من خصوصيّة في الدلالة على معاني الضيق والصعوبة في الإدخال وهكذا احتلت مركز المحور في الدلالة الاستدلاليّة المرجوة ، في حين انتظم الموضع الخامس في سياق آخر أسّس - بمزيّته الخطابية - دلالة أرفع وأسمى .

- انتظم مستوى السّلخ في موضع قرآنيّ واحد ، شكّل من خلالها قيمة فنيّة تعبيرية جسّدت حالة التداخل الكونيّ على نحو جماليّ ، وأفرزت مضامين تحليليّة ثانويّة ، كان لها أثرٌ بالغ في بحث مستويي الإغشاء والتجلي .

هوامش البحث

- ١/ ينظر : ( إصلاح المنطق ، ابن السكيت : ( ت ٢٤٤ هـ ) : ( ٤٢٩ ) ، ( المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي ( ت ٧٧٠ هـ ) ( ولج ) : ( ٢٢٧ ) .
- ٢/ ينظر : ( مفردات ألفاظ القرآن ، الزاغب الأصفهاني : ( ت ٤٢٥ هـ ) ( ولج ) : ( ٨٨٢ - ٨٨٣ ) ، ( لسان العرب ، ابن منظور ( ت ٧١١ هـ ) ( ولج ) : ( ٤٠٠/٢ ) .
- ٣/ صحاح اللغة وتاج العربية ، الجوهري : ( ت ٣٩٣ هـ ) ( ولج ) : ( ٢١١/٦ ) .
- ٤/ سورة الأعراف : ٤٠ .
- ٥/ سورة سبأ : ٢ .
- ٦/ سورة الحديد : ٤ .
- ٧/ سورة الحج : ٦١ .
- ٨/ ينظر : ( المنظار الهندسي للقرآن الكريم ، خالد العبيدي : ( ٣٤٨ ) .
- ٩/ المصدر السابق : ١١٣ .
- ١٠/ ينظر : ( تفسير أبي السعود ( إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ) ، أبو السعود العمادي : ( ٣٠ / ٢ ) .
- ١١/ سورة لقمان : ٢٩ .
- ١٢/ ينظر : ( الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) : ( ٣ / ٣٧٩ - ٣٨٠ ) .
- ١٣/ سورة فاطر : ١٣ .
- ١٤/ ينظر : ( الكشاف : ( ٤٦٠ / ٣ ) .

- ١٥ / سورة الحديد : ٦ .
- ١٦ / سورة آل عمران : ٢٦-٢٧ .
- ١٧ / ينظر : ( الكشاف : ٢٦٨-٢٦٩ ) .
- ١٨ / مفردات ألفاظ القرآن ( ولج ) : ٨٨٢ .
- ١٩ / ينظر : ( التحقيق في كلمات القرآن ، المحقق المصطفويّ ( ولج ) : ١٣ / ٢١٨-٢١٩ ) .
- ٢٠ / ينظر : ( مجاز القرآن ، أبو عبيدة ( ت ٢١٠ هـ ) : ٢ / ٢١٣ ) .
- ٢١ / إصلاح المنطق : ٣٠٦ .
- ٢٢ / ينظر : ( مفردات ألفاظ القرآن ( سلخ ) : ٤١٩ ) .
- ٢٣ / ينظر : ( أساس البلاغة ، الزمخشريّ ( ت ٥٣٨ هـ ) ( سلخ ) : ٣٦١ ) .
- ٢٤ / سورة يس : ٣٧ .
- ٢٥ / ينظر : ( الكشاف : ١٤ / ٤ ) .
- ٢٦ / ينظر : ( التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ١٨ / ٢٣ ) .
- ٢٧ / ينظر : ( التحقيق في كلمات القرآن ( كور ) : ١٠ / ١٥٠ ) .
- ٢٨ / الآيات : ( التكوير : ١٧ ) و ( الضحى : ٢ ) و ( الفجر : ٤ ) و ( الانشقاق : ١٧ ) و ( المدثر : ٣٣ ) و ( التكوير : ١٨ ) .
- ٢٩ / معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ( ت ١٧٥ هـ ) ( غشو ) : ٤ / ٤٢٩ .
- ٣٠ / ينظر : ( مجاز القرآن : ٣١٩ / ١ ) ، ( العمدة في غريب القرآن ، مكّي بن أبي طالب القيسيّ ( ت ٤٣٧ هـ ) : ١٦٤ ) .

- ٣١/ ينظر : ( إصلاح المنطق : ٤١٥ ) .
- ٣٢/ ينظر : ( المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده ( ت ٤٥٨ هـ ) : ٣/٦ ) .
- ٣٣/ ينظر : ( أساس البلاغة ( غشي ) : ٧٠٣/١ ) .
- ٣٤/ ينظر : ( مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي ( ت ١٠٨٥ هـ ) ( غشا ) : ١٨٤/١ ) ، ( تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ( ت ١٢٠٥ هـ ) ( غشو ) : ١٦٥/٣٩ ) .
- ٣٥/ ينظر : ( إصلاح المنطق : ١١٩ ) .
- ٣٦/ مفردات ألفاظ القرآن ( جلو ) : ٢٠٠ .
- ٣٧/ سورة الأعراف : ٥٤ .
- ٣٨/ ينظر : ( تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ( ت ٧٤٥ هـ ) : ٣١١/٤ ) .
- ٣٩/ ينظر : ( الكشف : ٤٤٩/٢ ) ، ( تفسير أبي السعود : ٢٣٢/٣ ) .
- ٤٠/ ينظر : ( حقائق الروح والريحان ، محمد الأمين الشافعي : ٣٤٧/٩ ) ، ( الميزان ، محمد حسين الطباطبائي : ١٥٣/٨ ) .
- ٤١/ ينظر : ( روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، محمود الألوسي : ١٣٦-١٣٨ ) .
- ٤٢/ سورة الفرقان : ٤٧ .
- ٤٣/ سورة النبأ : ١٠ .
- ٤٤/ سورة يس : ٤٠ .
- ٤٥/ سورة الرعد : ٣ .
- ٤٦/ ينظر : ( تفسير الميزان : ٣٧٤/٤ ) .

## تميطات التداخل بين الليل والنهار في القرآن الكريم

- ٤٧/ سورة الأنعام : ٩٦ .
- ٤٨/ سورة النبأ : ٩ .
- ٤٩/ سورة الليل : ١ .
- ٥٠/ ينظر : ( تفسير البحر المحيط : ٤٧٧/٨ ) .
- ٥١/ سورة الشمس : ٤ .
- ٥٢/ ينظر : ( الكشاف : ٧٦٢/٤ ) .
- ٥٣/ سورة الليل : ٢ .
- ٥٤/ سورة الشمس : ٣ .
- ٥٥/ ينظر : ( إصلاح المنطق : ٣٢ ، ١٢٣ ) .
- ٥٦/ ينظر : ( معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ( ت ٣٩٥ هـ ) ( ك و ر ) : ٤١٣/٥ ) ، ( مفردات ألفاظ القرآن ( كور : ٧٢٩ )
- ٥٧/ ينظر : ( تهذيب اللغة ، الأزهرى ( ت ٣٧٠ هـ ) ( كور ) : ٣٤٦/١٠ ) .
- ٥٨/ ينظر : ( أساس البلاغة ( كور ) : ٤١٤ ) .
- ٥٩/ سورة الزمر : ٥ .
- ٦٠/ ينظر : ( التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة : ١٣٣/١ ) ، ( التحقيق في كلمات القرآن ( كور ) : ١٥٠/١٠ ) .

كما تشكلت ( كور ) في سياق قرآني آخر ذلك قوله تعالى : (( إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ )) . (التكوير : ١) تعبيراً عن معنى النفاف الشمس على نفسها وانحرافها عن فلكها وخروجها عن نظمها ومسارها ، ولعلها إشارة إلى تجريدتها من وظيفتها الكونية المتمثلة

بإضاءة الأرض وبيث الحياة فيها وإدامتها .. وما مجيؤها في مفتح سياق النداعي الكوني المؤذن بوقوع القيامة إلا دليل على ذلك .

### مصادر البحث

### القرآن الكريم

- أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميّة ، بيروت .
- إصلاح المنطق ، ابن السكيت ( ت ٢٤٤ هـ ) ، تحقيق : أحمد محمود شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ( ت ١٢٠٥ هـ ) ، دار الحياة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٠٦ هـ .
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٤ .
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، المحقق المصطفوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- تفسير أبي السعود ( إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ) ، أبو السعود العمادي ( ت ٩٥١ هـ ) ، علّق عليه وضبط نصّه : محمد صبحي حسن حلاق ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٣ م .
- تفسير البحر المحيط ، أبو حيّان الأندلسيّ ( ت ٧٤٥ هـ ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

## تمييزات التداخل بين الليل والنهار في القرآن الكريم

- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة ، دار الكتب الإسلامية ، إيران ، ط ١ .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهرى ( ت ٣٧٠ هـ ) ، تحقيق : عبد الكريم العزباوي ، مراجعة : محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة .
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، السيد محمود الألوسي ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي .
- الصحاح ( تاج اللغة وصحاح العربية ) ، اسماعيل بن حماد الجوهري ( ت ٣٩٣ هـ ) ، تحقيق وضبط : شهاب الدين ابو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- العمدة في غريب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ( ت ٤٣٧ هـ ) ، تحقيق وتعليق وتخرىج : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ( ت ١٧٠ هـ ) ، تحقيق : د مهدي المخزومي و د إبراهيم أنيس ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢ م .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) ، تحقيق : أبو عبد الله الداني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- لسان العرب ، ابن منظور ( ت ٧١١ هـ ) ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة .
- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ( ت ٢١٠ هـ ) ، تحقيق ، محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي ( ت ١٠٨٥ هـ ) ، تحقيق : أحمد الحسيني ، دار الكتب العلميّة ، النجف الأشرف ، ط ١ ، ١٣٨٦ هـ .
- المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده ( ت ٤٥٨ هـ ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد الفيوميّ ( ت ٧٧٠ هـ ) ، اعتنى به : عادل مرشد ، مؤسّسة الرّسالة - دار المؤيّد ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ( ت ٣٩٥ هـ ) ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١ م .
- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهانيّ ( ت ٤٢٥ هـ ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم - دمشق ، الدار الشاميّة - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٢٥ هـ .
- المنظار الهندسيّ للقرآن الكريم ، خالد العبيديّ ، دار المسيرة ، عمّان ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- الميزان في تفسير القرآن ، السيّد محمد حسين الطباطبائيّ ، مؤسّسة الأعلميّ ، بيروت ، ط ١ ، ( د - ت